سلسلة فقهاء الظلام

وللإرهاب أقنعه (الجزء الأول)



بقلم

د/ سيد القمنى

مدونة

عن مصر أتحدث

3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

/http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

يـــا لقـــسوتــك يا وطـــن

العزيز الأستاذ صلاح عيسى

رئيس تحرير صحيفة القاهرة

تحية محبة وإحترام مصحوبة بالإمتنان لشخصك ولأسرة تحرير (القاهرة) لموقفكم المحترم و العادل من قضيتى وبعد

هذا الموضوع هو أول موضوع أنشرة بعد إنقطاع دام مايزيد عن العام بشهور عن النشر ، مع قرارى المصيرى بالعودة إلى أحبائى وناسى ، ألتمس فيهم الدفء الإنسانى والدعم المعنوى ، لأن قرائى هم أهلى الحقيقيون ، وبينهم أشعر أن للحياة معنى وقيمة وهدف ، وأنها لذلك تستحق أن تعاش.ولعل الدافع الأهم لهذة العودة هو الأحداث التى تجرى هذة الأيام فى بلادى ، وما تتعرض لة مدنية الدولة من ضغوط خبيثة وخطرة ، وخاصة بعد صدورقانون الأحزاب الجديد ,وما يزعمة تيار الإسلام السياسى حول دولة مدنية بمرجعية إسلامية. ولأنى حتى تاريخة لم أسمع أو أقرأ ردودا متماسكة على هذة المزاعم. ومن موقع تخصصى ، والواجب المفروض على كمواطن ، كان لابد من كسر حالة الصمت التى فرضها على الإرهاب المتأسلم ، للمشاركة بما علمنية وطنى وأهلى فى هذا الوطن ، فهو جهد منهم وإليهم أحاول بة المساهمة فى رد هجمة الخراب الآتى باسم دين جميل وعظيم وبريء مما يأفكون ، هذا إضافة إلى دوافع أخرى يفصح عنها هذا الموضوع ، لم تترك لى فرصة الاستمرار فى الصمت الجبرى.

ولأنى ربما أكلفك بهذا الموضوع فوق ما تطيق ، وأن للنشر فى بلادى حسابات وأسقف حمراء عديدة ، فـقـد قررت نشرة على الشبكة الدولية للمعلومات.

أهدية اليك ، وكذلك للشيخ المثقف والنبيل **عبد الله بن زايد** صاحب الأيادى البيضاء ، وإلى الدكتور **عبد المطلب الهونى** الذى كان عوناً وقت شدة كدأبة المعلوم ، وإلى الدكتور **ثروت باسيلى** الذى كان أخاً صادق الأخوة فى عمق المحنة ، وإلى المقاتلة الجسور **فريدة النـــقاش** ، وصديقى الأنسان **حلمى النمنم** ، وللصديق الكاتب المبدع **أسامة أنور عكاشة** ، وللأستاذ **كمال غبريال** وقلمة الصادق الصاعق ، والصديق النبيل و الكاتب النادر **محمد البدرى** ، و **لسعيد الكحل** وقلمة الرقيق كحد الشفرة ، و **أيمن السميرى** وحسم بلاغتة المبلّغة ، و **سعد صلاح خالص** الذى أبكانى بمرثيتة (ترجل الفارس وترك الحصان وحيدا) ، و **ليثال اليفن صادق** الكلمة والقلم والقلب ، إضافة إلى حشد من الأسماء الكبيرة و المحترمة : الدكتور **أحمد**

البغدادى ، وعباس بيضون ، وعبد الرحمن الراشد ، وسامى البـحيرى ، وعامر الأمير ، وعلى البغلى ، وأحمدالعويـس ، وجاسم المـطير ، وعادل حزين ، وكاظم حبيب ، ونـــورة المسلم ، ولــطيفة الشعلان ، وإبراهيم الجندى ، وحسن محمد اسماعيل ، وجورجيس كوليزادة ، ولكل الكتاب الأحرار الذين تفهمـوا محنتى ، إضافة إلى أسماء أخرى كثيرة ومحترمة بالمئات ، أكثر مما تسمح به ذاكرتى العجوز ، هم نجوم سمائنا وشموس مستقبلنا ، أرجوهم الصفح والغفران إن لم أشر إليهم إسماً إسماً ، فلهم منى عظيم الإمتنان والتقدير ، وخاصة كتاب الشـبكة الدولية للمعلومات ، الذين كانوا خير الأقلام وأكثرها طهراً ، فى زمن أصبحت فيه الوطنية خيانة ، و الطهارة جريمة

بعد تردد دام الشهور المنصرمة ، كان أمامى عدة خيارات ، كان أحلاها مراً:

الخيار الأول والمتاح هو أن اظل قابعاً فى بيتى صامتا أتابع الأحداث تجرى من حولى وانا بلا حول ولا قوة ، أبتلع لسانى الأخرس ويحترق قلبى مع كل حـدث ، لأنى لا أستطيع أن أصل بكلمتى إلى الناس والتى ربما كان فيها نفعا ولو ضئيلا ، ويملأ الكلام حلقى فيخنقنى ، ويزدحم صدرى بقهر مكتوم ، فلا أجد إلا عالم المكتئبين أجوس فيه دون هدف ولا معنى لأى شىء ، لا هو زمان ، ولا هو مـكان ، لا هو موت ، ولا هو حياه ، هو عالم من فضاء لا نهائى بلا ملامح ولا معالم.

الخيار الثانى هو أن أرتكب الحماقة وأمسك بالفكرة والقلم فى تحد يائس ، وكثيراً ما فعلت ودوما ما كان عيالى يمزقون ما أكتب ، أو يخفونه أولاً بأول ، لنعيـش أياماً من المناوشات والجدل ، فأنـا لهم الأب والأم والعـم والـخال والـصديق والحبيب ، وهم سر إحتمالى الحياة حتى اليوم ، فهم من زان حياتى المضطربة وجعل لها مـعنى ، وعادة ما كان قرارهـم هو النافذ إزاء ما يتعلق بشئون الأسرة المصيرية ، وإحتراماً للمبدأ كنت أحترم الإجـماع حتى لو خالف تقديراتى وخبرتى.

من المفارقات فى أمـرى مع تهديدى بالقتل ، هو أن دافعى لكـتابة بيان التوقف عن النشر الذى طلبه الإنذار القاتل ، لم يـكن هو الخوف من الموت. وهنا لا أدعى بطولة كاذبة لأن الخوف غريزة إنسانية طبيعية ، بل لأن فى المسألة جانباً شخصياً. فأنا أمـوت كل يوم عدة مرات وأذهـب فى غيبوبات تامة نتيجة خـطأ جراحى فى جـذع المخ ، وهناك كنت أذوق طعم الموت الـصادق فعرفته عن معاشرة ومباشرة وملامسة ، وكان أهم ما خرجت به من تـجربة الموت الـمستمر ، نتيجة اعتبرتها مـعلومة هامة فى تجربتنا الوجودية ، و هى أن المـوت ليس فيه أى نوع من الألم ولا الشعور ، وليس هناك أى عوالم للعفاريت أو السعالى او الثعابين أو الغيلان أو الملائكة أو الجن ، بل هو إنتهاء للشعور بكل الآلام فى راحة أزعم أنـها جميلة

وهادئة..وكثيراً ما تمنيت ألا أعود ، لكنى فى كل مرة كنت أعود وأعلم أنى ما زلت حياً عندما أبدأ الشعور بآلام جسدى المعتل. وفى جلساتى مع أصدقائى كنت أحيطهم علماً بهذه المعرفة النافعة والهامة والمبهجة أيضاً ، خاصة أن هذه المعرفة نتيجة لتجربة حقيقية نادرة فى نوعها ، أمارسها كل يوم مرات وأعـود لأرويها لأصدقائى ، فى خلاصة هى: أن الموت لم يعد مخيفاً ، وهذا كان غاية ما يشغلنى ويشغلهم فيه كظاهرة لم تعد مجهولة

هذا ناهيك عن كونى لم أدرب نفسى على حمل البندقية ولا الخنجر ، فلا هى أدواتى ولا هى معركتى ، فهذه أدوات موت بينما صنعتى وحرفتى هى الحيا ة ، فدربت نفسى على حمل القلم وصناعة الفكرة حباً فى وطنى وناسى كـهدف تكتيكى واستراتيجى أوحد ، بغض النظر عمن سيرضى أو عمن سيغضب أو عمن يمدح أو عمن يذم. إن السلاح صنع لكى يقتل أما القلم فقد صنع لكى يخلق ويحيي ، بمساعدة العقل المنجز ، ليصوغ فكرة معادلات أو قوانين أو أفكار أو كلـمات أو إكتشافات أو إختراعات ، من أجل سعادة الإنسان. فإن كانت المعركة بين القلم والرشاش فما أبأسها معركة وما أخسرها موقعة ، وما أسوأه مجتمع يقبل بها ويشرعها ، وعندما يكون عجز الحجة وضعف البرهان والشعور بالـعار دافعاً للـرد بالقتل ، فما أبأسها شريعة وما أضعفها وسيلة تشرع مثل هذا القانون الخسيس.

بينما عندما يكون الصراع بالكلمة مقابل الكلمة ، والبرهان أمام الحجة ، والدليل إزاء القرائن ، يصبح الصراع صحياً حضارياً منتجاً ، وأنا لمثل هذا الصراع يا سيدى ، سواء نجحت أم أخفقت ، المهم أن تحدث نتيجة فى النهاية يمكنها أن تفعل فى الواقع لترتقى به خطوة... الصراع بهذا المعنى يحل المشاكل ولا يعقدها ، يعرضها على الناس ولا يفرضها ، يـضع حلولاً عديدة تترك للناس فرصة المفاضلة والتمييز للإختيار بين البدائل ، ويفتح المسا حة لكل الفرص والأفـكار لتتنافس ليأخذ منها المجتمع ما يراه فى صالحه ، فيهزموا ويُهزمون ، بدلاً من أن يقتلوا ويُقتلون ، ولا يبقى لرأى قداسة ولا عصمة ، لأن ما يمكث فى الأرض هو ماينفع الناس.

أعود بك يا صديقى الإنسان إلى تلك الأيام منذ عام ، وقبلها بحوالى سبعة أشهر ، كانت قد بدأ ت تصلنى الرسـالة اليومية لقاعدة أنصار الرافدين ، ثم بدأت الرسائل تأخذ عناوينا خارجية تحمل لوناً من التهديد المبطن والتحقير ، من قبيل (إستمع إلى سيدك أبو مصعب الزرقاوى) وبداخل الرسالة نص خطاب للزرقاوى ، أو مثل (نصيحة لوجه الله) وتحمل نصائح بالتراجع عما أكتب ومناقشة لما أكتب من وجهة نظر إسلامية شديدة التعصب والأنغلاق والفجاجة ، إلى أن أتت رسالة تحمل عنوان

(عقبالك) وبالداخل نص بيان قتل إيهاب الشريف سفير مصر بالعراق ، وكل الرسائل كانت بشعار و(بادج) قاعدة أنصار الرافدين ، ومع فتح الرسالة تستمع لأنشودة صوتيه إسلامية جهادية ملازمة لكل رسالة ، وبـــــعدها وصلتنى الرسالة القاتلة ، ولكن بتوقيع (جماعة الجهاد مصر).

وتوقفت الرسائل جميعاً بعد ذلك ، حتى أعلنت بيان توقفى عن النشر ، لتصلنى رسالة أخرى تحمل الغفران وقبول التوبة ، موقعة بدورها من جماعة الجهاد مصر ، وتوقف كل شئ بعدها. ومن ثم كان لابد أن أربط هذه السلسلة جميعها ببعضها ، وأن من أرسل الرسائل السابقة كلها من الـعراق ، على إرتباط وثـيـق وتفاهم وعلم متبادل مع من أرسل رسالة التهديد ورسالة الغفران بتوقيع جماعة الجهاد مصر ، وأنه من الغباء الفصل بين رسائل انصار قاعدة الرافدين وبين رسائل الجهاد مصر. ومنذ شهور أعلن الرجل الثانى فى القاعدة (أيمن الظواهرى) اندماجا علنيا للجماعة الأسلامية بمصر ، ولجماعة الجهاد المصرى ، بالقاعدة ، وبينما أعلنت الجماعة الأسلامية إن صدقا او كذبا عدم موافقتها على بيان الظواهرى ، فإن جماعة الجهاد المصرية لم تصدر أى تكذيب حتى الآن.

إشترط الإنذار التهديدى بقتلى خلال أسبوع من وصوله ، إن لم أنشر بيان توبة بمجلة روزاليوسف تحديداً ، والتى كنت أنشر بها دراساتى أو كما قالوا (كفرياتى) ، (وأسميته فى حينه: بيان توقف عن الكتابة والنشر لأنى لازعمت أنى سأتوقف عن التفكير ولا أنى سأتخلى عن مبادئى ، أعلنت فقط توقفى عن النشر تحت وطأة التهديد بالقتل ، ورددت خلف البيان مطالبه ، مع توضيح أن هذا الترديد هو خضوع قهرى لا إرادى). وللصدف غير السعيدة أنه قبل ذلك بأسبوعين كنت قد توقفت عن الكتابة لتلك المجلة ، بعد أن أحيل رئيس التحرير الأستاذ محمد عبد المنعم للتقاعد ، واستلم محله الشخص الذى كان رقيباً على مقالاتى. <u>وكثيراً ما تدخل هذا الشخص بجـهل أحـمق وحـمق أخـرق فى مناطـق لا يعرفها ولا يفهمها ، مما أثار مشاكل مستمرة بيني وبين المجلة ، كانت تصل احيانا إلى حد توقفى عن الكتابة لها شهوراً</u> ، ليتلفن لى رئيس التحرير مرة أخرى ويعد بعدم التدخل ، وهكذا دواليك.. حتى وصل السيد الرقيب إلى سدة رئاسة التحرير ، وما كان ممكناً أن أكتب للمجلة بعد ذلك. وبعد أسبوعين من التوقف جاءت الرسالة المنذرة بالقتل تطلب نشر بيان التوبة بالمجلة المذكورة. وهو ما أضطرنى إلى الخضوع راغماً للأتصال برئيس التحرير الجديد (الرقيب سابقاً) وكذلك السيد رئيس مجلس الإدارة الذى كان صديقا ذات يوم للأسف ، لمحاولة الوصول إلى تفاهم وإتفاق بين كافة الأطراف ، بما يضمن حمايتى بشكل لائق ومناسب ، سواء كنت سأنشر عندهم أم عند غيرهم. لكن السادة الذين أصبحوا كباراً فجأة لم يغفروا لى شكواي لرئيس التحرير الأسبق مرات من

تدخل الرقيب ، كما لم يغفروا لى توقفى عن الكتابة لهم بعد أن وصلوا إلى سدة حكم المجلة.. فلم يرد على أحد منهم بالمرة. فا تصلت بالدكتور وسـيم السيسى وهو صديق وكاتب بنفس المجلة ، بإعتباره رجلاً وسطياً ودبلوماسياً ، ليتحدث معهم لنتقابل لنتفاهم. ويبدو أن الرجل قد عجز عن فعل شئ ، وكنت قد أرسلت لهم الإنذار ، وصيغة لبيان توبة لعله يحفزهم ، ولكن دون جدوى.

تكتمت الأمر عن أسرتى ، وبالطبع أبلغت الأمن العام وأمن دولة المكان الذى أقيم به ، وأرسلت رسالة بالفاكس إلى اللواء حمدى عبد الكريم مساعد وزير الداخلية موضحاً كل الملابسات.. وذلك فى شكل بيان توقف عن النشر أستثير فيه النصرة ، تنطق كل كلمة فية بطلب نجدة رسمى ، حتى لا أضطر لنشرة ومن ثم التوقف بعدها. كنت أنتظر نصرة حقيقية واضحة تشعرنى أن الاستمرار فى المواجهة ممكن إذا أمكن تقليل نسبة المخاطرة ، وهو ذات البيان الذي نشرته من بعد على الصحف. و كان رد الجميع كان هو الصمت التام ، عدا زيادة نفر من خفر الحراسة الريفيين ، الذين لا يعلمون عنى سوى أنى رجل كافر وعميل لإسرائيل وأمريكا. بل أن تليفونات كل هؤلاء السادة أغلقت وخرجت من الخدمة. كانوا يشعروننى عن عمد وعن قصد بالتجاهل والإهمال التام. كان الكل يدفعنى دفعاً للإستجابة لتهديد الاستتابة ، بينما الأيام تمضى وانقضاء يوم المهلة يأتى محمولاً.. لا أعلم على قنابل أم سيوف.

منذ أبلغت مكتب أمن الدولة حيث أقيم بالرسالة التى حملت عنوان (عقبالك) كان قد انقضى يومان ، ووصل البيان الثانى القاتل ، إتصلت بذات المكتب ليرد على بيه آخر من بهوات أمن الدولة ، فأخبرته بوصول بـيان جديد منذ دقائـق ، وقلت له: "أدخل النت بسرعة على الإميل الخاص بى" ، وكنت قد أعطيت كلمة السر لهم قبلها بيومين ، لكن لأكتشف أن هذا البيه لا يعرف ما أبلغت به زميله البيه الأول منذ يومين بالمرة. قال: "أنا مش فلان بيه إللى إنت كلـمته لأنه فى أجازة". أعطيت البيه الثانى كلمة السر مرة أخرى ورجوته الدخول على بريدى سريعاً فكان رده المبهر الصادق: "أصل أحنا هنا ما عندناش نت"؟! (ولا تفهم هنا لماذا أخذ فلان بية الأولانى كلمة السر: تهدئة لخاطرى أم هى لامبالاة تامة؟). قلت: "يا سيدى أبلغ لاظوغلى وهم يتصرفوا". قال: "طيب قبل ما أبلغ أرسل لى صورا من تلك الرسائل على ورق لأطلع عليها". أجبته بالإيجاب وطالبته بإرسال مندوب عنه إلى بيتى ليتسلمها ، فكان رده المبهر: "طيب ملينى عنوانك "؟! سادتنا البهوات بأمن الدولة بعد كل ما حدث يريدون عنوانى؟! هذا بينما كانت "روز اليوسـف" تنزل على النت قبل صدور العدد الورقى ، وبها موضوع يؤكد أن كل ما حدث هو فبركة مخترعة من جانبى. ولتأكـيد أنها فـبركة استشهدوا بإثنين من أهل الخـبرة

والمعرفة ، ليس من بهوات بوليس مصر ، ولا من خبراء الإنترنت ، ولـكن من خبراء الجماعات الإرهابية ، **منتصر الزيات** محامى الإرهاب المعروف ، **وكمال حبيب** المحكوم بقضايا إجرام إرهابى عشر سنين ، و سبق له الـحبس فى عمليات إرهابية ضد الوطن ، وسبق لى أن هـزمته شر هـزيمة ، أو بالأحرى سحقتة سحقا فى برنامج الإتجاه المعاكس بقناة الجزيرة.

هنا أدركت حـجم ودلالة المـثل القائل: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت". بعد سبع ساعات رفعت المجلة من على النت فضيحتها المؤسفة المخجلة ، لكن بعد ان سجلتها عندى وقرأها الناس ، ولكن فى الأسبوع التالى تم تخـصيص الغـلاف وكلمة رئيس التحرير ورفاقه أعضاء جماعة "إذا لم تستح" تحت عنوان كبير هو "فيلم سيد القمنى". لتأكيد أنى أفعل كل هذا بقصد الشهرة!! وأنه لا إرهاب هناك ولا هم يحزنون ، وأن جماعة الجهاد قد تم القضاء عليها فى مصر منذ زمان ولا وجود لها. وأعادوا الإستشهاد على ذلك كمال حبيب المدان بالقيام بأعمال إجرامية إرهابية ، وبمحامي الإرهابيين منتصر الزيات ، بينما يعلم رئيس تحرير المجلة (الرقيب سابقاً) ، أنى لست بحاجة لهذه الشهرة ، فالحمد لله كتاباتى معلومة لدى قرائى الموافقين والمعارضين بجديتها ورصانتها ، واحترامها لذاتها وللناس ، ولمصالح الناس وللوطن ، ومستقبل الوطن ، ولم أسع يوماً لأكون رئيس تحرير لأى شئ ، ولم أطلب يوماً عضوية فى أى جهة ، لا أهلية ولا حكومية ولا حزبية ولا حتى فكرت بتسجيل نفسى باتحاد كتاب مصر ، مُصراً على حرية قلمى من أى قيود أو ضغوط ، مكتفياً بسعادتى بين أولادى.

المضحك المبكى أنى بأعمل شهرة لنفسى وأنا مقبل على الصمت والتوقف عن الكتابة والنشر ، يعنى شهرة للاشيئ؟! شهرة للصمت؟! نكتة سوداء قبيحة تليق بمن أطلقها ، وبمن كررها وظل يكررها ممن يزعم الليبرالية و الذى ينـصب نفسة مشيخة اللـيبراليين الـعرب ، دون أن يشعر لحظة بفداحة ما يرتكب على كل المستويات ، بما فيها الأخلاقي وهو مناط اعتزازنا نحن الليبراليين.

ولد القلق فى الليلة الرابعة على تبليغ جهات الأمن ، والتى يجب أن تسألوها ماذا فعلت أكثر من زيادة خفير تم سحبه بعدها بأيام؟ ولماذا لم يقابلنى منهم أحد إلا بعد مرور أكثر من شهر ، ودون أى نتيجة ترتبت على هذا اللقاء ، رغم قسمهم المغلظ بأنهم سيقبضون على الإرهابيين خلال أيام. و فى الليلة الرابعة السوداء جمعت عيالى حولى وصارحتهم بالموقف وأطلعتهم على ما جاء على بريدى الإلكترونى ، وموقف مجلة "روز اليوسف" ، وموقف الأمن. لحظة الرهبة ولدت فى تلك الساعة.... كم كان هلع أطفالى وذعرهم وما رأيته فى عيونهم الغا ئمة وراء

الدموع ، والزائـغة هلعاً على أبيهم ولـــهفاً عليه... سجــدوا على الأرض يقــبلون أقدامى ، يستصرخوننى أن أفـعل المطلوب منى ، وأنشـر البيــان الذى أرسلته لروز اليـوسف ولم تنشره ، ضربوا رؤوسهم بالأرض وبالــحوائط حتى أدموها ، وأنا متــردد ما بين إشفاقى عليهم وبين خطورة مثل ذلك القرار. هنا وفى حالة إفاقة عصبية هستيرية إتهمتنى طفلتى (**نفرتى**) بالأنانية و "أنى عايز أجيب أجوان فى الإسلاميين" بغض النظر عن حياتى التى هى عمود أسرتى.

حاولت أن أشرح ان الموضوع أكبر من أسرة وإنها ليست أجوانا إنما قضايا مصيرية ، لأنها قضية الناس فى هذا الوطن ، وأنى لن أتراجع فى نهاية عمرى. قالت (**سلوى**): وما أشد قسوتها عندما قالت ، وهى من كانت الحضن الحنون فى الشدائد: "هوة احنا مش من الناس فى هذا الوطن؟ ما نشبهش الاقباط فى أبحاثك؟ هوة احنا مش من جنس المرأة إللى بتعتبرها قضية ليك؟ ما نصلحش قضية ليك بالمرة؟ هوة انت مش شايفنا خالص؟ كل ما تتكلم تقول فلذات أكبادى!! هل هذة الطفلة الصغيرة إللى لسة محتاجة لرعاية الأب ما تصلحش قضية ليك؟" ثم كانت حجتهم البالغة عندما عادت **إيزيس** للماضى القريب تذكرنى بما حدث لعمو فرج (تقصد فرج فودة) ، و ما حدث لزوجته وإبنه احمد اللذين أصابهما الجنون بعد فقد رب الأسرة ، وبعد ما واجهوه من قسوة البشر؟ وولدة الأكبر ياسر الذى لم يحتمل موقف المجتمع منة ومن أبيه فاختار أن يلحق به؟ وكانت الحجة قاطعة فى الموقف وراجحة أمام أى قضية ، وولد الخوف..... ساعتها. خوف أن أفجع عيالى فى أبيهم ، كما حدث للحبيب الغائب الــحاضر دائماً وأبداً ، عطر السيرة ، الصديق الجميل ، الإنسان الشفاف كأطفال الملائكة... (فرج فودة) ، ولأسرته المحترمة والجميلة التى دمرها موت عائلها ثم تكفل المجتمع (**ويا لقسوتك يا وطن**) بالإجهاز عليها من بعده. بينما أقسمت إيزيس أننى عندما أنزل القبر فستكون بصحبتى ، أما الأهم ، فكان تصورى ماذا سيحدث لهم من بعدى فى هكذا وطن وبين هكذا بشر حتى لو قرروا ان يعيشوا بعد مقتل ابيهم؟.

وما لم يلحــظه رجال الأمن ، أو تجاهلوه ، أنه بعد نشرى بيان التوقف عن النشر انفجرت شرم الشيخ ، ببيان من جـماعة الجـهاد المصرية تعلن مسؤليتها عن الحدث ، وهى الجماعة التى أنكرت روز اليوسف ومحامى الإرهاب الإرهابى منتصر الزيات وزميله الإرهابى كمال حبيب وجودها فى مصر بالمطلق. (علما أن المحكوم بالأرهاب كمال حبيب هو عضو مؤسس فى تلك الجماعة). والسؤال الأخطر هنا هو: هل كان ممكناً أن تنفجر شرم الشيخ ، وبعدها مدينة دهب ، وبعدها العريش ، لو تم الربط بين رسائل الجهاد التى وصلتنى من مصر وبين رسائل القاعدة القادمة من العراق؟ ولماذا لم يتم أخذ الأمر بجدية؟ ويوم كتبت فى روز

اليوسف قبل كل هذا بشهور يوم تفجيرات طابا ، موضوعاً بعنوان (**إنها مصرنا يا كـلاب جـــهنم**) ، حذرت أن الجهاد الذى أعلن مسؤولـيته عن ضرب طابـــا هو حقيقة ، رغم إنــكار الجميع أن يكون موجوداً ، ومع إصرارا الداخلية عل أنها قد قضت عليه بالتمام والكمال. وقلت: إن هذا الجهاد هو ذات الجهاد القديم أيقــظته مغامرات القاعدة ، وأنة قد أصبح فرعا للقاعدة فى مصر أو حليفا محليا لها ، هذا بينما كان الرقيب وزملاؤه من أعضاء جماعة (إذا لم تستح) يؤكدون وفى نفس العدد ، أن الجهاد قد قضى عليه فى مصر مع إنكار تام أن يكون فى مصر أى خلايا قاعدية. رغم مايـــحدث من تفجيرات متتالية تحصد الأبرياء حصداً. ولمزيد من الإنكار تحولت الداخلية إلى إتهام بدو سيناء على التعميم ، ممـــا يشير إلى إتهام جزء كامل وعزيز من شعب مصر بالعمالة. ولمزيد من التأكيد شنت الداخلية حملات واسعة مهينه على بدو سيناء المهمشين أصلاً ، والمهملين طوال الوقت ، لتأكيد نظرية أن الجهاد إنتهى بمصر ، وأن من يقوم بهذه الأفعال هم بدو سيناء على المشاع.

ثم كان الخيار الثالث هو الهجرة ، والتى تيسرت لى فوراً لعدة بلدان بعروض كريمة سخية ، سعى فيها قراء لا أعرفهم بأريحية كانت البلسم المداوى لجراحى ، وهم من يستحقون هنا إمتنانى العظيم وتقديرى لما سعوا فيه ، وجهدوا عليه جهداً مــخلصاً وكبيراً ومـــحترماً.

لكن مسألة خروجى من مصر مهاجراً ، كان يقف دونها ارتباط من نوع خاص بينى وبين مصر ، وحالة عشق كانت تتسبب فى إصابتى بما يسمى (هوم سيكنس) فى حال سفرى لبضعة ايام ، رغم كل ما فيها من بؤس وكـوارث متلاحـقة تقع على رأس أمثالى تحديدا. بل ان المعاناة اليومية كانت دوما هى القوة الدافعة لعملى وهى المفجرة لطاقاتى ، وليس معنى ان نعانى ان نترك الوطن ونهاجر عملا بالنصيحة: ألم تجدوا ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فالمعاناة أدعى للتشبث بالوطن والعمل على تغييرة من اجل رفع المعاناة فيه عن المواطنين وليس الهرب منة الى ارض اللة الواسعة ، حيث ستكون الكتابة فى الأرض الواسعة رفاهاً وترفا لا تعيش الواقع فى موطنها ولا تنفعل به. هذا اضافة الى الجانب الشخصى وهو حالتى الصحية والتى لا تحتمل أن أعيش وحـــدى وأرعى نفسى بنفسى ، مع ما ينتابنى من غيبوبات تؤدى أحياناً إلى سقوطى متهاويا ، مما كسر أضلاعى ومزق كتفى عدة مرات ، ومن ثم كانت فكرة الهجرة هى الفكرة المستبعدة من البداية.

واستمر وجع عيالى لما كانوا يقرأونه منشوراً عن أبيهم ، حتى وصلوا للتساؤل عن مدى إستحقاق هكذا وطن لكل هذا العذاب؟ وأخذوا يفقدون الثقة بوطنهم وبأى قضية

تعلموها ، مع الهجوم المريض من الكتاب المحسوبين على الليبراليـــة ، بعدما توقفت عن الكتابة. ورغم ذلك فإنى تركت كتبى تباع بالأسواق ولم أسحبها من الموزع أو الناشر ، وهى تباع حتى اليوم. وكذلك لم أمنع أى جهة ناشرة سواء شرعية بالإتفاق مع المؤلف ، أو غير شرعية بالسطو على أعمال المـؤلف ، سواء ورقية أو الكترونية ، من نشر دراساتى وكتبى ، ولا حتى احتججت على ذلك.

ثم جاءت أخر المواجع من سعادة المستشار ، وكم كنـت مزكـيا لهذا الرجل فيما كنت أكتب تزكيه للمبدأ ، حتى لو سقط صريع نزوات لا تعنينى. إنتـــــهز سعادتة زفة مولد تجريس (القمنى) وصمته عن الكلام والكتابة ، ليتهمنى غمزاً بالتجارة ، ولمزاً بالأكل على كل الموائد ، إضافة بالطبع إلى جبنى العلنى وفزعى من التهديد ، مٌضيفا أنة هو الأسد الهصور الذى لا يهاب ، بينما صراخه وعويله على حرسه يمـــلأ الآفاق. المصيبة فى قولة: إنى رغم فزعى فأنا طالب شهرة؟!! فكيف يلتقيان؟ يعنى أنا من فبرك الحكاية طلبا للشهرة ، ثم فزعت خوفا من التهديد الذى كتبته بنفسى لنفسى!! هو نفس ما قال شيخ الليبراليين !! رحم اللة الشيخ الحقيقى لليبراليين العرب (فرج فودة) الذى عمد مشيختة بدمه ، وهو دم لو تعلمون كم هو عظيم ونظيف ، ولم نعهد عنه أبداً إلا الوقوف بعقله وروحه وقلبه مع أنصار الحريات فى ما كانوا يتعرضون لة من محن ، لذلك هو دوما طيب الذكر بيننا جميعا.

لقد كان كلام المستشار بالذات هو الصدمة الموجعة لعيالى لكثرة ما زكيته لهم ، كـــما سبق وزكيت شيخ الليبراليين (كما يحب أن يوصف) ومدحتة على قناة "الحرة" وأثنيت علية ثناء حاراً. فـكان جـزائى مـنة سلسلة من المقالات كان أولها كما تذكرون (سيد القمنى: بئس المفكر الجبان انت). رغم ان بيوت سادتى هؤلاء كلها من زجاج او هما بالأحرى رجال من زجاج. وكان المفترض أن اخذ منهما ثأرى هنا ، لكنى لا أريد مزيداً من الثغرات بالبيت الليبرالى ، وحتى لا أنصرف عن الجهد الحقيقى إلى معارك جانبية ، قد تشفى منهم صدرى ، لكنها لن تعود سوى بالمضرة على القضية الأسمى.

وبعد الترهيب ، أبداً لم أخضــع للإغواء والترغيب ، ذلك الترغيب الذى بدأه الشـــيخ الدكتور **عبد الـصبور شـاهين** بالتليفزيون علناً فى دعوة مفتوحة ، لتسخير قلمى الذى أثنى عليه ، من أجل الدعوة الإسلامية ، حتى أكسب سعادة الدارين ، سعادة الدنيا وسعادة الآخرة. ومثلاً لسعادة الدنيا قال: "نعم المال الصالح للرجل الصالح" ، وهى عبارة للنبى قالـــــها لعمرو بن العاص الذى تأخر إسلامه حتى بدأت بوادر فتح مكة ، فذهب للنبى يقول إنه إنما جاء مؤمنا وليس طامعاً فى

مال أو مغـنم. فأرسله النبى فى غزوة وقال له: "اذهب فازغب لك زغبة من المال ، نعم المـال الصالح للرجل الصالح". كانت دعوة الشيخ عبد الصبور رشوة علنية فصيحة ، لأزغب لى زغبة من المال أحقق بها سعادة الدنيا ، ببلهنية العيش الطرى وطراوة العيش الهنى ، ومن بعدها سعادة الآخرة فى جنة عرضها السماوات والأرض ، وأكون قد كسبت بذلك سعـادة الدارين. وبعد الشيخ عبد الصبور تتالت الدعوات السخية من كـافة الأطراف الإسلامية ، تعد بدورها بسـعادة الدارين. وهنا أيضا لا تفهم كيف أمكن لهذة العقول على كثرتها أن تتصور توقفى عن النشر تحت الإرهاب العلنى هو انتقال إلى الجهة الأخرى؟!!!!! ورغم عروض زغب المال الصالح لأكون رجلاً صالحاً ، **فإنى فضلت أن أكون كما أحببت وكما اخترت لنفسى ، وأن أشتغل عند نفسى فقط كما كنت دوماً** ، .... لكن ما حدث بعد ذلك كان هو الأسوأ!!.

فى مغامرة تصورت أنى سأزيـد بها دخلى ببعض المـال الحلال دونما غزو ولا زغب ، قمت بوضـع كل ما أملك فى طبـاعة كل أعمالى السابقة ، وسلمتها للسيد **خالد زغلول** صاحب دار مصر المحروسة ، كأمانة توزيع بوكالة تعاقدية نظير أجر. كما تعاقدت معه على نشر ثلاث كتب لى ، ثم جاءت الأحداث و الإنذار والتوقف عن الكتابة ، ليستثمر زغلول الموقف لعـمل دعاية رخيصة لداره ولنفسه ، فى ظل سكوتى ورفضى أى لقاء صحفى أو تليفزيونى. وظل يقابل كل من يطلب كـلامى ليقول هو ما يريد بابتذال أساء لى أكثر ، ولم أتمكن من إيقافه حتى حقق مراده. وبعدها بدأت الدفعات المالية المتفق عليها تتباعد وتقل حتى توقفت تماماً ، وهى دفعات من حقى فى الكتب الثلاث التى نشرها لى ، ولم تكتمل حقوقى فيها ولم يـزل لى فى ذمته مستحقات لم يسددها بعد. أما ما دفعت فيه كل ما أملك أنا وعيالى وسلمته له لتوزيعه ، فلم يصلنى منه مليـم واحد. وفى رحلة استجداء بائسة تعسة سعيت فيها مرات ومرات وراء عشرات الأماكن التى يتواجد فيها ، ليهرب مرة ، ويلقانى مرة لكن دفتر شيكاته مش معاه ، إلـى أن أنـذرنـى هـو بالتوقف عن مطاردته حيث لم تعد لى بعد أى حيثيه استند إليها للضغط عليه ، وأنه راجل مسنود وأقاربه فى سلك النيابه وأمن الدولة ، وأنى ما ليش عنده ولا مليم ، وأعلى ما فى خيلى أركبه ، ولما لم يكن عندى خيل لأركب أوطاها ناهيك عن أعلاها ، فقد رفعت علية قضية خيانة امانة بمحكمة عابدين برقم٥٢٤٩ ودعوى مطالبة عن مستحقاتى عن عقود نشر ٣ كتب برقم ٦٦٠٤ ، ومن يعلم شؤون التقاضى فى مصر ، وما تحتاجه من صرف غير رشيد من محامين وخبراء ورسوم وعمر مديد ، يعلم حجم مصيبتى الكارثية

وهكذا توقف أولاً دخلى من الكتابة فى الدوريات داخل مصر وخارجها بعد بيان التوبة ، ثم توقف دخلى من مؤلفاتى بعد أن استولى عليه خالد زغلول صاحب مصر المحروسة ، حتى أشرفت على هلاك أنا وعيالى ، ولم يبق سوى أن أفكر جديا فى البقاء بأمريكا كمهاجر ، بغض النظر عما يمكن أن أعانى فى مشارف الستين بأمراض عضال...... ومن الإنذار القاتل ، إلى شيخ الليبراليين ، إلى الأسد الهصور ، إلى مصر المحروسة..... كانت رحلة مفكر مصرى أراد لنفسه الإستقلال ليقول كلمته حرة من أى ضغوط ، فكانت محطاتها... من الذل... إلى الحاجة .... إلى الهوان.. فإليك يا وطنى .... المُشتكى ، إليك شرفى المغدور بادعاءات رخيصة ممن كنت أزكيهم وأحتسبهم العون و الملاذ عند الشدائد ، إليك يا وطنى أرفع الشكوى لمعاناة عيالى فى رحلة عذاب طويلة دونما ذنب لهم سوى أنى أبوهم.

إليك يا تراب مصر......... أشكوك ، إليك أيها الطاهر ....أرفع عذاباتى وذلى وضعفى وهوانى عليك ،

١٠/٧/ ٢٠٠٦

شيكاجو – أمريكا

بعد قضاء حوالى الشهرين فى أمريكا مع تجربة هى بحد ذاتها محنة لا يعرفها أويكابدها إلا عشاق الوطن ، مع ما كان متوقعا سلفا من عدم احتمال جسدى العليل للعيش وحيدا ، قررت العودة الى بلادى ، مع قرار مغامر وربما كان انتحاريا ، بالعودة الى الكتابة والنشر والمشاركة فى قضايا بلادى من داخل بلادى ، لأنى مع التوقف عن العمل ازداد انهيار صحتى بتسارع أعلى.

قلت فى بيان التوقف عن النشر أن هذا التوقف سيكون بالنسبة لى موتا بطيئاً فإذ به يأتى سريعا ، وأدركت أنى أموت اختناقا ، أموت موتا فطيساً ورديئاً. وعقدت لأسرتى اجتماعا شرحت فية حالى الذى كانوا يرونه بأعينهم ، مع طرح رغبتى المصيرية بالعودة للكتابة والنشر للمناقشة. واستمر النقاش والأخذ والرد شهوراً أخرى حتى تمت الاستجابة لمطلبى مع تردد وتحفظات قائمة حتى يوم نشر هذا الموضوع.

وهنا لا بد من قول واضح وصريح فى بيان للناس وهو: أنى أعلق دمى برقبة الحكومة المصرية التى عليها أن توفر لى ولأولادى حماية مناسبة كالتى توفرها للسادة من كبار المتنفذين ، الذين يتقاضون رواتبهم من جيبى ومن قوت أولادى ضرائب ، دونما سبب واحد واضح لتلك الحراسات الكبيرة والمهيبة التى تسبق مواكبهم وتلحقها. بينما شخصى الضعيف هو من أعطى هذا الوطن ما يعلم وما تعلم رخيصا بلا ثمن سوى الوله به ، وبالحب وحده ، ودون أن اكلفه شيئا سوى أن أعيش فية كريما ما أمكن ، و دون مكرمة منانة من أحد ، وأن يتوسدنى ثراه الطاهر بعد مماتى ليضم عظامى إلى جوار رفاة أبى وأجدادى ، .... لا أن يضعوا لى حراسة شكلية من الحرس الريفيين شبة الأميين ، الكارهين ، كما هو حادث. والمطلب الملح الآن هو أن يعلن المسؤولون الأمنيون تكفلهم بتوفير هذة الحماية المحترفة المدربة الكفوءة بشكل فصيح وعلنى وواضح بلا إلتباس ، مع إعلان مسؤليتهم الكاملة عن حياتى حتى يقضى الله أمره. وهى الخطوات التى لو تمت مبكرا ما اضطررت لما حدث ، وهوالأشرف لى ولبلادى ولهم ، من أن أعيش فى كنف وحراسة بلاد أخرى لمجرد أنها تعرف قيمة الإنسان. فهلا عرفت يا وطنى قيمة الإنسان؟ وهلا رفقت يا وطن لعاشق يهيم بك متيما؟ أم ستظل طارداً لمحبيك قاسيا لا ترحم؟

بهذا الموضوع وبمجرد نشره أكون قد رفضت التهديد الإرهابى وأكون قد ألقيته فى وجه مرسليه مصحوبا بالاشمئزاز والتقزز بل والقرف ، مع التحدى أن يكونوا على قدر ما أسـوق بوجـوهـهم من منـطق واضح إن كانـوا أهلا لهذا ، وأكون قد شرعت قلمى فى

مواجهة فقهاء الظلام مرة أخرى. وإن كان من الموت بد فإنى أعلق دمى برقبة الحكومة المصرية كلها ، وبرقبة وزارة الداخلية خاصة ، ثم برقبتك أنت أيها المعشوق الأجمل.... برقبتك يا أجمل الأمكنة بين كل الأمكنة...

يا وطــــن....

القاهرة - مصر المحروسة أبداً

٣٠ / ١٢ / ٢٠٠٦

elqemany@yahoo.com

الرد على نهضة مصر

من (الشبه) إلى (أبى سعدة) عظم الله أجركم فى الديمقراطية وحقوق الإنسان !!

خصنى عدد الثلاثاء ٢ فبراير ٢٠٠٧ **من صحيفة نهضة مصر** بعنوان كبير وبموضوع خبرى بالصفحة الأولى ، وبتعقيب من رئيس تحرير الصحيفة بآخر صفحة. أعرض هنا ما جاء بها :

أولاً / عنوان رئيسى للصفحة الأولى يقول : "القمنى يعود إلى الأضواء بهجوم انتحارى ضد الشريعة الإسلامية ويتهمها بالتمييز ضد الأقباط و بين المسلمين". ثم الخبر الذى جاء تحت عنوان بالبنط العريض "أبو سعدة يتحدى القمنى أن يهاجم الشريعة علناً أمام الناس" ، وقد كتب الخبر الصحفى **محمود بسيونى** وقال فيه : " فى أول ظهور جماهيرى له بعد اختفائه لمدة عامين وامتناعه عن الكتابة أثر زعمه تهديدات بالقتل ، شن الدكتور/سيد القمنى هجوماً عنيفاً على المادة الثانية بالدستور المصرى والتى تنص على أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى للتشريع. وقال القمنى فى تصريحات وصفت بأنها انتحارية قد تهيج عليه الرأى العام. . أن الشريعة تنطوى على أوجه تمييز ضد الأقباط والمسلمين من غير أهل السنة ، وأضاف بأن الشريعة من صنع البشر وليست منحة أو تكليف للحاكم.

ومن جانبه اعترض حافظ أبو سعدة الأمين العام للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان على ما قال القمنى وأكد أنه لا يمكن الحديث بهذه الصورة عن الإسلام أمام المواطنين العاديين وتحداه أن يفعل ذلك فى الشارع قائلاً : أن الهجوم على الشريعة الإسلامية ليس مدخلاً صحيحاً للمطالبة بتعديل المادة الثانية من الدستور".

ومن المفيد أن أؤكد هنا أن الخبر على صورته تلك قد جاء بسوء فهم وخلط وخبط إضافة إلى عمليات قص ولصق جعلته أبعد ما يكون عما قلت فى المائدة المستديرة بمركز حقوق الإنسان ، وقد يكون مرجع ذلك ضعف ثقافة الصحفى الإسلامية والسياسية ، خاصة وأن مثل تلك الندوات تكون مسجلة صوتياً والتسجيل يكون هو الفيصل فى صدق الخبر من كذبه ، ولكن الواضح مع نهضة مصر أن المسألة ليست مجرد ضعف ثقافى ، لأن السيد محمد الشبة رئيس التحرير ولاشك قد استمع أولاً لتسجيل الصحفى الذى نقل الخبر خاصة مع حملة التشويه تلك ، فإنه قام يدعم الخبر بشن هجمة بألفاظ ونعوت تليق بة ، على شخصى المتواضع ، أقتطع منها النماذج الآتية لبيان ماوصل إالية أدب الحواروالإختلاف فى بلادنا:

يقول الشبة "لماذا أختفى ولماذا عاد هذا المشوش المدعو سيد القمنى. . وأنا عاتب بشدة على حافظ أبو سعدة وكل من دعاه للخروج من عزلته المسرحية لكى يجلس على مقاعد المفكرين يفتى وينطق كفراً بعد أن سكت دهراً. ولن يغفر لحافظ أبو سعدة رده عليه فى الندوة بأنه يتحداه أن يطعن فى الشريعة الإسلامية علناً أمام الناس فنحن كنا فى غنى عن هذا الطيش وهذه الفجاجة. وهذا الخرف الفكرى. . .. أن سيد القمنى كان قد أختفى قبل عامين بعد مسرحية مثيرة. . غير أنه عاد هذه الأيام فجأة ليهاجم بشراسة صلب العقيدة الإسلامية فى مسرحية جديدة وغريبة وكأنه قرر أن ينتحر فكرياً بدون سبب مفهوم. ... إن سيد القمنى حالة عقلية شاذة لا أظن أن مكانها فى ندوة محترمة تناقش ما يتعلق بمستقبل البلد ". أ.هـ.

ولأن كل أناء ينضح بما فيه فلن أهبط لهذا الدرك والمستوى فى الحوار ، عملاً بقول رسول الله (ص) : داروا سفهاءكم ، وعملا بقولة تعالى : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، وإذا مروا باللغو مروا كراما. ومن ثم سيعف قلمى ولسانى عن مخاطبة نهضة مصر بمثل خطابها ، بل أقول لها : سلاماً ، لكن ما سأناقشه هنا هو مدى سلامة الخبر دون تعقيب على (الشبه) وبعيداً عن الإهانات المتعمدة والتشويه المقصود عن رغبة مبيتة. وسأتعامل مع الموضوع على ثلاث مستويات.

المستوى الأول : أن يكون الخبر صحيحاً تماماً وهو غير ذلك بالمرة.

المستوى الثاني : هو الرد على السيد حافظ أبو سعدة الذى لم يدعونى لهذة المائدة البحثية ، وإنما من دعانى هو مركز القاهرة لحقوق الإنسان الأستاذ/**بهى الدين حسن** ، وكان حافظ ضيفاً مثلى مثله ، إضافة إلى أن الخبر مصاغ فى شكل سيناريو يفيد أن أبو سعدة قد شن هجومة على شخصى الضعيف فى حضورى وهو أيضاً ما لم يحدث ، فقد انصرفت عند اقتراب نهاية الندوة والتعقيبات ، ولم أسمع ما قال أبو سعدة ألا عندما قرأتة منشوراً بنهضة مصر.

المستوى الثالث : هو بيان ما قلت مطابقاً لما سجلته أجهزة التسجيل بصوتى. مع تقديم الشروح اللازمة لمن لا يكادون يفقهون قولاً وأصبحوا بالصدفة أصحاب أقلام ورؤساء تحرير فى زمن أغبر.

أن قول الخبر إنى اتهمت الشريعة بالتمييز ضد المسيحيين وضد المسلمين من غير أهل السنة ، فيبدو لى أن السادة الصحفيين ورئيس تحريرهم لا يعلمون أن الله هو من قال بتمييز المسلم عن غير المسلم فى آيات قرآنه وفى أحاديث رسوله (ص) وليس العبد الفقير إلى الله ، وأنهم إذ رأوا فى تفرقة الشريعة بين المسلم وغير المسلم بإطلاق تهمه ، فهذا إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة ، فحضرات السادة لا

يستمدون ثقافتهم عن دين يؤمنون به من الإسلام ، ولكن من داخل أمنياتهم وتصوراتهم وليس عن معرفة به ، وأن آيات القرآن تتلى على الملأ فى الإعلام كله وفى كل ميكروفونات مصر تؤكد هذا التمييز والتمايز ، فهلا هاجموا تلك الأجهزة غير المشوشة قبل مهاجمة شخصى المشوش؟

وإذا كان القول بالتمييز فى الشريعة مثيراً إلى هذا الحد فلماذا لا يفعلون شيئاً إزاءه مع ميكروفونات المساجد والزوايا وشاشات وراديو وصحف الإعلام المصرى؟. تهاجم أشقاءنا فى الوطن من كل لون وملة بل وتكفرهم علناً إن لم يكونوا على ذات الفهم السلطانى والإرهابى أيضاً للإسلام ، وهل يستطيعون أن ينعتوا القرآن بما نعتونى به لأنه هو من قال وهو من فرق وميز وليس العبد الفقير ، أم أنهم عندما يسمعون عبر التلفاز أو الميكروفونات بعدم الاعتراف بعقائد الآخرين وتسفيهها وتكفيرها ـ وهؤلاء الآخرون من شعب مصر مثلنا يسمعونه بكره وعشياً ـ لا يفقهون ، وإن فقهوا لانسمع منهم مثل تلك السخائم ليقولوا فيه قولاً ، بدلاً من قولهم لى. أصبحت التغطية على الحقائق الواضحات والتلبيس على الناس مهمة إسلامية ، وأصبح الكذب هو السبيل إلى الدفاع عن شريعة الإسلام.

أما قول الخبر أنى قلت أن الشريعة الإسلامية تميز بين المسلمين والمسيحيين وبين المسلمين السنة وغير السنة ، فهو ما يحيلنا إلى صدق ما قلت ، إذ كنت لا أتحدث عن الشريعة الإسلامية ، إنما عن المادة الثانية من الدستور التى تجعل دين الإسلام ديناً للدولة ، وهو ما ينفى رعوية الدولة عن المسيحيين المصريين لأن دينهم غير معترف به فى الدستور ، وأن المادة الثانية تقوم على تقسيم طائفى لا مدنى ، وأن المادة تنفى ضمناً كل المسلمين من غير أصحاب المذهب السنى مثل الشيعة وغيرهم من فرق ، بدليل تعرضهم لمشاكل أمنية مستمرة وكذلك البهائيين وغيرهم. رغم أنهم جميعا مواطنون يجب أن يقفوا فى ساحة الوطن على قدم وساق وبمساواة تامة حقوقاً وواجبات. وبهذا وحده يمكن فهم ما كتب الصحفى من كلام ملخبط ، لأن الشريعة الإسلامية لا تميز ضد المسلمين (كما قال أنى قلتة) إنما تميز فقط ضد غير المسلمين ، أما المادة الثانية بالدستور فهى من يميز هذا التمييز. فلم يكن الحديث هنا عن الشريعة الإسلامية ، لكنة كان عن المادة الثانية بالدستور.

نتابع الخبر إذ يقول : "و أضاف (أى سيد القمنى) بأن الشريعة من صنع البشر وليست منحه ولا تكليفاً للحاكم". و هذا كلامه لا أعرفه ولم أقله ، لو سمعته من شخص لفهمت أنه مشوش بالفعل فهو كلام مختل وبلا قانون رابط يؤدى إلى معنى مفيد ، ومثلى لا يلقى مثل ذلك القول ، هذا كلام يليق بنهضة مصر لكنه لا يليق بى.

كنا نتحدث عن دستور مدنى وعن تعديل أو إلغاء المادة الثانية بالدستور ، وقد قلت أنه على المستوى الدستورى وما نفهمه من الدساتير ، أن الشريعة (بمعنى القانون) هى ما نضعه نحن بأيدينا من قوانين حسب ظروفنا ومصالحنا ، عبر المجالس الشعبية المنتخبة لذلك تسمى مجالس تشريعية ، لذلك هى ليست منحة ربانية ولا عطية ملكية. وما أبعد هذا القول عما كتبت (نهضة مصر) أو عما فهم الصحفى الهمام. و هكذا فأنا لم أهاجم الشريعة الإسلامية لأنها عندى ليست محل هجوم بل هى محل درس وفهم وتحليل ، وأيضاً محل نقد إن حاولوا استدعاءها اليوم ، نقد بمفاهيم اليوم ، ليس للشريعة التى هى ربانية صادقة مع زمنها وظروف ذلك الزمان ، والذى كان فيها العالم كله يتعاطى العقوبات البدنية والتفرقة بين الناس على أساس المعتقدات الطائفية أو العنصرية ، وإنما لينصب النقد على استدعائها اليوم وليس عليها فى ذاتها ، وكثيراً ما كتبت ونشرت مثل هذا الانتقادات عبر السنوات السوالف.

وربما صدق الصحفى ورئيسه لو استخرجا ذلك مما سبق وكتبت ونشرت ، ولكان هو الأوفق ، لأنه لم يكن مناط حديثى بالمرة فى تلك المائدة المستديرة.

بل وقلت ما لم ينشره الصحفى ربما لأنه من وجهت نظره شيئاً فادحاً ومستفظعاً وقادحاً فى حق الشريعة بما لايسوغ نشرة ، أعلنه هنا لأن الإسلام هو من علمنا أنة لاحياء فى الدين ، فكان مناط كلامى عن فكرة الدولة الدينية الإسلامية ، و **أن الإسلام لم يأت ليقيم لله دولة** ، لأن الله أن إراد ذلك لأقام أعظم دولة فى تاريخ الكون كله إلى أبد الآبدين ، و **إن الإسلام جاء ليهدينا إلى معرفة الله وليس لإقامة مشاريعنا السياسية** ، بدليل اهتمام الإسلام بكل شاردة وواردة فى حياة المسلم فقال فيها وفصل ، وأحيل هنا إلى قول المرجع الإسلامى الشيخ يوسف قرضاوى إذ يقول : "إن الإسلام رسالة تشمل كل جوانب الحياة من أدب الاستنجاء إلى بناء الدولة / قناة الجزيرة فى ٢٠٠٥/٢/٢٠".

و من ثم كان قولى بالندوة المذكورة أن الإسلام قد أهتم بأدب الاستنجاء وبنظافة الجسم كله حتى مؤخرة المسلم فى بيئة شحيحة الماء ، والدين لا يستحى من ضرب مثل بعوضة فما فوقها من أجل التعليم لكل شأن لتهذيبه ، ووصف لنا طريقة الاستنجاء بالتفصيل ، بأحجار ثلاثة للنظافة لها مواصفاتها التى يتم تدريسها بمادة الفقة بثانوى أزهر ، مثل أن يكون الحجر جامداً قالعاً محترماً ، وسبق وناقشته مناقشات مطولة ، وأنة رغم كل هذا التفصيل فى أدب الاستنجاء ، فإننا لا نجد له مثيلاً واحداً ولو بالتورية عن شكل نظام الحكم فى الدولة الإسلامية ولا طريقة

الوصول إلى الحكم. فهل غفل الله تعالى ونبيه عن ذلك؟ بينما تنبهت له الدولة فنصت عليه فى دستورها ، وتنبه له الأخوان فقاموا يريدونها دولة إسلامية؟.

أدهشنى أن بعض الحضور أصابه الضحك من هذه المقارنة المقصود منها بيان مدى التفصيل الإسلامى فى جوانب حياة المسلم مقابل لا شئ يتعلق بالدولة وأنظمة الحكم ، ولست مسئولاً أن يضحك البعض فيستفز ضحكهم الصحفى أو الأستاذ أبو سعدة ، لأن ضحكهم قد انبنى على التعامل مع مسألة الخلاء والاستنجاء من مقعد البورسلين الإيطالى والرخام السويسرى فى حمامات ترتوى من اكبر نهر فى العالم ، بينما يجب أن نقرأة بظروف زمانه ومكانه وعندها لا نجد فيه ما يضحك ، لأنه كان تأديباً وتهذيباً ونظافة للعربى فى بيئة ندرة شحيحة بالماء.

وعندما أتحدث فى محفل علمى مدنى كهذا ، فإنى أفترض فى المستمع قدراً من المعرفة والثقافة خاصة بالإسلام ، وأن يتميز المتعصب من المستمعين لإسلامه بثقافة إسلامية أوسع من قرنائه ، فإذا بأبى سعدة يعتبر ما قلت تهجماً على الشريعة ، وإذ بصحفى نهضة مصر يلتقى معه فى المشاعر ، أكثر مما التقيا على فهم أو رأى واضح يهدم الذى قلت ويرده على قائله ، وإذ بهما لا يعلمان عن إسلامنا الذى يدافعان عنه شيئاً. ليأتى الأستاذ (الشابه) ليكمل ملحمة الكذب والافتراء.

هنا لا أخفى دهشتى أن يقول أبو سعدة ما قال بعد انصرافى ، لأنه من أداب المحاضرة ألا تعقب على شخص غير موجود ، خاصة إذا كنت ستختلف معه ، أو إذا كنت ستتعرض له بكلام سلبى. ثم لا أخفى حزنى الشديد لمثل الأستاذ حافظ الذى هو فيما أعلم أميناً لمنظمة ترعى حقوق الإنسان ، وسبق لى أن دافعت عنه دفاعاً حاراً دون أعرفه لمجرد أنه حقوقى إنسانى وذلك فى الباب الأول من كتابى إبن لادن ، وحزنى ليس لدفاعى عنه وهجومه علي بعد انصرافى فى تجاوز لآداب المحاضرة ، ولكن لأن كل ما فهمه من كلامى أنه هجوم على الشريعة ، ولأنه إن أحتسبه كذلك فهو لا يعلم شيئاً عن الشريعة التى يدافع عنها ، أو عليه أن يرد علي ما لم يعجبه ليدينه بمنطق الشريعة ذاته. ولأنه فيما يزعم داعية حقوق إنسانية بينما هو يقول حسبما نشرته الصحيفة أنه يتحدانى أن أهاجم الشريعة علناً ، فالرجل يتحدث هنا بلسان أحد الخفراء البصاصين وليس بلسان داعية حقوق مدنية ، لينكر ويستنكر أن أقول رأياً (أياً كان هذا الرأى) ، ويتحدانى أن أهاجم الشريعة وأنا لم أهاجم الشريعة ، بل هاجمت وبالفعل المادة الثانية بالدستور وطالبت بإلغائها وهى ليست أول مرة أفعل ذلك ، وأن كان ما قلت بشأن الدولة الدينية والمقارنة بين تفاصيل حياة المسلم فى الإسلام حتى نظافة المؤخرة مع عدم وجود أى إشارة للدولة ونظام الحكم قد أزعج السيد حافظ بشدة ، فهو الملوم لأنه لا يعرف شريعته. أما أن

أقول ما قلته علناً فى تحدى يطلبه منى ، فليقرأ عدد صحيفة القاهرة الذى صدر فى ٢٠٠٧/٢/٢٠ ليجد كل ما قلته فى الندوة مكتوباً مدعماً بمصادره الأصلية ومراجعه المعتمدة ، لكن يبدو أن السيد أبو سعدة ممن لا يقرأون ، وهذا يا سيدى كلامى منشوراً فى كتبى عليك أن تحدثنى فيه وتردنى بمنطق العلم والدليل والبرهان والقرائن ، ولا أعتقد أبا سعدة بأهل لهذا ، لسبب بسيط هو أنه أعتبر ما رصدته من حقائق هجوم على الشريعة ، فهذا وحده كفيل بمعرفة مدى ثقافة سيادته.

أضيف مرة أخرى مزيداً قلته ولم يقله الصحفى ، فقد أشار بعض الحضور إلى أن من مبادئ الشريعة الإسلامية قيم كالمساواة ، وهو ما قمت برده وإنكاره ، لأن الشريعة الإسلامية إنما تعرف الإنسان رتباً ومنازلاً وطبقات ، لكل منها حقوق وواجبات تختلف عن بعضها البعض ، فهى طبقات متمايزة مشرعة بحكم قانون الشريعة ، وأنه كما تقول الآيات الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، بل أن دية الحر غير دية العبد غير دية الأنثى. وأن الخليفة عمر قد قام بتقدير العطاء من الفيئى والغنائم والسبى عند توزيعه على العرب ، بعد أن كلف هيئة من النسابة لوضع الناس فى منازلهم أى فى مستويات كل منهم ، فكان سهم بنى هاشم غيرسهم أهل بدر غيرسهم نساء النبى ، ثم أسهم لقريش ثم الأنصار ثم بقية العرب ما بين المضرى والحضرى وما بين العدنانى والقحطانى.

كما تم تقسيم الأمبراطورية حسب قسمة طبقية أخرى هى :

١. الحكام وهم من قريش
٢. والعرب المسلمين
٣. ثم العبيد المسلمين العرب
٤. ثم المسلمين من البلاد المفتوحة وأعطوا لقب الموالى ، ثم اهل الذمة وهم أصحاب الديان الأخرى من البلاد المفتوحة

و لا تستوى مثل هذه الطبقات لا فى الحقوق ولا فى الواجبات ، ومن قال بمثل هذه المساواة فقد أنكر معلوما من الدين بالضرورة.

والمقصد أنه علينا احترام شريعتنا بإبعادها عن السياسة لأنها كانت فى معظمها تخص زمناً كان له ظروفه وطرائقه فى العيش والتفكير ، تختلف بالكلية عن لحظة زماننا واجتماعنا فى مقر يناقش مسألة الدولة وحقوق الإنسان بجاردن سيتى فى القرن الواحد والعشرين ، وليس فى فيافى الصحارى فى القرن السابع ، ولأن مفاهيم مثل المساواة المطلقة والحريات الفردانية والديمقراطية الليبرالية والانتخابات

الرئاسية والتشريعية كلها بنت زماننا اليوم ، ولم يسبق أن عرفها الإنسان ولا تحدث عنها دين من الأديان لأنها لم تكن فى مخزون زمانهم الثقافى

فهل هذا مثلاً ما اعتبره أبو سعدة هجوماً على الشريعة؟ هل أن أعرض بنوداً من الشريعة يكون هذا العرض هجوماً عليها؟ أم أن حافظ لا يستسيغها بمنطق عصرنا فهاجمني أنا بدلاً من أن يهاجمها هي ، هنا الفرق : أنه فى القول العلمى لا مجال لهجوم أو تسفيه أو شتم أو قذف ، أنما ما هو مجال وضع الحقائق كما هى أمام الناس. أبو سعدة زعلان منى لأن الشريعة تفرق طبقياً وطائفياً وعنصرياً ، أى والله يا أبا سعدة أنها كذلك ومن قال غير ذلك إما جاهل جهلاً مركباً وأما هو كذاب أشر على الله وعلينا وعلى الدين ، فأن لم تعجبك الشريعة على حالها فإما أن تعلن ذلك على الناس دون مهاجمتى ، أو أن تعمل على إصلاحها بما يتفق وذوقك وفهمك ، إن أردت ، وإن استطعت !!.

قد اصبح قول الحق فى بلدنا محلاً للعنة والتحريض على القتل ، وأن ما كتبته نهضة مصر كله قول كذوب مرذول مردود ، يحكم فيه فقط ما تم تسجيله بصوتى ، وأن ما كتبته هذه الصحيفة لون من البلاغ فى ظرف يعلم الجميع فيه أنى مهدد بالقتل فى أى لحظة ، هو لون من الدعاية الكاذبة المتخرصة لقتل الشخص معنوياً فى نظر الناس ، حتى إذا ما حدث اغتياله جسدياً لا تقلق ضمائر المؤمنين وتتقبل الحدث ، وهو ما سبق ووصل إليه الدكتور فرج فودة وقالة لى ولحشد من أصدقائنا قبل مقتله بأسابيع ، أن حملة التشهير التى يتعرض لها هى تمهيد لتصفيته جسدياً ، وصدقت توقعات الرجل. يبدو لى أن عودتى للكتابة لم تزعج فقط أصحاب الإسلام السياسى بل أزعجت كل أصحاب المصالح الشخصية على حساب الوطن ممن يتاجرون بالقيم الليبرالية المحترمة فى سوق غير محترم. وأصبحت تصفيتى إعلامياً فيما يبدو هى المقدمة لتصفيتى جسدياً.

ومعنى أن يهاجم أبو سعدة ما قلت ، فهو **ما يعنى أن مناخنا قد أصابة العطب والفساد حتى نخاع دعاة الحقوق المدنية. وما أبأسه وطن لا تستطيع أن تقول فيه حقائق شرعية وفقهية معلومة من الدين أصولاً وشرعاً وفقهاً ، لمجرد أنها غير معلومة من أدعياء الثقافة فية** ، أو أن تقول رأيك حتى لو خالف ما استوى عليه الناس.

أما أن يكرر رئيس التحريرحكاية مسرحية صنعتها بإعلان توقفى عن النشر الفترة الماضية ، فهو ترداد لكلام صديقه وزميله رقيب روزاليوسف الذى أصبح رئيس التحرير ، فهل ينتقم الشبه لصديقه الرقيب بعد ما كشفت دوره فى ما حدث على الملأ فى تليفزيون CNBC وفى تليفزيون المحور مع برنامج ٩٠ دقيقة؟ وهل

توجد مثل تلك النفوس فى بلادنا لتحول قضايا الوطن إلى ثارات شخصية ، حتى لو أدت لقتل أحد الأطراف ، إلى هذا القدر وصلت الشماتة مع قلة الحيلة وضعف الأسلحة المحترمة فى الرد ، فى وقت نحتاج فيه إلى أوسع مساحة للقول بحرية وبصدق وبشفافية لا تجامل حتى نأخذ مكاننا بين بقية الأمم المحترمة. وهل نحن من الكثرة حتى نضحى بأحدنا يا من تزعمون الليبرالية؟ لقد أصبحت قصة ما أسموه فيلم وأحياناً مسرحية سيد القمنى حول تهديدى بالقتل ، شائعة يتم الإصرار عليها وترويجها أولاً فى مجلة تصدر عن الحكومة والدولة هى روزاليوسف ، ثم فى التليفزيونات حيث كانت أول ما واجهنى به المذيعون عند عودتى للكتابة والنشر

وهنا أكرر ما قلته لهذه المحطات الفضائية ، هو أن الأمر عند أمن الدولة المصرى وليس عندى ، وهو من يقول إن كان فيلماً من صنعى ، أم أن التهديد جاء من مصدر شديد الاحتراف عجز عن متابعته إخصائيو الكمبيوتر الذين حشدهم صديقى الدكتور محمود خيال ، يتابعون معاً على الإنترنت ويتواصلون ليلة بكاملها حتى الصباح لينتهوا إلى تقرير مكتوب بشئون واصطلاحات لا أفهمها ولا علم لى بها ، وأنهم قد وضعوا أيديهم على عدة مفاصل ونقلات عبر العالم عبرها هذا التهديد القاتل ، وبقى المفصل الأخير وإن هذه الخطوة ليست فى استطاعتهم بقدر ما هى استطاعة الدولة. وقد سلمت تقريرهم هذا بدوره إلى ضباط أمن الدولة الذين قابلونى بمكتبهم حيث أقيم ، وكانوا قادمين من لاظوغلى هذا إضافة إلى ضباط أمن دولة المكان ، وتدارسوا الموقف وتيقنوا أنهم سيقبضون على مرسلى التهديد قريباً ، فقط يجب عليَ إيقاف الحملة الإعلانية التى ثارت بهذا الشأن لمساعدتهم فى إنجاز عملهم على هذه الرسائل ، وساعتها عجبت أن يقال ذلك لرجل قرر الصمت وعدم الكلام ولا يملك سلطة أن يمنع أو يمنح حق الكلام فى الإعلام. وقد أجبتهم بهذا المعنى ببساطة ، فقد قررت السكوت بينما الكل كان يتكلم ، لكن ما يعزينى أن معظم هذا الكل قد ساندنى وشد من أزرى ، وما يعزينى أكثر أن هذا المعظم كان هوصاحب القلم المحترم من بين كل الأقلام. ورغم أن الأمن طالع ما أتهمتنى به روزاليوسف ورغم مطالعته العاصفة التى واجهتنى تتهمنى نفس التهم ببقية الصحف والمحطات الفضائية ، حتى سألنى مذيع CNBC إذا لم يكن فيلماً والأمن يعلم ذلك فلماذا يتركك فريسة لهذا الإدعاء ، وهو أيضاً ما تكرر فى برنامج ٩٠ دقيقة بالمحور.

السؤال حق وأكرره : لماذا يا أمن؟ لماذا وأنا مواطن (ولاشك وأنتم بما تملكون من أجهزة) الأعلم من بين كل الناس أننى من المواطنين الصالحين ، أعطيت ما عندى وما أعلم لوطنى حباً وكرامة دون أن أكلفه شيئاً ، بينما تكتب أقلام لا تذكر أحياناً ماذا كتبت طوال حياتها ويتم الإسباغ عليها بالرفاة والعز والمكانة. تعلم يا أمن أنى صرفت من ميراثى ودخلى المتواضع من كتاباتى ومن قوت أولادى على ما رايت

أنه لصالح الوطن ، ولم آخذ من هذا الوطن شيئاً غير ما ترى وتسمع ، فلماذا تسكت يا أمن؟ المحكوم بالإرهاب كمال حبيب أول من أطلق هذه الشائعة فهل أنت يا أمن مع الإرهابى؟ لماذا أنت يا أمن ودن من طين وودن من عجين؟.

مرة أخرى أكرر لا بأس عندى بالمطلق أن تناقش كلامى لا أن تهاجم شخص ، وأن تراجع ما أقول إن صدقاً أو كذباً لا أن تسبنى وتصفينى معنوياً ، وأن ترصد مراجعى وتكشف مدى سلامتها واعتمادها من أهل الاختصاص ومدى تزويرى أو تزييفى لنص من النصوص ، لا أن توجه لشخصى الشتائم البذيئة فى حلقة ردح لا تليق برئيس مجلة للفضائح ، لكن أن تفترى كذباً ثم تعلن هذا الكذب للناس ثم تبنى عليه استنتاجات لتصفينى بها جماهيرياً ، فهذا إن لم يكن هو الإرهاب عينه ، فماذا يكون الإرهاب؟ وإن لم تكن هذه جريمة بكل المقاييس؟ فماذا تكون الجريمة؟ وهذا بلاغ للأمن بما جاء فى صحيفة نهضة مصر التى تتخذ لنفسها شعاراً (الليبرالية طريقنا إلى المستقبل). ويا لخسارة الأسماء الجميلة من نهضة مصر إلى الليبرالية طريقنا ، فى المواطن القبيحة !!! أكرر هذا بلاغ للأمن ، بما قد يترتب على هذا الكذب غير المرتب والتشويه والطعن فى الإيمان فى تقدمه قربانية لرموز الإرهاب والتطرف ، ولله الأمر من قبل ومن بعد

زغلول النجار خلل فى عقل المسلمين

منذ دخل العلم الحديث بلادنا , وظهرت طبقة المتعلم (الافندي) , وتراجع دور الشيخ المهيمن علي كل شئون البشر , عرف الشيخ أن العلم الحديث هو ألد أعدائه , ومن ثم كانت سلسلة التكفيرات والتحريمات لمنجزات هذا العلم , ثم في الوقت ذاته سلسلة الاجتهادات للتوفيق بين منجزات العلم المنتصر وبين الدين , بل واثبات سبق الدين للعلم في ميادين لم يكتشفها العلم إلا بالأمس القريب.

و ربما لو نظرنا من عيني مؤمن بسيط غير مشغول بكل المباريات التي يستخدم فيها الدين كوسيلة دعم ودعاية , لرأينا أن العداء المبطن من الشيخ للعلم الحديث لا مبرر موضوعي له , فالعلم لا ينافس الله (جل وعلا عن ذلك علوا كبيرا) ولا ينافس الدين , انما هو يكتشف قوانين الله في خلقه , التي عجز المشايخ عن اكتشافها , رغم أنهم الأمناء عليها بطول تاريخ البشرية.

ان المبرر الوحيد لهذه الكراهية , هو أن كل خطوة علمية متقدمة تقتطع من وجود الشيخ وسلطتة على الناس مساحة جديدة.

والأمر الذي لا يلفت نظر مشايخ العلم والايمان , هو أن عدم احتواء الأديان علي العلوم هو شأن لا يقلل منها ولا يشينها ولا ينقصها , لان محمدا (صلعم) قد بعث فيما أكد و قال ليتمم مكارم الاخلاق , ولم يقل انة قد بعث ليتمم مناهج العلم , ولا ورد ذلك في القرآن , ولا كان أصلاً من أصول الإيمان الإسلامى ولا كان هدفا من الأهداف المعلنة للدعوة. و نعم واللهم نشهد ان القرآن لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها حقاً , ولكن في شئونه , شئون العبادة والروح وليس شئون العلم.

وان جهل سلفنا الصالح والمبشرين بالجنة بعوالم أخري هائلة أعظم من عوالم الانسان والجان ، مثل عالم الميكروبات وعالم الفيروسات والجراثيم , لا يعني ان تلك العوالم لم تكن موجودة. وأن عدم ادراكهم لقوانين حقوقية واضحة بين أفراد المجتمع ، وعقد اجتماعى بينهم وبين الدولة ، لم ينف وجود ذلك عند أمم أخري كاليونان والرومان , وقيام الغرب باكتشاف حقوق الإنسان فى زماننا لا يعني وجوب انكارنا لها لأن سلفنا الصالح لم يعرفها , وهو ما يطابق بالضبط أن عدم

معرفة النبي ابراهيم بأن الشمس لا تأفل وأن القمر لا يأفل وهو يبحث عن رب لا يأفل لأنه كان لا يحب الآفلين , لا يعني هذا كله أنهما كانا يأفلان

وكما في الدين منافقين ففي العلم كذلك , لكن منافقي العلم هم الأشد نكالا علي عقل المسلمين , هم الأسوأ. هم يعلمون من شئون العلم كأهله , لكنه العلم من باب العلم بالشئ و ليس أبعد من ذلك , دون ايمان حقيقي بالعلم.... منافقون !! يتحدثون بلسان العلم شكلاً , ومضمون حديثهم يؤمن بالخرافة لا بالعلم , لذلك يزورون العلم لصالح الخرافة , والمؤمن بالخرافة هو شخص *كذوب بالضرورة* , لان الخرافة لا مساحة لها ولا قانون يحكمها , هي حرية مطلقة يمكن أن يقال فيها أي شئ , مادام أي شئ ممكن الحدوث بقوانين الخرافة الاعجازية.

ألا ترون **زغلول النجار** يقول علي القنوات الفضائية أنه قد أسلم علي محاضراته في العلم والاسلام عشرين ألف جندي امريكي إبان حرب الخليج؟.......

أفلح إن صدق!!! والله لو قدم هذا الرجل بيناته التي وثق منها هذا الرقم للتدليل علي هذا التهريف الإستنجلينا , ولم نقم لزغلول تمثالاً من ذهب عيار ٢٤ مكلا بالدر واليواقيت والمرجان والزبرجد في كل عاصمة اسلامية , ما وفينا هذا الزغلول حقه من التقدير ، لانه أنجز في ايام ما عجز نبي الامة (صلعم) عن انجازه في عشرين عاما من الدعوة والنضال الشريف من أجل الإنسانية بدعم كامل من السماء. وان لم يقدم زغلول بيناته , وهو لم يقدم حتي الآن ، وبالقطع لن يقدم , ثم نستمر مع ذلك ننشر له ونستمع اليه , فلا شك أن ثمة خلل قد حدث في الوعي المسلم , وهو أيضاً لا شك خلل فادح وجسيم.

ان المنافق في العلم وهو يربطه بالدين , لابد أن ينافق فى الدين بالضرورة , فليس غرضه الدين ، بقدر ما هو مدفوع بالرغبة في اظهار البراعة الشخصية والتمكن من الإقناع , وهو ما يدفع صاحبه الي مزالق تكشف تلفيقات لا تقصد لا وجه العلم ، ولا وجه الدين ، ولا وجه الناس , ولا وجة اللة ، ولا وجة الوطن ، ولا وجة الأمة ، انما فقط يريد كسب

شرف السبق والمجد الشخصي ، ولو مزيفا , ولو علي حساب شباب وطن كان فيهم الأمل والمرتجي , فاذا بهم مجرد دمي بيد زغلول وامثاله. ثم بالطبع ما يلحق المجد الشخصي من مكاسب وعيشة طرية وهنية ، ومنافع مادية دنيوية عظيمة علي حساب عقل الوطن وعلى حساب دين المسلمين ، الذى أصبح مرتعا لكل هاب وداب.

لقد سبق علماء الأمة وفسروا مقدسها , لقد فسر الطبري وفسر النسفي وفسر بن كثير وفسر الرازي ومعهم لوامع في سماء تاريخنا الديني ، هم ثروتنا التراثية التى هى بلا شبية بين مأثورات الأمم لصدقها مع اللة والناس , فسروه بما تحمله اللفظة أو العبارة من مفاهيم زمانهم ودلالات واقع زمانهم وأيامهم وظروفهم دون أن يفتأتوا علية.

وخلال أربعة عشر قرناً انقضت حدث تطور هائل فيما كانت تحمله المفردات من مفاهيم و دلالات ومعاني , أضافتها الكشوف في مختلف صنوف المعرفة والعلوم والفنون ، حتى أصبحت الدلالات القديمة للمفردات لاتؤدى معانيها الصحيحة فى زماننا. وبدلا من بحث لغوى علمى رصين يحيل القديم إلى زمانة ويفتح النوافذ للجديد دون تكفير وتحريم ، يظهر لنا منهج جديد كلياً في التعامل مع المقدس الإسلامي بعد ظهور العلم الحديث , يبدو تفسيراً اضطرارياً يتعامل مع مفردات عشر قرون مضت بدلالات أيامنا , وهو ما يعني أن المعني القديم ثبت فشله وخطأه اليوم , وهي مشكلة لابد أن تواجة المؤمن ، الذى لا يسلم بقوانين التطور التى اثبتت بشتى الأدلة ان ما كان يصلح لزمن قديم لم يعد قادراً اليوم علي التعبير عن مفاهيم زماننا.

مشكلة مستعصية تواجه أهل العلم والايمان عندما تجدهم يفسرون نصف القرآن , وهو ما يرون له علاقة بالعلم الحديث كالفيزياء والكيمياء والجيولوجيا , ثم يهملون نصفه الآخر المتعلق بعلوم التاريخ وعلوم الآثار وإنجازاتها العظمي ؛ وكذلك الإنثرويولوجيا والأركيولوجيا والميثولوجيا ، وعلوم الاجتماع والنفس , وهي علوم

حققت قفزات هائلة , لكن أهل العلم والإيمان لا يشعرون بها , بل يبدو في فلتات حديثهم أن علم التاريخ عندهم هو ما جاء به الخبر التراثى فقط , فتاريخ مصر ليس أبعد من فرعون كافر وشعب عاصي ، فكان هو وقومه من المغرقين ، لانهم كانوا قوماً مجرمين , وتاريخ الرافدين ليس أبعد من النمروذ الذي تحدي الله ببرجه فدمره الله عليه وعلي شعبه فتبلبلت الألسن لذلك سميت بابل.. وهكذا....

ان القبول بمبدأ التأويل واعادة تفسير الالفاظ العتيقة بدلالات معاصرة فتصبح الذرة ليست هي النملة الصغيرة انما هي ذرة هيروشيما ونجازاكي , ووتصبح الدبابة هى الدابة ، لابد أن يصاحبه بنفس الهمة عملا في الانثروبولوجيا والعلوم السياسية والفلسفة والقيم. يعني يصبح من مهامهم مثلاً أن يبحثوا لنا عمن كان فرعون يوسف ومن كان فرعون موسي من بين الفراعين , أو أن يوضحوا لنا دور الجن في التاريخ بعد أن أسلموا بعدما سمعوا قرآنا عجباً.

ان القول بتفسير علمي للقرآن , لابد أن يستدعي تطبيق المبدأ علي القرآن كله وكافة فروع العلوم الإنسانية , لتأكيد تطابق خبر السماء مع مكتشفات علوم الآثار , مع تفسير ثقافي يكشف معرفة الوحي بالحضارات القديمة في مختلف انحاء العالم من الصين الي المايا والأنكا. مع تقديم خرائط إسلامية واضحة دقيقة لبيان موضع العين الحمئة ، مع إفراغ الجهد في البحث عن أمة ياجوج وماجوج , وبذل السعى للتحديد الدقيق لشعب " الذين لا يكادون يفهمون قولا ً"..ألخ.. ألخ.

ان مشايخ العلم والايمان لا يعممون قاعدتهم علي كافة الآيات , فهم يفسرون النصف الفيزيائي الجيولوجي الكيميائي , ويتركون النصف الآخر بيد الطبري والثعلبي والبخاري وابن سعد وغيرهم بمنطق زمان غير منطقنا ، حيث تطلب تاريخ مصر فيخبرونك أن فرعون موسي هو سلهوق بن عمران ، وفرعون يوسف هو الريان بن الوليد , ويعتبر فقهاء العلم والايمان أن هذه أخبار قاطعة ليست بحاجة لإعادة بحث. وان الفراعنة كانوا قوماً عصاه عمالقة الاجسام بما يفسر للبدوي صروحهم المعمارية ، وبأجسامهم العملاقة تمكنوا من بناء الأهرام والكرنك.. إلخ ,

وهدهد سليمان كان اسمه يعفور وكان سياسياً ذرباً ، فهو من فاوض هدهد سبأ وكان اسمه عفير , ونملة سليمان كان اسمها جرساً وكانت بحجم الذئب وكانت عرجاء , كل هذا بحاجة الي تحقيق علمي واضح فصيح حتي لا يتركوا المسلم بين الشك واليقين!!

بينما المؤمن الصالح البسيط هو من يعتقد أن اكتشاف الجينات والنسبية وهندسة الاتصالات ونظريات الفلاسفة كلها من خلق الله ، وأن عباد الله الصالحين هم من تمكنوا من اكتشافها , لذلك اكتشفت أوروبا هذه الكنوز الالهية , لانهم هناك مفتونون بصنعة الله في خلقه , فقاموا يتعبدون له باعمان العقل والنظر في صنعته , فكشف الله لهم أسراره رضا منه عليهم ، **لانهم لم يتعبدوا له رياء ونفاق ، ولا خوفا من جحيمه ولا طمعاً في جنته , تعبدوا تعبد العاشق الولهان , تعبدوا بكرامة وكبرياء ، لا بعبودية وهوان وتكاسل وتواكل وأدعية تغنيهم عن بذل أى مجهود** ، وتخلوا عن فدائية القتل للآخرين إلى فدائية حياة الناس جميعا ، لأنهم فهموا معنى أن من يحيى نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا على مرادها الصحيح ، فقدموا أرواحهم رخيصة بمعاشرة الكوليرا والسل والتيفوئيد والجدرى والزهرى والسيلان والبلاجرا ، حتى قضوا عليها ومنهم من قضى نحبة ومنهم من ينتظر.

المسلم الصالح البسيط لن يجد مشكلة في التداوي بالعلم الانساني ليقتل الميكروب بالمضاد الحيوي و ليس بالحجامة وبول الجمل , هذا المؤمن البسيط يعترف للعلم بدورة في حياته الاعتيادية , ويتصرف بوعي أو دون وعي بدافع ان الطب ليس من الدين , ولعلة يتذكر أن نبيه (صلعم) وهو علي فراش الموت " رأي أهله وهذه حالة أن يسعفوه , فأعدت أسماء قريبة ميمونة شراباً كانت عرفت اثناء مقامها بالحبشة كيف تعده , وانتهزوا فرصة لاغمائه اغمائة من اغماءات الحمي , فصبوه في فمه". و هكذا كان النبي يعالج بالطب الحبشي أي بطب زمانة وليس بالقرآن ولا بالطب النبوي , ولم يحرم استعمال هذا الطب , بل عندما أفاق أمر كل من حوله أن يشربوا من نفس الكأس نفس الدواء ولم يحرمه /هيكل/حياة محمد/٣٩٧"

ساختار هنا عشوائيا شيئا مما يكتب زغلول النجار , لنري ماذا يقول هذا الرجل للناس , ببعض التأمل البسيط السهل وليكون مثلاً عدد الاهرام ٢٠٠٥/٣/١٤ , لاحتوائه علي ثلاث موضوعات هامة دفعة واحدة في موضوع واحد , هي كالتالي:

١- موضوع أحداث القيامة , وقد رتبها حسبما جاءت في سورة الانفطار: أولاً انشقاق السماء , ثانياً انتثار الكواكب , ثالثاً تفجر البحار , رابعاً تبعثر القبور , خامساً القيامة من الموت للحساب.

٢- موضوع خلق الانسان في رحم الام

٣- موضوع الوراثة (ولا تعجبوا فالأهرام المصرية تفرد له الصفحات الطوال)

ان من يقرأ هذا الموضوع الطويل المدعوم بالصور الملونة ، سيجد العلم المخبري وقد تحول الي مجموعة خرافات ودجل ، مخلوطين ببعض مصطلحات العلم الحديث المكتوبة بالأحرف اللاتينية , دون الحاجة الي معاهد بحوث ومراكز تجارب ومختبرات ومصاريف بدون أي داعي. حديث لا هو من العلم في شئ , ولا هو من الدين في شئ , فقط هو مساحة لخلق **خرافاتنا الحديثة** التي تتلاءم مع ما وصل اليه تطور العلوم. بقصد المسامرة وإضاعة الوقت فيما لا طائل من ورائه ، لأنه لم تحدث مرة واحدة ان أدت حكايات **زغلول و مصطفي محمود** وغيرهم من المشتغلين بكار العلم والإيمان ، وكل هيئات الاعجاز العلمي في القرآن ، إلي أية نتائج تفيد الوطن المأزوم والمواطنين المتخلفين والجهلاء والمرضي والفقراء , وتأخذ بيدهم لترفعهم درجة , وتساعدهم علي الشفاء من المرض وتمنحهم الرفاهية والسعادة كما يفعل علماء الغرب الكافر للناس فى الدنيا كافة.

مع زغلول تمت إحالة البحث العلمي التجريبي المخبري الي بلاغة لغوية وتفسير معاني الفاظ وعبارات. **ولا زال المسلم يعتقد أن العلم لا يأتي إلا من التقاة الورعين منذ السلف الصالح وحتي اليوم , فأطلقوا عليهم لذلك لقب**

العلماء , وهو اللقب الذي لحق بكل من أعلن نفسه متحدثاً في الدين , مع بعض اللوازم المظهرية احياناً كاليونيفورم واللحية والزبيبة , بينما كل هؤلاء أبرياء تماماً من هذه التهمة , لأن لقب العالم لا يطلق إلا علي اصحاب منهج التفكير العلمي المخبري الكشفي المخترع المنجز النافع.

في الموضوع الاول وهو احداث يوم القيامة , يأتي زغلول بالآيات الكريمة: " واذا السماء انفطرت , واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وما أخرت " ثم يشرح قائلاً: " ان الانفطار هو الانشقاق.. وهو تعبير *علمي شديد الدقة* , لان العلوم المكتسبة (يقصد العلم بمعناه الانساني الوضعي) تؤكد امكانية حدوث ذلك , بزوال القوة الممسكة بأجرام السماء وبمختلف صور المادة والطاقة فيها ".

أنظر الي شغل الحواة والاستخفاف بالعقول , الآيات تتحدث عن انفطار السماء أي انشقاقها كما قال هو , فما لهذا المعني بزوال القوة الممسكة بأجرام السماء وليس السماء نفسها؟ الحديث فى الأيات عن السماء وليس عن أجرام السماء , عن سقف يسمى سماء قد انشقت او انفطرت كحدث اول , يتلوه حسب ترتيب الآيات حدث ثان هو انتثار الكواكب المعلقة بها مصابيح بقصد الزينة ، فجعلهما زغلول حدثا واحدا , واصبح انشقاق السماء هو انتثار الكواكب ، لانه كرجل علم مفترض , يعلم انه لا سقف يسمى سماء فى العلم الكسبى البشرى حتي تنشق او تنفطر ، وبدلا من أن يحيل دلالات الألفاظ لمعان رمزية (مثلا) ، يختار الكواكب لتنتثر عوضا عن السماء فى الآيات.

المهم ان زغلول وهو يزدري العلم البشري ويعطيه قيمة أدني بتسميته العلم المكتسب ،لانة الأدنى بمراحل عن العلم الالهي ، فإنه يستعين بالعلم المكتسب الأدني لشرح العلم الإلهي الأعلي فيقول : "لأن العلوم المكتسبة تؤكد إمكانية حدوث ذلك " , وهو يشرح الآيات لنا نحن المسلمين بعلم

الكافرين ، بعلم من هم في بلاد الطاغوت , رغم ان الايات لا علاقة لها بهؤلاء الكفرة اصحاب العلم الكسبي ولا مناهجهم في المعرفة. ولأن هؤلاء العلماء الكسبيون لا يؤمنون بوجود شئ اسمه السماء , انما يعرفون الكواكب والشموس والنجوم والشهب والنيازك والمجاميع الكوكبية والمجرات والثقوب السوداء فى فضاء لا نهائى , لذلك قام زغلول بحركة سحرية لغوية يلغي بها وجود السماء حتى يوافق العلم الكسبى ، بحيلة لفظية تذهب مباشرة للكواكب المنتثرة بحسبانها السماء التى انفطرت.

هل يشك الرجل في ايمانه بوجود سماء سقف محفوظ ، لها ابواب ، وان هذة البوابات لها مصاريع وانها تنفتح لتسمح للمطر بأن ينهمر، وانها مرفوعة بلا أعمدة نراها؟ كمعجزة ربانية تحض على الإيمان بقدرات الإلة؟ هل ينكر زغلول معلوما من الدين بالضرورة هكذا علنا بلا وجل لمجرد أنة يختفي وراء لحية وزبيبة؟ و اذا كانت تلك السماء التي نتخيلها هي الكواكب التي ستنتثر يوم القيامة , فماذا عن السماوات الست الأخرى , وكيف ستنفطر؟ أليست السماوات سبعا طباقا؟ ام سيكون لها مصيرا اخر؟...... أليس هذا تدليساً يعلم شبابنا بقدوته القدرة علي عدم تحري المنطق ولا الدقة وارسال اى كلام ثم تصديقة؟ ، مع استحباب التزوير واستصحاب التلفيق , و الاستنتاج علي الهوي والمزاج , ليعود بهم الي زمن الخرافة ، زمن كان الكلام قادرا على الفعل ولو اعتقادا فقط !.

يقول زغلول النجار: " أن الله أخفي قدراته الالهية ، لكنه بسطها بأسلوب بسيط موجز يناسب عقل وزمن من هبطت فيهم الرسالة , وضمن تلك القدرات التي عرفنا إياها ربنا : أن مستقبل هذا الكون الي دمار محتوم في يوم يسمي يوم القيامة أو الساعة , وذلك بأسلوب موجز بسيط معجز ". فاذا كان الكلام.... عن يوم لم يأت بعد...!! معجزاً! فماذا عن المعادلات الرياضية والرياضكيمائية والفيزيكيميائية ، والقوانين الشديدة الدقة وغير الوجيزة بل المشروحة شرحاً مفصلاً ، في مراجع كبري مصحوبة بالأدلة

المحسوسة المرئية بنتائج ملموسة واضحة , ماذا عن صعود الغربي الي القمر أمام كل الناس وكل العالم إزاء صعود النبي (صلعم) في معراجه سراً؟ اذا كانت الثانية معجزة بمعونة السماء (لأنها محل إيمان ويقين قلبى نؤمن بها كمسلمين ولا نحتاج عليها دليلا) فإن الصعود إلى القمر بجهد بشرى يستحق من المؤمنين الإحترام وليس الإحتقار ، لمجرد أنة علم كسبى أدني من العلم الالهي الذي يزعم زغلول أنة يعرفة دون بقية المسلمين.

ألا تستحق المقارنة ان ننظر لمنجزات العلم الحديث بحسبانها معجزات حققها الإنسان بسعية واجتهادة؟ وهل يكون الغرب بكل منجزه الهائل شريكاً في صنع المعجزات ، لانة لايكتفى بالتلميحات البسيطة الموجزة المعجزة؟ فهم لم يكتفوا بالتلميحات البسيطة الموجزة المعجزة , إنما استفاضوا وتوسعوا ودققوا وفسروا وقدموا أدلتهم التي لا تقبل دحضا. اذا كان زغلول مصرا علي وصف بسيطنا الاسلامى بالموجز المعجز (الذى هو محل إيمان) ، ولم نقم نحن بفعلة إنما من قام بة هو رب العرش العظيم ، ونحن نسطو علية لننسبة لأنفسنا كما يفعل زغلول , فهو انما يشهد لعلماء الغرب انهم المقدمون عنا فعلا بعد قول ، بما صنعوا فى الواقع المعاش. ناهيك عن انه من النادر ان تجد اليوم عالما حقيقياً مؤمنا بأي دين. لكن علمهم كان صادقا بدليل ما تحت أيدينا في الحياة اليومية , و بدليل استشهاد زغلول بهم. في حين ان علماءنا رغم تقواهم وصلاحهم وقنوتهم على ظهورهم وجنوبهم يتفكرون فأنهم لم يقدموا لنا سوي الكلام ، وشرح الكلام ، وتحريم الكلام ، دون أي فعل يدل علي إنجازاتهم.

المهم نتابع مع زغلول وهو ينتقل الي تفسير " واذا الكواكب انتثرت" بعد الأرض التى انفطرت فيقول لا فض فوه : " ان هناك حزام الكويكبات" The main asteroid belts , وهي كتل صغيرة ناتجة عن انفجار كوكب او اكثر تناثرت اشلاؤه في صفحة السماء "..... الرجل منذ هنيهة قال

ان السماء انفطرت وانتهت , لكنة يعيد خلقها نظريا مرة اخري كي تتناثر الكويكبات الأسترويد اشلاء في صفحتها؟!

مرة اخري نرتب دماغنا قدر الإمكان مع زغلول , اولا حدث انفطار السماء , الذي هو الحدث التالي نفسه وهو انتثار الكواكب , فيكون الحدث الثانى و انتثار الكواكب هو الحدث الأول وهو انتهاء السماء أو انفطارها. ورغم ان الانتثار تالي في الحدوث لحدث الانفطار , فان الكواكب تنسى ان السماء قد انفطرت فتذهب لتنتثر في صفحتها؟.

يستمر زغلول مع ترتيب الايات (التى هى أكرم من كل هذا اللعب بها) لأحداث يوم القيامة ليفسر: " واذا البحار فجرت "..هنا لا يجد زغلول في العلم الكسبي ما يسعفه للقول بتفجر محتمل للبحار فلم يقل العلم الحديث شيئا بهذا المعنى مطلقا , ولم يحاول زغلول من ناحيته أن ينتهز الفرصة ويبحث مثل الكفرة ، عساة يهتدى لشيء نافع او يأتي بنظرية جديدة تفسر هذا التفجير , وعندما وجد وفاضه خاليا وانه امام حائط سد , قام يخيط علمهم بتراثنا ليتابع قائلا: " واذا البحار فجرت: فسره ابن عباس فجر الله بعضها في بعض " رغم ان ابن عباس هذا ليس مرجعاً علميا ، وليس له حظ من علم كسبي ، ولا من علم سماوي ، فهو لايعرف الاسترويد و لم يكن يوحي اليه. لذلك يهرع من ابن عباس ليذهب الي الكلبي (وهو المشهور فى تراثنا بالكذب) إذ يقول :" فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها , ويقول الحسن اختلط عذبها بمالحها والمعني الذي نفضله هنا لتفجير البحار هو تفجر قيعانها بمزيد من التصدع حتي يغور ماؤها الي نطاق الضعف الارضي , من حيث اخرجه الله أول مرة " !!

كان يستشهد بالعلم الكسبي علي احداث كونية هائلة , فاذ به يهبط في انتكاسه عنيفة ، ليأخذ من ابن عباس والحسن والكلبي في شأن علمي ، ولاهم علماء ، ولا هم حتى انبياء , آهو إسلام وخلاص!! ثم ينسي وهو

يرتق ويخيط ويخبط ان البحار التي ستتفجر هي علي هذة الارض , وان هذة الارض قد سبق و تناثرت اشلاء منذ قليل... لأنها كوكب , ولان الكواكب قد انتثرت عندما السماء انفطرت وانتهي امرها.

والأنكي قوله بين **الكلبي والحسن وبن عباس** ، انه قام بعملية قرعة بين الآراء ، ودون ان يذكر انه قد طبق قواعد الاستخاره , انه فورا قد اختار " المعني الذي نفضله هنا "؟ هل في العلم شئ علي المزاج؟ شئ اسمه " المعني الذي نفضله هنا "؟ هل هذا كلام في العلم؟ أو يصدر عن رجل يدعي الحديث في العلم؟

والمعني الذي فضله كتفسير معجز أن يكون تفجر البحار هو غيضها في صدوع الارض. وهكذا يبدو ان البحار قد نجت من الهلاك في حدث الانفطار والانتثار الذى سبق وحدث للارض , لان الارض فيما يجب ان نفهم قد انتثرت مع الكواكب (لكن مع نجاة البحارمن هذا المصير المؤسف) ، و حتي يستكمل المعني الذي يفضله ، اضطر لاستعاده الارض مرة اخري بعدما انتثرت ، لتكون محلا لغيض البحار ، أي تفجرها بتفسيره ، كما سبق واستعاد السماء حتى تنتثر الكواكب على صفحتها....!!!

وبعد كل هذا الخلط والتزوير و الخبط ، وانتهاء السماء بالانفطار وانتهاء الكواكب بالانتثار , "تتبعثر القبور" فاذا ظهر عجب الذنب (عظمة العصعص) الي سطح الارض تلقي ماء السماء فينبت كل مخلوق كما ينبت البقل من نبتها ".

هنا لابد من فلاش باك مرة رابعة أم خامسة.... لم اعد أذكر ، نعود نتصور السماء موجودة رغم انها قد انفطرت ، وذلك حتي يمكن لها أن تمطر عجب الذنب لينبت كالبقل في تربة الارض ويزهر ويترعرع بني آدمين مزرّعين (بتشديد الراء) , بعد أن انتثرت الارض مع الكواكب المتناثرة.....!!!! ان هذا الرجل يهين المسلمين ويحتقر عقولهم ، لانه يكتب بثقة انه لا مسلم

سيتساءل عن وجود قبورنا وعصاعيصنا بعد ان تفتت الارض و السماءالي استرويدس.

ثم ينتقل زغلول الي موضوع تكون الجنين في الرحم , فيورد حديث النبي " اذا مر بالنطفة ثنتا واربعون ليلة , بعث الله ملكا فصورها , وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها , ثم قال يارب ذكر أم انثي؟ فيقضي ربك بما شاء , ويكتب الملك ". هذا بينما يؤكد أصحاب العلم الكسبي الذين يستتشهد بهم أن جنس المولود يتحدد ساعة تلقيح البويضة بالحيوان المنوي , وليس بعد ذلك , وانه بامكان الوالدين اليوم تحديد جنس المولود حسب الرغبة , ثم ينتقل زغلول الي الموضوع الثالث (علم الوراثة) ليؤكد " ان المخزون الوراثي لكل البشر أجمعين من أبينا آدم وحتي قيام الساعة , أودعه الله صلب أبينا آدم لحظة خلقه ". وهو ما يعني بالضرورة استكمال دم آدم لجميع فصائل الدم التي تحملها البشرية موروثة عنه , والعلم المكتسب الدنيء يقول أن اي ممرضة في أسوأ مستوصف في أردأ نجع ريفي ، تعلم أن هذه الفصائل لا تجتمع لشخص واحد , وان خلط فصيلتين مختلفتين من الدم يؤدي فورا الي موت المريض.

ثم هناك أمراض وراثية بالآلاف لابد انها كانت سببا لمعاناه هذا المخلوق المسكين (آدم) ، فلابد أنه كان مصابا بالحول ، والعور ، وعمي الالوان ، وقصر النظر وطوله.... كلة معاً , مع عته منغولي ، اضافة الي تكيس ليفي في رئتيه ، وانيميا منجلية ، وسلازيما ، وهيموفيليا ، وسل ،ودفتيريا ، وكوليرا ،وطاعون ، وسرطان بكل أنواعة , وكان هو وعائلته الكريمة مستودعاً لكل وباء وداء , من الدودة الشريطية ، الي الانكلستوما ، الي البلهارسيا بنوعيها ، الي الدوسونتاريا ، الي الدودة الكبدي ، والفلاريا ، والفاشيولا...... لقد اسكن زغلول أبينا آدم كل هذه الكائنات ليعولها حتي تكتمل دورة حياتها بداخله ليورثها لنا.

ان استمرار هذا الرجل يكتب صفحة كاملة بالاهرام لا يشير فقط الي خلل عظيم اصاب العقل المصرى ، بل هو إهانة لمصر كلها ، لأنة أعراض خبال تام.

هذا قليل من كثير احتواه موضوع واحد لزغلول النجار والتعقيب علي كل قول يحتاج لتدبيج صفحات طوال , لكثرة ما يستخدم من أفانين التلبيس علي القارئ وعلي المسلمين ، من أجل مجد شخصي مزيف يحصل عليه ، في مقايضه يسلم بموجبها المسلم عقله وعقل الوطن للخرافة والجهل والضياع , لينعم زغلول وجماعته بما ربحوا من شهرة ومال.

و يبقي الفرق الواضح بين علماء بلادنا وبين علماء الغرب أصحاب العلم الكسبى ، وهو ان علماء الغرب لايغشون شعويهم ، ولايبيعون لهم الوهم مقابل سلبهم أعز ما يميز الأنسان (العقل) ، ولا يتاجرون بدينهم فى الأسواق الرديئة حيث النصب والغش والاحتيال ، كما يفعل زغلول بديننا العظيم والرفيع ، الذى هو أعلى وأغلى وأجل من هذة التجارة الشديدة الرخص و الابتذال.

سيد القمنى

(الاتحاد)

صاحب الزنج و دين الحرية؟!

عقد استاذنا (**طه حسين**) فصلاً في كتابه ألوان , وقارن فيه بين ثورة العبد الأبيض الاسبرطي (**سبارتاكوس**) ضد روما من أجل تحرير العبيد ونيل الحرية , في القرن الأول الميلادي . وبين العبد الأسود (**عبد الله بن على بن محمد**) الذي قاد ثورة للعبيد السود المعروفين بالزنج ضد الخلافه الاسلامية , من أجل ذات الهدف , تحرير العبيد ونيل الحرية , ولكن في بلاد العرب , وفي العراق تحديداً , حيث عاصمة الخلافة.

ومنذ طه حسين بالامس القريب تغير وجه الدنيا ، وجرت في النهر مياه كثيرة بمتغيرات عظيمة في العلم وفي الاخلاق وفي الانظمة الحقوقية وكافة الانظمة المجتمعين من اقتصاد الي سياسة , مما يتوجب معه اعادة قراءة حكاية صاحب الزنج مرة اخري , ولكن بعيون اليوم.

(الزنج) هو المصطلح العربي الدال علي عبيد الامبراطورية العربية السود , والذين كان يتم خطفهم من قبل النخاسين من ساحل افريقيا الشرقي الاقرب , وغالباً من منطقة زنجبار وتنجانيقا (تنزانيا حالياً) , وبيعهم في اسواق العرب , للقيام بالاعمال الدنيئة مثل كسح المجاري وتطهير الانهار , وغالباً ما كان للامبراطورية عبيدها بمئات الالوف للقيام بهذه الاعمال الضرورية. ومن ثم انتسب هؤلاء العبيد الي موطنهم بالاسم الذي أطلقه عليهم أسيادهم , فهم زنوج ــ من زنجبار. وهي ذات الاحداث التي جرت مرة أخري في الولايات المتحدة الامريكية بعد قرون طويلة , لكن النخاسين كانوا يخطفون فرائسهم هذه المرة من الشاطئ الافريقي الغربي الاقرب ، من نيجيريا والنيجر , لذلك أطلقوا عليهم في امريكا الاسم الذي يشير الي أصلهم الوطني , فهم ـــ (نجرو).

وكانت أفريقيا بتخلفها الفارق في ذلك الزمان وحياة شعوبها البدائية بلا دولة ولا قانون ولا حماية , هي المكان الامثل لخطف العبيد دون خشية أي عواقب. ورغم أن استعباد الانسان لأخيه الانسان جريمة كبري بحق الانسانية بعيون اليوم , فان ما حدث في تلك الحقب القديمة علي ارض الواقع في الزمن العبودي بعيداً عن منظومة القيم المعاصرة , هو أن العبودية كانت النظام الاقتصادي العالمي الامثل الذي ساهم في قيام حضارات عريقة ودفع تقدم البشرية. كان السيد المالك يقوم بتسخير عبده في العمل ويكون للعبد أدني حصة من عائد هذا العمل , بما يكفي لاستمرار الحياه وأداء المطلوب منه , والفائض هو اضافة تنموية لكنها من نصيب السيد , وليس للعبد علي السيد سوي حق الايواء والطعام والرعاية الصحية

المطلوبة للشغل . ومعلوم أيضاً أن ظهور الآلة البخارية القادرة علي العمل بشكل أكفأ من العبد , قد أدي الي سقوط هذا النظام المشين بإعلان ابراهام لنكولن الامريكي ثم الحرب الاهلية التي أنهت نظام العبودية.

وكذلك من المعلوم أن نظام العبودية قد لازم الدولة العربية الاسلامية منذ ظهورها , فقوانين الجهاد الاسلامية نشطت عمليات الاستعباد , وأمدت أسواق الرقيق بالبضاعة طوال الوقت , بتحويل أبناء الشعوب الحرة المفتوحة الي سلع , بعد أن أباحت لهم قواعد الجهاد الشرعية استباحة شعوب بكاملها , والاستيلاء علي الارض بمن عليها ملكاً للعرب وورثتهم وقفا عليهم وعلي نسلهم من بعدهم , حسبما انتهي اليه الخليفة **عمر بن الخطاب** , بدلا من توزيع الاراضي بما عليها من بشر علي الفاتحين وتمزيقها فوقفها بمن عليها لصالح عرب الحجاز.

هذا بينما يقول لنا مشايخ اسلام اليوم , بعد استقرار مفاهيم الحرية الراقية عالمياً , ان الاسلام قد وضع في مقاصده تحرير الرقيق بتحريضه علي العتق. وانه لم يلجأ لتحريمه مرة واحدة انما لجأ للتدريج , رغم أنه لم يتدرج فيما هو أهم ، وقام بتكسير آلهة العرب أمام أعينهم دفعة واحدة. وقد مات النبي تاركاً خلفه عبيده ضمن ما ترك , **كذلك كل الصحابة وكل المبشرين بالجنة ، كان عندهم عبيدهم وجواريهم , وكان الامام علي** أزهدهم في الدنيا وأفقههم في الدين , ولم يترك وراءه سوي تسع عشر جارية من ملك يمينه ، وقد ذكر بن القيم في زاد الميعاد أنه كان للنبي بالاضافة الي زوجاته الثلاث عشر ، أربع سراري ١١٤/١٠ . غير عبيده ومنهم من كان يقربه منه ويحبه مثل (أبي مويهبة ابن كثير ٢٤٤/٧ / السيوطي / الخلفاء/١٧٦).

فان كان تحرير العبيد مسألة ضمن أغراض الاسلام , لكان النبي والصحابة هم الاولي بتنفيذ هذه الاغراض بتحرير عبيدهم وجواريهم , لكن هذا التحرير لم يكن ضمن أهداف الاسلام , لانه لو كان كذلك لكان النبي والخلفاء الاربعة والمبشرين بالجنة هم أول العاملين به.

ولو كانت حرية عدم الاستعباد وهي أدني ألوان الحرية مطلباً اسلامياً ، لطالب بما طالب به **سبارتاكوس** قبله بما يزيد عن ست قرون , بالغاء العبودية نهائياً , وتحرير عبيد البلاد المفتوحة علي الاقل ، لقد فعلها سبارتاكوس الوثني قافزاً بالبشرية خطوة حقوقية عظمي في مستقبل لم يكن قد أتي بعد , و لم يفعلها المسلمون لسبب بسيط , انها لم تكن ضمن جدول اهتمامات المسلمين الاوائل ، كما يدعي اليوم السدنة والكهنة من تجار الاسلام السياسي.

بل وتقدس النظام العبودي في الاسلام بفقه كامل للرقيق كطبقة مختلفة عن بقية الطبقات حقوقياً واجتماعياً وانسانياً , لذلك اهتم الفقه الاسلامي بفقه الرقيق لاعطاء كل ذي حق حقه , كذلك ورد التسري بالجواري في ثلاث وعشرين آية بالقرآن , وظل هذا النظام معمولا به حتي اكتشف الامريكان جور النظام العبودي وسوئه , ومع الايام تحول الي جريمة في نظر كل الهيئات الحقوقية العالمية بلا استثناء , حتي تم ايقاف العمل به في السعودية عام ١٩٦٦ بعد أن قبل الوهابيون بالقرار الدولي صاغرين.

أما مصر فقد سبقت هذا الزمن الي الغاء العبودية باتفاق مع بريطانيا ، تم بموجبه انشاء مصلحة للرقيق ، مهمتها تنفيذ الاتفاقية لقطع دابر الاتجار بالرقيق , الذي يأتيها من الحبشة والسودان والنوبة المصرية. وبهذه الاتفاقية المصحوبة بأمر عال من الخديوي في ١٨٧٧/٨/١٤ **تم القضاء علي العبودية في مصر** , وهو الامر الذي ينص علي " أن بيع الرقيق السوداني أو الحبشي من عائلة الي عائلة ، يمنع كلياً من القطر المصري. بعد مضي اثني عشر سنة من تاريخ المعاهدة المذكورة. وبعد مضي المدة المحكي عنها , اذا كان أحد رعايا الحكومة المحليين يخالف الامر ويتجرأ علي بيع رقيق سوداني أو حبشي , تصير مجازاته بالاشغال الشاقة لمدة أقلها خمسة أشهر وأكثرها خمس سنوات ".

إن أقصي ما يمكن قوله بشأن موقف الاسلام من النظام العبودي , هو أن الاسلام قد أدخل اصلاحات علي نظام الرق ، وحاول حصر مصادره في رق الحروب , كما حرم عبودية الوفاء بالدين , لكن ذلك لم يمنع عبودية البيع والشراء لانها لم تحرم نصاً , وما ترتب عليها من عبودية الخطف , بينما ظل الجهاد قروناً متطاولة يزود أسواق العبيد بمعين لا ينضب , فيروي ابن الاثير أن غنائم البطل المسلم **موسي بن نصير** , في سنة ٥٩١ هجرية بلغت ثلاثمائة ألف رأس مسيحي , وأن موسي استقدم معه الي دمشق ثلاثين ألف عذراء من الأسر القوطية النبيلة ٢٩٥/٤.

وان الدارس لتاريخ الدولة الاسلامية , يعلم ان طلاب العدل السياسي والاجتماعي لم يتوقفوا عن مطلبهم رغم ما تعرضوا له من تنكيل وتكفير وجور. ولم تكن ثورة الزنج سوي مظهر عملي يفعل تلك المطالب ويجسدها علي أرض الواقع , مطالب الحرية والعدل الاجتماعي والسياسي.

استمر صاحب الزنج يمهد لثورته ست سنين فتحدث لأصحابه في أن يؤمروه عليهم , وأن يغامر بهم كما غامر الناس , وارتحل داعياً لنفسه بين العبيد الي هجر ثم الاحساء ثم البادية ثم البصره كرة اخري , وفي رمضان سنة ٢٥٥هـ كان قد اتخذ القرار للقيام بمهمته التاريخية. بعد ان كان قد رتب اتصالاته بالرقيق الذين يعملون

حول البصره في كسح السباخ واصلاح الاراضي واستخراج الملح , وفي غير ذلك من الاعمال الدنيئة الشاقة والتي سخرت لها الخلافة عشرات الالوف من هذا الرقيق الافريقي الاسود.

ساعة الصفر اقتحم عبد الله بن محمد بعبيد ما حول البصرة , مدينة البصرة , وخربها وقتل أهلها واستصفي ما عندهم من أموال ، وأخذ الأسري من أحرار العرب كما كان العرب يفعلون بغيرهم , وأخذ النساء الحرائر فوزعهن علي اصحابه سبايا بعد أن كن ربات خدور سادات. ويوماً وراء يوم كان جيش صاحب الزنج يزداد عدداً بالعبيد المحررين. ويزداد سيطره علي مساحات جديدة من أرض الخلافة , أقاليم وكور أصبحت تدفع الخراج لعبد الله بن محمد , تماماً كما فعلت جيوش العرب زمن الغزو الفاتح. ودخلت الخلافة عدة حروب ضد الزنج وكان نصيبها المزيد من الخسارة والانكسار , وبلغ صاحب الزنج مبلغاً أتخذ معه لنفسه ولقواده مدنا جديدة للاقامة فأنشأ لنفسه (المدينة المختارة) , واقام لقائد من قواده (المدينة المنيعة) ولآخر (المدينة المنصورة) , مما أصاب الخلافة بجزع شديد , وتم تكليف الموفق شقيق الخليفة بادارة حرب صارمة للقضاء علي ثورة العبيد.

ابتدأ الموفق باللعب علي نفسية العبد , فأرسل لعبد الله بن محمد يفاوضه ويرهبه , ويعرض عليه كلون من الاغراء المادي خمسة دنانير مقابل كل عبد يسلمه (**أنظر كم كانت قيمة الانسان؟**) , فلم يحفل به ولا بعروضه ومضي في دعوته التحريرية , بل وبدأ منعطفاً آخر عندما قرر قبول الاحرار من الفقراء في جيوشه , مما أدي الي مزيد من هزيمة جيوش الخلافة.

وقررت الخلافة وضع كل امكانيات الامبراطورية للقضاء علي الزنج , وحشدت جيوشاً طارئة أمكنها السيطرة علي مجاري الانهار وحصار قنوات المياه المحيطة بمناطق الزنج المحررة. وأخذت سفن الموفق تجوب المياه تنادي الزنج للتخلي عن زعيمهم , ومن استسلم منهم أمنه الموفق وأكرمه واركبه معه سفينته ليعرض حاله علي زملائه المحاصرين , مع عرض آخر لرؤوس من قاوم من الزنج , فبدأ الجيش الثائر يستشعر الضعف والهوان والرهبه , وإزاء الحصار انتهي الامر باستسلام العبيد فرادي وجماعات لجيوش دولة الخلافة.

يري المؤرخون المسلمون أن **عبد الله بن محمد** لم يكن الا مغامراً شريراً تسبب في فتنة وخراب طمعاً في الرياسة , وتجدهم لا يسمونه الا **الخبيث واللعين** ، ولا يصفونه الا بعدو الله وعدو المسلمين , لكن تراهم بماذا كانوا يسمونه لو كان هو المنتصر؟

لذلك يري باحثون محدثون ومنهم أستاذنا **طه حسين** أنه كان رجلاً ذكي القلب بعيد الامل دقيق الحس ضابطاً لأمره مالكاً لارادته. كان يعيش في بغداد وعلي اتصال ببعض عبيد قصر الخلافه , فرأي الفساد عن قرب , ورأي عبادة اللذة والخلل الاخلاقي والاجتماعي فتكرهه نفسه , لكن هل كانت تكرهه لانها كانت نفس كريمة تحب الخير وتكره الشر وتطمع في العدل وتؤثر المعروف؟ أم كانت نفساً طموحا تريد أن تشارك في نعيم الاحرار؟

إن مطالعة ما حدث تطلعنا علي الاجابة.

الظاهرة الاولي الملفتة للنظر , هي ذلك الافتتان الشديد به بين الناس حتي حالفه فقراء الاحرار ، وخاضوا معه المعارك متحالفين رغم انه لم يكن قرشياً , ولا حتي عربياً , ولا نبياً , ولا رسولاً , ولا صاحب كتاب , ولا صحابي , ولا صاحب معجزات , ولا هو حتي أبيض اللون كالبشر الأسوياء انسانياً في زمنه. افتتن الناس به وأيدوه وهو العبد الاسود المفرد ضد الخليفة المؤيد من الله في اعتقاد زمانهم , والمؤيد من الشريعة ومن الاجماع ومن جيوش الامبراطورية بعد ذللك ظهيرا . لقد تصدوا مع عبد الله لجيوش الخليفة التي فتحت بلداناً وهزمت دولاً , وانتصروا في كل المواقع عدا الاخيرة , وفي زمنهم لم يعرفوا ما هي حقوق الانسان ولم يسمعوا عنها كما في أيامنا , ولم يعرفوا العقد الاجتماعي ولا مبادئ الثورة الفرنسية , ولم يعلموا ما هي الدساتير ولا البرلمانات. انها كانت روح الانسان الحرة التي ثارت علي السيد خليفة الله في أرضه , حتي لو كانت الثورة عليه كفراً كما يؤكده دوماً علماء السنة وفقه السنة علي اتفاق. لقد اختاروا الحرية ولو كانت مروقا من الشرعية , اختاروا الحرية علي العبودية في ظل الشرعية.

ولا يمكنا ان نزعم ان صاحب الزنج كان مدعوما من امريكا أو عميلاً لاسرائيل , أو انه تعرض لضغط أو تأييد من الرئيس بوش ، بينما في ايامنا عاد الماضي الكريه بظله مع دعاة الاستعباد والخلافة والدولة الاسلامية ، التي رفضها عبيد البصرة من الزنج وفقراء الاحرار. لقد فهم عبد الله بن محمد أن نظام الخلافة المؤيد بالفقة المشيخي المقدس هو موطن الداء , فقام يضربه بعنف , ومعه كل المستضعفين. كان الخليفة قرشي عربي مقدس ورفض عبيده السجود له , واليوم يريدوننا أن نسجد للمشايخ من رموز الاسلام الذي لا يعرف رموزاً !!

العبيد رفضوا نظام الخلافة الاسلامية وطريقته في الحكم في القرن العاشر الميلادي , ويأتي من يطالب بعودته في القرن الحادي والعشرين !!

يلفت النظر بشدة قول عبد الله بن محمد لأصحابه " لنغامر كما غامر الناس" . كان التاريخ ماثلاً لم يمض بعد بتاريخ الفتوحات , عندما غامر العرب ففازوا بالارض ومن عليها. لكن هذا التاريخ الماثل يبدو أنه أيضاً كان هو المثل والقدوه , فقام عبد اللة بن محمد يختار لنفسه راية خضراء ، كتب عليها الآيات: " إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة , يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون" .

لقد جعل الحرب في سبيل الحرية , حرباً من المؤمنين ضد المشركين , كما هو موضوع الآيات , لقد جعل حربه حقاً يقف الله بجانبه ضد الخلافة ونظامها كله ،أصبحت هي الباطل.

يلفت النظر أيضاً وفاء صاحب الزنج لاتباعه بما كان يعد , كان يحلف لهم جهد ايمانه أن سيملكهم أرضهم ، ويجعلهم سادة يملكون الرقيق بعد أن كانوا رقيقاً , وانهم سيملكون ساداتهم , وبر لهم دوماً بما وعد ، بل قام يطبق علي السادة الذين اصبحوا عبيداً شريعة هؤلاء السادة العرب , فكان يجلدهم بالسياط ، ويوزع علي اتباعه أنصبة عادلة من غاراتهم علي السفن والقري ، بنفس نسبة التقسيم زمن غزوات النبي وغزوات الفتوحات , سواء كانت تلك الانصبة منافع مادية أو بشراً من أطفال ونساء السادة المترفين , فأنفذ في العرب شريعتهم , لكنه ارتقي عنهم خطوة عندما ساوي بين البيض الاحرار وبين الزنوج وآخي بينهم كمؤاخاة المهاجرين و الانصار.

كان تطبيق شريعة العرب علي العرب مأتماً عربياً عظيماً , آلم العرب واوجع اكبادهم في كل بقاع الامبراطورية التي اهتزت لاغتصاب النساء العربيات الماجدات من قبل العبيد السود وبيعهن في الاسواق. آلمتهم شريعتهم عندما طبقت عليهم ، فقاموا من كل أرجاء الامبراطورية يرسلون للخليفة بالدعم المادي والعسكري للقضاء علي ثورة الزنج , وكان هذا تحديداً هو السبب الحقيقي في كسر ثورة الزنج.

وكان للمشايخ والفقهاء أيضاً دورهم الكبير في كسر تلك الثورة فكفروا صاحب الزنج ومن معه ، رغم أنه كان يطبق شريعة الاسلام تماماً ولو راجعنا أفعاله لوجدناه رجلا مسلما ١٠٠% , فقد جلدهم بالشرع كما كانوا يجلدون الناس , وطبق شريعة العين بالعين والسن بالسن , وركب هو ورجاله نساء السادة العرب المهزومين , وأسروا أطفالهم ونهبوا أموالهم , فأين الكفر فيما فعل صاحب الزنج؟

ان الكفر الواضح أنه لم يفهم أن تلك قوانين مقدسة يطبقها العرب علي غير العرب فقط , هي قوانين تستثني واضعي القانون من القانون.

لقد أدرك عبد الله بن محمد خلل نظام الخلافة المقدسة وحلفها المشيخي , لكنه لم يستطع أن يجد أمامه بديلاً يعرفه ويفهمه لثقافته الاسلامية التي كان يتمسك بها بايمان عظيم , أبداً لم يتصور صاحب الزنج ولا الزنج المسلمون أن الظلم يمكن أن يأتي من النظام الديني للحياة , فالشريعة مقدسة لذلك هي سليمة بالتمام والخطأ إنما هو في التطبيق , في الاشخاص كالخليفة وحاشيته وفقهاؤه. لذلك عندما انتصر الزنج استخدموا نفس الآليات مع أسيادهم السابقين , العبيد حالياً , ولم يكن يري أن هناك نظاماً أفضل من النظام الاسلامي فطبق شريعته باخلاص , فأذاق العرب مرارة الكأس الذي أذاقوه لمختلف الشعوب. فاستمر الظلم رغم تبدل الشخوص , كل ما حدث هو أنه قد أصبح العبد سيداً والمظلوم ظالماً والمجلود جلاداً , لذلك عندما انتصر الزنج ظل الظلم هو صاحب السلطة , لذلك عاد الزنج مع هزيمتهم النهائية أمام جيوش الامبراطورية عبيداً مرة أخري , لانهم لم يكونوا مؤهلين لاستبدال تلك الثقافة بثقافة أكثر نضوجاً تقدس الحرية والكرامة والانسانية والعدل والمساواة لكل البشر. لقد كانت القاعدة ظالمة منذ سبارتاكوس وما بعد سبارتاكوس , ومنذ الفتوحات ومنذ الزنج وما بعد الزنج , حتي اجتمع الانسان عبر نضالات طويلة فى عالم الحريات , ليستكمل مسيرة سبارتاكوس وصاحب الزنج ، ليجبر العالم كله مسلمين وغير مسلمين للتخلص عن عار اتجار الانسان في أخيه الانسان.

ملحوظة خاتمة: أنه لم يصل أي زنجي في بلادنا حيث دين الحريات والمساواة الي ما وصل اليه السيد: **(كولن باول)** , ولا ما وصلت اليه .... ويا للهول ... سوداء... ونجرو ، و لمزيد من الهول امراة , هي **(السيدة كوندوليزارايس)** في بلاد الكفر والطاغوت. لقد كان حظ عبيد النيجر (النجرو) , أوفر من نكد حظ عبيد زنجبار , لقد أصبحوا مواطنيين حقيقيين كاملي الحقوق في دولة عظمي .. تري هل هي سخرية الأقدار؟

لقد عادوا بنا للعصر الحجري

بينما كنت أقرأ إعلانا بصحيفة الأخبار القاهرية عن توافر ألبان الجمال وأبوالها طازجة بخدمة توصيل إلى المنازل لعلاج كل الأمراض المكتشفة والأمراض التى لم تكتشف بعد.

وأسأل نفسى عن رقابة الدولة على هذه الأدوية المباحة ، على الأقل لعدم غش بول الجمل بأبوال أخرى لا تحمل علاجا ، بل ربما مرضا مستطيرا ، لمحت الخبر العاجل على تليفزيون العربية ، وأدرت القنوات فوجدته على قناة الجزيرة ، كان آخر الأخبار التى نود سماعها مرة أخرى بعد أن اكتوينا بالإرهاب الإسلامى.

ساعة وأنا أنتظر قول مصر وتلفازها حتى قالت قنواتنا بينما المصيبة منها فى الجوار ، وداخل الوطن وليست فى الصين ولا فى بلاد السند ، ساعة حتى قالت قنواتنا وأنا أحبس أنفاسى حتى لا تقول إنها أنبوبة غاز كما قالت بشأن طابا لتعود منكسة الرأس لتروى الحادث بعد أن رواه كل العالم وعرفه كل العالم ، كان موفد الفضائية المصرية لخان الخليلى يبعثر أى كلام كتب له «رجال الأمن مسيطرون على الوضع خالص ، وفيه واحد أمريكى مات اسمه مايكل ، أما الذين سيتعرضون للقتل من الجرحى فعددهم كذا» ، ولم أفهم العبارة الأخيرة فى كلامه حتى هذه اللحظة التى أكتب فيها مقالى هذا!

هل مثل هذا الإعلام أو الإعلان والعقل الذى يقف وراءه بقادر على فرز غير هذا الانتحارى؟

هل إعلان كالذى نراه باسم الإعلام أو نقرأه فيما يسمى بالصحف القومية يمكنه أن يؤسس لجيل غاضب ومغيب الوعى والمواطنة غير دفعه إلى الإرهاب دفعا؟ إن كل مشهد فى إعلامنا المرئى أو فى صحافتنا الغراء يغذى إرهابيا جديدا بالزاد الفكرى لتأكيد يقينه بالجنة ، وتكون النتيجة مشاهد الدم والقتل والحرق فى الوطن ، إضافة إلى ما يظهره هذا الإرهاب من ضعف للدولة ، ويظهر مفهوم الاستقرار على أنه فقط استقرار إعلامى. أهلى أهل مصر ، إنى أدعوكم للاعتراف بأن الإرهاب لم يتم القضاء عليه ، ولن يتم القضاء عليه ، لا باتفاقات ولا بتبادل التنازلات ، ولا بقدرة وزارة الداخلية وحدها ، لأننا فى هذا الحال نحملها ما لا طاقة لها به ، فتتفرغ له ، وتترك الشارع سداحا مداحا بعد ذلك بلقعاً إلا من البلطجية والمرور الحر الطليق بلا ضابط ولا رابط يجب أن نعرف ونعلن ونعترف أن أرض مصر قد استوطنها الفكر المولد والمغذى للإرهاب عن جدارة ونجاح ، لأن الواضح لكل عقل صاح أن الخطاب الدينى الحنبلى بتجديده الوهابى هو المسيطر والمتوطن فى أجهزة الإعلام والتعليم فى بلادنا ، وأن الاستمرار فى الحديث عن الفئة الضالة التى لا تفهم صحيح الإسلام المدسوسة علينا من الخارج «لا نعلم من دسها بالضبط؟ وهم لا يقولون لنا؟!» هو حديث لزج مريض كاذب وكلنا يعلم أنه كاذب ، وأننا نجابهه بالجهاد الصوتى بإعلام وتعليم يقوم على الخرافة ويروج للرجعية والتخلف يركبه الإسلامجية ، ويشعل الحرائق فى بلادنا وبلاد الآخرين فى العالم ، ويؤجج مشاعر

بربرية وهوسا دينيا بلا مثيل فى أى مكان فى الدنيا ولا نظير ، إلا البلاد العربية المسلمة على طريقتنا.

بعد الحادث الأليم فى حضن الأزهر وبين حنايا الحسين ، وعبق مصر الإسلامية بالتحديد وبالذات ، قام المشايخ يشجبون ويندون بالجريمة النكراء ، رغم أن هذا الصبى الإرهابى المنتحر هو ضحية المشايخ رقم «واحد» ، هو ضحية حكومة تهاونت مع هذا الفكر فتهاون معهما المجتمع كله ، هذا المنتحر لم يتم إنتاجه فى تايوان ، ولا فى سنغافورة ، إنه منتجنا نحن ، إنه يشير إلى عيوب فادحة فى صناعتنا المحلية للتنمية البشرية ، هو ليس فئة ضالة لأنه يتكرر ويضرب فى كل مكان ، نحن لدينا عيب مدمر فى المصنعية ، خاصة لو أخذنا بحسباننا فى قراءة المشهد أن المنتحر ليس مأجورا بدليل أنه انتحر ، وأنه لم يقبض مالا لن يفيده بعد أن ينتحر ، هذا شاب ذهب ليموت بمحض اختياره ، وأضاف إلينا فضلا فقد أخذ معه إلى الجنة زمرة من المصريين الشهداء.

ألم يفتِ **قرضاوى** أن من يموت من المسلمين فى العمليات الإرهابية سيذهب إلى الجنة حتما؟! كانوا زمان يسوقون الناس إلى الجنة بالزواجير ، واليوم تطوروا فأصبحوا لا يسوقونهم ، بل يأخذونهم معهم وفورا ، لكن بالتفاجير. يجب أن يشكر المشايخ هذا الإرهابى المنتحر لأنه طبق فكرهم الذى يغطى كل تعليمنا وإعلامنا ، وأن نوقره أيضا ، لأن دافعه كان الإيمان مع الزهد المطلق فى الدنيا ، فضحى بنفسه بينما أى شيخ ممن علموه أو حرضوه لا يملك لا زهده ولا شجاعته ولا إيمانه ، لأنه فجر نفسه وأثبت بموته أنه الأكثر إيمانا.

لقد صنعنا هذا المتفجر وحببناه فى ربه فأحبه ، وأحب أن يلقاه شهيدا ، فلماذا يعترض المشايخ عليه وهو التطبيق العملى الصادق لثقافتهم وفكرهم؟ إن هذا القتيل المنتحر أضاف إلينا أفضالا أخرى ، ألم يخلصنا من ثلاثة من الكفرة دفعة واحدة ، مما يضيف لرصيد المسلمين ويزيد فى خسائر أعدائهم من أى بلد كان ، فكلهم كفرة فسقة عرايا فجرة يتبعون الطواغيت؟! تعالوا يا أهلى نقرأ معا وصف قرضاوى لمثل هؤلاء بعد أن التقاهم وجالسهم حتى يلتقى المعلم بتلميذه ويمنحه البركة ويدعو له بالتوفيق ، يقول قرضاوى بعد هذا اللقاء من بين لقاءات أخرى عديدة: «وأشهد ، لقد خالطت هؤلاء الشباب فى أكثر من بلد إسلامى ، وعرفت الكثير منهم عن كثب ، فلم أر منهم إلا قوة فى دين ، وصلابة فى يقين ، وصدقا فى قول ، وإخلاصا فى عمل ، وحبا للحق ، وكراهية للباطل ، ورغبة فى الدعوة إلى الله وبراءة من الدعوة إلى الطاغوت ، وإصرارا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، رأيت فيهم قوام الليل وصوام النهار ، والمستغفرين بالأسحار والمستبقين إلى الخيرات». كتابه «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ١١٣».

فهل هناك قول بشأن الجهاديين أكرم من هذا يقدمه لهم الرجل المقدم والمرجع البحر الفهامة لكل فرقهم؟

إن هذا الشاب القتيل لاشك قد توضأ وصلى ركعتين بالحسين شكرا لله الذى هداه لهذا ، وما كان ليهتدى لولا أن هداه الله ، كما ولا ريب أنه طلب من ربه التوفيق

والنجاح فى مهمته المقدسة طالبا الفوز برضاه ، وأنه فعل ما فعل وقتل من قتل من أبرياء ، وهو هادئ سعيد قوى القلب والأعصاب لأنه يعتقد أن الرب معه وأنه سيثبت أقدامه يوم الزحف ، وأنه سيعززه ساعة إتمام المهمة العظمى ، وأنه سيكون من خيرة شباب الجنة ، التى سيحسده عليها كل رفاق سنه فى المدارس والمعاهد يتعلمون نفس النظرية تعليما وإعلاما ، ويتمنون علامة أو حلما كإشارة لاختيار إلهى بالتنفيذ ، فلم يعد مهماً أن يكون المنتحر ضمن جماعة منظمة ، لأنه يستطيع أن يذهب الآن وهو فرد إلى الجنة ضمن جماعة من المسلمين الشهداء رغم أنوفهم تستقبلهم الملائكة بالدفوف تزفهم إلى الفردوس زفا ، لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، أليس هذا ما نعلمه لهم ونبثه لهم ونسطره لهم بصحفنا وفى كل سطر قنبلة؟

إن هذا القتيل المتفجر ليس من عبدة الشيطان ، ولم يتلق تعليمه على يدى إبليس الملعون ، ولم يكتسب ثقافته لا من المغضوب عليهم ولا من الضالين ، بل إنه تثقف بثقافة أقنعته فآمن بها كغيره من ملايين ، بعضهم يعمل طبيبا يستطيع أن يقتل من شاء وقتما شاء تقربا إلى الله وبعضهم طيار يستطيع أن ينتحر بطائرته وقتما شاء ، وبعضهم يعمل فى المصانع ولا يعلم إلا الله ماذا يصنعون لنا فيما يصنعون ، وبعضهم أستاذ جامعة ينفخ فى عقول الصبية فقه القتل ، لكن هذا القتيل الانتحارى كان الأشجع لأنه امتلك جرأة فعل الإيمان العلنى ، وفعل بعد أن قدمت له دولته هذه الثقافة ، فهو لم ينشأ خارج مصر ، بل تربى على ترابها ومات متصورا أنه المخلص الوحيد لربه!.

إن هذا الانتحارى لم يتعلم على مناهج الطاغوت الأمريكى ولا على علم مستورد من إسرائيل ، إنما هو صنعنا وهو زرعنا وهو لم يأتنا قافزا من المريخ ، وهو ليس نبتة شيطانية ، بل هو فرد ضمن ثمار ترعرعت ورعاها مجتمع بأكمله ، هم إنتاجنا ومدموغون بخاتم ثقافتنا. هذا المتفجر كانت فى عقله وقلبه نماذج بطولة إسلامية درسها فى مدارسنا مثل خالد بن الوليد ومحمد بن القاسم وعمرو الفاتح والقعقاع ، وامتدادهم البطولى حتى اليوم عبر إعلام يقول أن تفجيرات العراق مقاومة ، فيصبح بن لادن كالقعقاع وابن الزرقاوى كابن الوليد ، ومنهم أبطال أخر ميامين كابن **هويدى وابن قرضاوى وابن عاكف** ، لا يقاتلون إنما يعلمون وينظرون ويفتون ويحللون ويحرمون ويدربون الأرواح ليطاردوا الخونة والكفرة والعلمانيين والمتحللين من عرايا الفرنجة ، إنهم بلغة زماننا «مضيفات» الطريق إلى الجنة أو مضيفون يزنون فى عقول أطفالنا فيعتادون هذا اللون البشع من الزنى الفكرى ، ويتبعون أسوأه ، وعند الصبا وفورة الشباب مع فورة الغضب ينفذون ، بينما يستمتع الزناة بعقول أخرى جديدة يتم تأهيلها ، فما العيب فى شابنا المتفجر إن صدق الكتاب المسلمين واستجاب لهم واستبق للفوز بالخيرات ، لتخليص البشرية وتطهيرها من بعض الكفار؟

لقد قتل ثلاثة ، ولو استطاع لقتل ثلاثة ملايين كما حدث فى سبتمبر ٢٠٠١ ، ولو استطاع لقتل أكثر حتى يكون ثوابه أكبر ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، إنها كوميديا سوداء تدمى الكبد وتحرق القلب وتحشرج النفس ألما ووجعا على مصر

وشبابها الذين هم وحدهم رصيدها ولا رصيد غيرهم ، فإن ذهبوا فقد ذهبت معهم مصرنا ، واللهم لا حول ولا قوة إلا بك يا حنّان يا منّان.

«أنظر لمصر بشفقة».. هذا كان نداء المصرى القديم لربه فى الملمات. إن هذا الشاب المتفجر وياويلتنا على أهله وعلى أمثاله من شباب كنا ننتظرهم منجزين منتجين مخترعين مكتشفين مبهجين ، قد قرر اختصار الطريق واللحاق بسابقيه من شهداء الحادى عشر من سبتمبر وشهداء الفلوجة وشهداء السعودية واليمن والشيشان وكشمير وأفغانستان وقطر والمغرب ، أراد أن يحضر الزفة السماوية جماعة ، وهم إن ذهبوا فرادى ، أو ذهبوا جماعات فكلهم حافظ للقرآن ومن خير التقاة ، مصل متوضئ ، كلهم يؤمنون بأن ما يفعلون هو فى سبيل الله ، وأنه كلما كان عدد القتلى أكبر كان رضى الرحمن أعظم ، وكانت سعادته أكثر. إن هذا المتفجر هو ثمرة فى شجرة يقولون له أن أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، هو إنتاج ثقافة هدفها الأوحد إرضاء الله حتى لو شربوا البول تصديقا وإثباتا لهذا التصديق ، هدفها إرضاء الله بموجب فقه الجهاد بسفك الدماء البريئة ، بعضنا شارك فى صنع هذه الثقافة بصمت الخصيان ، وبعضنا شارك فيها بالصمت السعيد مشاركا ، ولكن بتقية تساند بالقلب وتستنكر فى العلن ، **فالمتفجر شارك بيده ، والمفكر الإسلامى يشارك بقلبه ولسانه إن أمكن ، أو الاكتفاء بالقلب وهذا أضعف الإيمان** ، حتى لا تسمعه أمريكا والعالم الحر فيخسفون به الأرض خسفا ، هو ومن يؤويه ، وصاحبته وبنيه.

إن أمريكا لا تمانع فى القتل ، ولكن من غير شعبها ، وفى سبيل مصالح شعبها ومكاسبه ، أو فى سبيل نشر الديمقراطية كى لا تفرز لها شعوبنا إرهابا ، ولكنه فى النهاية كله قتل ، وكله فى سبيل المصالح ، **لكن أمريكا أو أية دولة فى العالم الحر ترفض أن تقتل فى سبيل الله ، لأنها ترفض تلويث الطريق إلى الله بدم عباد الله ،** إنها لا ترى مشكلة فى أن يكون الطريق إلى الديمقراطية والحرية مخضبا بالدماء ، فقد قال التاريخ وأكد أنه الثمن الضرورى للحرية ، إنه سفك دماء فى سبيل الدنيا ولهوها وسعادتها وترفها وفرحها ، لكنهم لا يقتلون أبدا فى سبيل الله ، لأن سبيل الله بالضرورة لابد أن يكون طاهرا وغير ملوث بدماء الأبرياء ، لأن الله ليس رب دماء ، وهذا ما كان اعتقاد إنسان العصر الحجرى ، وما كان قبله من عصور ، وكان اعتقاد تلك الكـــائنات البدائية أن الله لا يرضى عنهم إلا بأضاحٍ بشرية منهم تقدم إليه مذبوحة أو محروقة ليهدأ غضبه ، وكان آخر ذبح من هذا اللّون هو زمن أبى الأنبياء إبراهيم ، الذى أعلن الله من خلال تجربته مع ولده أن اليوم ليس كالأمس الوثنى ، وتم الدرس فى فداء ولد إبراهيم بالكبش إعلانا عن إنهاء زمن الأضاحى البشرية.

لقد تعلم هذا المتفجر ثقافة الفتح والقتل والسبى وركوب النساء دنيا وآخرة فى متعة أبدية ، تعلم هذا فى بلاده ، علمه له التليفزيون ، علمه له الكتاب فى المدرسة ، علمه له المسجد ، لكن بلاده غاب عنها أن تعلمه ما كان فى وعائها الحضارى القديم ، عندما كان المصرى يبتهل إلى ربه قائلا:

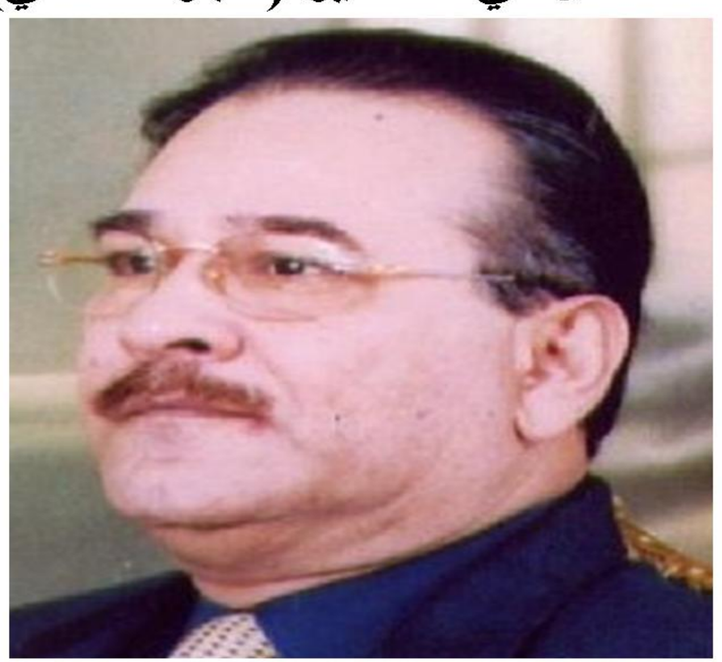
«إنى لم أتسبب فى بكاء أى إنسان. إنى لم أرتكب القتل. إنى لم أحرض على القتل. إنى لم أسبب التعاسة لأى إنسان. إنى لم أرتكب الزنى».

لم تقل ثقافة المصرى لشبابها وهى تعلمهم هذه النصوص الفرق بين البشر ، بل جمعت الناس كلهم فى عبارة متكررة «أى إنسان». واستبشعت القتل مع «أى إنسان» ، بينما المتفجر تعلم ثقافة تفرق بين دم المسلم وغيره ، وتحرضه على القتل وتبيحه له مع من خالفنا مذهبا أو دينا ، ولم تقل «إنى لم أرتكب الزنى» على إطلاقه لأنه من الزنى ما هو مباح مع نساء الأعداء. أين ترون مشايخنا قد ذهبوا بنا؟ لقد ذهبوا بنا إلى زمن أبعد إلى الوراء من الزمن الفرعونى ، لقد ذهبوا بنا إلى زمن الأضاحى البشرية للآلهة الوثنية التى لا ترضى إلا بالدم ، لقد ذهبوا بنا إلى العصر الحجرى.

نشرت فى روزاليوسف ١٧ أبريل ٢٠٠٥

سلسلة فقهاء الظلام

هناك خلل في الضمير (الجزء الثاني)



بقلم
د/ سيد القمنى

مدونة
عن مصر أتحدث
3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

الآخرون

الآخرون أو The others فيلم تم تصويره فى داخل الغرف ولم يكن بحاجة إلى ملايين الجنيهات لإنتاجه ؛ لأنه يقوم فقط على فكرة واحدة:

أم وطفلاها المريضان بحساسية الضوء يعيشون فى البيت المحكم المظلم منعا للضوء ؛ لا يخرجون منه أبدا ؛ لاشيء فى الفيلم بطوله سوى تأكيد هذا التوحد وهذه الوحشة وتلك العزلة المختارة فى الظروف المظلمة لأسباب مرضية قاهرة ؛ ثم تكتشف الأم وطفلاها فى نهاية الفيلم أن هناك آخرين بالمنزل لكنهم لايرونهم ؛ أحيانا يشعرون بهم ؛ من تمكن من رؤية الآخرين بهذا البيت هم الأطفال المفترض أنهم لايرون ؛ كما ترى أمهم السليمة ؛ رأوهم لأنهم كانوا أطفالا ؛ فعلموا أن البيت مسكون بأشباح الموتى

أما صدمة الدقائق الخمس الأخيرة بالفيلم فهى اكتشاف الأم وطفليها أن الآخرين الموجودين بالمنزل ليسوا أشباحا بل حقيقة لكنهم لايرونها ؛ لأن الأم وطفليها هم من ماتوا منذ زمن ؛ وأنهم هم الأشباح ؛ وأن الآخرين كانوا هم الأحياء ؛ ويسعون لطرد أشباح هذه السيدة وطفليها من المنزل ؛ كان الآخرون هم الأحياء ؛ أما الأنا فقد كان هو الميت.

أما الاكتشاف الأهم فهو أن هؤلاء الموتى عندما اكتشفوا أنهم موتى ؛ واعترفوا بذلك ؛ أمكنهم أن يشاهدوا ضوء النهار دون أن يصيب صحتهم بأذى.

أليس هذا الفيلم العجيب فى شأنه المثير للدهشة كالأساطير هو تصوير لحالنا اليوم بين العالمين؟ نحن نخاف على صحتنا العقلية والدينية من الآخر الكافر ، لكننا أسرى التخلف والظلام ونتوهم مرضا غير حقيقى ؛ قد يصيبنا مع نور الحضارة بالأذى ؛ ليصبح السؤال: من هم الأشباح؟؟ من هم غير الحقيقيين؟؟ الآخرون.. من هم؟

الإجابة ؛ نحن وليسوا هم.

الأحياء هم الذين يعيشون فى النهار بينما أغلقنا على أنفسنا كل النوافذ ؛ لنعيش الظلام خوفا على مأثورنا وصحتنا الدينية ، متوهمين أننا الأحياء وحدهم والأصحاء وحدهم ؛ بينما نحن الأموات. ويتبلور الموقف عندما ينتشر الخطاب الوعظى المشيخى الإسلامى بمعلومة تسرى بين المسلمين ؛ تؤكد أن الغرب الكافر الذى يعيش فى نور العلم ونهار الحريات ؛ يريد اقتحامنا من الداخل بما يفرضه علينا هذه الأيام من وجوب عمل إصلاحاته وديمقراطيته علينا ؛ بما تحمله من إيدز وأمراض

وتفكك وانحلال وفساد وشذوذ جنسى وعرى ؛ كما لو كنا نحن من يعيش النور ؛ أو كما لو كان لنا قوام أصلا يتطلب منهم بذل كل تلك المشقة لهدمه.

أو كما لو كانت مبادىء القيم هى مايحدد للمجتمع التقدم الحضارى من عدمه ؛ بينما هى فرز هذا التقدم أو التخلف ؛ هى نتيجة وليست سببا ؛ ولأننا نعتقد حسب مأثوراتنا إنه «إن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا» ؛ أو كما لو كانت حضارة الغرب فقط هى الجنس وحده فقط لا غير.

نحن نرى الغرب بعيوننا التى لاترى فى حضارتهم سوى الأفخاذ العارية ؛ لأننا بين الأفخاذ نركز عيوننا ؛ فيكون العيب فى عيوننا وليس فى الأفخاذ.

أو كما لو كانت قيم المجتمع ثابتة لاتريم حراكا وهى المتغير الدائب بتغير البنية الحضارية التحتية المتحركة كل يوم باكتشاف واختراع جديد كل ثانية وكل دقيقة وليس كل ليلة. أو كما لو كانت قيمنا التى نعتز بها ونفخر ونريق على جوانبها الدم هى فاعلة لدينا أو لدى غيرنا فى واقع الفعل والحدث على الأرض ؛ أو كما لو كانت قيمهم الهدامة قد فعلت فعلها وهدمتهم وجعلتهم يتخلفون عنا ونحن فى المقدمة ؛ كلنا يرمى غيره بالحجر وهو بالخطيئة يعيش ويموت ؛ لأننا نخشى الفضيحة أكثر مما نخشى الفعل الكاسر المحطم لقيمنا العزيزة الغالية ، أننا نحن من نكسر هذه القيم وليسوا هم لأنها قيمنا نحن وليست قيمهم هم ؛ نحن الفاسدون من الجذور إلى النخاع ؛ لأنهم يعملون بقيمهم ويحترمونها بينما نحن من نكسر قيمنا ولا نحترمها فى الخفاء والعلن.

إن الآخر فى بلاد الطاغوت يتآمر علينا بديمقراطيته الفاسدة ، كى يشغلنا عن حياتنا وصلاتنا وأسس ديننا ؛ و(اللهم لاتجعل مصيبتنا فى ديننا) هو دعاء العميان فى البيت المظلم ؛ فيمكن أن تكون مصيبتنا فى اقتصادنا لا بأس ؛ أو أن تكون فى حريتنا وهو أمر غير معلوم فى تراثنا ولامعنى له عندنا ؛ أو أن تكون فى كرامتنا المهدرة فى حروبنا مع بعضنا ومع الآخرين ؛ لكن إذا تعلق الأمر بديننا فدوننا ودونه الموت ، والخراب وحرق الديار وتفجير العمار وزرع الموت بدلا من الحياة ؛ بينما رب الدين المفروض أنه صاحبه وأنه حاميه ؛ يبدو واضحا بلا لبس أنه قد رفع يده من الموضوع منذ مات نبى الإسلام ، وترك للمسلمين شئونهم بعد أن (تركهم على الواضحة).

إنهم فى بلاد الطاغوت يتآمرون علينا نحن فى بلاد الرحمن ؛ بتسريب علومهم الدنيوية إلينا إفسادا لنا ؛ وانظر إلى الداهية الدهياء ؛ إن الكتب التى سيدرسها العراقيون فى مدارسهم ستأتى من أمريكا؟ والله أفلح إن صدق ؛ وإن كان ذلك قد

حدث أو سيحدث فأنت ، مبخت ياعراق ، وليت بلادى تنال من حظك نصيبا. هذا الآخر الطاغوتى فى بلاد الغرب ليس هو من يمكن تحديده ؛ وحده بأنه آخر ؛ فمن الآخرين من يعيشون بيننا فى بلادنا يعبدون الله ويعتبرونه واحدا ؛ لكنهم الضالون.. آمين.

ومنهم من يقول لا إله إلا الله ويضيفون إليها أن محمدا رسول الله وآمين أخرى ؛ ورغم ذلك فهم آخر ؛ لأنه قد شق عليهم ذبح بيت النبى فاستخدموا حقهم بتفعيل الحديث الصحيح وأضافوا الشهادتين ؛ أن الإمام على ولى الله ؛ فخرجوا من الفرقة ؛ من القبيلة السيدة الناجية ؛ أصبحوا آخر.

وقس على ذلك ؛ المرجئة ، المعتزلة ؛ الخوارج ، الباطنية المعطلة ؛ الروافض ؛ الإسماعيلية ؛ الزيدية ؛ النصيرية ؛ وبالطبع وبدون أية توضيحات المسلمين العلمانيين الليبراليين.

كلهم آخر لأنهم فى سلوكهم وأفعالهم وكلامهم غير مختومين بختم التجديد الوهابى للمذهب الحنبلى المفضل من أهل السنة والجماعة ؛ والصحيح وحده لأن بيده جغرافية الإسلام ؛ وبيديه الأرض المقدسة فى الحجاز. وهؤلاء هم الأجدر والأولى بالتصدى لهم لتطهير البلاد منهم والاستيلاء عليها بعد إبادتهم لتوحيدها تحت الراية الوهابية الحجازية ؛ ليضربوا الطاغوت الأكبر بعد ذلك فى بلاد الكفر ضربة رجل واحد ؛ فيتفرق دمه بين القبائل.

إن جهاد الآخر فى ديار الإسلام ممن يتسمون بالمسلمين هو فرض على المسلمين جميعا ؛ وقتلهم وسبى نسائهم وركوبهن وأخذ بنيهم وبناتهم رقيقا هو الطاعة الكاملة لرب الإسلام (*انظر مجموع الفتاوى لابن الباز- مكرر بطول الكتاب عن عمد وقصد ؛ كذلك انظر الدر الثمين لابن عثيمين- مكرر بدوره بذات الطريقة*).

ووفق ماتنصح به هذه الفتاوى المسلم الحقيقى (الوهابى) هو لزومه عدم الكف عن هذا الآخر ولا ساعة واحدة ؛ حتى يصبح مطابقا بالكلية فكرا ورأيا وسلوكا وحركة وحزبا وإماما وجماعة للفرقة الناجية بالحجاز ؛ أو يقتل وتسبى ذراريه ونساؤه وتنهب أمواله وممتلكاته وتدمر مقدساته وتمحى حتى تسوى بالأرض كما العتبات المقدسة الشيعية فى العراق مثلا أو كمقامات السيدة زينب والحسين والمرسى أبو العباس والقنائى والطرطوشى والسيدة عائشة والسيدة نفيسة بمصر ؛ كلها يجب أن تصبح أثرا تسوى بالأرض بعد عين. الآخر قد يكون مسلما موحدا مؤمنا حاجا قانتا فعالا للخير مناهضا للشر ؛ محبا للجمال صفة الله وبالحق اسم الإله الجلالى ؛ لكن كل ذلك لايشفع له ؛ وربما دفعه الإسلام المارق أن يبدع وينتج ويبهج ويشرف

وطنه ؛ وهذا كله مصيبة فى حد ذاته لأن الوطنية فى كتب التوحيد السعودية هى خط كفرى منقول إلينا من أرض الطاغوت ؛ لهذا لم يشفع **لفرج فودة** حبه لإسلامه ووطنه ؛ ولم **يشفع لنجيب محفوظ** تشريف وطنه بجائزة نوبل ؛ فقتل الأول وطعن الثانى.

إن الراحل فرج فودة ؛ أو نجيب محفوظ ؛ لم يكونا ضمن القبيلة ؛ ولا يستمعان لنفس الفقيه ؛ ولايثبتان أتباعهما ذات المذهب لهذا أيضا لاتشفع للشيعة صلاتهم فى مساجدهم فيفجرونهم أيام الجمعة المقدسة ؛ لأنهم غير مطابقين للمواصفات الحجازية القياسية ؛ لذلك حق عليهم الموت سلخا وجزا وقطعا وتفجيرا ؛ مع مقبلات من نوع تقطيع أوصال المندائيين ومشهيات من المسيحيين من بعض الأوردفر من الآشوريين.

مشكلة فى الفكر الإسلامى متوارثة ؛ وهى إلقاء الكلام على عواهنه دون تدقيقه وتحديد المفهوم منه. كان بإمكان العربى أن يقول لك سأمر عليك بعد العشاء ؛ فتنتظره إلى الفجر ؛ الدقة فى عالم الصحراء الفسيح بلا معنى ؛ الخليفة المأمون عند قدومه مصر لقمع الثورة المصرية طلب من أحد أتباعه الصعود إلى قمة هرم خوفو ليقيس له المساحة المسطحة العليا فوقه ؛ هبط فقال له: مساحتها مبرك ثمانية جمال. الهرم الذى بنى بدقة المليمتر والجغرافيا الأرضية والفلكية والكونية مسطحه الأعلى مبرك ثمانية جمال؟!!

انظر معنى المساواة المدقق بمثال شارح «كأسنان المشط» وائتنى من تاريخ الحكم الإسلامى بمثال واحد لأسنان المشط أو ما يشير إلى المساواة كما نفهمها اليوم ولكن يمكن فهم المعنى من نقيضه ، وهو ما كان المطبق فى الواقع ، إن مايفسر مفهوم المساواة قد تجده فى معنى الآخر الذى لايطابق الجماعة فى كل التفاصيل صغيرة أو كبيرة. غير مسموح بأية مخالفة حتى فيما تأكل من أصناف الطعام ؛ رغم أن أهل النعمة فى الحجاز قد ذهبوا مع النفط إلى مطاعم الخمس نجوم ؛ وتركوا البركة لنا فى الثريد ؛ وأن نتأدب بآداب المائدة الإسلامية ؛ فتضع يسراك تحت فخذك الأيسر لأن لها وظيفة أخرى تستخدم فى الخلاء ؛ وتسمى الله ثم تأكل بيمينك ؛ وتأكل مما يليك ؛ وتمص الماء مصا. ملبسك ؛ شعرك ؛ نعلك ؛ قولك ؛ كله يجب أن يكون مطابقا للمواصفات الحجازية القياسية.

مع الوهابية لامجال لنصحك بمطابقة فكرك بفكر الجماعة ورأيك برأى الجماعة ؛ لأنه غير مطلوب أن يكون لك رأى ؛ أو أن تفكر أصلا ؛ فكل شىء منصوص عليه فى الشريعة ؛ وضعه الله وجاء فى السنة وأحكمه الفقه ورتبه وزاد عليه ؛

ودعمته الفتوى على تضاربها تأتى من كل فج عميق وبعد كل هذا تريد أن تفكر؟! إذن فقد هلكت ياغر يامفتون!!!

إن الله الذى هو الأدرى بمصلحتك قد قنن لك ووضع سره وعلمه عند مشايخ الإسلام ليعفيك من مهمة التفكير المزعجة ؛ وأنت لست أفضل من السلف الصالح صحابة الرسول الأتقياء الورعون المؤمنون المبشرون بالجنان ؛ وبقية الصحابة والتابعين ؛ وتابعى التابعين

ولأنهم كانوا كذلك ؛ وقعت كل ألوان الفتن مبكرا ؛ وكانت القلاقل والحروب هى القاعدة الدائمة ؛ لأنه كان طبيعيا أن يفكر الصحابة فى شئون مابعد توقف الوحى وموت النبى وطوارىء الفتوحات ؛ وعندما فكروا أصبح كل واحد بفكره مخالفا لزميله ؛ أصبح آخر برأيه الجديد ؛ ومن هنا حق قتاله وقتله. ولهذا أسموها الفتن ؛ فقالوا الفتنة الكبرى لعدم التمكن من تحديد الجاني من المجنى عليه ؛ فكلهم صحابة كرام ، وقالوا الكبرى لأنه كانت هناك فتن صغرى ، بدأت بالسقيفة ؛ وشن الحرب على مانعى الزكاة. وجاءت بعدها فتن أيضا استباحت مدينة الرسول وهدمت الكعبة وأحرقتها. رغم أن اتخاذ الأمر بالقتال تقوم به و تشنه الفرقة على الأخرى منذ الخليفة الأول ؛ فإن تحديد من يكون هو الأنا ومن هو الآخر كانت تتوقف على من يحسم المعركة لصالحه فيكون المهزوم هو الآخر الكافر يصبح هو الفرقة الباغية ؛ وقد بغت لأنها قد فكرت ورأت لنفسها رأيا فى الدين أو الدنيا والدليل على بغيها هزيمتها وذلها ؛ وكان يمكن ألا تحدث الفتن ويمر كل هذا بسلام لو لم يستخدم الدين من كل الأطراف المتحاربة ليصبغ شريعته على الأنا ويسلبها عن الآخر. فكل شىء منصوص عليه والتفكير يتم فيما هو غير منصوص عليه ؛ ولم يكن موجودا زمن تواجد الوحى ؛ لم يكن عليه التفكير كان عليه التزام الموجود قديما ولا عليه من أحداث الواقع المتغير ؛ فلتتغير ؛ ومالنا ؛ وما علينا ؛ إن فكرنا بغينا ؛ مما يتطلب القتل والجز والسلخ.

عندما فكر المسلم لم يعد يتطابق مع فكر المسلم الآخر ، والتطابق لابد أن يماثل ويطابق الأصل القدسى ؛ لذلك عندما رأى المسلم رأيا بعقله واعتبره دينا ، وغيره ليس كذلك ؛ غيره آخر ؛ وبما أن الجميع حاول بفكره أن يقول أن مايقوله هو وحده المطابق للشرع ؛ فإن النتيجة كانت لابد أن تكون حربا من أجل الدين ذاته. من هنا أصبح اختلاف الرأى ناتجا عن التفكير ؛ ومن هنا أصبح أى تفكير باعثا على الاختلاف عن الأصل ؛ لأن المشترك بين الجميع كان نصا واحدا يريد كل منهم أن ينتصر به لقضيته. لذلك جرت الفتن مع الدماء أنهارا عندما جعلوا من شئون الحياة والسياسة التى هى من خصوصيات البشر خصوصيات ربانية.

وهو مايفسر لنا ظهور النظام الديمقراطى البدائى لدى الشعوب الوثنية كما كان عند الرومان قبل الإسلام بقرنين وألف من السنين ؛ لأن رجال الدين كانوا أفرادا عاديين وأفكارهم وآراءهم وسلوكياتهم لم تكن أمورا مقدسة أو ملزمة ؛ فكانوا أحرارا فى حياتهم يصوغونها كما شاءوا. أما مجتمع المسلمين بإصراره على مطابقة النسخة الأصلية واعتقاده بصحة هذه المطابقة وكفر غيره فقد تحول كله إلى مجتمع الآخرين ؛ كل منهم آخر ؛ كل مخالف آخر ؛ كافر يلزم قتله ؛ فهو من الفرقة الهالكة والقاتل هو من الناجية. غاب الفكر الحر ؛ وغابت معانى الحقوق الإنسانية ؛ غابت الديمقراطية التى كانت مهمتها تجادل الآراء للاتفاق على رأى واحد يتفق عليه الجميع وبقى الفكر الدينى وحده الذى فرق المسلمين فرقا وشيعا وقتلا وذبحا وتقتيلا فى سبيل الله ؛ والله من كل هذا براء. عند المسلمين غابت آلية الحوار وآليات إصدار القرار ؛ وآلية سيادة رأى الأقلية ؛ وغابت آليات تنظيم الدولة دستوريا ؛ فتميز تاريخنا بالحروب الداخلية والفتن ؛ وقتل الحكام سبيلا وحيدا لتبادل السلطة بدلا من الانتخاب والاستفتاء . كان الرومى يجمع المواطنين تحت مظلة المساواة وفق قانون مدنى اتفقوا عليه وتعارفوا وقبلوا جميعا به. أما القانون الإسلامى الشرعى فيطرد حسب كل فريق جميع الفرق الأخرى فمزق المجتمع وتحول على يد أصحابه من نعمة مهداة إلى نقمة ومعاناة دائمة. تعريف الآخر عندنا لم يصدر به بيان لكن نستشفه من فعلنا وأى قوانين نمارس. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ؛ لم تعد تكفى لإثبات صحة إسلامك اليوم ؛ لابد أن تشهد بصدق **ابن عبدالوهاب وابن البنا وابن قطب وابن عاكف وابن قرضاوى وابن هويدى ؛ وابن الغنوشى وابن الترابى..**

أصبح شرط الإيمان بقدر مطابقته لما يرى المستبدون على الجماعه الزعيمة ؛ أن تكون عضوا فى الشلة أو العصابة ؛ كان هذا هو منطق العربى فى الجاهلية. القرآن اعترف بالآخر وقال أن تلك إرادة إلهية وأنه جعلنا قبائل وشعوبا لنتعارف ونتعايش بسلام مع الآخرين ؛ بينما فهم المسلمون أن المساواة أن تكون نسخة كربونية تطابق قوما ماتوا منذ أكثر من ألف عام ؛ وأن نتبعهم فى كل تفاصيل ودقائق حياتهم فيكون الحى قد عاد إلى زمن مات ليموت هناك وجسده حى بيننا ؛ ودون أن يحيا الميت المطلوب استعادته بالفعل ؛ لم يأت ليحقق لنا معجزات تحققت فى زمنه بالعزة بعد المذلة.

إن مشهد الواقع الإسلامى الآن وخاصة منه العربى ؛ يشير إلى أشباه بشر فى قاع الأمم المتخلفة ؛ مما يؤكد أن السلف الذى استدعيناه ليس بإمكانه استيعاب زماننا ولافهمه ولاكيف يعيش فيه.. وهو والموت واحد ؛ ويبقى الحى منا فى القرن السابع

الميلادى.. بينما من يشق المستقبل نحو النور فى الزمن شقا.. هو الآخر الملعلون فى بلاد الطاغوت.

روزاليوسف ٢ يونيو ٢٠٠٥

تسونامي - يد الله الباطشة؟

عالم المحيطات "ديفيد ميرنر" انتهى بعد متابعة طويلة إلى اكتشاف ظاهرة "تسونامي" التي أدت إلى ابتلاع البحر لمئات السفن والموانئ ، والتي عرفها اليابانيون العاديون قبله وأعطوها هذا الأسم "تسو + نامي" أي مدمر أو مهلك + الموانئ ، وأطلق "ميرنر" على المساحة المعرضة لهذه الظاهرة المتكررة اسم "مثلث الموت" ، واجتمعت من هذا المثلث ومن الدول والجمعيات العلمية المهتمة قمة جاكارتا ٢٦ دولة وجمعية لإقامة جهاز إنذار مبكر.

لكن تسونامي فاجأ الجميع بضربة لم يضربها منذ مائة ألف عام مضت ، فاجأ مثلث الموت بجبروته وبطشه فدمر الموانئ والجزر وبنية تحتية كاملة قدرت أضرارها بنحو مائة مليار دولار غير خراب الديار وابتلع نحو مائتي ألف إنسان فى قضمة واحدة غير الجرحى والمشردين بمئات الآلاف.

كان طبيعيا أن يهتز عالم الإنسانية بكليته لفداحة الكارثة ، تنهال التبرعات إنقاذا ومواساة وعلاجا وطعاما ومساعدى للمصابين والمشردين من مشاهير الرياضيين والفنانين والأثرياء ، أما الأفراد محدودو الدخل فقد شاركوا في مباريات وحفلات جمعت فيها الأموال لمصابي تسونامي لإثبات مساهماتهم واهتمامهم وفزعهم ومواساتهم كأفراد بغض النظر عما قدمت دولهم وهيئاتهم الرسمية التي هم مشاركون فيها بالضرورة بما يدفعونه من ضرائب.

لقد أراد كل فرد أن يدعم أخاه الإنسان في الطرف الآخر من الآرض فقط ، لأنه إنسان وأن كليهما إنسان ، بغض النظر عن الدين أو اللون أو الجنس لكليهما.

فماذا فعل المسلمون؟

استمعوا معي بني الإنسان إلى ما قاله مشايخنا في مصاب البشرية المخيف.. نبه **قرضاوي** إلى ضرورة ملاحظة أن الكارثة قد حدثت في منطقة تعتمد على السياحة ، يتم فيها تناول المسكرات وفعل المنكرات ، وأكد عميد كلية الشريعة بالكويت أنه عقوبة للجزر الإباحية التي دمرت ، وعندما أكد الأزاهرة على غضبة الله الباطشة بالتسونامي ، وأوجزه ولخصه الدكتور **أحمد عمر هاشم** المتخصص في تشديد النكير على المصابين في كل جلل ومصاب فادح ، قال **زغلول النجار** أن التسونامي كان عقابا للعاصين وابتلاء للناجين ، وقال **صالح المنجد** في السعودية أن كارثة المد وقعت بسبب وجود السياح غير المسلمين يتحولون عرايا في النوادي الليلية على الشواطئ وهم يحملون الخمر.. إلخ.. إلخ.

ووفق هذا التفسير والفهم ، لابد أن نفهم أن الله قد أرسل العذاب على المسلمين ودمر بلادهم وسحقهم سحقا لأنهم استقبلوا السياح في بعض كفورهم كمصدر للدخل ، سحقهم لأنهم سمحوا للسياح بعزف الموسيقى والرقص والفرح. ولابد أن أفهم أن هذه السعادة ، وهذا الفرح وخما يصاحبه من ضجيج سعيد قد أزعج الرب فقام يدمدم عليهم ، ولابد أن نفهم أيضا أن الرب هنا مصاب بعدم القدرة على التمييز بين الصالح والطالح ، لأن المساحة المدمرة الهائلة لم تكن كلها مرتعا لسعادة السياح ، بل ربما كان معظمها أغلب من الغلب ، كما يجب أن نفهم أيضا أن رب السماء ينزعج بشدة من السعادة التي يمارسها عبيدع على طريقتهم ، وينزعج من الرزق الذي يعود على أهل البلاد المفتوحة لتلك السياحة ، لكنه يفرح ويسعد بتباكيهم عندما يستمعون إلى القرآن وبكائهم على حالهم ، وأنه تبلغ به نشوة السعادة مع كل ذبيح للإرهاب الإسلامي تقربا وقربانا ، وأنه يرسل غضبه فقط على من يمارسون الفرح المنتج في حقله والصانع المنجظ في مصنعه على بعد مئات الكيلومترات ، ويقتل معهم الشيخ الفاني والطفل الرضيع والصبي التقي ، ولابد أن نفهم أيضا أن الله يثبت قدراته فقط مع أمثالنا من غلابة ، وإلا فلماذا مادام هكذا المنطق فلماذا لا يدمر لنا دولة إسرائيل أو أمريكا أو روسيا مثلاً ؟ أم أن الرادع النووي يمنعه عن اتخاذ مثل هذه الخطوة الخطرة ؟!

ثم يتأسس على كل هذا السؤال الأهم : أي رب هذا الذي يدعو إليه دعاة المسلمين ؟!

سادتي.. هل رأيتم تلك الطفلة المسلمة الضائعة بلا أهل ولا مأوى في بندا آتشي بإندونيسيا تجيب عن سؤال التليفزيون عما تتمناه ، فلا تقول الطفلة الضائعة اليتيمة أنها تريد أبويها لتعبر عن احتجاج طفولي مفترض ضد ما حدث ، ولا تقول أنها تريد طعاما تحبه وملبسا تفرح به ، لتعبر عن رفضها لواقعها الفقير أصلا ، ولا تطلب دمكية تلعب بها ، إنها هي تريد أن تصبح طبيبة لتعالج المسلمين لتحقق الهدف النهائي : إرضاء الله !

أين ذهب أبواها بعد أن صبا في روحها هذا الذي قالت ؟

لقد ذهبا مع الكفرة السائحين ، ولم يستطع رب الإسلام حسب الصورة التي قدمها لنا مشايخنا أن يميز بين هذين العبدين الصالحين وبين السائحين الفجرة الفسقة ؟! لقد ذهب الوالدان بعد أن غرسا الطائفية الواحدية في روح الطفلة حتى لا تهتم بغير المسلمين ، وغايتها النهائية إرضاء رب المسلمين ، فما كان من رب المسلمين إلا أن ذهب بالطائفي المتعصب لدينه ضحية الدمار ، وتيتمت طفلته ، وضاعت تنتظر يد أي خاطف من عصابات أعداء الإنسانية تجار البشرية ، لتباع رقيقا أبيض لبدوي مريض نفسيا يعشق جنس الأطفال ، لأنه لم يعد أحد في العالم لا يزال يقر العبودية

ويعلمها لأجياله في مدارس الدين سوانا ، لذلك لن تجد أسواق رقيق تسونامي أفضل من سوقنا !

أو ربما تختطف هذه الطفلة مع أطفال آخرين على يد مجرمين من نوع آخر أكثر استثمارا وأكثر وحشية ، لتباع قطعا حسب المطلوب من إكسسوارت آدمية !

ألا ترونهم يصوغون لنا ربا مثل حضرة الصول عطية في الجيش الذي كان يعاقب السرية بكاملها لأنه لا يعرف الفرد المخطئ فيها ؟! ألا ترونه ذات القانون الذي مارسه حضرة الصول لأن الحسنة تخص والسيئة تعم ؟!

ألا ترون هذا الرب وفق هذا الفهم يتلذذ بقتل جدات وأجداد كلت حواسهم عن إتيان المعاصي ويعدون أنفسهم للقاء ربهم لقاء حسنا ؟! وبقتل رضع من ملائكة البشر لم يرتكبوا بعد جريرة يعاقبون عليها ؟! ويترك الشباب القادر على إتيان المعصية ينجو بشبابه وفتوته ؟!

ألا ترون في حديث مشايخنا شماتى رخيصة بائسة من الثكالى والأرامل تشير إلى نفوس مريضة كارهة إزاء كارثة إنسانية تعصر القلوب والأكباد ؟!

ألا ترون البشر في العالم من غير المسلم أكثر رحمة بالمسلمين من المسلمين ورب المسلمين كما يصوروه لنا مشايخنا ؟!

ألا ترون ضمير العالم وقد سما فوق الأديان والقوميات ، بينما "إيجلاند" منسق الإغاثة الدولية يستصرخ عرب الخليج فلا يسمعون ، ألا ترون أطفال العالم يتبرعون لأطفال تسونامي مسلمين وغير مسلمين ؟! بينما جمعيات عندنا تقرر جمع التبرعات فتنشر إعلانا للتبرع للمسلمين فقط مع تنبيهها أنها ستبعث بالأموال المجموعة للمسلمين فقط ؟!

أليس **بن لادن** مليونيرا عظيما ، ومسلما مخلصا ، كما يقول ، وعين نفسه جنرالا لجيش المسلمين العالمي لمحاربة العالم؟ لماذا إذن وهو في هذا المكان وتلك المكانة لم يتخذ أية خطوة ولو طائفية لصالح مسلمي تسونامي وحدهم كما تفعل جمعياتنا الخيرية ؟

وإذا كانت فتاواه تعبر القارات لتحيل الحياة إلى موت وخراب فلماذا لم يصدر فتوى ترتفي به إنسانيا لمحبيه تحرك فيهم النخوة والنجدة للتطوع في جهود الإنقاذ كما يدعوهم إلى تفجير أنفسهم عند أبواب الحسينيات والكنائس العراقية ؟!

كان بإمكان بن لادن أن يحوز كرامة الإنسانية بالإضافة إلى شهرته كإرهابي دولي ، لكنه لم يقتد بالسيد الكوفي عنان الكافر ، لأن قضيته وقضية مشايخنا من قرضاوي إلى الزرقاوي لا تنشغل بالإنسان وما يحدث له ، بل هي تهيم في وهم ومفاهيم ونصوص وقواعد كالهيم بمنهج لم يشغله الإنسان الفرد يوما.

دعوني أهل الرشاشات والفتاوى أحفزكم على طريقتكم ، دعونا من الخوف على أطفال المسلمين من الخطف والاستعباد ، ألا ترونهم واقعين لا محالة في يد من يرحمون ويربون ويرفهون ويسعدون وأيضا مع هذا كله ينصرون أو يهودون ؟!

صدقني قارئي ولا حتى هذا يمكنه تحفيز مشايخنا ولا جنرالات ميليشياتنا العالمية لفعل شيء بهذا الصدد ، لأنهم يعجزون عن كا ما هو مع الحياة ، لكنه فاعلون مؤثرون قادرون في كل ما هو مع الموت.

ثم يبقى تفسير مشايخنا يحمل في طياته فتوى مرعبة لا إنسانية ، لأنه إذا كان أهل هذه البلاد التي دمرتها يد الله الباطشة ، أهل فسق وفجور واستحقوا كل هذا الغضب المرعب الهائل البشع ، فمعنى ذلم هو التشريع لكل مجرم سارق خاطف تاجر للعبيد مغتصب تاجر للأعضاء البشرية متوحش ، كل هؤلاء لابد أيضا ، وبالتأسيس على ما قال مشايخنا ، يحملون شرعية السماء ، فهم أيضا يد الله الباطشة كتوابع من لزوم ما يلزم لكارثة بحجم تسونامي ، إنها فتوى تشرع للمجرمين وللحيوانات القنص كي تأكل النطيحة والموقوذة والمريضة واليتيمة والضائعة ومفقودة الأهل.

لتتحول إلى قطع غيارأو محل للمتعة في قصور البدو أو في بيوت الدعارة في أوروبا ، فالمورد مجرم والمستورد مجرم وكلاهما موجود وسيطل موجودا.

تذكرت طفولة **النبي يوسف** وكيف باعه إخوته في مصر كعبد صغير ، لكن في بلد متحضر مثل مصر ، وعلى يد **فرعون عظيم** لكنه كافر ، تمكن يوسف العبد بمعارته أن يثبت وجوده ، مع سماح القوانين المصرية للمتفوق بالصعود والإنجاز حتى وصل العبد إلى سدة الوزارة ، ولم يحرم من حقوق المنافسة كإنسان ، وكرمه الفرعون بما لديه من أخلاقيات الدولة المدنية ، لكن أطفال تسونامي لن يذهبوا بالتأكيد إلى مجتمعات مثل مجتمعات مصر القديمة ، ولن يجدوا فرعونا عظيما يعرف حقوق الإنسان ليحميهم من الرق كما حمى يوسف.

وبينما التفسير الديني للحدث العظيم يحمل في باطنه فتوى لكل تجار الإنسانية بمشروعية عملهم ، فإننا لم نسمع حتى الآن فتوى بتجريم التجارة في الإنسانية والاستعباد والرق. الحق أقول لكم ، إنهم لن يقولوها لأنه يحتسبونها تعتمد على

نصوص قدسية عددها ثلاث وعشرون آية تتحدث عن الرقيق وملك اليمين ، غير مدركين أن أحكام هذه الآيات قد فقدت الصلاحية لزماننا منذ زمان.

مشايخنا طاروا إلى السماء وحضروا اجتماعا همس لهم فيه الخالق ، لهم وحدهم ، بإنه هو من كان وراء هذه الكارثة العظمة ، ألا ترونهم يفتئتون على الله وعلى الإسلام وعلى المسلمين بروح مريضة شامتى تسعد لمرأى الكوارث المفجعة ؟!

تذكرت أيضا **النبي نوح** ، وكيف استجاب له الرب دعاءه فلم يبق على الآرض ديارا سوى حفنة اختارهم ركبوا معه ، تذكرت أن كل هذه الإبادة لغير المؤمنين لم تؤذ في النهاية إلى إيمان الجميع حسب رغبتنا وحسب الغرض النهائي من التدمير والإهلاك حتى الإفناء ، فمن أصلاب هؤلاء المؤمنين الذين ركبوا السفينة النوحية خرجت أمم بكاملها غير مؤمنة بما كان الطوفان سببه ، وأرسلت السماء الرسل والأنبياء ، ولم يستطع أحدهم تثبيت إيمان واحد يشمل البشرية جميعا ، كما لم يتم تأنيب الله لأي من هؤلاء الأنبياء لعدم استطاعتهم جمع البشر على دين زاحد ، مما يظهر معه أن عقوبة الفناء بالطوفان أو بالتسونامي لم تمنه من ظهور من هم حسب منطقنا كفارا أو متحللين متهتكين وأنهم موجودون وسيظلون موجودين ، ولو كان الأمر قاعدة لكتب تاريخنا أنه كلما قام خليفة دك الله قصره عليه دكا ، لما يحدث فيه من مخاز ، لكن ذلك لم يحدث ، بل سجل تاريخنا كل ذلك ألوان الفواحش في قصور خلفائنا التاريخيين دون عقوبة واضحة.

إذن فالفناء في حد ذاته حسب خبرة أهل الدين لم يقض على الكفر والفسوق والخمر واللهو وإذن ما الهدف من عملية كبرى مثل عملية تسونامي تقوم بها السماء ضد مخلوقاتها الضعيفة؟

إنه الإنتقام.. لأن فلسفة القانون عندنا لا تقوم على إصلاح المعوج ، أو تهذيب الخارج على القانون ، إنما تقوم على النقمة والإنتقام ، وتقوم على قطع الرقاب أو الأيدي ، تقوم على الفناء شفاء للروح الكارهة فقط ، دون أن ينجز ذلك في النهاية بشرا أسوياء.

وتنسب ذلك كله إلى رب السماء الذي ما كان ليخاطب شعبا جاهلا في جزيرة العرب عن العصور الجيولوجية والترسبات الجيرية أو الكربونية أو عصر الإليجوسين أو العصر الحوارسي ، ولا عن معادلات رياضية وقوانين فيزيائية ، حتى يفسر لهم ما نفهمه اليوم عن ظواهر الطبيعة ، إنما حدثهم حسب محزونهم الثقافي والمعرفي ، الذي كان يرى ظواهر الطبيعة راجعة لأفعال غير منظورة لإرادات فاعلة غيبية.. وعلينا أن تعترف بهذا ببساطة ، فنبتعد بديننا عن مناطق

المزالق والمآخذ ، ونعيد النتائج إلى أسبابها العلمية ، فهي التفسير الوحيد الصحيح الممكن اليوم ، لكن آفة مشايخنا أنهم يريدون أن يكونوا دوما مصدرا للمعرفة في كل شأن كبر أم صغر ، يفهمونه أو لا يعلمون عنه شيئا ، بحسبان ذلك حقا لهم كرجال دين ليقوموا رأي الدين ، الذي هو في النهاية أيضا ليس شيئا تام الصحة والصواب وليس صالحا لكل زمان ومكان ، ولكنه رأي كأي رأي آخر ، لكنه عادة ما يكون أكثر الآراء بعدا عن العلمية وأكثرها قربا من السخافة والخرافة ، وأعلاها صوتا في الإعلان عن تخلف دين الإسلام والمسلمين.

روز اليوسف العدد ٤٠٠٢

الإسلام والجراد

نادراً ما نجد في الصحيفة الكبرى (الأهرام) قولاً مثل قول سكينة فؤاد ٢٥/١١/ ٢٠٠٤:

"الحمد لله أن أكد فضيلة شيخ الأزهر أن اصطياد الجراد بهدف أكله ليس تكليفا شرعيا ، وإنما أمر اختياري"

حتى لا يفوتني واجب شرعي بعد دعوة لجنة الفتوى لاصطياد الجراد وأكله ، لمساعدة الحكومة في القضاء عليه ، ولأن القدوة خير مثال فكان يجب أن ينقل لنا التليفزيون صورا للجنة وهي تتناول أطباق الجراد. أو صورة الحكومة وهي تفطر وتتغدى وتتعشى على أطباقه ، ولا أعرف ما هي ضرورة أن يتدخل الأزهر في أمر الجراد". وجملتها الأخيرة وهي سؤال مفصلي يتعلق بمفاصل ثقافتنا وحرصنا عليها ، والإجابة عنه هي إجابة أيضاً عن أسئلة كثيرة حول تخلف المسلمين المثالي.

هنا سنحاول أن نضع يدنا على الأسئلة والأجوبة.. لنحدد بدقة ليس علاقة الأزهر بالجراد ، و إنما علاقة الإسلام بالجراد ، لأن أزاهرتنا عندما يتحدثون في شأن من شئون دنيانا فهم يرجعونه دوما إلى رأي الدين الذي يتمثلونه ويتماهون به ، **وأصبح الحديث كما لو كان صدى لرأي الله مباشرة** ، خاصة عندما تجد بعضهم يفتي في التليفزيون ووراءه تجري الشموس والنجوم والأقمار وبجواره لفظ الجلالة كما لو كان هو الذات الإلهية أو أنه رسولها المباشر جاءنا قافزا لتوه من بين أكوانه ومجراته وكواكبه في إيحاء مرفوض وغير جائز بل وخال من الذوق الإيماني في التعامل مع رب الأكوان وطريقة الانتساب إليه.

وبعد دعوة المسلمين في مصر لأكل الجراد بفتوى شرعية من لجنة الفتوى بالأزهر لمساعدة الحكومة في القضاء عليه تقدم الإمام الأكبر بفتوى توضيح : "إن إصطياد الجراد بهدف أكله ليس تكليفا شرعيا وإنما أمر اختياري.. وإن تناول الجراد كطعام ليس مخالفا للشريعة الإسلامية ولا يدخل في قائمة الأطعمة المحرمة على المسلمين". ومن ثم أعفانا إمامنا من هذه الوجبة التي لم نعتد عليها في بلاد النيل ، وحولها من تكليف إلى اختيار.

بعد أن دخل الجراد مصر ينهش ما تبقى لفقرائها في الحقول ، وبعد أن أحسنت وزارة الزراعة استقباله هاشة باشة مرحبة لحلوله أهلا ومجيئة سهلا ، كان الحل هو تشجيع الفقراء على تناول الجراد بحسبانه طعاما تناولة من قبل الأسلاف

المسلمون والعرب الأواءل في بواديهم الشحيحة وبيئة الندرة التي كانت تسمح بتناول كل ما تقع عليه اليد ، أيا كان ، فكان العربي يأكل أي شيء يتحرك أمامه ومع تحاشي السم منها بحكم خبرة الأجيال.

وجاء الإسلام في مجتمع الندرة الشحيح مطابقاً لعاداتهم في تناول الطعام ، فلم يحرم لا أكل الجراد ولا أكل الضب (نوع من الأبراص الكبيرة السمينة الغنية بالبروتين) ، بل إن الجراد والضب يعتبران حتى الآن في موطن الإسلام الأول من ألوان الطعام المفضلة والنادرة.

غير المفهوم أحيانا في إصدار الفتاوي المتلاحقة ، هو تركيزها على مدى الحلالية في الموضوع دون تأثيم المقصرين والمطالبة بمحاكمتهم ولومهم دون مراعاة فروق البيئات وظروفها والمستساغ فيها حسب هذه الظروف من أطعمة ، وهو ذات الشأن الذي يفعله كل السلفيين بإحياء البيئة القديمة زمانا المفارقة مكانا في الزي والسلوك ، وطريقة الطعام ، وكل التفاصيل الصغيرة في الحياة أو الكبيرة ، وها هي أشكال الطعام ذاتها ،الجراد الذي كان يأتي لصحاري الجزيرة خيرا عظيما بما يقدمه من كميات بروتين هائلة تتساقط عليهم إعياء وجوعا من أسرابها في صحاريهم الوسيعة.. بينما كان الجراد ذاته يشكل خرابا للبلاد الزراعية وضياعا لمحصول وعرق وجهد العام كله ، ولم تكن موجات الجراد وحدها هي التي تهاجم المحصول عند نضوجه بل أيضا موجات البدو الجائعة على الحدود التي كانت تتربص بالفلاح وهو يلقي بذوره وهو يحرث حتى ينضج محصوله لتهبط عليه تسلبه عرق العام وبعض الأطفال والنساء ، ورغم أن هذا كان جرادا وذاك كان جرادا في نظر الفلاح المنتج ، أن كليهما كان شرا عند المزارع ، فإن الجراد عند البدوي كان خيرا بينما كان جرادا ياكل جرادا في نظر الفلاح.

إن سادتنا المشايخ لا يحتسبون فارق البيئة ولا الزمان ولا المكان ، إلا بما يوافق الهوى ، فالثريد الذي هو سيد الطعام ، حسب الحديث النبوي ، كان سيده لأن القمح مادة الثريد الأساسية كان طعام النخبة الثرية بوصوله من مصر إلى ميناء الجار على الساحل قرب مكة ، بينما كان القمح طعام العوام والفقراء في مصر ، ولم يعد الثريد سيد الطعام في بلاده ، ولم يعد أهل الثريد يأكلون الثريد لتغير الأزمان والعوائد والتقاليد باتصالهم بالشعوب الأخرى.

و لأن مشايخنا لا يريدون أن يتركوا شانا من شئون الزمان وإلا تدخلوا فيه ودسوا فيه أنوفهم لإثبات ضرورة وجودهم سادة مفتين وشارحين ، فقد تكرموا علينا بفتوى أكل الجراد ، وهو ما لا يناسب طبائعنا ولا أذواقنا ولا ظروفنا البيئية ، ولأن أكل الجراد لن يمنع أسرابه الهائلة من التهام كل ورقة خضراء في بلادنا ،

ولأنه حتى لو اجتمعنا للدعاء علاقة بخطط الجراد وخط سيره ، وربما لو دعونا على المسئولين عن الكارثة لكان هو الأجدى ، وهو بدوره الدعاء الذي لن يفعل شيئا في واقعنا ولن يصيب وزارة الجراد إلا باستفحال شأن جرادها الداخلي.

أما المصيبة الأفدح في القضاء على الجراد بأكله أن هناك دولا أخرى مر عليها الجراد وقاومت أسرابه برشه بالمبيدات الحشرية بكل أصنافها ، وما وصلنا منه ما استطاع المقاومة ، لكنه يحمل السم الزعاف لكل من يأكله تطبيقا للفتوى ، ولا ندري هنا هل أسرع أصحاب اللحى والجلاليب القصيرة وصويحبات يوسف من محجبات ومخمرات ومنقبات إلى هذه الوجبة الأصلية السلفية تأكيدا لسلفيتهم أم أن أنفسهم عافته ، لكنها لم تعف عن لوازمه المرافقة تاريخيا له كالزي ، القديم الذي يلبسونه تأسيا بالسلف ، باختيار دون اختيار ، مما يشير إلى التطبيق والالتزام حسب المزاج والهوى ، رغم أنهم كان بإمكانهم هجم وجبة الجراد الثمينة ملتزمين أيضا بشرب مكة كولا (ملتزما).

ومع هذا المناخ وذلك الحال لا تفهم استخدام الدين في إعلانات الكسب غير المشروع على حساب أرواح العباد في إعلان "أشرب ملتزما".

وإذا كنا سنأكل الجراد فقرا بعد أن تهاوت الأوضاع في بلادنا إلى ما دون البترول الذي دافعنا في رفعه دماء أبنائنا في حروب متتالية منعت اليهود من استعادة خبير ، فإن كتب الفقه التي يدرسها أبنائنا وبناتنا في مدارس الأزهر تفتح لنا الباب واسعا للحصول على ألوان مختلفة وشهية من البروتين رخيص الثمن والمتوافر والحمد لله ودون أن نرتكب إثما ، فيقول كتاب "الإقناع في حل الألفاظ أبي شجاع ص ٣١ ، ٣٢ شرح ج ١ المقرر على المرحلة الثانوية الأزهرية : "ويستثنة من النجس ميتة لا دم لها سائل ، بأن لا يسيل دمها عن شق عضو منها في حياتها كزنبور وعقرب ووزغ وذباب وقمل وبرغوث ، لا نحو حية وضفدع وفارة".

ابشروا يا مسلمين جاءكم الفرج ، ويمكنكم أكل الجراد والزنابير والعقارب والأبراص (الوزغ) والذباب والقمل والبراغيث هنينا مريئا حلالا زلالا ، حلا للمشكلة الاقتصادية وإشباعا لملايين الأفواه الجائعة ، وهكذا الحلول وإلا فلا !!

لكن هناك فتاوي أخرى ترى رأيا آخر ، وقد نشرتها نفس الجريدة القومية الكبرى في صفحة الفكر الديني عندما قالت المحررة : "وتساءل الجميع : هل ظهور هذه الجيوش من الجراد بسبب تقصير بعض الجهات"؟!

وبالطبع لم يتساءل الجميع ، لكن السيدة الصحفية ومن لف لفها يرون أنفسهم الجيمع دوما ، ويتصورون كل الناس داخل هذا الجميع ، لأنه لم يعد يسأل مثل تلك الأسئلة

اليوم أحد سواهم ، وهم قلة ليسوا "جميع" ، فالجميع اليوم مشغولون بشئون أخرى ويفكرون بطريقة أخرى ، لكن المدهش أن الأخت الصحفية حملت تساؤلات "جميعها" إلى "الكاتب الإسلامكي الكبير **أحمد بهجت**" ، ومن ثم يشرح قائلا : إن واقعة الجراد هذه لم تضرب مصر لأول مرة، بل أشهرها كانت في عصر موسى عليه السلام وفرعون.. "فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وآيات مفصلات وكانوا قوما مجرمين" ويضيف : "والمصريون إزاء هذا الموقف لجأوا وتوسلوا إلى موسى أن يدعو ربه برحيل أسراب الجراد، ودعا نبي الله ربه عز وجل أن يكشف عنهم هذا العذاب ، ورحل الجراد".

الكبير فيما يبدو لا يعلم أن ظاهرة أسراب الجراد ظاهرة متكررة طوال التاريخ ، وأنها لم تكن هذه المرة فقط ، بل إنها حدثت زمن الصحابة وأكلوه هنئا مريئا وملآوا به البطون ، لأنه كان خيرا عميما ، لكنه في بلد مثل مصر كان هو العذاب ، ليس زمن موسى وحده وليس في زماننا وحده ، وليس لخاطر النبي موسى وانتقاما من المصريين المجرمين وحدهم ، فهي ارتال بحر ظائر من أمواج الجراد هي التي تحدد طريقها وفق اتصالاتها بالبيئة والرياح ، وغريب المسألة هنا أن النبي موسة وهو نبي اليهود وهم شعب بدوي قد سلط الحشرات على مصر بغضب ربه يهوه كما في التوراة لأنه كان عالمابأن الحشرات في بلاد الندرة والبوادي نعمة لأنها مصدر عظيم للبوتين ، لكنها في بلاد الوفرة والزرع نقمة.

تقابلنا معغ صاحب الإجابة هنا مسألتان : الأولى هي عودته المستمرة ومعه أمثاله من الكبار إلى تراث اليهود كلما تعلق الأمر بمصر ، يتحالفون فيها مع يهود الأمس ضد الوطن ، وضد الأسلاف العظام وشماتة فيهم ورفضا لهم وتكفيرا وتجرميا ، ولا تفهم إذن سر عدائهم ليهود اليوم مادام هذا هو منطق الأمور ، اللهم إلا إذا كانت كراهية الأسلام العظام قد فاقت كراهيتم المعلنة ليهود اليوم ، والثانية أمر جلل ومصيبة من العظائم ، ترحل بالولاء بعيدا عن مصر دوما ، فإذا كان الصراع بين مصر واليهود انحاز الكبار لليهود ، وإذا كان الصراع بين مصر وفاتحها العربي انحازوا للغازي وليس لمصر ، فلماذا تنعمون بخير مصر وتلهطون ما منحتكم إياه دون حمد ولا شكور؟! **بل مع ولاء لأي عدو لمصر** ، **ألا ترون قرائى أننا بحاجة لصك قوانين جديدة تحاكم مثل هذا الولاء وتدينه وتعاقبه؟**

لقد جرموا أجدادنا حتى يسلبونا مصر يحكمونها ، ويسلبون مصر ولاؤنا لها ليصبح ولاؤنا لهم هربا من أجدادنا المجرمين.

ولو عدنا للقصة التراثية حول موسى سنجد أن مشكلته كانت مع فرعون واحد مزعوم من بين مئات الفارعين الذين حكموا مصر بالحكمة والقانون والأخلاق ،

نفس فكرة "أسلم تسلم" التي توجه لشخص ملكي ولا يعلم شعبه عنها شيئا ، ويتم عقاب الشعب كله في حالة لم يسلم الفرد الملكي أو الحاكم عند الغزو.

وفي كل الحالات سنلحظ أن العقاب الجماعي يعم كل الناس بإثم فرد ، إن كان قد أثم ، فالكبير يستطرد منوها بقوله : "**وهذه القصة توضح أن الجراد صورة من صور العقاب وآية من آيات الابتلاء والعضب الإلهي على عصيان البشر**".

لكنه لا يقف هنا منفردا وهو يتهم إله الكون العظيم بعدم القدرة على الفرز والتمييز بين الشرير والصالح فيرسل كوارثه على الجميع تأكل الحرث والنسل ، فينضم إليه الدكتور **أحمد عمر هاشم** ، وهو كبير بدوره ويقول كلاما كبيرا أيضا ومنه ثوله : "إن سراب الجراد هي غضب من الله تعالى سببه ما يقع في بعض دور المسلمين من ظلم وإجرام وارتكاب الذنوب ، والله عز وجل ينبه بشيء بسيط ، وهو هذه الأسراب. إن الناس قست قلوبهم ، ولا يرفع هذا البلاء إلى التوبة ، وأن يكف الظامون عن ظلمهم ويثوبوا إلى رشدهم" ، ثم يدعو سيدنا هاشم كافة المسلمين لطرد الجراد كما سبق أن طرده رب موسى بالدعاء التالي : "لا إله إلا الله العظيم الحكيم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم" ، المهم أن الجراد أكل ماشاء وطار عندما شاء ورحل حسب جدوله هو قبل أن ندعو هذا الدعاء ، المشكلة عند الكبيرين هي رؤيتهما أن "جميعهم" هم الأطهار الكبار وليس لهم مثل عامتنا ذنب فيما يحدث من غضب إلهي ، بل هم الناصحون العارفون المطهرون ، جميعهم لم يرتكبوا الذنوب ولم تقس قلوبهم مثلنا جميعا ، فجميعهم حلوين طيبين ، وجميعنا وحشين عصاة ! أليس هذا هو التكفير ؟! وأليست هذه هي عقليه تكفير الناس وتحميلهم ما لا يحتملون من ذنوب نتيجة عقل خرافي أسطوري ، وإدانتهم طوال الوقت بما لم يرتكبوا وإشعارهم بالذنب الأبدي الذي لا ينتهي كي يرضى عنا الله ويرسل لنا أسراب العلماء والعلم الإنساني على كافة صنوفه بدلا من الجراد.

الدكتور عمر هاشم هو نفسه من قال ذات القول أيام الزلزال الذي دمر البيوت فوق رءس البشر وطحن الأسمنت بعجين الأجساد..وقال ذات الكلام : "إن ذلتكم تنبيه بسيط من الله" ، ولم يكن الزلزال تنبيها بسيطا بل كان كارثة قومية أصابت أكثر ما أصابت أصحاب البيوت المتواضعة من فقراء مصر ، وأصابت أكثر ما أصابت الأطفال الذين لا تملك حواسهم إتيان المعاصي والشيوخ الذين كفت حواسهم عن إتيانها لعجزهم ن ومن تمكن من النجاة هم الشباب القادر على إتيان المعصية المقصودة ، إنها عقلية الإبادة الجماعية الذي تأخذ الطالح بالصالح ، عقلية تكفير

الناس للحصول على تفسير لظواهر لا علاقة للدين بها ، ولا مجال لرجال الدين أنفسهم في كل موقف وفي كل حدث ليثبتوا دوام وجودهم حتى فيما لا حاجة لنا بهم.

وإذا كان الجراد – حسب كلام الكبيرين – نقمة وعذابا ويهاجم البلاد الظالم أهلها ، فلماذا أحل الإسلام أكله وكان يهاجم مكة والمدينة طوال العصور وحتى الآن رغم أها أرض الله المقدسة ، وهذ كان الجراد زمن النبي وزمن الصحابة الكرام كمعلوم من الطعام غير المحرم على المسلمين نعمة أم نقمة ؟ وهل كان أهلها من المجرمين والذين قست قلوبهم أم من الصحابة المكرمين ؟ وإذا كان الحال كذلك فلماذا نحن وأسلافنا العظام المجرمين طوال الوقت؟

لماذا لا يتوقف سادتنا أهل الدين عن التدخل في كل شأن في حياتنا بأسلوب أصبح غير محتمل ، لماذا تحريم لعب الطاولة ولماذا تحريم رياضة اليوجا ، لقد حرمتم كل أمر على الناس حتى عادوا كالعرجون القديم ، كالخشب المسندة ، وخلت بلادنا من كل ألوان المرح وانتهت كل الكرنفالات.. فحتى الطاولة أصحبت حراما؟ يا إخواننا اتفقوا مع بعضكم أولاً ، المسلمون عيدوا هذا العام على ثلاثة أيام السبت والأحد واالأثنين ؟ أليس هذا الشأن أجدى من تكفير الناس بالجراد ؟ أبشركم أيها المسلمون ، هناك بحث الآن بين سادتنا المشايخ لإطلاق قمر صناعي إسلامي تكون مهمته رؤية الهلال لتحديد بداية الأشهر العربية ونهايتها؟

"أخضفضوا صوتكم وأنتم تقولون هذا الكلام لأن فضايخنا أمام العالم أصبحت بجلاجل". أترونكم وهذا حالكم بقادرين على إصدار فتاوي تناسب العصر والزمن وتفهم أبسط بسائطه التي يعملها تلامذة الابتدائي أو مفترض أن يعلموها؟! أ تسكتوا أسكت الله لكم حسا؟! بالمناسبة حكاية القمر الصناعي هي قول كبير آخر ، يتحدث هذه الأيام كثيرا فيخطئ كثيرا ونتمنى أن ينعم الله عليه بنعمة الصمت والإنصات أكثر من الكلام.

إن صناع الحضارة لم يكونوا من رجال الأديان السماوية الثلاثة

بل كانت الحضارة أنشط قبل ظهور إكليورس الأديان السماوية ، ثم إن التحضر الحديث لم يحدث إلا بعد التخلص من سطوة الكنيسة ، ولم يحدث لبلد إسلامي واحد سوى تركيا التي تحركت مع **أتاتورك** نحو الحضارة ، إن الحضارة والتقدم لم يقم بهما يوما رجال الدين ، بل كانوا دوما معطلا وقامعا ومانعا.

والموت ضروري للتطور، لأنه لو لم يكن هناك موت لما كان هناك تطور جديد ، فالتطور يعني موت القديم ليفسح المكان لمولد الجديد ، وإن استمر القديم دون موت فلن يكون هناك تطور لجنين جديد ينمو في بيئة جديدة ، والبيئة الجديدة اليوم لا

مجال فيها لمشايخنا ولكلامهم الذي يجب أن يموت حتى لو بقتله ، بقتله بحثا وردا وفضحا ، لنسمح للمستقبل بأن يأتي.

روزاليوسف ٢٠٠٤/١٢/١٠

هنيئا لقطر.. واللهم لا شماتة

فلتهنأ قناة الجزيرة فقد بدأت تحصد زرعها وتسترد بعض بضاعتها التي كانت تصدرها لكل الدنيا ، وضرب الإرهاب الدموي قطر ، هنيئاً يا قطر فقد أحسنت الزرع وآن لك أن تجني بعد أن طاب زرعك واستوى.

أقول هذا رغم أني لا أتمنى أبداً لأهل قطر أي أذى ولا لغيرهم في كل الدنيا ، لكنه القول السديد الذي لا بديل له في الموضع الصحيح. هل أنت سعيد يا أحمد منصور؟ أليس هؤلاء رجالك ونماذجك من بين البشر؟ تراك هل قمت بواجب العزاء؟

وهل من فجر المدرسة في قطر إرهابي أم انتحاري أم فدائي أم مقاوم؟ نحن أهل الحرية وحقوق الإنسان نعزي بقلوبنا ونألم بأكبادنا لكل الأبرياء الذين تحصدهم أفكارك يا أخي المسلم التقي على الطريقة الإخوانية. كنت وفريقك كله من أهل الجزيرة تروجون لهؤلاء وتكسبونهم ثوب الفدائية المدافعة عن الأمة ، وتسوقون لأفكارهم المتطرفة.

ترى هل الاستبداد السياسي في قطر هو ما خلق الإرهاب في قطر أم أن لك هنا نظرية مخالفة لنظريتك عن الاستبداد خالق الإرهاب ؟ لم تقل يوماً يا منصور أن الاستبداد السياسي هو جزء من الحقيقة وليس كل الحقيقة ، فقد دخل الليبراليون المعتقلات ودخل الشيوعيون المعتقلات ، وكلاهما وطني مخلص لاشك فيه وأنت تعلم والكل يعلم ، والدليل أن أحدهما لم يخرج من حبسه ليرفع السلاح في وجه وطنه بحجة الاستبداد السياسي. فقط أنتم يا منصور قبل السجون وبعد السجون لطالما كنتم حلفاء هذا الاستبداد ، ليس اليوم أو الأمس القريب ولكن منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، وما دخلتم السجون إلا عندما اختلفتم في مساحة أطماع كل منكما في التسلط على رقاب العباد.. أما الحقيقة الكاملة فهي الاستبداد الديني الذي يستظل كل أعداء الناس في بلادنا بظله ، وفي المركز الظليل يجلس الاستبداد السياسي في رعايتكم. أم تتجاهل تاريخكم الأسود في مصر؟ مبروك عليك يا منصور فها قد أتاك نصر الله والفتح.

لقد عمدت ثقافة الحقد والكراهية في الجزيرة بشكل دائب على تشويه الآخرين وإعلاء شأن ثقافتها ، ولطالما هاجمت ضيوفها من رموز الحضارة والحريات والتقدم ، للتهوين في شأنهم والتقليل من حجمهم في نظر الناس ، والنيل من كرامتهم تصغيراً وتحقيراً بكل الأساليب الخبيثة الممكنة.

وقد استضافتني الجزيرة في اتجاهها المعاكس ولولا إني رجل بايع ليس عندي ما أخسره سوى وطني وهو كل شيء يملأ فضائي ، وأن يدي يمكن عند الحاجة أن تكون أطول من لساني ما حققت هزيمة الخصمين : مناظري في الحلقة الإرهابى كمال حبيب ، وقناة الجزيرة.

لطالما حاولت الجزيرة الإيعاز أن ثقافتنا هي الأندر بين كل الثقافات وأن رموزنا هم الأنبل بين كل الرموز ، تصغيراً وتنفيراً لمباديء الحريات العلمانية ، مع التشويش على أي ضيف في ديارها يحاول رد الاتهامات ، ودون أي إمكانية لخروج الضيف من الفخ اللئيم إلا بتهمة أشدها أنه يمس ديننا أو رموزنا المقدسة. ومن ثم يقف الضيف أمام حائط سد من المقدسات بينما كل مبادئه التي أرستها الإنسانية في الدنيا مباح مستباح.

ترى كم أصبح رصيد أحمد منصور في بنوك التقوى بعد لقائه بالوديع كالقديسين الدكتور بطرس غالي في برنامجه (شاهد على العصر)؟

تعالوا أهلي وناسي نحاول أن نقرأ فلسفة الفكر الذي وقف وراء حلقات منصور وغالي ، وفي خلفية الذاكرة مشهد منصور البوليسي الغليظ السميك المتجاوز لأبسط لياقات الأدب مع رمز حضاري مثل غالي ، وكيف وجه له إتهامات مباشرة بخيانة القضية الفلسطينية ، بل وإضاعة المصالح المصرية في كامب ديفيد ، ولا يترك للشاهد سوى موقف واحد من الخيانة المسيحية للوطن ، في وقت لا يحتمل في بلادنا مثل هذا التواطؤ العلني مع الفكر الإرهابي والترويج له في منحنى تاريخي لن نسمح إبانه بأي رذاذ يمس الوطن ، وهو ما سأضطر معه إلى كشف فلسفة هؤلاء وتاريخهم الأسود وتعرية فكرهم لنرى كم هي قبيحة وعفنة عوراتهم.

عادة ما يخلط المتأسلمون خلطاً معيباً يشيننا جميعاً ، بين الإسلام كدين وبين الحضارة التي هي فعل إنساني من الألف إلى الياء ، ليقارنوا بين حضارتنا وحضارة الغرب الحر اليوم ، بهدف التأكيد على أننا بحالنا الراهن في قاع تراتب الأمم الأفضل بين الأمم ، لأن عندنا (السورس) بلغة الكمبيوتر الذي يحتاج فقط إلى تشغيل كأيديولوجيا لننتقل في غمضة عين من حال إلى حال.

أقول لكم لماذا يشيننا هذا الخلط؟ لأنه إذا نقلت الإسلام من كونه ديناً إلى كونه حضارة أكون قد حولته من جلاله الرباني ليندمج بالفعل الإنساني ، وما أبعدهما !! ثم أليس الإسلام خاتم الرسالات ، فإذا كان حضارة فكان واجباً أن يحمل معه آخر تطورات العلوم والمعارف حتى آخر الزمان ، ولا يبقى لأحد بعده أي إضافات ، أي يصبح هو على مستوى الحضارة الكمال نفسه ، ولكن ما حدث فعلاً أنه بعد الإسلام

قد حدثت تطورات هائلة في كل العلوم من الفلك إلى الطب إلى الهندسة إلى الكمبيوتر إلى غزو الفضاء إلى هندسة الجينات إلى العلوم الإنسانية الراقية ، وقد حدث ذلك كله بفعل إنساني أكثر بما لا يقارن بما جاءت به السماء؟ أترون كيف يضعون ديننا في موضع النقص وهو في موضع الكمال عندما نعامله كدين فقط؟

لقد ظهرت مباديء جديدة في العالم يلهث الإسلاميون وراءها ليتمسحوا بها عن إيمان داخلي بسموها كحقوق الإنسان والديمقراطية التي تقر الآن كل بلادنا المتخلفة بأنها ضرورة لإجراء إصلاحات عاجلة ، علنا نلحق بآخر تطور للإنسانية على الأرض ، فإذا كان الإسلام سياسة ووضع أكمل المباديء للحكم فكيف يتفق لنا ن نقول بكماله وأمامنا فعلاً ، رؤية وشماً وسمعاً ، حضارة راقية تطرقنا بمطارقها كي نفيق؟

أليس احترام الدين بإبعاده عن السياسة يكون هنا هو الأكثر حكمة وكياسة وفطنة؟

الديمقراطية تقوم أولاً على حقوق الإنسان ، وحقوق الإنسان يقف بينها حقاً دونه الإنسانية هو حق المرأة الكامل كإنسان كامل ، ويقف حق المساواة بين المواطنين بغض النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة أساساً خراسانياً ، هذه هي الحضارة التي تحط الجزيرة طوال الوقت من شأنها لصالح ثقافتنا وتاريخنا الإسلامي باعتباره الحضارة الأرقى ، بينما كان العشرة المبشرون بالجنة كلهم رجال وليس بينهم حتى ولو أماً واحدة من أمهات المؤمنين ، كان المجتمع مجتمع زمانه بطرائق زمانه وقواعد زمانه ، كان مجتمعاً ككل الدنيا أيامها ، عنصريا متعصب لذاته طبقيا ، لكن المجتمع الإسلامي كان عنصري الطبقات وهي أسوأ أنواع الطبقية والعنصرية:

مجتمع الأشراف من قريش

ثم بقية العرب

ثم الحرائر من العرب

ثم العبيد من العرب

ثم الموالي المسلمين من أهل البلاد المفتوحة وهم العامة والعلوج

ثم الزنج الأحرار

ثم العبيد من الرجال المسلمين

ثم العبيد من النساء المسلمات

ثم أهل الذمة من أصحاب البلاد المفتوحة من غير المسلمين.

وتم تفقيه هذا التراتب قانونياً وشرعياً فأبداً لم يستو الحر مع العبد فكل له عقوبة مختلفة عن الآخر ، أبدا لم يستو الذمي مع المولي ، وأبداً لم يستو المولي مع الشريف القرشي ، وأبداً لم تستو المرأة مع الرجل.

كل هذه الطبقات ليس من بينها من له حق تجاه الدولة سوى الأشراف القرشيين ، بينما عليهم جميعاً واجب الطاعة المطلقة ودفع المطلوب لراحة السادة ورفاهيتهم.

فكيف سنواجه بهذا القانون ديمقراطية اليوم؟

وعلام سيقيم دعاة الأحزاب الإسلامية أحزابهم؟

على قوانين كتلتك؟

هل تمزحون؟

أم تراكم تهرفون؟

هل ستواجهون بهذا النظام عالمنا اليوم كما واجه منصور كل قيم الأمم المتحدة وأدانها ، ليترسخ لدى المشاهد بشكل لا واع أن هذه القيم الوضعية بهذا السوء ، ولا يبقى بالطبع سوى قيمنا نحن لتحل محل قيم اليوم الوضعية الظالمة؟ حاول ذلك منصور بخبث معهود فيه لإسقاط المباديء الأخلاقية عن نظام الأمم المتحدة وإظهاره كنظام بربري لأنه من صنع البشر ، وأنه قد فشل في إدارة عالمنا الحديث مما يلزم عنه البحث عما هو أصلح. لقد حاصر غالي وأهانه كرمز لهذا النظام الديمقراطي في العالم بإضعاف موقفه وحجته هو ومؤسسته ذات الأسس النبيلة من حريات ومساواة وحقوق وإنقاذ وسعي في أطراف الأرض لمساعدة الناس دون تفرقة. هي محاولة ضمنية لتأكيد فشل البشر حتى يلجأوا لمندوبي السماء لإدارة الشأن بما يرضي الله.

سيدي الدكتور بطرس غالي ، مثل هؤلاء لا تصلح معهم وداعتك ، فعذراً سيدي ، فأنا بهم أدرى ، وبخطابهم أعلم ، وبهتك خبثهم أنتشي وأسعد ، لأنهم أعداء وطني ومستقبله وأعداء الإنسانية. ولنبدأ معاً سادتي من جرائم البوسنة والهرسك ، التي تم تأنيب غالي والأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد أشد التأنيب عليها لتأخرهم في التدخل لإيقاف تلك الجرائم.

وهنا أجد نفسي مضطراً لشرح بداهات وبسائط للتذكير بأمور تفوت الكثيرين ، فالقاعدة الأخلاقية هي ما يحدد لنا ما هو الخير وما هو الشر ، وهي عامة لا يختلف

عليها من البشر سوى المختلين فقط ، فالقتل شر وهتك العرض شر والسرقة والنهب شر. أما إن وقع اختلاف لعقول صاحية حول ذلك فلابد أن هناك خللاً خلقياً عند المختلف الذى لا يدرك القواعد القانونية التي تشرع وسائل التقويم والردع تصدياً للشر. ويترتب على هذا أن الإنسان الطبيعي هو من يتمكن من التمييز بين الخير والشر بوضوح ، ومن يفشل في هذا التمييز فإنه يكون بالضرورة بربرياً لم يصل بعد إلى رتبة الإنسان.

والمعلوم أن جرائم الإبادة وهتك العرض التي وقعت في البوسنة والهرسك لم تكن بأمر أو تشريع قانوني ، كما لم تكن قواعد أخلاقية معمول بها ، إنما كانت جرائم ضد القاعدة الأخلاقية وضد القانون ، ومن ارتكبوها فعلوها وهم يعلمون أنهم ضد الأخلاق وضد القانون.

نعم تأخر المجتمع الدولي في التصدي لما يحدث هناك ، لحساسية منطقة البلقان التي أشعلت من قبل الحروب العالمية. لكن المجتمع الدولي لم يسكت عنها بل تدخل ووضع حداً لها وقدم المنفذين للمحاكمة ، ولم يؤيد أحد تلك الجرائم ولم يغطي عليها أحد بأي فلسفات ، وتم اقتياد رئيس الدولة إلى السجن ، وقد تم فعل ذلك في عهد بطرس غالي ، ومع ذلك اتهمه منصور بالتستر على الجناه لأنه مسيحي.

أكرر بسائط المعلومات : أن جرائم البوسنة والهرسك قوبلت بالرفض والتنديد والحرب والمحاكمات وأقر المجتمع الدولي كله بأنها جريمة ، ولم تصل إلى حد بيع النساء في أسواق النخاسة ، ولم تلق أي استحسان لكن أحمد منصور وإخوانه لديهم البديل لهذا النظام ، لديهم نظاماً تقوم قواعده الأخلاقية على أن فعل مثلما حدث بالبوسنة والهرسك هو خير وليس شراً ، ولا تتم عقوبته ، ولا يقابل بالاستهجان أو الإستنكار بل بالفخر والاستحسان ، والأدهى أن هذه القواعد الأخلاقية يحميها القانون وبأمره وتتم تحت إشرافه وحمايته ، إن لديهم نظاماً بديلاً هو الأرقى لأنه يشرع خطف الفتيات أطفالاً أو صبايا من أحضان أمهاتهن ، وأخذ الزوجات بعد قتل أزواجهن وتحويلهن من حرائر سادة في وطنهن إلى جواري باسم القانون ، وهم من يريدون تعليم العالم مباديء التحضر والإنسانية. كانت قوانينهم نظاماً يليق بزمانها ومجتمعها وظروفها ، لقد كان الفاتحون بشراً لا ملائكة ولم يكونوا هم الإسلام. الشهادات على ذلك أكثر من أن تحصى ، لكني سأختار عشوائياً بعض شهادات تراثنا فيما يخص مصرنا الغالية الأمس واليوم وغداً وأبداً:

عن زياد بن جزء الزبيدى قال : " لما فتحنا باب إليون – بابليون – تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الإسكندرية ، قرية ، قرية ، حتى وصلنا إلى بلهيب قرية من قرى الريف يقال لها الريش ، وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن ، أرسل

صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص : إني كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلي منكم معشر العرب ، لفارس والروم ، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد عليّ ما أصبتم من سبايا أرضي ، فعلت.

فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب فأجابه : " أما بعد ، فإني جاءني كتابك تذكر إن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصبت من سبايا أراضيه ، ولعمري لجزية قائمة لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلي.. على أن تخيروا من بين أيديكم من سبيلهم بين الإسلام وبين دين قومه "؟!! لاحظ المسبي المهتوك العرض مطلوب تخييره قبل رده لأهله بين الإسلام وبين قومه؟ وما الفعل المفروض أن يكون مقدماً هتك العرض أم الإسلام؟

ولاحظ أيضاً أن المقصود هنا السبي الموجود بمصر في عهده بن العاص وليس ما وصل إلى الجزيرة وتم توزيعه على المؤمنين في مكة والمدينة وخارجها حتى وصلت نساؤنا اليمن !!! "

نستكمل الرواية ، يتابع الصحابي زياد رد الخليفة على بن العاص قائلاً : " أما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإنا لا نقدر على ردهم (؟!!) ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفي له به ". ولنلحظ بشدة هنا التأكيد على قاعدة (الوفاء بالعهد) الأخلاقية ، فهي فضيلة يتم التمسك بها ، وتفريق نساء مصر في البوادي ليركبهن العرب هو بدوره فضيلة انتصار ليس فيها ما يثير مجرد السؤال الأخلاقي ، هكذا كان منطق عرب ذلك الزمان ، وربط التدين بهذا بإعتباره حضارة نستدعيها ضد حضارة اليوم هو على كل المستويات مصيبة أخلاقية وفضيحة مالها من ستر فأسكتوا أسكت الله لكم حساً ، لقد جعلتمونا مسخرة العالمين.

تعتبون على المجتمع الدولي والأمم المتحدة لتأخرها في التدخل؟

لماذا لم تحاسبوهم أنتم؟

هل كنتم قادرين؟

هل كنتم بالأصل تعلمون ما يجري حتى فضحته تلك الحضارة المدانة التي تكيل بمكيالين؟

أليس قتل العراقيين وذبحهم أمام الكاميرات والذي لا يخجلون من إعلانه شراً مستطيراً؟

ومع ذلك تقولون إنه جهاد لتشينوا كل المسلمين في الأرض وتحملونهم ما لا ذنب لهم فيه ولا جريرة سوى أنهم ولدوا مسلمين.

ألا تخجلون من عتاب النظام الدولي الديمقراطي؟

ألم تفكرون يوماً في الإعتذار عن جرائمكم في حق الأمم في عصور الظلام التي تصفونها بأنها كانت عصور النور؟

وترى هل تم هتك أعراض جداتنا أنا وأنت يا منصور وهن سافرات أم تم تحجيبهن قبل هتك عرضهن؟

وهل يقبل سادتنا هؤلاء أن يطبق بوش علينا فقه الجهاد؟

هل هذا ما تقدمونه للإنسانية هدى ونور بدلاً مما هي فيه من ظلام؟

ترى كم سينقل بوش من سبايانا إلى نيويورك وواشنطن؟

وكم من عبيد سيسوق إلى لويزيانا وكاليفورنيا؟

وبالطبع سيكون له الخمس مما ستغنم جيوشه؟

أم ليس من حقه أن يطبق علينا قانوننا نحن؟

وهل لو فعل يكون بربرياً متوحشاً؟

أم هناك خلاف حول القاعدة الأخلاقية؟

هناك خلل في الضمير !!..........هناك خلل في الضمير !!

صحابي آخر يروي لنا عن بطولات أهل النوبة ضد الغزو العربي عن يزيد بن حبيب : " إن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نوبة مصر فقفل المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق من جودة الرمي ، فسموا رماة الحدق ، فلما ولي عبد الله بن أبي سرح مصر ، ولاه إياها عثمان بن عفان ، صالحهم على هدية عدة رؤوس منهم يقودونهم للمسلمين كل سنة ، ويهدي إليهم المسلمين كل سنة طعاماً مسمى وكسوة ونحوه ".

تروى مثل هذه الروايات في تراثنا كمصدر عز وفخر ، وبالمناسبة لا أكتب المصدر هنا لأنه لا يخلو مصدر تراثي تأريخي منها من الطبري إلى ابن كثير إلى ابن الأثير.. كما شئت ، لتأكيد العز والمجد ، لتأكيد أن العرب عندما يهزمون شعباً يأخذون أبناءه الأحرار عبيداً لهم ، يتابع يزيد فيقول : " وأفضى ذلك الصلح عثمان

ومن بعده الولاة والأمراء ، وأقره بن عبد العزيز نظراً منه للمسلمين وإبقاء عليهم ".

وهذا هو ما يسميه سادتنا أصحاب النظرية البديلة للديمقراطية الغربية " إتفاق إذعان " يرفضه الشرع الإسلامي لأنه مفروض من الغالب على المغلوب تحت وطأة السلاح والاحتلال ، إنهم لن يدعوننا إلى الحرية كما هي الأمم المتحدة ، إنما إلى العبودية والذل. هل هذا هو ما ستنافسون به حريات اليوم الليبرالية في نظامها الديمقراطي؟

أتدعون لسبي النساء وركوبهن إغتصاباً (هناك فتوى لخطيب مسجد البصرة بهذا الشأن للإرهابيين العرب بالعراق) ، وتدعون في الوقت نفسه للحجاب والنقاب تعففاً؟!

ما هو الفجور : هتك العرض أم السفور؟

ما هو الشرف وما هي العفة : النقاب أم الاتجار في النساء وركوب أي عدد من الإماء؟

ابحث يا منصور في حضارتك وعرفنا بخليفة واحد ، فقط واحد ، أمر قواد جيوشه الفاتحة في سبيل الله ، أن يعرفوا أهل البلاد المفتوحة بالإسلام ومبادئه ليلتحقوا به عن قناعة وإيمان. ابحث يا منصور عن عدد المناظرات التي أقيمت بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى حتى يبهت الذي كفر. ابحث عن أي خطب تم توجيهها قبل الفتح أو بعد الفتح تجلو للشعوب المفتوحة شأن الإسلام.

ابحث لن تجد سوى الثروات المنهوبة والنساء المهتوكة والجباية بلا حساب. اقرأ معي ما قال أسامة بن زيد كاتب خراج مصر للخليفة سليمان بن عبد الملك عندما طالبه بزيادة حصيلة خراج مصر ، قال : " يا أمير المؤمنين ما جئتك حتى نـُهكت الرعية وجهدت ، فإني أرى أن ترفق بها وترفه عنها وتخفف من خراجها ما تقوى به على عمار بلادها ، وصلاح معايشها فإنه يستدرك ذلك في العام المقبل ، فقال له سليمان : هبلتك أمك ، احلب الدر ، فإن انقطع فاحلب الدم والنجا " (والنجا هي الأمعاء).

هذا هو بديلنا الأصولي الذي نقدمه لعالم اليوم ، أما عن الحريات حتى داخل المجتمع المسلم فدونك ودونها خرق القتاد ، فقرضاوي يطل عليك من الجزيرة (٢٠٠٥/٢/٢٠) ليقول : " إن الإنسان يشرع للإنسان منذ أن يولد إلى أن يموت.. كل شيء لابد أن تتدخل فيه الشريعة وتصدر فيه حكماً.. الإسلام له دوره في توجيه

الحياة كلها.. والثوابت التي لا يمكن التنازل عنها شمول الإسلام الزماني فهو دين الماضي والحاضر والمستقبل ، والشمول المكاني فهو ليس مختصاً بالشرق الأوسط فقط ولا ببلاد العرب فقط.. والشمول الموضوعي أنه يستوعب شئون الحياة كلها.. إن الحركة الإسلامية قد نجحت في إقامة فرد مسلم فأصبحنا نرى المساجد تمتليء بالشباب بعد ما كان لا يردها إلا الشيوخ.. وما كنت ترى إمرأة محجبة والمحجبات الآن بالملايين.. ولو لم تقم الحركة الإسلامية لانتهى أمر الإسلام من الحياة السياسية ، أما ما حققته الصحوة من انتصارات فهو استقطاب الشباب وتعميم الحجاب "

ولا بأس أن يتابع الشاب شعائر دينه فهو الأمر المطلوب لترده صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لكن البأس كل البأس أن يكون الإنسان في نظريتنا البديلة مسلوب الرأي والإرادة والاختيار بالتمام والكمال كما أوضح فضيلته.

سيدي الدكتور غالي لا بأس عليك منهم ، فهاهم يجنون زرعهم ، ومبروك لقطر واللهم لا شماتة.

روز اليوسف

إرهابيونا في الخارج

يعود أول تماس مهم لي بالمسلمين الأمريكان ، إلي برنامج حواري علي قناة MBC وكان عنوانه (**الفوبيا إسلام**) أو الخوف من الإسلام ، و المقصود هو بحث ما شاع عن كون أمريكا أيامها تبحث عن عدو بديل بعد السقوط السوفيتي الهائل ، و أنها وجدته في الخطر الأخضر أو المسلمين ، و هو شائعة راجت قبل ضرب القاعدة لأمريكا في مانهاتن وواشنطن كما لو كانت توطئة لإشاعة جو مشحون بالحذر و الترقب ، لأن أمريكا نوت والنيات لله... الاعتداء علي بلاد العرب و علي المسلمين فهم الخطر البديل للسوفيات ، دون مبرر واضح لوضع المسلمين العرب محل الاتحاد السوفياتي ، لأن هذا الاتحاد كان يملك أكبر قوة ضاربة في العالم مما خلق وقتها ما سمى ميزان الرعب النووي ، كما كان أكبر دول العالم من حيث المساحة ، وكان السابق إلى ارتياد الفضاء ، حتى أصبح هو والولايات المتحدة يتناوبان الخطوات كفرسي رهان.

فمن نحن حتى نضع أنفسنا محل الاتحاد السوفيتي عدواً أخضراً أوأسوداً (؟!).

إن الشائعة كانت شديدة القوة بينما كان المسلمون في الواقع أشد شعوب العالم ضعفاً و تخلفاً و أمية و فقراً فأين الخطر من شعوب لا تملك لنفسها أمراً؟

وقد فسر الأمر نفسه عندما ضربت القاعدة في أمريكا ، لردع أمريكا عن ضرب الخطر الأخضر ، و تبريراً لهذا الردع الهائل الذي ما خطر على قلب بشر ، و عندها لابد أن نفهم أن من أطلق الشائعة و مولها في الصحف العربية و الأجنبية ، هم من كانوا يقفون وراء تسويق الخطر الأمريكي للمسلمين قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، و ضمن هذه العملية التسويقية كانت الحلقة التليفزيونية المشار إليها التي جمعتني مع **نهاد عوض** و جماعته (**كير**).

عرض (عوض) فيلماً تسجيلياً صنعته مؤسسة (كير) يخاطب نخوه المسلمين و شهامة العرب إزاء ما ورد بالفيلم عن شهادات من مسلمي أمريكا تشير إلى المعاناة و الاضطهاد الديني الذي يلقونه في بلاد الحريات ، ومع ذلك يعضون علي إسلامهم بالنواجذ في انتظار المعونات النفطية.

<u>كان فيلما بالفعل ، فيلما كاذباً يرتب شيئاً غير ما يظهر علي السطح. لأن مسلمي أوروبا و أمريكا لم يتعرضوا هناك لشيء من أكاذيب هذا الفيلم و إلا عادوا إلي ديارهم التي خرجوا منها و هجروها سعياً من أجل عيش أفضل و كرامة أعلى و أكثر صوناً.</u>

كانت الكذبة الثانية من جاري على المنصة الملتحي السيد نهاد عوض أشنع من فيلمه ، فقد رفع كتابا كان أمامه و فتحه على صفحات بذاتها ليقول لنا كيف يكره الأمريكان دين المسلمين ، حيث ذكرت تلك الصفحات أن النبي محمد تزوج بصفية بنت حي بن أخطب بعد أن قتل أبيها و زوجها و عامة عشيرتها.

كان عوض بهدوئه الرهباني المدروس وصوته الناعس المشيخي يقدم للمسلمين سبباً أخر لكراهية أمريكا المحرقة ، بعد أن افترت على نبينا ظلماً ، و يقدم لهم أيضا نفسه و مؤسسته ترويجاً لجمع الأموال ، شارحاً كيف رفعوا دعوى قضائية ضد هذا الكتاب الذي تم تأليفه هناك.

و كيف كسبت (كير) القضية بعد أن أمر القاضي بحذف هذا الجزء من الكتاب.

وهكذا يضحك المسلمون على ذقن العدالة الأمريكية ، و يضربون أكثر من هدف بطلقة واحدة ، فهذا المكسب كان خليقاً بتدفق مكاسب أخرى عظيمة على تلك المؤسسة الإسلامية الأمريكية التي أقامها أبناؤنا في الخارج.. ولا فخر**!!**

إن قصة (صفية بنت حي بن أخطب كما رواها الجزء المحذوف من الكتاب المؤلف ضد الإسلام خصيصاً و يدرس للطلبة و هنا الكارثة في مدارس أمريكا) لا يخلو منها مصدر إسلامي وسأحكيها لكم بنصها من ثلاث مصادر أساسية لكل دارس للإسلام بالأزهر وخارج الأزهر.

من **ابن كثير** زعيم طبقة كتاب السنة ، **وابن سعد** صاحب كتاب الطبقات الكبير ، **والبهيقي** صاحب دلائل النبوة ، صفحات (ابن سعد مج ٢ ج١ص٨٤) ، و(ابن كثير البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٩٧) ، و البهيقي (دلائل النبوة ج٤ص٢٣:٢٣٢).

تروى هذه المصادر فتقول في راويتها لما حدث في غزوة خيبر "عن أنس ، جُمع السبي ، فجاء دحية الكلبي فقال رسول الله أعطني جارية من السبي ، قال : اذهب فخذ جارية ، فأخذ صفية بنت حيي بن أخطب ، فجاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال : يا نبي الله ، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيد قريظة و النضير ، ما تصلح إلا لك ، قال: ادعوا بها ، فلما نظر إليها (ص) قال : خذ جارية من السبي غيرها" ، و يحكى ابن كثير"عن أنس بن مالك قال :قدمنا خيبر ، فلما فتح (ص) الحصن ذُكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب ، و قد قتل زوجها ، وكانت عروساً ، فاصطفاها لنفسه ".

وما ارتحل جيش المسلمين عن خيبر حتى أناخ في سد الصهباء على الطريق إلى يثرب ، و ضربت للنبي وصفية خيمة ، ظلا فيها معاً ثلاثة أيام و أقام ثلاثة أيام

يبني بها.. وكانت التي جملتها لرسول الله و أصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بنماالك وقد بات أبو أيوب ليلة دخل بها رسول الله (ص) قائماً قريباً من قبته ، فلما خرج الرسول من القبة سأله عن طوافه حول القبة كل ذلك الوقت ، فرد أبو أيوب : لما دخلت بهذه المرأة و تذكرت أنه قتلت أباها و أخاها و زوجها و عامة عشيرتها ، فخفت لعمر الله أن تغتالك ".

نحن (القارئ و أنا) مع من هنا؟ نحن مع الضمير الصاحي الحي بالطبع ، نحن مع الراوية الصادقة ، ولسنا مع كير وعوضها فيما فعلا نصباً على المسلمين و على الأمريكيين ، كما لو كان الحدث يقاس على قيم اليوم وخاصة قيم الأمريكان وقوانينهم. لأن الحدث كان حدث زمانه بظروف زمانه بمنطق زمانه بقوانين حروب زمانه ، برق و سبي زمانه ، وذوق زمانه ، ولم يكن شأناً معيباً لصاحبه بل كان مصدراً للفخر والعزة بالانتصار ، لأن القيم تتغير معاييرها بين زمن و زمن و مكان و مكان ومجتمع و مجتمع ، ولم يكن العالم قد اجتمع بعد ليضع مواثيق معاهدة جنيف.

هكذا كانت قيمهم و علينا أن نعترف بهذا ببساطة ، و أنها مثلها مثل كثير في تراثنا لم يعد يصلح لزماننا. فلا شئ في الدنيا يصلح لكل زمان و مكان كما يريد مشايخنا أن يوهموا المسلمين البسطاء. كان السيد عوض جالساً إلى جواري ، تناولت الكتاب الذي رفعه مؤكداً كيف يهزأ بالإسلام و نبيه و كيف كسب قضية زوراً ضد الله وضد المسلمين و ضد الأمريكان و ضد القانون وضد نفسه ، فإذا بعنوان الكتاب The religion in the world أي " الدين في العالم " أي أن الكتاب ليس موجهاً ضد المسلمين بمؤامرة محبوكة ضدنا ، **فنحن من يصنع المؤامرات ولو كذبا على أنفسنا** ، الكتاب حسب الفهرست يعطي فكرة عامة عن كل دين مع نصوص من تلك الأديان : فهم هناك لا يدرسون التربية المسيحية ولا اليهودية ، فقط من يدرس هناك تربية

دينية هم المسلمون ، يدرسون تربية إسلامية في مدارس خاصة تزيد على المئتين تدعمها الحكومة الأمريكية مالياً! إضافة بالطبع إلى مدارس اللاهوت المتخصصة.

هذه الكذبة التي تخرق القتاد جعلت من كير وصاحبها أكبر مؤسسة دعوية إسلامية في أمريكا ، وصاحبة أكبر مسجد ، زاره الرئيس بوش بعد ضربة القاعدة مباشرة ، ووقف إلي جوار السيد نهاد عوض ، ليحذر الأمريكيين من تعميم كراهية القاعدة علي كل المسلمين ، مؤكداً علي مواطنة مسلمي أمريكا ، وعلي سماحة الإسلام ، بغرض عدم تعرض المسلمين لأذى من إخوانهم في الوطن هناك من غير المسلمين ، كنتيجة للضربة الهائلة في ٢٠٠١.

وهكذا كان السيد كير مستمراً في فيلمه الرديء وكذبه الرخيص لكنه أثمر و أنجز وتضخم شأنه بعد هذه الأحداث بحسبانه من المسلمين المعتدلين.

في تحقيق للأستاذة إقبال السباعي بعدد روز اليوسف الصادر في ٢٠٠٥/٦/٤ حول المسلمين في بلاد الغرب ، وكيف طرقت الموضوع مع أطراف عدة وقدمت تقارير قادمة من السفارات هناك ، واستقصت أراء المتخصصين حول هذه التقارير ، "لإيجاد حلول..تعيد إلى الإسلام صورته الصحيحة ".

وإن كانت صورة الإسلام الصحيحة هذه دوننا و دونها بحر الظلمات وجبل قاف ، فالتجديد الوهابي للمذهب الحنبلي ومعه مشايخ مصر التابعين لهم بإحسان ، وتلفزيون وتعليم مصر ، التابعين لهم بدون سبب ، كلهم يؤكدون أن الوهابية الحنبلية القطبية هي الدين الصحيح.

الدين الصحيح

عبارة استخدمها قبلهم المرابطون وأقاموا دولتهم

و قالها بن عبد الوهاب لابن سعود وأقاما دولتهما

و قالها الفاطميون للمصريين و أقاموا دولتهم

و قالها العباسيون وقتلوا بها الأمويين ، وأقاموا دولتهم

و قالها الأمويين و أقاموا دولتهم فوق جثث آل بيت النبي في عملية إفناء ، و أباده تامة

و قالتها المهدية في السودان

و قالتها الخوارج ، وقالها كل طامع في الحكم منطلقاً من حيازته لصحيح الدين

و كلهم كان بإمكانهم (لمدى الخلافات الهائلة بينهم في فهم الدين و تطبيقاته) أن يقول كل منهم بدين جديد ، ولكن لأن محمد كان خاتم النبيين فلم يعد مسموحاً بوجود أنبياء جدد ، إنما المسموح كل واحد يعمل له دين جديد و ينسبه للإسلام باعتباره الإسلام الوحيد الصحيح ، بينما هي إسلامات لا تلتقي بالمرة.

لو لم يقل محمد أنه الخاتم لكان كل من هؤلاء مسيلمة جديد ، و سجاح جديدة ، أو هم كذلك فعلاً.

المسألة في الإسلام لا تحتاج جهداً كبيراً لأن الإسلام لم يأت بمعجزات كإحياء الطير المقطع أو تحويل العصا إلى حية أو إشفاء الأكمة و الأبرص ، و مادامت المسألة مجرد كلام و أفكار ، فقد قاموا يقولون لنا كلاماً يفتئتون به على ديننا و آيات ربنا ، و آهو كله كلام في كلام!!

ثم لخصت لنا الأستاذة إقبال مجموعة من التقارير القادمة من الخارج و التي أحيلت لمجلس البحوث الأزهري ليرى فيها رأيه (؟! **تصوروا تقارير من وزارة الخارجية ، يعني أعلى مستويات الفهم السياسي بالفرض الجدلي في مصر ، تم تحويلها للأزهر؟** و ليس للباحثين المتخصصين في الشأن السياسي وفق مبادئ علمية صارمة ، ولا حتى لمركز بحثي من مراكز الحكومة؟! فالأزهر أزهرنا و الخارجية خارجيتنا و زيتنا في دقيقنا!

تعالوا نقرا موجز هذه التقارير "تؤكد جميعها أن الإسلام يتعرض لحملة هجوم عنيفة في الخارج ، و أن معظم الغرب لا يعرف شيئاً عن الدين الإسلامي ، ويعتقدون أن العرب يكرهونهم ، و أن المسلم إرهابي متخلف يهوي تعدد الزوجات ، و يعامل النساء بعنف ، و يرغم زوجاته على ارتداء الحجاب كما يرغم بناته على الزواج ، بعد إخضاعهن لعملية الختان التي تعد من أقسى أشكال العنف ضد المرأة".

و إن كانت التقارير ترى أن الغرب لا يعرف شيئاً عن الدين الإسلامي بموجب ما جاء في هذه التقارير ، فيبدوا أن دبلوماسيينا في الخارج هم من لا يعرفون شيئاً عن الدين الإسلامي ، و أن هذا الغرب هو من يعرفنا حق المعرفة ، وليس في مضمون تلك التقارير حسبما أوجزت الأستاذة إقبال ما يشكل حملة علي الإسلام ، بقدر ما هي تعريف بالمسلمين ، لأن الحملات أما تكون باختراع الافتراءات اختراعاً من عدم ، أو إخفاء ما يلزم إخفاءه لإنجاح الحملة ، و كل هذا لا ينطبق مع ما يعتقده الغرب عنا ، فما يعتقده عنا صورة نحن من رسم كل تفاصيلها ، ولا يحمل علينا بما يعتقد عنا ، لأنهم لم يخترعوا و يضخموا كراهية العرب لهم ، و يكفي أن تدافع عن الغرب أمام أي مصري من أي مستوى ثقافي ليثبت لك أن عداء الغرب و كراهية أمريكا هما مقياس مدى صدقية مواطنة المواطن ، وعدا ذلك هو الخيانة والعمالة والتآمر و ربما الصهيونية أيضاً ألا ترون أن تقاريرنا الدبلوماسية العليا تفكر بدورها بعقلية (كير)؟!

نعم بيننا من لا يكره الغرب ، و بيننا من لا يكره أحداً بل يحب كل ما خلق الله ، هناك علمانيون لا يمارسون أي كراهية ، لكنهم عند أهلهم مارقين خارجين بعلمانيتهم كأصحاب أي دين أخر ، غير المسلم ومعة العلماني المسلم هم كفرة و

عدو مستباح عند القدرة. بل أن هذه الكراهية من وجهة نظر المذهب السائد حالياً في تفسير القرآن ، هي عمدة من أعمدة الدين و من أنكرها أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أنكر ما يسمونه " عقيدة الولاء و البراء".

لا شك أن المسلم إذا كان يعيش في الغرب بهذه القيم و بهذه العقلية التي شاهدنا نموذجها تقاريراً في خارجيتنا التي حولت الشأن إلى الأزهر الشريف ليحل لنا مشكلة أبناءنا في الخارج.

إذا كان المسلم في الغرب يعيش وفق هذه المبادئ فلا شك أنه يعاني من مشكلة كبيرة و عظيمة ، لأن هذا الغرب لا يكرهه بدليل أنه استقبله و أدخل أبناءه و بناته معاهد العلم الرفيع ، و أسبغ عليه جنسيته ، ووضعه في المواطنة مثله مثل رئيس الجمهورية حقاً وواجباً ، و ذهب الأكثرية هاربون من بلادنا حيث إسلامنا ومشايخنا و استبدادنا.... إلى بلاد الغرب الكافر ، فأطعمهم من جوع و آمنهم من خوف ، لكن الفريضة تتطلب الضغينة و أن يضمر لهم البغضاء حباً في الله ، و إن تمكن من إظهار الكراهية فذلك يكون عند الله أفضل جداً ، و هو كلام سبق و شرحنا و رصدنا مصادره ، مصدر يدعم مصدراً ، في هذه المجلة ، و في كتب نحيل إليها مثل (شكراً بن لادن ، ، الإسلاميات ، الفاشيون والوطن ، أهل الدين والديمقراطية). ولا شك أن الغربي المشغول بعلوم الزمن الآتي ليس لديه الوقت و ربما الرغبة ليطلع على تراثنا و يعرف أن كراهيته فرض علينا ، فلا شك أن ذلك قد تكون نتيجة فعالنا نحن في بلاد الغرب و فعال أبنائنا في الخارج.

وكون العربي يعامل زوجته بعنف ، فهو شرف لا ينكره العربي و مأثرة يدعيها و يفاخر بها أمام الناس ، أما كيف يتم ضرب النساء في الشوارع من الرجال ، فهناك فيلم موجود الآن على كل جهاز كمبيوتر تقريباً ، لرجل يضرب بالكرباج نسوة يلبسن الشادور فى الشرع العام لمجرد أنهن تجمعن و تكلمن بصوتهن العورة ، و ضربها مسموح به قرآنياً لتأديبها ، و الشرع يضع الرجل قواماً عليها ، وله الولاية عليها و طاعتها لزوجها مصدر رضى و ابتهاج سماوي ، بيده طلاقها ، و هي نصفه شهادة و ميراثاً.

قوانينا مصدر عز رجالنا و هي لنا فخر العالمين ، لكن لأن لكل بلاد و لكل زمن أعرافه و قيمه التي يرسيها القانون ، فقد هاجر **محمد كمال مصطفى** إلى أسبانيا و أرتقي إماماً لمسجد مدينة فيونغيرولا بجنوب أسبانيا ، لكنه كان مخلصاً لقيم بلاده وقوانينها ، فكتب كتاباً بعنوان (النساء في الإسلام) ، وشرح فيه للمسلمين في بلاد الغرب كيف يمكنهم تأديب زوجاتهم بالضرب الشرعي ، دون أن يتركوا في البدن أثراً يدينهم أمام القانون الكافر ، وفي المحكمة قال الإمام الكاذب المدلس للمحكمة

التي حكمت عليه بالسجن :"إني أرفض العنف ضد النساء ، وإنما كتبت كتابي حسب نصوص القرآن /الشرق الأوسط ٢٠٠٤/١٢/٢٢".

نعم يعيش أبناؤنا في الخارج مشكلة ضخمة ، فهم يهاجرون من مواطنهم ، و يرفضون الاندماج في موطنهم الجديد ، و مكلفون بكراهية من استضافوهم في بلادهم ، كما أنه ليس بإمكانهم ضرب نسائهم ، إضافة إلى كونهم لا يستطيعون الزواج الذي يحرمه القانون الدانمركي (حسب الأستاذة إقبال) قبل سن ٢٤ ، بينما للفتاة المسلمة أن تتزوج و هي في سن تسع شرعاً؟!

أترون كيف يرهبون أهلنا المسلمين في بلاد الشرك والطاغوت؟ المخرج الهولندي فان جوخ الابن ، تم قتله لأنه أخرج فيلم بعنوان (الخضوع) و فيه ما يسئ للإسلام فعلاً ، لكن هل الجزاء يكون قراراً فردياً يتخذه مواطن دون محاكمة و يقوم بتنفيذ القرار؟ إن بلادهم حينئذ لن تفهم عنا سوى أننا برابرة همج متوحشين لا نحترم القانون.

داعية إسلامي في الدانمرك التي أرسلت سفارتنا فيها تقاريرها إلى الأزهر ، اسمه **سعيد منصور** وزع على المسلمين شريطاً يدعوهم فيه الالتحاق بالزرقاوي في العراق ، رغم أن مواطني الدانمرك تحديداً دعموا قضايانا أكثر مما دعمتها حكومتنا أو شعوبنا.

كيف نريدهم أن يروننا إذن؟ و أيمن الظواهري قد سمى الدانمرك والنرويج و استراليا و طبعاً أمريكا لعمليات إسلامية انتحارية قادمة؟!

خطيب المسجد التركي في ألمانيا (التي تشكو سفارتنا فيها بدورها) كان يحرض على العنف و العمليات الانتحارية ، فلما صدر ضده الحكم بالحبس والترحيل ، هرب ، و فضل أن يظل هارباً في ألمانيا على أن يعود إلى بلاد المسلمين حيث قضاياه ومبادئه أو للشهادة في سبيل الله في العراق أو إسرائيل أو أفغانستان أودارفور أو حيثما ألقت.

في قلب لندن خرج أبو حمزة المصري رافعاً يده الخطافية إرهاباً ووراءه حشد من المسلمين ليصلوا وسط الشارع إقفالاً له ووقفاً لحركة المرور ، فقام البوليس بحمايتهم إلى أن انتهت الصلاة ، وذلك إعلاماً لإنجلترا بدين الإسلام فإن لم يسلموا بعد هذا المشهد نكون قد بلغنا و اللهم فاشهد أننا سنستشهد.

و **حزب التحرير الإسلامي** الممنوع في كل بقاع المسلمين ، هو ناشط كبير في أوروبا ولندن ، يعلن أنه سيقيم الخلافة القرشية فوق الكرة الأرضية ، و أنه

سيعرض الإسلام على ملكة بريطانيا و إلا فعليها دفع الجزية ، وهم يأكلون و يشربون وينامون في حماية قانون اللجوء الذي جعل من دخل لندن كان آمناً**!!**... و يطالبون أهل لندن بدفع الجزية ، وبعضهم أفتى أن المعونات التى تقدمها لهم تلك الحكومات هى البديل الشرعى للجزية**!!**

كان حل هذه المشاكل لأبنائنا في الخارج معلقاً بحبل الحلم المجيد القديم ، فيما لو تمكن العرب الفاتحون في عهد الفتوحات من اكتساح أوروبا بأكملها ، إذن لعاش العالم كله في هدوء و سكينة و تراض وراحة بال ، ولما خرجت علينا حضارتهم الغربية وأنظمتهم السياسية الكفرية ، التي سمحت للمطاردين في بلادنا باللجوء لبلادهم و لذبحناهم في بلادنا دون مشاكل ، و لما عرفنا حياتهم الاجتماعية المغموسة في الرذيلة ، و لما كان هناك ضجيج آلات المصانع و بدع مبتدعة ، ناهيك عن دخان سياراتهم و مصانعهم الذي خرم طبقة الأوزون خرماً ، إضافة إلى ما لا نراه مباشرة من عوادم الصواريخ والطائرات و الغواصات و السفن و الدبابات.

و لما ظهر أصحاب البدع أمثال لافوزييه أو داروين أو آنيشتين أو فرويد أو الإخوة رايت أو المصيبة الكبيرة أديسون ، وبالتأكيد ما كان سيظهر مطلقاً روسو او فولتير أو دوركهايم ، ولا كانت الزيادة السكانية قد حدثت في بلادنا بسبب طبهم المتطور ، فأصبحنا نعاني من زيادة سكانية أكلت الحرث و النسل ، ودفعتنا للاقتراض منهم و أخذ المعونات.

و لأمكن للجمل أن يحتفظ بهيبته كضرورة نقل استراتيجية ، و لظل الحصان حيواناً كريماً لا يركبه إلا العرب وحدهم دون كل الموالي و أهل الذمة في البلاد المفتوحة عملاً بشروط عهد الذمة العمري ، و لاحتفظت جزيرة العرب بأصالتها من بعير و بغال و بيوت شعر و غنم ، في صحة وعافية ، و لظل بترولها محفوظاً في بطن أرضها من غير سوء ، و لما ظهرت لنا مشكلة إرهابيونا في الخارج.

إذا كنتم تعاونون سادتي في الغرب الكافر فلتعودوا إلى أرض الإسلام بما غنمتم و كفى المؤمنين القتال ، لأن لدينا هنا في الداخل مشاكل حقيقية نريد أن نتفرغ لحلها ، وموضوعكم عند أزهركم ، فكلاكما صنوٌ للأخر... و دمتم.

الأحد ٢٠٠٥/٦/١٤

الملجمون في الأرض

ماذا حدث لدين المسلمين على يد فقهاء السلاطين

تعالوا نتذكر ما سبق وأكدنا عليه في أعداد هذه المجلة حول ما حدث لدين المسلمين على يد فقهاء السلاطين ، بعد أن كان مفتوحا على الواقع المتغير وعلى السماء إبان تواجد صاحب الدعوة ، وكيف أن السماء قد تجاوبت مع الأرض وتتبعت أحداثها المتغيرة بمتغيرات مشابهة في النص القرآني ، تلائم الجديد وتتفاعل في نسخ وإبدال وإنساء ومحو وقراءات متعددة بأحرف سبعة أو أكثر .

لكن مع موت النبي ونشوء طوارئ جديدة ، كان سببها تشبث أبي بكر بالخلافة في ظل معارضة الذين منعوا الزكاة والآخرين الذين ارتدوا ، **فقد ارتبط الإسلام بالخليفة وتم تحويل الإسلام إلى مبرر للسلطان وقراراته ، ومن بعده أصبح الدين ورجاله في خدمة السلاطين على اختلافهم** ، واستبعد المسلمون من طرح فهمهم لدينهم في ضوء المتغيرات ، وتم ربط الفهم للدين بمعارضة السلطة أو موافقتها .

وتوافقت السلطات الدينية والدنيوية على احتكار فهم نصوص الدين وتكفير وتبديع ومطاردة وتصفية أي فهم مختلف معارض.

حتى كرس الخليفة الثالث عثمان الربط القانوني الشرعي الوحيد للنص بالسلطة وتفسيرها للنص ، وتم قصر فهم كلام الله على فرقة وحيدة هي حليفة الحاكم ، ومن ثم أصبح الفهم ليس شأنا إنسانيا متفاوتا بين الأفراد حسب ثقافاتهم ، وإنما أصبح شأن السلطة والحكومة

لذلك تم التنكيل عبر التاريخ بكافة الفرق التي حاولت إنتاج فهمها الخاص لدينها ، وتم اعتبارها مارقة على الدين والوطن معا لمعارضتها الفهم الوحيد الرسمي ، ومن ثم تحول الإسلام عن فضاء مفتوح مطبوع بطابع بيئته الصحراوية والمفتوحة ، إلى حرز مغلق ملزم للجميع وفق المفهوم المحدد رسميا ، بل وتم وضع شروط لأي مجتهد تجعله في البدء ملتزما بفهم حلف الفقيه (السلطان) للنص ، أو يدور في فلك هذا الفهم وحده في مسائل جزئية محكومة بالأصل ، وهكذا ، ومن فجره تمت سرقة إسلامنا منا ، لينغلق على فهم ١٤٠٠ عام مضت أقصى عنه الرأي المختلف عما فهمته السلطة الرسمية الصحابية في فجرها ، بتقديس أسلاف بعينهم تم وضعهم في رتبة تجعل من تصرفاتهم ومواقفهم - حتى لو عارضت الإسلام البكر - مقدسات للمسلمين حتى الأبد ، مع تقديس شخوص أصحاب هذه القرارات حتى تتقدس قراراتهم ليصبحوا بعددهم وعدتهم أسيادا للمسلمين كما الرب سيدا ، رغم أن رب

الإسلام لم يمنح أحدا حق هذه السيادة المطلقة إلا لنبيه وحده ، وفي بعض الحالات يمكنك أن تكتشف أن النبي نفسه لم يحز هذه السيادة والإطلاقية التي منحها الفهم الرسمي لنفسه ولسلطته ورجاله وسلفه الصالح.

وهكذا دعم رجل الدين المحترف مركزه المرموق والسلطوي العظيم بالدين ، وشكل أبشع شكل انتهازي في التاريخ لدين المسلمين ، لكنه في نفس الوقت تمكن من أن يجلس أمام المسلمين في مقعد نبي المسلمين الخالي بوفاته ، ليعظ ويفتي ويحكم وينفذ أحكامه ، حتى بات مترسبا في أذهان المسلمين بشكل لا واع أن هؤلاء المحترفين هم القادرون وحدهم على التواصل مع دين تباعد عن مفاعيل الزمان المتطور ، وأصبح طلاسم غامضة ، وللغوص فيه مختصون مدربون مهرة لهم باع تخصصي ، من نوع يضفي عليهم القداسة

وليس مطلوبا من المسلم العادي مثل هذا الغوص الخطر ، وأصبح وجود رجل الدين في الإسلام ضرورة ، **وهو الدين الوحيد الذي لم ينص لا معنى ولا مبني على شيء اسمه رجل الدين .**

وما تباعد الدين عن فهم الناس إلا لأنه مغلق على معنى واحد ، ولأن هذا الفهم قد تمت سياجته بشروط تعجيزية وإضافات وحشو من قواعد فقهيه وحديث وتفاسير وتفاسير للتفاسير ، جعلت من دين المسلمين أكبر دين في العالم من حيث مساحته الثقافية وجداول شروط التعامل معه ، حتى بات الأصعب في التعامل معه بين الأديان رغم أنه في بكارته كان هو الأبسط بين كل الأديان .

منذ برز الغزالي (أبو حامد / حجة الإسلام) وألجم العوام عن علم الكلام (حسب عنوان كتابه الأشهر) تمت فلسفة استبعاد المسلمين عن التحدث في شئون الدين ، وتم قصر الإفتاء على المؤهلين له ، ليفتوا للملجمين في الأرض في كل حركة أو إشارة أو سكنة ، وجعل المحترفون أنفسهم هم أهل الذكر المقصودين بالأيات "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" رغم أن المقصود بها في بكارة الوحي هو سؤال أهل الكتاب للتيقن من صدق الوحي الإسلامي .

مع ختم الفم بالشمع الأحمر التاريخي بتحبيذ اتباع أوامر الأيات القائلة : "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم" "١٠١ / المائدة" .

أسس الأكليروس الحصين حلف السلطان لتحبيذ عدم السؤال وعدم المعرفة وتأكيد مستمر على قصور عقولنا ، لأن الله خلق لها سبل معرفة محدودة محددة هي أن نسأل أهل الذكر ونأخذ بإجاباتهم ، كما كان واجبهم قبلنا أن يسألوا سابقيهم ليأخذوا

إجاباتهم ، وهكذا كان النقل ، فالنقل حتى نصل إلى القرن السابع عند الحلف السلطاني الأول .

لقد تم من البدء التأكيد على حرمة السؤال خارج المسموح به من لطاقات الفتاوي اللذائذية الغرائبية وأغلبها الغرائزية ، **وعدا المسموح لا أحد يسأل نفسه ليبحث بنفسه عن جواب ، لأن هذا البحث سيؤدي لاستخدام العقل الذي هو ميزة الإنسان عن الوحوش والبهائم ، واستخدام العقل سيجر إلى التفكير المنطقي ، والتفكير المنطقي سيسقط الخرافة ويتحداها ، وهي إحدى أهم أدوات الرأي السلطاني ، لذلك كان القرار هو تحريم السؤال .**

لقد تم من البدء تكفير أي ابتداع جديد ، بل أصبح الابتداع الذي تسعى إليه البشرية في كل مكان ، وصمة عار تلحق بالعبد الصالح إن حاوله ، لأن كل بدعة ضلالة ، بتجريم صارم واضح مباشر لكل إبداع ، ورغم أن المقصود بهذا الحديث إن كان صحيحا هو الابتداع في شئون التعبد وحدها ، فإن سادتنا وسعوا المعنى بقدر اتساع ذممهم . ليضربوا لنا الأمثلة من تاريخ الدعوة وكيف ضرب النبي في صدر البدوي الشاك فزال شكه ، وكيف خضع الغزالي لشروط الإيمان بعد الشك فقذف الله في صدره بنور الإيمان : كتابه (المنقذ من الضلال).

بل إن النبي نفسه عندما كانت توجه له الأسئلة طلبا للمعرفة ، فإنه ما كان يجيب من نفسه إنما ينتظر إجابة السماء ، في أسئلة حول بسائط المعلومات كالأهلة واليتامى والأنفال وذي القرنين .. إلخ ، ومن ثم تم وضع المسلم في مأزق الحصول على المعرفة وهو ليس بنبي ، ليقيم المحترفون من سدنة الدين أنفسهم مكان نبي المسلمين ، وسطاء بين البشر والسماء يجيبون لهم بأسئلة هي الصواب المطلق الذي لا يأتيه الباطل . رغم علم سادتنا هؤلاء أن ذلك يعني نقصا رئيسيا في الإسلام ، وأنهم جاءوا ليكملوا هذا النقص كلما اتسع ، **وهو ما يعني أيضا أن النبي قد قصر في إبلاغ كامل دعوته لأمته ليعطي المجال للسدنة من بعده ليقوموا بوظيفة الإكمال المستمرة عبر التاريخ ، دون أن يتحقق هذا الاكتمال يوما ، بدليل ما يضيفونه كل يوم** ، رغم تأكيدهم للآيات "وما فرطنا في الكتاب من شيء" لكنها هي الآيات نفسها التي يستخدمونها لدعم سيادتهم ، لأن الآية تؤكد المصدر السماوي للمعرفة الذي لا يطاله المسلم العادي إلا عبر المتخصص الدعوي .. ولمزيد من تأكيد أن المعرفة ليست خارج الإسلام أبدا يتم تأكيد تفسيرهم للآيات "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" "٣ / المائدة" وأن هذه النعمة التامة تتضمن كل جواب على أي سؤال . أي أن أكتمال الرسالة يعني اكتمال

معارف البشرية بتمامها وليس بإمكاننا أي إضافة جديدة أو بذل أي جهد جديد خارج هذه المعرفة المكتملة .

وكي يتمكن حلف الكاهن والسلطان من الحصول على أعظم نصيب ممكن من النعم ، جعلوا المسلم في رؤيته المستقبلية لا يرى مستقبل حياته في أرضه وكيف ليكون أفضل ، بل يقفزون به إلى مستقبل أبعد هو الحياة الأخرى لأن الحياة الدنيا هي متاع الغرور وهي إلى الفناء ، بينما الباقيات الصالحات خير عند ربك وأبقى.

ومن ثم تم صرف الناس عن متاع الدنيا الذي هو جزء من التفاعل معها ، وتطويرها لمزيد من الرفاه والسعادة ، إلى متاع الآخرة حيث يسكرون وينزون على الحور العين ويعيشون لذة الخلد الكسول أبدا الدهر ، تاركين الآثام للحلف السيادي يستمتع في قصوره بالشراب والجواري الحسان ، بينما كان أهل الدين يجلدون الناس في الشارع على شرب الخمر ويرجمون الزناة ، ليس فقط لجرهم إلى الجنة بالسلاسل ، ولكن لصرف العامة عن نعم وبلهنية ، تكفي بالكاد حلفاء السلطان في عيشتهم الراضية التي تطلب دوما المزيد ؟

وبسبيل تأكيد وتركيز الثروة كان يتم نزح ثروات المواطن والبلاد الإسلامية الخاضعة والإفراط في الجباية ، وهو مبدأ لازال يسري حتى اليوم منعا لحدوث مساحات تقارب أو مساواة ، لأن المساواة هي العدو الأكبر لحلف السلطان الديكتاتوري ، لأنها تؤدي إلى تسامح المتساوين مع بعضهم البعض ، ومن ثم ينبذ المجتمع التعصب ، لهذا يصر تاريخنا السلطاني على عدم السماح بتسرب السماحة إلى المجتمع ، بوضع نظرية المؤامرة الكونية الكبرى التاريخية ضد الإسلام ، منذ ابن سبأ الذي أشعل الفتنة الكبرى وحتى اليوم .

وهي المؤامرة التي لابد أن تفرض على العامة الانصياع للحلف السلطوي ، لأنه حامي حمى الدين والديار من العدوان الخارجي ومن المؤامرة ، ليصبح صحيح الإخلاص للأمة والدين هو إخراس أي صوت يعلو فوق صوت معركة دائمة ، يخوضها المسلمون دفاعا عن أنفسهم ضد المؤامرة العالمية التاريخية الصهيونية الصليبية الإستشراقية العلمانية الشيطانية ، وعلى كل الأغنام أن تقف وراء كلاب الحراسة التاريخية مطيعة منقادة.

ومنعا لحل أي مشاكل يجعلون طوارئ بلادنا الأمنية دائمة مستمرة ، حتى لو سالمتنا الدنيا كلها ، لأن هذا السلام سينهي فكرة المؤامرة ويسقطها مع توابعها تسلسليا حتى الحلف الكبير الذي لابد أن يهتز بدوره وينهار ، من هنا وضع مشايخنا في إسلامنا عقيدة جديدة تؤجج الصراع الدائم بين المسلمين وغير المسلمين في

الدنيا كلها ، هي عقيدة الولاء والبراء التي تمسح السماحة مسحا ليستمر الصراع ، الذي يحتاج إلى تأجيج التعصب باستمرار بدلا من السماحة بين المسلمين ، لأن السماحة تنهي الصراع ولا تحتاج لمتعصبين يحمون العقيدة ، تنهي دور هذا الحلف المقيت.

يؤججون الصراع والتعصب كل يوم في كل مكان بأشرطة الكراهية التي حولت وسائل المواصلات في بلادنا إلى وسائل دعوة متنقلة ، بإعلامنا بتعليمنا بقيمنا ، فنذبح الوطن لأن مسيحيا حول غرفة في منزله إلى كنيسة ، أو لأن كاتبا او فنانا أو سياسيا أهان نبي الإسلام في بلاد ما وراء بحر الظلمات ، ليظل الإسلام دوما بحاجة لوجود سدنته ، وحتى ينسى الناس أن الدين في حماية صاحبه وأنهم ليسوا أكثر قدرة منه لأنه هو الله ، وأنهم ودينهم هم من في حمايته وليس العكس .

ويا حزن القلب على وطن لا شبيه له في عمقه التاريخي والعلمي تخرج قياداته اليوم من النخبة المتعلمة في نقابات محامين أو مهندسين أو أطباء أو نوادي هيئات تدريس الجامعة لينادوا بضرورة قفزنا إلى المستقبل خلاصا من الذلة والهوان ولكن بالعكس ، قفزا إلى الماضي ، كما لو كانت مصيبة تخلفنا الحالي لم ترض كامل رغبتهم ليأخذونا إلى مزيد من التخلف والأنهيار.

إن السدنة بعد سقوط الخلافة وما تبعها من حركات استعمارية واستقلالية انقسموا إلى فريقين ، فريق قرر استمرار العمل ضمن السلطة الرسمية لينعم إلى جوارها بنعيمها ، وفريق ثان قرر العمل تحت الأرض أي مع الناس ، لأنهم كلهم تحت الأرض ، مستغلا نفوذه التاريخي على أرواحهم من أجل تثويرهم أو دفعهم ولو بالقتل نحو الحكم الثيوقراطي ليحكموا بأنفسهم مباشرة دون حاجة لوجة مدني كان قناعا ليس اكثر ، مع تحالف تحتي بين الفريقين يدعمان بعضهما باستمرار .

ترى ما هو شكل خريطة واقعنا الثقافي الفلسفي الذي قدمته لنا الدكتورة (**منى أبو سنة**) وهي تجيب عن سؤال "**لماذا يغيب التنوير في البلاد العربية**" في صفحات العدد قبل السابق من هذه المجلة ؟

و حدثتنا عما قال الفلاسفة مؤسسا على الفلسفة الكانطية من أجل تنويرنا . لتنوير العقل فلسفيا بعد أن تم سلبه ملكة الفهم نفسها قسريا ، فلم يعد اللانضج اختياريا كما قدمت لنا عبر كانط إنما هو لا نضج قسري قهري .
إن التنوير الفلسفي الذي يستهدف المستقبل يحتاج سادتي الفلاسفة (وأنا بالمناسبة من أهلها المتخصصين) إلى رؤية مستقبلية تحدد ما هو المستقبل المطلوب وتعرفه عن يقين ، ويقيننا سادتي الفلاسفة أن مستقبلنا يتم بالتزام أوامر الدين ونواهيه كما تم

وضعها لنا ، حتى نتأكد من حجز المكان الأفضل في جنات الخلد ، وهو ما يعني أن المستقبلية عندنا بالعكس يا سادة ، المستقبلية عندنا في الماضي ، لأن أزمنتنا تختلف عن أزمنتكم .

سيدتي الدكتورة تحيطنا علما نافعا بما وضع كانط من تشخيص لمعضلة التنوير ، وكيف أن "اللانضج المعيق للتنوير يعود إلى نقص العزيمة والجسارة في إعمال الفهم من غير معونة آخرين فيما لديه من نصوص" .

المشكلة سادتي الفلاسفة عندنا أن "نقص المعرفة وتقييد عمل الفكرة ، وقتل الفهم" ، هو قواعد إيمانية كبيرة ليست شيما تحتاج للجسارة عليها ، فهي بالعكس تماما ، فقد طلب الغزالي حجة الإسلام تلجيمنا عن الكلام باللجام كالحيوانات الملجمة ، ويحدثنا – نور الله قبره- قائلا : "إن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق ، عليه التقديس والتصديق والاعتراف بالعجز عن فهم كنه ما لم يفهم ، والكف عن البحث في باطنه ، مع التسليم بما يقوله أهل العلم (يقصد بالدين) في هذه الأمور" .

وهو ما يعني أن جماهير المسلمين قد حكم عليهم نظامهم الديني بالغباء وعدم القدرة على الفهم والتعلم ، لذلك وجب عليهم التسليم للمشايخ ، فهم أهل الخبرة الفنية في التعامل مع هذا الدين .

إن سادتي الفلاسفة لا يرون أننا في مرحلة سابقة على ما احتسبه **كانط** مسلمة موضوعية هي "إعمال الفهم" كملكة هي الأشد عدلا في تقسيمها بين الناس ، كما قال **ديكارت** ، ومع ذلك فإن هذه الملكة عادلة التقسيم لا وجود لها عندنا أصلاً ، نحن في مرحلة أسبق من مرحلة الفهم !!

كانط ينصحنا مأجورا مشكورا على لسان الدكتورة منى بالخروج على حالة اللانضج الاختياري ، بينما الدكتورة لاشك تعلم أن ما لدينا هو حالة لانضج معتقة معنعنة نقلية متوارثة ، حالة استنكار للفهم وإعماله في وجود سادتنا من سدنة التخصص في معرفة الله ، تحولت إلى عدم فهم يورث جينيا بصبه في روح السنوات الأولى لطفولة المسلم .. إن ما لدينا لم يخطر سادتى الفلاسفة لكانط .

وإذا كان الفلاسفة يريدون تنويرنا بالرجوع إلى فلاسفة الغرب بفلسفة نقلية فنحن في غنى عنهم ، لأن مصدر تنويرنا جاءنا عن نبينا عن إرادة إلهية ، جعلت من مجتمع جاهل جائع متخلف بدائي ، حاضنا لرسالتها الخاتمة ، وقيما وحاكما على شعوبها وشعوبنا الموغلة في الحضارة والمدنية .

نحن في بلادنا سادتي الفلاسفة النقليين ، أكثر رفاهية من الاحتياج للعمل ، فكلانا الأغنياء في الخليج والفقراء في غيره ، لم يقدم احدهما شيئا بعد للإنسانية يساهم به في حضارتها ، لأنهم ببساطة عندما يحتاجون شيئا باعتبار الحاجة أم الاختراع ، لا يخترعون ، إنما يلجأون للدعاء وللقنوت ، يطلبون إلى السماء أن تقوم بالمطلوب نيابة عنهم ، يريدون علما سابق التجهيز يسهر عليه رجال الدين ، ويعتمد مصدرا مرجعيا واحدا لا يتغير ولا يزيد هو القرآن والحديث . نحن في بلادنا نحقق ما نشتهي بالدعاء لنظهر لله أننا أخلص إليه ، وأننا الأولى برعايته من إسرائيل وأمريكا .

سادتي الفلاسفة .. إن أجهزة تشكيل الرأي العام الحديثة والهائلة القدرة كالمذياع والتلفاز لم تكن موجودة زمن كانط ، ليرى كيف أمكن استثمارها بالعودة إلى ما قبل بداية استخدام المخ لوظيفته (العقل) ، وساعتها كان سيقول كلاما اخر بالقطع .

إن خيرنا سادتي ليس معكم ، ولا مع كلامكم الكبير الرفيع البعيد عن مستوى فهمنا الملغي أصلا ، إن خيرنا ومصالحنا مع محترفي العمل الديني ، لسنا مع **طه حسين** بعد أن أعلن فشله بنفسه ونزع عن نفسه الاستنارة ، ولبس ثياب الشيخ ليعلن نهاية مشروعه بنفسه ما بين الشعر الجاهلي والأدب الجاهلي ، ولا مع **سيد القمنى** بعد ان اعلن تبرؤه مما كتب، ولا **مع نصر ابو زيد** بعد ان هرب بجلدة الى هولاندا وارضنا تتشقق عطشا الية .. بينما لم يتراجع لا ابن كثير ولا ابن حنبل ولا ابن عبد الوهاب ولا ابن لادن ولا ابن الزرقاوى ولا ابن قرضاوى .

سادتي الفلاسفة يرون "ضرورة الإصلاح الديني الذي يحقق مشروعية الفحص الحر للنص الديني" . ألا تعلمون سادتي أن هذا الفحص الحر المطلوب قد تم وانتهى العمل منه خلال القرون الآربعة الهجرية الأولى ، وعلى يد أسلاف أعظم منا تم القرار بشأنهم بأنهم "لا يجود التاريخ بمثلهم مرة أخرى" !! وقد بذلوا الطاقة وأفرغوا الجهد والطاعة في فرز الحديث وإسناد الما ئل منه وشرحوا القرآن وفسروا غوامضه وأرسوا قواعد الفقه ، حتى بات من القول المأثور "لم يترك السلف شيئا للخلف " .

إن إعادة الفحص المطلوبة هي عمل مغرض خبيث ضد ما أجمعت عليه مقاصد الأمة ، وهو جزء من المؤامرة العالمية ، وللدين حراس وللأمة أمناء يا فلاسفة .

<u>أما كيف يقوم الإصلاح الديني</u> : يقول لنا الفلاسفة "بمبدأين هما : إجلاء الغموض الكامن في النص الديني ، والثاني إعادة الفحص"!!
يا للكلام الجميل حقا ، لكنه يبدو مطلا من نافذة أخرى لا ترانا ، فلا غموض لدينا ،

لأنه يصيب من يريد أن يعتقد نفسه فاهما ، يصيب ضعاف الإيمان لعماء بصيرتهم وغضب الله عليهم ، لأن المؤمن الصادق ينير الله له بصيرته ، وإن لم ير ما وراء النص الغامض فسيريه الله إن آجلا أو عاجلا ، بدليل وجود مشايخ لا يجدون أي صعوبة مع أي نص فى اى شئى كان . وفكرنا هو الصالح لكل زمان ومكان لأنه معرفة إلهية تامة ، والإيمان به نهايته حتمية معروفة ليس فيها أي احتمالات .. جنة الخلد بخمرها وحورها وولدانها ، حيث لا مهمة للمؤمن سوى الاكل والسكر والنكاح فى لذة ابدية .

أمتنا الوحيدة في العالم التي اكتشف فيها رجل الدين **(الزنداني اليمني)** علاجا نهائيا لأمراض البشرية المستعصية الثلاثة "السرطان وفيروس سي والإيدز" ، وربما يسعى الآن إلى اكتشاف دعاء يسقط صورايخ وطائرات الأعداء قياسا على إسقاط المطر بالصلاة .

سادتي الفلاسفة.. إن حتمية قيام التنوير تصبح قائمة عندما نشعر بالحاجة إليه ، بينما نحن نعتقد بحاجة العالم غير المسلم كله إلينا ، لننقله مما هو فيه من ظلمات إلى نورنا.

سادتي الفلاسفة ، إن البداية تكون عندما نقتنع أن ما بأيدينا ليس شيئا ذا بال ، بل هو شيء بالت عليه كل القرون اللواحق.

روزاليوسف ٢٠٠٥/٢/١٨

خطوطنا الحمراء

سبق لي في أعداد سابقة أن ناقشت هنا قاعدة "**المعلوم من الدين بالضرورة**" وما تستتبعه من أوامر ونواه تؤدي مخالفتها حسب الشروط الفقهية إلى شيء يسمى "الارتداد" وأن هذا الشيء له حد واحد هو القتل بعد محاولة الاستتابة غسلا لليد من الدم مقدما ، كما علمنا أن هذه القاعدة قاعدة مطاطية لأنها من صنع فقهاء من بني البشر ، ولأنها كذلك فإنها تقبل الاضافة والحذف حسب الهوى والمصالح والنزوات الانسانية وهو كله ما لا علاقة له بالشأن الإلهي.

ولإيضاح المسألة ضربنا أمثلة لتلك القاعدة من معلومات من الدين بالضرورة تؤكد هذه المطاطية إلى حد المصادمة مع قوانين الدولة الشرعية التي ارتضيناها نظاما عاما لأمتنا المصرية الحديثة لدولتنا الشرعية ، ويعتدى عليها وينتقص منها ويسلبها هيبتها.

ونكرر مرة أخرى وأخرى أن السماح لفرد مهما علت مكانته أو لجماعة أو لمؤسسة ثقافية أو دينية أن يقوم بالتشريع للوطن مع وجود تشريعات قانونية ودستورية فإنه يستحق العقوبة الفورية لأنه بذلك يقيم دولة موازية لدولتنا الشرعية ويعتدي عليها وينتقص منها ويسلبها هيبتها ، ويصبح هذا المطلب المتكرر مفهوما وواضحا عندما نجد في هذه القاعدة التكفيرية من يجعل المعترف بقوانين الدولة مارقا فاجرا مرتدا لأنه يحترم دستور وطنه وقوانينه ، لأن هذه القوانين قوانين وضعية من وضع الإنسان ، ومعنى احترامه لها والقسم على طاعتها والعمل بها أنه قد رضى بها بديلا لقوانين الشريعة الإسلامية وهو الكفر بالدين والخروج على الملة ، وقد رأينا صحفا قومية وكتبا تعليمية تردد هذا القول وتصر عليه مما يخلق لدى المواطن ولاء لدولة الخلافة الخفية ، وينزع منه الولاء لوطنه الأرض والتاريخ والشعب والدولة ، ويجعل من التشريعات الوطن عبثا ومن قسم القضاة على احترام قوانين الوطن كفرا ، مما يجعل القاضي أحيانا ينحرف عن قسمه اخلاصا للخلافة الخفية ليحكم بما تأمر ، فتنحرف الاحكام عن القانون إلى النقمة والنكاية ، متمثله في كثير من الاحكام الظالمة التي تعارض القانون علنا.

وهو الأمر الذي يجب أن يتوقف الآن وفورا بتطبيق العقوبات الرادعة على كل من يرى نفسه بديلا للوطن كله يشرع ويضع الحدود ويأمر بالتنفيذ ..وهو ما سمح من قبل بظهور الإرهاب في بلادنا وولاء الشباب لأحكام أمراء الجماعات من جهال الدين والدنيا ، وهو مالا يجب أن نسمح بعودته على أية صورة أو خلف أي قناع مرة أحرى ، خاصة هؤلاء الذين يتجشأون علينا طعامهم السمين في شاشات التلفاز

لكل ما هو ضد القوانين المعمول بها ، ناهيك عن كونه ضد كل ما هو عقل ومنطق وعلم ، مما ينتهي بالعقلية الاسطورية إلى سيادة الموقف .

وإني هنا ادعو كل من يهمه الأمر إلى الضرب بيد من حديد على يد كل من يستهين بالدولة وتشريعها لصالح شئون لا علاقة لها لا بالواقع ولا بالوطن ، أولئك الذين يدينون القوانين الوضعية التي هي تشريعنا لأنفسنا حسب ظروف زماننا ومصالحنا ، بحجة أن الله هو الأعلم بظروفنا وأنه قد شرع لنا وانتهى أمر التشريع بعد ذلك إلى الأبد ؟

ومعلوم أن هذه الحجة كانت هي سند الفتوى التي افتت بها جبهة علماء الأزهر فأهدرت دم طيب الذكر دوما الراحل **(فرج فوده)** والمأساة الحقيقية أن هذا التكفير يطال شعبنا كله ودولتنا بك مؤسساتنا ويخلق بين المواطنين ولاءات هي خيانة عظمى للوطن ، تدفع بعض شبابنا المغرر بهم إلى رفع السلاح في وجه وطنهم وبني وطنهم .

أما المحزن المخزي فهو أن تتم محاكمة بعض مفكري الوطن لأنهم اخلصوا للدستور والقانون فتحدثوا عن المساواة من الحقوق والواجبات بين المواطنين بغض النظر عن العنصر أو اللون أو الجنس أو الدين وهو ما حدث مع كاتب هذه السطور ، ولولا قاض يحترم نفسه ويحترم القسم الذي اقسمه ويخلص لوطنه ، الاستاذ **سلامة سليم** ، لكان العبد الفقير لم يخرج من حبسه بعد كما حث لبعض زملاء الهم والغم ، وطبقت عليهم أحكام دولة الخلافة الخفية لا أحكام دولتنا الشرعية ، والعجيب أنه تم تنفيذها وقامت بتنفيذها دولتنا الشرعية كمقاول من الباطن للحكومة الخفية ؟!

ومن جانبهم يصر مشايخنا على قاعدتهم لضمان قعودهم على صدورنا أطول فترة ممكنة ، ويدرجون تحتها مجموعة من المحاذير والموانع القامعة التي لا تكاد تترك للمسلم فرصة للتكفير في أي شأن لأنها إنما تعمل على تسليمهم عقله لهم تماما وبدون وصل استلام ، لتتم إذابته في العقل الجمعي الذي تم تنميطه وتجهيزه وفق اطر كهانية ما أنزل الله بها من سلطان ، فكان ما كان ما نرى في شارعنا وفي سلوكيات ناسنا ، وكان ما كان من هزائم وتخلف وانحطاط حضاري لا شبيه له في عالم اليوم ، بتشابه النسخ العقلية في طبعة واحدة بطائفة واحدة يسهل إمساكها وتحريكها ، وهو الأمر الذي يشكل خطورة هائلة على الوطن وأمنه لأنه يكفي لأي مأفون أن يستثير هذا العقل الواحد الذي تم سلبه الوعي ليتحرك الجميع كما سبق وحدث في أزمة رواية "وليمة لأعشاب البحر" التي ذهب ضحيتها شباب تم نزع عقولهم في تحرك عشوائي لولا أخذ وزارة الداخلية بالمبادرة السريعة لكان ما حدث

هو الأسوأ ، لكنا حتى الآن لم نسمع أنه قد تمت محاكمة الطبيب محمد عباس الذي كان وراء هذه الملحمة السوداء . وهي عثرات الدولة الشرعية التي يجب أن تتلافاها . وهذا ما ننبه عليه حتى لا يفكر مأفون آخر في مناخنا الجاهز لأي خراب ممكن بانتهار فرصة أخرى .

ومن هنا يمكنا أن نفهم هذا الشأن الاعجوبة ، عندما تسري في كل العقول فجأة نفس الاستنتاجات لنفس المقدمات بنفس المفاهيم ، وتتوحد المواقف إزاء كل شأن في تراص مصفوف لأنه عندما تتحول عقول المواطنين إلى طبعة واحدة ونسخة واحدة فإنه يمكن لأي فيروس أن يخترقها جميعا. وأن يدمرها جميعا أو يعيد تشكيلها حسب إفرازاته تشكيلا متطابقا تحمل في داخلها أمراضها التي تسمح للفيروس بتوجيهها وزرع بذرة الفناء فيها.

وهكذا وضعوا لنا ما يسمونه **"الخطوط الحمراء"** التي لا يصح الاقتراب منها وهي الخطوط التي تمنع المسلم من التعاطي مع دنيا اليوم ، لأنها بكليتها تخالف هذه الخطوط ، لأن تلك الخطوط وضعت لدنيا غير دنيانا ، وهو ما يعني عدم التعلم من المتقدمين والاستفادة من علومهم لتطوير أنفسنا وبلادنا ، لأن بيننا وبين هذه العلوم كثيرا من الخطوط المتوهجة إحمرارا ، وهي الخطوط المزعوم نسبتها للدين فتمنع أي حراك لواقعنا المسترخي الآسن ، وتستخدم الدين كابحا لأي تفكير ومن ثم لأي تقدم نرجوه لانفسنا ولبلادنا .

المشكلة الحقوقية هنا هي الأعقد لأن في الوطن مواطنين لا يدينون بالإسلام ، إضافة إلى مسلمين لا يعترفون بخطوط هؤلاء لا الحمراء ولا السوداء وهم كثير ، وأن هؤلاء وأولئك مواطنون على ذات الدرجة من الأهلية ومن المواطنة وأن الوطن وطنهم وأنهم يملكون من حبات ترابه نصيبا ربما كان الأكبر ، وأنهم في حال انتهاك دائم لحقوقهم بما يفرضه فريق الخطوط الحمراء على الجميع بكل أطيافهم السياسية والدينية المختلفة في محاذير أعلبها إن لم يكن كلها يقف في نهاية دربهم مسرور يحمل سيفه مسرورا ، لأن حوله قد توالد أكثر من مسرور من بنى الوطن يحملون ولاءهم لمسرور وليس للوطن ، رغم أن هذا الوطن ليس حكرا على طائفة دينية بعينها أو مذهب بذاته أو جماعة او فريق أو فصيل سياسي أو من أي لون كان ، لأن مصر ملك لنا جميعا ولنا فيها من الحقوق نصيب كامل غير منقوص كأي مصري آخر ، وهو الأمر الذي يفرضه القانون ويفرض معه على كل الفرقاء قواعده ، لكن عندما يتوارى القانون أمام اللحي والجلاليب والمسابح فإنه يكون قد أهان نفسه وسمح لأي فريق أن يتطاول عليه ، وهو ما يمكن أن يصيب الوطن بمزيد ممانرى أمام أعيننا من تحد لهيبة الدولة وكسر قوانينها وكل واحد وكيفه

ومزاجه ومكاسبه من هذا الكسر المباح الذي أباحة وجود طائفة تتحدى هيبة الدولة وتكسر قوانينها علنا في الإعلام والتعليم ، فتصيب قيمة المواطنة الآساس لأي تماسك اجتماعي بالخلل والضياع ، كما تشكل في نفوس المواطنين هيبة لذوي اللحي ، وطاعة لذوي الجلاليب ، هيبة أبدا لا يستحقونها ، خاصة إذا ما قورنت بهيبة الدولة المستباحة لكل أفاق أمسك بمسبحة وادعي الحديث باسم الله

والآن لنبتهل الفرص كما يبتهلون وننتهز النهز كما يفعلون في زمن بدأت فيه مقاعدهم في الاهتزاز من تحتهم ، وبدأوا يسجلون تراجعات يعلنون فيها ولو من طرف اللسان ، أو من باب التقية حتى الوصول إلى صندوق الاقتراع ، اعترافهم بأن مصر وطن لكل المصريين حقا وواجبا ،

فإذا كانت مصر وطن الجميع على التساوي حسب اعترافهم بعد حلول المارينز قربنا ، فإن أي طرف من الأطراف إذا اراد أن يضع لنا خطوطا حمراء لا نتعداها حتى في التفكير والبحث ، فإن هذا الحق يصبح مباحا لجميع الفرقاء ليضع كل منهم خطوطه الحمراء وفق مبادئه وما يؤمن به ، وأن أول من يجب عليه الاعتراف بهذا الحق هم المبتدعون الاصلاء لحكاية الخطوط الحمراء ، لمواطنين على ذات الدرجة فإن للمسيحيين خطوطا حمراء لا يجب التعدي عليها ، كذلك هو ذات الحق الذي لابد أن يعلن بموجبه الشيعة عن خطوطهم الحمراء ، وكذلك البهائيون وكذلك الملحدون.

لأنه إن سمحنا لفريق السني وحده أن يضع لنا جميعا خطوطا حمراء فهو ما سيعني فورا أننا مازلنا نعيش أيام السادة العرب الفاتحين ، وأننا مازلنا اتباعا لهم وأننا إما موالي (أي مسلمين مصريين في درجة أدنى من السيد العربي) وإما أننا أهل ذمة وهو الأمر الذي كلما ألمحنا إليه استثار حساسية سادتنا وتذمرهم غير المفهوم ، فإما أننا مواطنون على ذات الدرجة في وطننا أو أننا شعب يرفض الاستقلال حتى اليوم عن دولة الخلافة الزائلة ولا يري لنفسه الكرامة في وطنه ، بتسييده ثقافة واحدة على باقي ثقافات المجتمع تضع له قوانينة وتسن له شرائعه وتحيطه بالخطوط الحمراء أينما اتجه ، وهي قوانين وقواعد خلافة قررت حل نفسها بنفسها عندما اكتشفت ما آلت إليه من تخلف ، وتخلت عن كل الخطوط الحمراء ، بينما نحن نرفض إعلان الاستقلال عنها حتى اليوم . وبما أن المجتمع هو مفردات تشكل نسيجا متماسكا ، وبما أن لكل مفردة خصوصيتها التي لابد أن يعترف بها المجتمع فثم عليه أن يعترف بخطوطها الحمراء ، فإن صدام هذه الخطوط معا سيكون حتميا . نعم قد يقول القائل هنا : إذن مرحبا بالخطوط الحمراء لكي يكون كل فريق رقيبا على الفريق الآخر ، لكنه سيكون منطق الصراع لا منطق التكافل والتآزر الذي لا

يمكن إقامته إلا بإلغاء كل الخطوط والموانع والسدود . ولا يبقى منها إلا خطوط قانون تم تشريعه برلمانيا شرعناه بأيدينا ليرضينا جميعا ويفي بحاجات المجتمع المدني المتماسك قانونيا ودستوريا . قانون الدولة المعاصرة متعددة الألوان والأشكال بجميع أطياف اتفاقها الاجتماعي .

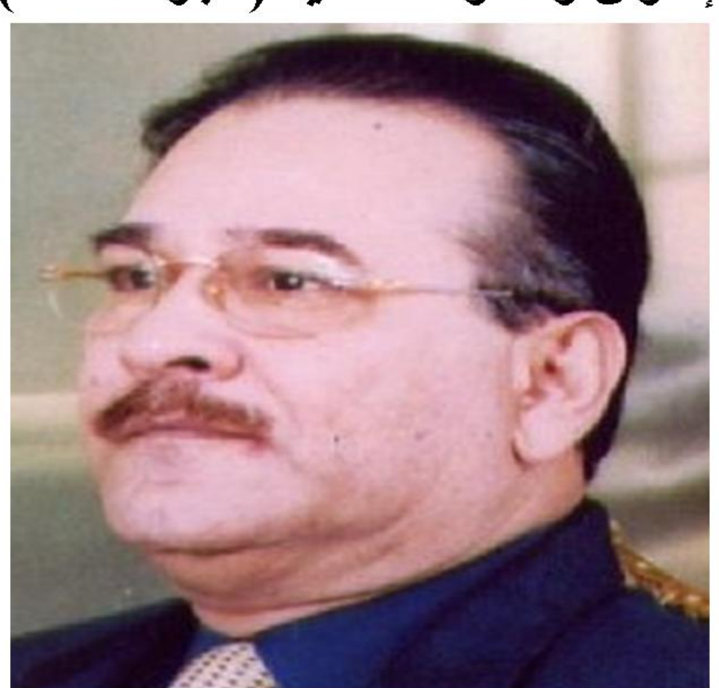
إن صراع القيم والمفاهيم الدينية والايديولوجية والحقائق المطلقة لن يتمكن من الوصول إلى تفاهم لأن كل فريق لديه يقينيات إيمانية تصادر على الآخر ، لأن كل فريق يتخذ من موانعه وسدوده متاريس يتمترس خلفها بحسبانها مقدسات تعطيه الحصانة لينال من عقائد الآخرين وقيمهم . وفي حال كحالنا لا يتمكن أي فريق غير الفريق السيد من الرد ولا يملك حق المناقشة في ظل إحكام سادتنا المشايخ قبضتهم على المساحات المتاحة للرأي والقول بل وعلى دماغ الناس ، لأنه غير مسموح بوصول أي آخر لهذا الدماغ وتمسى محرماتهم وخطوطهم هي الوحيدة القادرة على الوجود وعلى الفعل حتى أصبحت هي المعتاد الوحيد ، لتضحي في نظر الناس مسلمات لا تقبل النقاش وهو الدكتاتورية عينها والاستبداد ذاته لفريق حصين يفرض سلطته وسلطانه على باقي المجتمع المجرد من أي سلطة ، هو فريق واحد يتبارى مع فرقاء مقيدين لا تصل أصواتهم لبني وطنهم .

فكفاكم حديثا عن خطوطكم الحمراء لأنها أصبحت خارج التاريخ خطوطكم عبودية تشرع العبودية والسبايا ووطء ملك اليمين ، عبودية تشريع العقوبات البدنية كالقطع والجلد والرجم ، خطوطكم تدفع شبابنا إلى الإرهاب بدلا من البناء ، وإلى الموت ، بدلا من الحياة ، وإلى الخراب بدلا من العمار ، خطوطكم أهلت مجتمعاتنا للعيش في القرن السابع الميلادي بدون أي محاولة تكيف مع زماننا ، لذلك ذهب العالم في فضائه الحر إلى حيث هو الآن ، ولذلك نقبع نحن هنا الآن ، خطوطكم لم تعد تصلح لا للوطن ولا للعالم ولا لقوانين واتفاقات ومعاهدات دولية مبرمة بيننا وبين الدنيا وأممها المتحدة ، أو ليتحدث كل فريق عن خطوطه الحمراء ، أو كل فرد ، لأن لي شخصيا الكثير من الخطوط الحمراء ، أريد طرحها في زفة الخطوط الحمراء باعتباري مواطنا صالحا ونظيفا ، أمثل حزبا واحدا هو نفسي .

الشفاف

سلسلة فقهاء الظلام

الإخوان و الدولة المدنية (الجزء الثالث)



بقلم

د/ سيد القمنى

مدونة

عن مصر أتحدث

3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

سعد الدين إبراهيم و الاخوان

تمهيد

لم اعرف الدكتور سعد الدين إبراهيم شخصيا إلا عند اعتقاله في محنته الظالمة ، و قد عرفته لهذا السبب تحديدا ليصبح صديقا عزيزا ، و قد خصصته بدفاعات استغرقت خمسين صفحة هي الباب الأول من كتابي (شكرا بن لادن). و بعد خروجه من السجن بدأت اختلف معه حول موقفة من ضرورة اشراك الإخوان المسلمين في العملية الديموقراطية في مصر بوضعها الحالي الذي لم يأخذ من الديموقراطية إلا اسمها فى صندوق اقتراع خالى من كل القيم الحقوقية للديمقراطية ، و هى القيم التي يرفضها النظام الحاكم و الإخوان معا و جرى بيني و بينه سجالا تم نشرة في حينه بمجلة روزاليوسف و بمجلتع المجتمع المدنى و على موقع شفاف الالكتروني ، و منذ توقفت عن الكتابة جرت في النهر مياة كثيرة كانت هى الدافع و راء فتح الباب لاستكمال سجا ل لم يغلق بعد.

بداية السجال

كانت البداية موضوعا كنبتة لروز اليوسف في ٢٠٠٤/٧/١٧ (بعنوان: سحرالديمقراطية) و اعدت نشرة في كتابي (أهل الدين و الديمقراطية) بذ ات العنوان ، لكن هيئة تحرير روز اليوسف استبدلت العنوان بأخر هو(تحالف سعد الدين و الاخوان.. ديقراطية الهلاك).

لذلك اتصلت بصديقى تليفونيا و أحطتة علما بما حدث حيث لا اشارة بالمرة في موضوعى إلى تحالف بينة و بين الاخوان ، ثم كانت مفاجاتى أن سعدا لم يأبة لمكالمتى ليستثمر العنوان البديل و يرد علية بموضوع: (ديمقراطية النجاة /شفاف ٢٠٠٤/١٠/١٧).

و منعا لتصدع جبهتنا الليبرالية كتبت لة موضوعا لطيفا نشر بمجلة المجتمع المدنى بعنوان (سعد الدين و الاخوان: تفاهم ام تحالف) لأزيل الالتباس , و شرحت فية اعتقادى أن ما بين سعد و الإخوان ربما كان نوعا من التقارب و التفاهم و التعارف ، و أبعد ما يكون عن التحالف , و أكدت على صديقى أن يراجع المفاهيم التي يطرحها الاخوان فربما التبس عليه خطابهم المخادع , و أن سحر الديقراطية و إن كان فاعلا في تحول الأحزاب الأوروبية المسيحية إلى احتضان الديقراطية و الإيمان بها,فذلك لطبيعة المسيحية التي تعطي ما لقيصر لقيصر و مالله لله , و ليس لديها شريعة تريد تطبيقها على الناس عبر السياسة , لكن هذا السحر الديقراطي

لايجدى أبدا مع الجماعات الاسلامية التي تحمل مشروعا متكاملا بديلا لمفهوم الدولة الحديثة بالكامل.

و لكن بعد مضى الشهور المنصرمة , و ما قرأتة بقلم سعد الدين ابراهيم بهذا الخصوص , دفعنى دفعا لاتخاذ موقف جديد منة لم يعد يفترض حسن النوايا , حيث و ضح لى أن حسن النوايا هو الطريق إلى جهنم فعلا. و بعد مضى الشهور المنصرمة , وما قرأته بقلم سعد الدين , بدأت أسجل منة موقفا و لم أعد أفترض أن المسألة مجرد تعارف كما سبق و قلت في الموضوعين السابقين , فقد اكتشفت فعلا أن الطريق إلى جهنم مفروش بحسن النوايا و ان بعض دعاة المجتمع المدنى الذين أجلهم و أرى على رؤوسهم هالات القديسين لم يكونوا كما كنت اعتقد بهم , وهو ما كان صدمة شديدة لنظرتى المثالية إلى العلمانيه و رجالها , و إن لم يغير ذلك من مبادئى شيئا.

سحر الديمقراطية:

في هذا الموضوع و ضعت محاذير كثيرة إزاء دعوة سعد الدين لمشاركة الإخوان في عملية الإصلاح الديمقراطي , أهمها أن مبادىء الإخوان العامة , هى الايديولوجيا التي حكمت بلادنا منذ غزاها العرب و أستوطنونها قبل ١٤٠٠ عام مضت و حتى اليوم , ولم تصلح شيئا في بلادنا بل كانت سببا في انهيار مصر أم الحضارات و تخلفها , و لو كانت لديهم أدوات اصلاح لاستخدموهاعبر تلك القرون الطويلة و لأصبحنا من الأمم المحترمة.وهى ذات الأيديولوجيا التي يصرا الاخوان على التمسك بها للإصلاح الآتى بأدوات و مفاهيم ١٤ قرن مضت , و لا تحمل أي أدوات أو مفاهيم للإصلاح بالمعنى المطلوب اليوم.

وتأكيدا لذلك قمت بمناقشة مبادرة الاخوان للإصلاح التي أعلنها مرشدهم محمد مهدى عاكف في ٢٠٠٤/٣/٣ و هى منشورة على موقعهم الالكترونى. حيث ظهرت في هذه المبادرة أشد الآراء ظلامية و شرا و تخلفا , و على مدى عام كامل ناقشت ما يقول الاخوان الكبار أولا باول ، نقاشا موضوعيا فى شكل اسئلة و استفسارات تطلب منهم اجابات و اضحة محددة لاتحتمل لبسا ، لكنهم لم يردواأبدا ، لأنهم ببساطة لايملكون ردا.

وكان مناط خلافى مع سعد هو دعوتة قبول انخراطهم في صندوق الاقتراع ، دون إعلان و اضح من جانبهم و بضمانات كافية تطمئنا على تغيرهم ازاء تاريخهم الارهابى ، هوطريق يؤدى إلى كارثة.

وقد ركزت مطالبى للاخوان في أن يعلنوا الموافقة على المبادىء التأسيسية للمفهوم الديمقراطى في شكل أسئلة:

١. هل سيوافقون على حق تشريع البشر لأنفسهم حسب مصالحهم ، أم سيصرون على تطبيق الشريعة الاسلامية؟
٢. هل سيعترفون للمرأة بالاهلية الكاملة كالذكر أم ستظل ناقصة حقوقيا في ميراثها و شهادتها باعتبار تلك حدود الله؟
٣. هل سيكون لها الولاية عند الاستحقاق كرئيسة و زراء اورئيسة جمهورية و هو مايتعارض مع الشريعة التي ترفض الولاية للأنثى على الذكر؟
٤. هل سيكون للأقباط حقوق مواطنة كاملة كالمسلمين؟

ومن ثم ركزت نقدى للدكتور سعد على مايعلمة هو و الناس كلها تعلمة ، و هو ماجرى خلال خمسين عاما من تزييف و عى الناس ، كناتج طبيعى و ضرورى لإعلام موجة ، بامتلاك الحكومة للدولة و وسائل التعليم و الأعلام فيها الذي لم يعد يعرض شيئا غير الإسلام ، فلم يعد الناس يعرفون سوى سلعة و احدة معروضة في سوق المبادىء و الأفكار هى الإسلام و حده.

ونتابع الدكتور سعد لنجدة يقول فى (ديمقراطية النجاة) ما نصهً: " فنعم لدي هواجس و مخاوف ، و هو أدعى للحوار لا الانزواء و الجمود أو المقاطعة. نعم نحن نطلب منهم ضمانات لفظية و مكتوبة. نعم نطلب منهم الإقرار الكامل بحقوق المواطنة الكاملة ، بما في ذلك تقلد كل المناصب العامة حتى رئاسة الجمهورية لغير المسلمين و للنساء ، نعم نطلب منهم ألا يفرضوا و صاية روحية أو يدعوا احتكار الحقيقة الإيمانية أو يحاولوا فرضها في أمور المجتمع و الدولة و التشريع إلا بموافقة الغالبية المنتخبةَ".

لقد كنت أتصور أن الدكتور سعد مخدوع في الإخوان ، فإذ به يعلم ما يعلم الجميع عنهم ، و إذ به يحمل ذات الهواجس و المخاوف التي نعاها على شخصي الضعيف ، و إذ به يعلم أنهم لا يقرون بحق المواطنة الكامل لغير المسلمين ، و إذ به يعلم أنهم يرفضون و لاية المرآة على الرجال ، و إذ به يعلم أنهم يفرضون و صايتهم على الناس ، بينما اتهمني و أنا شريكه في البيت أللبيرالي بالوصاية على الناس ، و إذ به يعلم ادعائهم احتكار الحقيقة الإيمانية ، و إذ بة يعلم أنهم يحاولون فرض حقيقتهم على الناس ، لأنه عندما يطالبهم بهذه المطالب فهو يعلم يقينا أن تلك معايب أساسية و جوهرية في الإخوان ، و تضعهمأ فى حالة عداء لكل الحقوق الإنسانية التي توافقت عليها الدنيا ، لذلك لم يقولوها أبدا حتى الآن ، لذلك يطالبهم حتى لو بالإعلان لفظا ، بضمانات كلامية ، يطالبهم أن يقولوا مجرد القول الذي لم يقولوه

أبداحتى الآن ، و يتطلع إلى هذا القول يوما ما مكتوبا ممهورا بتوقيعهم ، و رغم علمه بكل هذا حارب حربا شرسة ضروسا من أجل إشراكهم فى عملية التحول الديمقراطي بمصر.

رغم علمه بسيادة خطابهم على الشارع المغيب الذى سيعطيهم صوته بفضل اعلام و تعليم دولتنا و حكومتنا المستبدة ، و رغم علمه أنهم لم يتراجعوا لحظة عن مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية التي هي النقيض التام للمفاهيم الحقوقية فى المجتمع الديمقراطى ، و أنهم إذا حدث و شكلوا الأغلبية فسيفرضونها على القانون و المجتمع و الدولة. فإذ بسعد الدين لا يمانع فى ذلك أبدا ما دامت لن تتم كما يقول: "إلا بموافقة الأغلبية المنتخبة". و التي ستكون هي الإخوان بضرورة و اقعنا المؤسف في بلادنا.

فكانت لمفاجأة في قوله "إن حوارا قد بدأ بيني و بين الجماعات الإسلامية في سجن مزرعة طره ، و كان أساسه لماذا أهتم العالم بي و لم يهتم بالإخوان ، و سألني الإخوان كيف نوصل و جهة نظرنا للعالم الغربي.... و بعد الخروج من السجن اجتمعنا أنا و بعض أعضاء الجماعة أمثال عصام العريان و محمد عبد القدوس و مختار نوح ، و بعض الغربيين ، و الأمريكيون رفضوا الحوار. و جلسنا في النادي السويسري بامبابه و استمر الحوار يوما كاملا ، ثم تركتهم معا لاستكمال الحوار ، و هذا كان دوري".

أذكركم أني قلت في موضوعى (سحر الديمقراطية) أني أفترضت أن سعد الدين التقي بالإخوان في حبسه الظالم ، و أنهم تمكنوا من التأثير عليه بخاطبهم المخاتل ، و ثم أذكركم أن سعداً قد و صف كلامي هذا في رده (ديمقراطية النجاة) بأنه كلام " مبني على ادعاءات صحف مباحثية ".

وإذا باحتمالي ليس احتمالا بل هو حقيقة جرت بها الكلمات على لسان سعد الدين نفسه ، و أنه ليس ادعاءات صحف مباحثية ، و أن لقاءات السجن و اجتماعات التفاهم و التأثير و التأثر قد حدثت ، قبل اللقاء العابر الوحيد حسب قوله بعد خروجهم من السجن فهل كانت لقاءات السجن (ولا نعرف عددها بالتحديد) كانت غير محسوبة عند سعد؟ و كم لقاء كانت ياترى؟ أم أنها كانت مشاركة حياتية كاملة؟ و لماذا لم يذكرسعد تلك اللقاءات في موضوعه (ديمقراطية النجاة)؟ و لماذا اكتفى باتهامي بكل نقيصه؟ و هل بذلك الحديث المخاتل يكون سعد الدين رجل مجتمع مدني حقا؟ و ماذا يداري و ماذا يبطن؟ إن هذا الحديث ذو الوجهين لا يليق بداعية حقوقي أبداً.

ولتبرير دعوته لإقامة الإخوان حزب ديني إسلامي ، ركز في (ديمقراطية النجاة) على و جود أحزاب مسيحية في العالم الغربي تشارك في الفعل الديمقراطي و لا تنقلب على الديمقراطية ، ثم عقب قائلا: "فهل ذلك حلال لهم و حرام علينا؟ و هل المسلمون أو حتى المتأسلمون غير قابلين للتغيير و التطور؟ اليسو بشرا لا حجرا؟".و قد أثارت شفاف في حوارها معه هذه النقطة و قال له الصحفي سامح سامي: " هذا حدث في الغرب لطبيعة الدين المسيحي. و الإخوان لم يمروا بأحداث كالتي مرت بها أوربا ، و لا يصلح معهم تطبيق مفاهيم تتعلق بطبيعة الديمقراطية مثل التنويرأو التسامح أو العلمانية ". فكان رد سعد المبهر حقا: " ما تقوله غير صحيح على الإطلاق ، العالم كله يتغير و الكل قابل للتغيير إلا فئة قليلة تعتبر التغيير انتهاء لسلطتها ، مثل حسني مبارك و البابا شنودة".

عندما سبق و قلت أن الإخوان لم يتغيروا ، أصر سعد على أنهم قد تغيروا لأنهم بشر لا حجر و عندما قلت أنهم يمارسون الوصاية على الناس ، قال لي أنك أنت من يمارس تلك الوصاية و تعتبر الناس قاصرين دائما.

ثم نكتشف أن سعد يعلم أن هناك أناس لايتغيرون و أنهم حجر لابشر و ضرب لهم مثل بحسني مبارك و البابا شنودة. فأي معياريستخدمه سعد لنعرف منه من يتغير ممن لا يتغير؟ هل المعيار هو أن من لايتغير و يرفض التغيير هو من يعتبر التغيير انتهاء السلطة؟

إذا لنستمع إلي المرجع ألإخواني الكبير الشيخ يوسف القرضاوى يشرح لنا لماذا لا يقبل الإخوان و كل المشتغلين بالإسلام علينا من الديمقراطية سوى صندوق الاقتراع و حده ، مع رفض كل ما يرتبط به من أنظمة و قوانين و مؤسسات تحمي هذه الديمقراطية ، من حقوق إنسان هي أساس هذه الديمقراطية ، هي في جملتها مانسميه العلمانية ، و يطرح علينا الموقف في شكل قياس منطقي يقول: "إنه لا كهانة في الإسلام. و لاتوجد فيه طبقة كهنوتية. فليس للإسلام سلطة دينية بابوية. على أن العلمانية إذا فصلت دين المسيحي عن دولته لايضيع دينه و لا يزول سلطانه ، لأن لدينه سلطة قائمة لها مؤسساتها و لها رجالها و مالها. بخلاف ما لو فعلت ذلك دولة إسلامية ، فإن النتيجة أن يبقى الدين بغير سلطان يؤيده و قوة تسنده...و هذا لا يعني إلا انقراض سلطة الدين الإسلامي بالمرة".

المصيبة التي تسببها الديمقراطية الحقوقية العلمانية هي أنها ستبقى الإسلام بدون سلطان ، و بالطبع الإخوان و رجال الدين و كل العاملين به. و هكذا يبدوالإسلام غير قادر على الاستمرار بقوته الذاتية بل بالمشتغلين بالدين علينا !! إنهم يتصورون أنه لولا و جودهم لضاع الإسلام. أنظر لحجم و كيف نظرتهم لدينهم و مدى ثقتهم

فيه !! و للتأكيد يستطرد قرضاوي: "إن العلمانية عندهم لم تمح سلطة الدين و رجاله ، إنما فصلت بين السلطتين ، أما نحن فليس لدينا سلطة دينية مقتدرة (لاحظ مقتدره هذه !!) فالعلمانية عندنا تعنى تصفية الوجود الإسلامي / كتابه الإسلام و العلمانية / مكتبة وهبه / القاهرة / ص ٣٦ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٩٠ ، متكررات".

وهكذا نرى اضحا أن من يرفض أن يتغير ، و يعلن ذلك ، و يفصح عن خشيته من التغيير على سلطته ، هم الإخوان المسلمون بالمعيار الذي أختاره الدكتور سعد بنفسه.

متغيرات سعد الدين:

الواضح إذن أن الأخوان لم يتغيروا إنما من تغير هو سعد الدين إبراهيم ..... تعالوا معي نتفحص لغة سعد التي أصبحت إحدى السمات الجديدة في خطابه ، فهو لا ينهي موضوعا من موضوعاته إلا بالخاتمة المشيخية "والله أعلم" !!

و هي العبارة التي يستخدمها كل مفتى من مفتى الجمهورية الشيخ على جمعة الى المفتى الشيخ الفسخانى بإمبابة ، و هى ان جازت لهم فهى لاتجوز لرجل مثل سعد ، خاصة مع تكرارة الدائم لها. فتكرارها هو تدريب للعقل المسلم لينسحب من العلم و لايتعامل معه كوسيلة و اداة للمعرفة ، بينما فى العلم (وسعد رجل علم اجتماع) نحن من يعلم و ليس الله ، و ليس فى العلم شيءاسمة (الله اعلم) فالعبارة اخلاء تام و صريح لسعد من مسئولية ما يقول. و لا يخدعنى القول انها خاتمة يقصد بها التواضع ، لان العبارة تصدر منة كأى اخوانى عتيق لتعبر عن كون الحقيقة و المعرفة و المعلومة شيئا مخفيا ، و ان الله هو من اخفاها ، لذلك لايعلمها الا الله و هو وحدة من يعرفها. ان عبارة (والله اعلم) المتكررة فى خطاب سعد الدين هى دعوة صريحة لعدم البحث و المعرفة و العلم ، بينما كان سعد من قبل يكسر تلك القاعدة و يعتبرالحقيقة مشاعا موضوعيا لمن يبتغيها و يبحث عنها.

تعالوا نتابع التدقيق فى عبارات سعد ، و هو يقول انى بنيت موقفى من الاخوان الرافض لمشاركتهم فى الفعل الديمقراطى و هم على حالهم " استنادا الى مواقف معلنة فى الماضى من جانب بعض رموز الاخوان ، و ان مبادئ الاخوان و سلوكياتهم التقليدية معروفة لى و للكافة ، كما كان معروفا لى ما طرأ عليها و عليهم من تغير و تطور فى العقود الثلاثة الاخيرة ".

إن الدكتور سعد يدافع عن الإخوان بكلامة و عقلة و روحة و قلبة و قلمة و كبدة و يغالى و يشتط حتى يصبح إخوانيا اكثر من الإخوان ، فالإخوان لم يقولوا ابدا انهم قد تراجعوا عن مواقفهم القديمة ، و لم تصدر منهم إدانة و احدة لتلك المواقف. و لم

يقولوا أنها كانت مواقف ماضية ، و لم يقولوا أنها صدرت عن بعضهم كما يقول سعد ، لأنها أيديولوجيا متكاملة ، من أنكر بعضها فقد خرج عليها كلها ، بل و يكون قد انكر معلوما من الدين بالضرورة ، و هى قاعدة أساسية عندهم لامجال لمجرد مناقشاتها. و لم يقل بعضهم و قال بعضهم ، و لم يدع الإخوان أنفسهم يوما مثل هذا الادعاء.

أما عدم اعتبار سعد لمكالمتى التلفونية معة حول تغيير روزاليوسف للعنوان (سحر الديمقراطية) إلى (تحالف سعد الدين و الاخوان - ديمقراطية الهلاك) ، هو سلوك أقل ما يوصف بة انة غير أمين لايتصف بة العلماء المدنيين ، إنما هو خاصية إخوانية معلومة تعمد إلى المراوغة و تعتمد الانتقاء و التربص و التصيد لهزيمة الخصم و لو بوسائل رديئة.

انظر معى إلى المراوغة و الالتباس و الخداع فى علم سعد ان الاخوان لم يلفظوا و لو قول باللسان حتى الآن ، يعلن موافقتهم على الحقوق الإنسانية و المواطنة ، لذلك سعد يطالبهم بها ، و مع ذلك يزعم أنهم قد تغيروا و أنة هو شخصيا يعرف أنهم قد تغيروا لأنهم بشر لا حجر ، و أن من لم يتغير هو حسنى مبارك و البابا شنودة لأنهم بالضرورة هم حجر لا بشر.

وتوجية سعد سهامة إلى راس الكنيسة المرقسية المصرية الوطنية دون سبب و اضح ، و دون و جود الكنيسة او البابا فى الموضوع برمتة من اولة إلى اخرة ، إنما يشير إلى أن تحت الوجة الذى نعرفة لسعد ، لحية كثة و جلباب قصير ، لأن الهجوم على الكنيسة بمناسبة و دون مناسبة هو خطاب سلفى فاشى طائفى عنصرى معلوم. و رغم كل تجاوزات الإخوان فانهم لم يهاجموا رأس الكنيسة المصرية بدون مناسبة كما فعل سعد ، ان أقوال سعد الملوثة للمختلف معة تفصح عن الشيخ الأصولى القابع بداخلة ولا يترك سعد فرصة إلاويصب جام غضبة على حسنى مبارك ، و ماعلينا ، بل هو لنا ، لكن لنقرأ و ندقق ماكتبة أولا ، لنفهم ثانيا ، يقول سعد فى شفاف بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٤:

"فالرجل (اى حسنى) بحماقة نظامة و رعونة حزبة الوطنى و سوء أداء اجهزتة الامنية ، أفرغ الفضاء المصرى العام من كل البدائل السياسية الفاعلة والقادرة على المنافسة الحقيقية. أى أن مبارك دون تجنيد أو عمالة للإخوان ، أدى لهم موضوعيا و دون قصد خدمات تاريخية تجل عن الحصر.. فشاة إيران هو الذى افرغ الساحة الإيرانية للخومينى ، و صدام حسين هومن أفرغ الساحة العراقية للسيستانيين ، و حسنى مبارك هومن يفرغ الساحة المصرية للإخوان المسلمين".

كل هذا جميل ، و لكن ما لسعد و ما لآية الله السيستانى ، و ما لسعد و السيستانيين؟ ربما لوقال سعد ذلك عن جيش المهدى أو فيلق بدر مثلا ، اوعن الشاب العصبى مقتدى الصدر مثلا ، لفهمنا و و عينا و ثمنا كلامة ، لكن أن يهاجم السيستانيين بالتحديد ، بينما السيستانى هومن دعى أتباعة دوما إلى العقل و المشاركة السياسية و عدم الردعلى العنف بالعنف ، رغم ما يتعرضون له من مجازر يومية من العرب السنة الزرقاويين ، فهو الأمر الغريب المثير للريبة... إن سعد يوجة نقدة كما لوكان السيستانيون هم من ملأ الساحة بعد صدام بالهدم و الدم و التفجيروالخراب. و إن سعدا لم يهاجم الشاب مقتدى و لا جيش المهدى لانه حتى كتابة مقالة هذا كان الشاب مقتدى بتوجيهاتة و أهدافة يقدم خدمات جليلة للسنة الزرقاوية ، و كان مرضيا عنة من القاعدة و لومؤقتا ، لذلك ذهب سعد يهاجم رجل السلام الجليل بدون مناسبة كما سبق و هاجم رأس الكنيسة المصرية بدون مناسبة ، بينما كان السيستانى و لم يزل ، يعلم أن تماسك العراق و ما حولة ، أو تفجر العراق و ما حولة ، يمر من تحت كفية المتشابكتين دوما فى خشوع القديسين ، لذلك كان السيستانى هو رأس الحكمة فى كل ما حدث و يحدث بالعراق.

ألم يسمع الدكتور سعد رجل الدين الشيعى السيد أياد جمال الدين و هويطالب بقيام دولة علمانية مدنية بالعراق كى تنقذ الإسلام من مخالب السلطة ، و يقول لنا "كفى خطفا للدين منذ اربعة عشر قرنا ، كفى من الاستبداد الدينى" ، إن رجل الدين الشيعى هنا اكثر مدنية من سعد الدين ، ثم ، أبدا لم يعتد الليبراليون و أهل المجتمع المدنى تحقير أوتصغير أواتهام الرموز المقدسة لمختلف الأديان ، و البابا شنودة و آية الله السيستانى من تلك الرموز المقدسة و العزيزة لأصحابها و المؤمنين بها. إن لغة سعد لم تعد حتى لغة ليبرالية تحافظ على قيم العلمانية ، إن لغة سعد أصبحت وهابية إقصائية ، فكما هى ضد غير المسلمين ، هى أيضا ضد كل من خالف مذهبها خاصة الشيعة الذين يسمونهم الروافض ، و حتى لوكانو ا أهل سلام و محبة كالسيد السيستانى ، و حتى لوكانوا مواطنين مصريين صالحين كالأنبا شنودة.

هكذا تكلم الإخوان:

ان سعد الدين على يقين بالتغيرات التى طرأت على الإخوان المسلمين ، خلال العقود الثلاثة الآخيرة ، فهلا قدم لنا أدلتة و شهادتة على ما يقول حتى نعلم منه ما يعلم هو و ما لايعلم كل الناس؟ و حتى يطلعنا سعد على ما لم نكن نعلم ، نطلعة نحن هنا على ما نعلم.

فى أواخر عام ١٩٩٩ أى قبل أحداث ١١ سبتمبر بشهور ، أصدر المرجع الإخوانى قرضاوى كتابا ضخما فى تمجيد الإخوان الذين سيقيمون الخلافة الراشدة ، حيث

أكد فيه أن سلوك الإخوان هوسلوك الخلفاء الأربعة الأوائل ، بل و أتبع اسم كل رمز إخوانى يعرض له بعبارة (رضى الله عنه) الخاصة بصحابة النبى و حدهم.
كان الرجل فى قمة نشوتة بأنتصارات الصحوة الإسلامية و ما حققتة من نجاحات فى إطلاق اللحى و تقصير الجلاليب و ضرب الحجاب على النساء و حصار الثقافات و الفنون ، و تمكنت من بسط سلطانها على عقل الشارع الإسلامى فى كل مكان (وهذه أمثلته هو على ما حققه الإخوان من نجاحات) ، أقتطع هنا فقرة و احدة عشوائيا من كتابة الذى يعبرعن كل سطر فيه عن الزهو الإخوانى و استعدادهم لاستلام قيادة الكوكب الأرضى ، فيقول:

"لقد استطاعت حركة الإخوان المسلمين أن تقاوم الغزو الثقافى و تهزمه هزيمة ساحقة فى عدة معارك.. و اليوم يتجاوز الفكر الإسلامى هذا الموقف و ينتقل من الدفاع إلى الهجوم ، و من الاعتذار إلى المواجهة ، و من الانبهار بالحضارة الغربية إلى الكشف عن خوائها.. و أصبح الذين كانو يدعون منهم إلى تقليد الحضارة الغربية.. فى حاجة إلى الدفاع عن أنفسهم ، بل البراءة من دعواهم. و عدد منهم انتقل إلى الخط المتحالف مع الإخوان و انضم إلى قافلة الدعاة للإسلام. لقد اصبحت الهوية الإسلامية حقيقة و اقعية بعد أن كانت مثار جدل ، و طاردت الحركة الاسلامية الفكرة العلمانية المستوردة التى تعزل الدين عن المجتمع و عن الدولة و سياستها.. و استطاع الفكر الإسلامى أن يثبت صلاحيتة لكل زمان و مكان - كتابة: الإخوان المسلمون / مكتبة و هبة القاهرة ، ص٢٠٨ ، ٢٠٩)

واذا كانت النشوة قد بلغت بالشيخ العجوز كل هذا المبلغ ، فلامؤاخذة إذن إن استعجل تلامذة قرضاوى و الإخوان من الشباب الوصول السريع إلى سيادة العالم ، فحملوا السلاح ضد أوطانهم و ضد العالم ، بعد ان غسل المعتدلون الذين لا يحملون السلاح أدمغة من يحملون السلاح ليحملوة ، و هوما أدى الى أحداث ١١سبتمبر الرهيبة ، و أفرغ نتائجة فى تحالف دولى ضد الإرهاب الإسلامى الدولى بدورة ، و تم إسقاط نظام طالبان ، ثم نظام صدام ، و يالهفى على عراق يلعق دم جروحة إن زمن الطاغية أو زمن الخلاص المفترض ، مع مطالبة دولية صارمة للجميع فى منطقتنا بضرورة إصلاح ديمقراطى على كل المستويات حتى توقف المبادئ الديمقراطية تفريخ العنف و تصديرة. و هو ما دفع الجميع و فى مقدمتهم قرضاوى و إخوانة لإعلان إيمانهم أن الديمقراطية إنما هى روح الاسلام و جوهرة المتين ، و أنهم قد تراجعوا عن فكرة إقامة دولة دينية ثيوقراطية ، لكنهم سيقيمون دولة ديمقراطية إسلامية !!

سبق لى و ناقشت طروحات الإسلاميين حول الديمقراطية فى أكثر من عشرين دراسة منشورة ، ثم ضممتها إلى كتابى (اهل الدين و الديمقراطية) ، و إلى كتابى (شكراً.. بن لادن) ، و فى هذه الدراسات لم أجد فى جديد الإخوان سوى لون من التقية الرديئة المعروفة و المقننة شرعا ، فيعطيك من طرف اللسان حلاوة و يروغ منك كما يروغ الثعلب ، فهل هذا هو التغيير الذى يقصدة الدكتور سعد فيما طرأ على الاخوان؟ لقد دعوتة فى ردى (سعد الدين و الإخوان تفاهم أم تحالف) ألايهتم بعنوان لم اضعة بنفسى ليكرس لة موضوعة ، و أن الأجدى بة أن يتناول صلب القضية فيما قدمته من نقد لمبادرة الاخوان و اقوالهم حول الديمقراطية ، بأسانيد قواطع ، و أن يرد علينا ليفحمنا إن استطاع حيث لامكان للأحاديث العمومية و الألفاظ الفضفاضة ، إنما للدليل و الوثيقة و البرهان و القرينة.. لكن سعدا على ما طرحنا لم يرد ، و ذهب يحتج على العنوان و أنه غير حليف للاخوان ، أما الإخوان أنفسهم فلم يحيروا ردا على أى سؤال و اضح طرحناة عليهم حول مبادرتهم للإصلاح الديمقراطى حتى تاريخة. و لأنة من الصعب هنا تكثيف عشرين دراسة مطولة ، فسأكتفى بإشارات سريعة جمعتها مجددا من على الشبكة الدولية للمعلومات ، و هى الإشارات التى تثبت بلسان الاخوان أن دعاية سعد الدين لهم بالتغيير هى دعاية خادعة و كاذبة.

فى ٢٠٠٤/١١/٣٠ أجرى الصحفى النابة سامح فوزى حوارا لصحيفة الحياة مع مأمون الهضيبى المرشد العام حينذاك للاخوان و سألة: "هل الأقباط مواطنون أم أهل ذمة ؟" و على عادة الاخوان الملتبسة الخداعية اجابة: "هم الإثنين معا" لكن سامح أصر على رد و اضح محدد قاطع مما أضطر المرشد للكشف عما فى القلب من جوه بقوله: "هم أهل ذمه" !! و بعد و فاة الهضيبى و حلول مهدى عاكف محلة مرشدا ، صرح نائبه محمد حبيب لصحيفة الزمان اللندنية فى ٢٠٠٥/٥/١٧ بالقول:

"نحن جماعة الإخوان نرفض أى دستور يقوم على القوانين العلمانية ، و لهذا السبب فإنه من غير الممكن أن يشكل الأقباط أى كيان سياسى ، و حين نستلم السلطة و الحكم فى مصر (أنظر الى الثقة التى لاتهتز)!! فسنقوم باستبدال دستورها بدستور إسلامى يمنع تعيين غير المسلمين فى المناصب السيادية و فى الجيش".
و ليس الدستور ما سيتم استبداله بغيره و كفى ، بل كل القوانين المدنية لتحل محلها الشريعة الإسلامية ، و هو ما صرح به الدكتور عصام العريان فى حوار مع ما يكل سلاكمان فى النيويورك تايمز ٢٥ /٢٠٠٦/٣. و لن تكون الشريعة أوالقرآن هى المصدر الرئيسى للتشريع لسبب بسيط هو لأن القانون سيكون هو القرآن نفسه ، و لكن بشكل ديموقراطى لأن الاخوان المسلمين ليسوا ضد الديمقراطية !!.

هو نفسة الدكتور العريان الذى صرح بالفم المليان لقناة العربية الفضائية فى ٢٠٠٥/١/١٨: " إننا لم نغير أهدافنا و مبادئنا منذ عام ١٩٢٨ و حتى الآن " ، أما كبيرهم الذى يعلمهم السحر محمد مهدى عاكف فقد ختمها فى الشهر السادس من العام ٢٠٠٦ بصوته المسجل و المعلن فى برنامج نقطة حوار و المنشور فى مجلة روزاليوسف ، حين رفض مبدأ المواطنة بالكلية ، كقيمة أساسية للانتماء ، و أعلن أنة يفضل أن يحكم ماليزى أوأندونيسى مصر على أن يحكمها مصرى غير مسلم يضرب بجذورة فيها آلآف السنين الى الوراء قبل ان تعرف مصر لاالعرب و لاالإسلام ، و قال قولتة المأثورة التى ستعيش سنينا دون أن تنسى (طظ فى مصر و أبو مصر و اللى فى مصر).

من نصدق هنا: الإخوان بلسانهم و إعلانهم أنهم لم يتغيروا منذ تأسيس جماعتهم ، أم نصدق سعد الدين ابراهيم و هو يجملهم لنا بما لايعترفون هم به؟

هكذا تكلم سعد الدين:

ان سعدا يعلم ما نعلمة ، بدليل إعلانة توجسة و مخاوفة من فرض الاخوان و صايتهم الروحية و احتكارهم للحقيقة الإيمانية ، و فرضها فى أمور الدولة و التشريع ، لكنة ليس توجسا إزاء شئ هين ، لأننا مع الاخوان بازاء مشروع كامل يناقض القائم كلة دولة و مجتمعا و سياسة و أقتصادا ، مشروعا بديلا للدولة المعاصرة بالكلية ، و لكن توجس سعد لم يمنعه من الموافقة على و صايتهم الروحية ، و احتكارهم الحقيقة الإيمانية ، و فرضها فى أمور الدولة و التشريع ، و ذلك فى استطرادة المشروط ب(إلا) المعتادة دوما فى ختام الخطابات التجديدية الاخوانية ، و جواب الشرط هو " إلا بموافقة الأغلبية المنتخبة " ، و هى الأغلبية التى ستكون بديمقراطية سعد الدين هى الأغلبية الإخوانية بالضرورة.

ويحذو سعد حذو الاخوان القذة بالقذة و النعل حذو النعل ، فهو يشرح لنا معنى المجتمع المدنى بقولة فى (ديمقراطية النجاة): " المجتمع المدنى يضم أطرافا و جماعات و تنظيمات مختلفة المشارب و المصالح و الملل و النحل و لكنها متعايشة سلميا ، و متعاملة فيما ينفع بعضها بعضا " و لتأصيل المعنى تاريخيا ، ضرب مثلا لسبقنا كمسلمين العالم كلة فى ماضينا الإسلامى الى هذا التعريف الحديث للمجتمع المدنى فقال: "كانت صحيفة المدينة غداة الهجرة النبوية إلى يثرب هى نموذج مبكر لذلك ، حيث أرست قواعد التعايش بين المسلمين و اليهود و القبائل المختلفة عقائدهم" ، و للتدليل على هذا السبق الفريد يتابع أنه "بعد خمسة قرون تقريبا و قع ملك انكلترا عهدا مماثلا مع رجال الدين و الأمراء و اللوردات فى إنجلترا لتنظيم الحقوق و الممارسات المدنية ، و عرف باسم الماجنا كارتا ١٢١٥ " أى أن الغرب

لم يبدأ أولى خطواتة نحو المجتمع المدنى بالماجناكارتا إلا بعد سبقنا لة بخمس قرون كاملة.

الدكتور سعد يفعل فعل مصطفى محمود و زغلول النجار عندما يوفقون تزويرا بين العلم الحديث و الإسلام ، ليثبت سبق المسلمين الى اكتشاف المجتمع المدنى ، فلا نخافن إذن من الاخوان فقد كانو الى الفضل أسبق و به أعرف. لقد ضاع الوطن من ذاكرة الدكتورسعد و معه أيضا تاريخ العالم كله بعد ان بقيت فية الطائفة و حدها ، فذهب إلى ماوراء البحار ، إلى بلاد غير البلاد و إلى فيافى الحجاز و برارى نجد ليضرب للناس من هناك الأمثال لعلهم يفقهون ، و لم يجد في و طنة الذى هو مدرسة المدنية الأولى للعالم كلة ، و ثيقة و احدة يضرب منها الأمثال للناس. و لو كان مقصده الاستشهاد على و جود مفاهيم مجتمع مدنى من تجارب الإنسانية فلماذا لم يذهب إلى قوانين حامورابى الرافدية او إلى ألواح روما الإثنى عشر او لديمقراطية أثينا او الأبجدية الفينيقية و وثائق أوغاريت الشامية ، لقد ذهب الى الوثيقة الطائفية الوحيدة التى لم تعش سوى أشهراً انتهت بقتال مرير بين أطرافها و عداء تاريخى دموى استمر بينهم حتى اليوم ، لقد أصبح سعد يتحدث برطانة السلفيين و يضرب الأمثال للناس لعلهم يفقهون من تاريخ الغزاة الفاتحين المنتصرين الذين فرضوا تاريخهم على المغلوبين.

مرة أخرى نتبع سعداً فنجده عن حذو الإخوان لايحيد أنملة ، فيتبنى إعلانهم عن هدفهم الجديد بإقامة دولة الإسلاميين الديمقراطيين المباركة ، من بعد سقوط الصحوة الإسلامية فى و حل الإرهاب و الدم و الحرق و السلخ و الذبح ، بموضوع نشرة فى شفاف بتاريخ ٢٠٠٥/١١/٢٦ ، جعل عنوانه إعلانا مهيبا يبشر بالعهد الآتى فهو: (من الإخوان المسلمين إلى الديمقراطيين المسلمين) !!

وقد خصص هذا الموضوع للرد على فزع الأقباط مما حصدة الإخوان من مقاعد نيابية ، فقام يضع لهؤلاء الفزعين ثلاثة بدائل هى كما قالها على الترتيب:

"البديل الأول هو القهر أوالإبادة للإخوان المسلمين ، و هو تقريبا ماحدث فى الجزائر.. فتدخل جيش التحرير الجزائرى بمباركة فرنسية و ربما أمريكية لمنع و صول الإسلاميين أوحتى مشاركتهم فى السلطة. و نشبت مواجهات دموية مسلحة و راح ضحيتها مايقرب من مائتى ألف قتيل و جريح و هذا بالمناسبة هو نفس السيناريوالذى كان نظام الرئيس حافظ الأسد قد لجأ اليه عام ١٩٨١ حينما دك مدينة حماة ليبيد الاخوان المسلمين فى سورية ، و يقال أن عدد الذين قتلوا فى هذه المواجهات كان حوالى ثلاثين الفا ".

هذة صياغة إخوانية يكمن و راءها خطابهم المراوغ الخداعى ، صياغة تقلب الحقائق حتى الخبرية المجردة و المعلومة بمخاتلة زئبقية ، لان الإبادة فى الجزائر قد حدثت كما يعلم العالم كلة من السلفيين الإسلاميين ضد ضحايا مدنيين و معظمهم كتاب و باحثين و صحفيين و مثقفين و موظفين و فلاحين و عمال فقط لأنهم موظفون حكوميون ، أو لمجرد انهم متفرنجين و لا تلبس بناتهن الخمار أوالنقاب. الدكتور سعد يصور ماحدث مذبحة قام بها الجيش الجزائرى ضد السلفيين فقتل منهم مائتى الف و يشبهة بقصف حماة بالطيران السورى للقضاء على الاخوان ، و هو بالفعل مافعلة حافظ الأسد بعد أن قام الإخوان هناك بمحاولة الاستيلاء على مدرسة المدفعية بحلب بالقنابل و الرشا شات ، ليكون ماحدث فى الجزائر هو ذات ماحدث فى سوريا!!

ثم يضع للاقباط بديلة الثانى إزاء فوز الإخوان ، وهو " الانسحاب و التقوقع و الشكوى ، و تحديدا للأقباط تصفية أعمالهم فى مصر و حزم حقائبهم و الرحيل". إن المدقق فى هذا الكلام سيكتشف إيمان سعد الدين اليقينى الذى لايهتز كأنة أحد أقطاب الأخوان ، بأن الإخوان آتون إلى الحكم إتية لاريب فيها ، و على الأقباط أن يرحلوا أو أن يقبلوا ببديلة الثالث و هو حسبما قال: "الانخراط الجاد فى العمل العام" و هذا الانخراط عنده هو الحوار مع الاخوان المسلمين ، فمن شأنة أن يوضح و يبدد مخاوف الأقباط و هواجسهم ، إذ ربما تكون الصورة النمطية عن الإخوان مغلوطة و غير دقيقة. ربما تكون هذه الصورة قديمة أعتنقها الاخوان حينا من الدهر ، و لكنهم تجاوزوها و غيروا نظرتهم للآخر غير المسلم " !!!.

ان الاخوان و قناة الجزيرة و المجد و أقرأ و أخواتها و التلفاز المصرى و خطباء الجمعة فى ملايين المساجد و سعد الدين إبراهيم بعد أن يزوروا علينا الأخبار ، يطالبوننا التسليم بأن الإخوان قد تغيروا و أن مالدينا صورة نمطية مغلوطة غير دقيقة ، إنه يقرأ نياتهم و سبق له أن اتهمنى بقراءة النيات ضد الاخوان ، فقرر من جانبه أن يقرأها لصالح الإخوان دون مبرر و احد يقدمه أودليل يدعم به موقفه أو حتى لجعل قولة ذا معنى.

تعالوا نستمع إلى مرشد الإخوان الأستاذ محمد مهدى عاكف ، و هو يبارك فوز حماس (كفرع فلسطينى ضارب للإخوان) با لانتحابات و تشكيلها الحكومة

فيقول: "وإذا كانت العلاقة المميزة للانتفاضة الاولى هى طفل الحجارة, فان العلامة المميزة للانتفاضة الثانية هى الجهادى الانتحاري و ربما كان أطفال الحجارة هم أنفسهم الذين تخرجوا جهاد بين انتحاريين بعد خمسة عشر عاما من انتفاضتهم الأولى... و إن القادة الجدد هم جميعا من و لدوا بعد الاحتلال الإسرائيلى ، و نشأوا

و شبوا على أرض فلسطين و لم يغادروها ، و لم تفسدهم السلطة أو تلوثهم الأنظمة العربية الحاكمة". بالطبع ليس غريبا بالمرة أن نسمع مثل هذا الكلام من مرشد الاخوان ، لكن الحق أقول لكم هذا ليس كلام مرشد الإخوان ، لكنة كلام سعد الدين ابراهيم بالنص بشفاف بعنوان "حماس و المد الاسلامى الديمقراطي" ، بتاريخ ٢٠٠٦/٢/١٦...... فهل لاحظتم أى فرق بين منهج تفكير و أسلوب سعد ، و منهج تفكير و أسلوب عاكف؟ إن سعدا يحتاج إذن إلى و قفة و اضحة من كل الليبراليين العرب.

بل و يأخذ سعد أبناءنا بالجامعة الأمريكية لرحلة إلى فلسطين ليلتقوا هناك بالقادة الجدد ، و قد سجل حكاية هذا اللقاء بموضوع نشرة بشفاف في ٢٠٠٦/٤/٢٠ بعنوان (في رحاب حماس) والتعبير (في رحاب) تعبير عربي معتاد في التعامل مع المقدسات ، كالقول في رحاب الله و فى رحاب المسجد و فى رحاب مكة ، أو في رحاب الجامعة كما كنا نقول في الزمن الجميل تقديسا للعلم ، أما أن يقول في رحاب حماس فتلك و الله ثالثة الأثافي القاصمة.

يحكى الأخ سعد الدين في قاصمتة فيقول: "كان الاهتمام بحماس هو الأكثر إلحاحا ، لاختبار فرضية شائعة في دراسة الحركات ألاجتماعيه ألثوريه ، معناها أن الاقتراب من السلطة أو النجاح في اعتلاء مقاعدها ، يحول هذه الحركات من النزعة الثورية العنيفة إلى الاعتدال". إن سعد يأخذنا معه إلى مختبره العلمي ليثبت لنا أن و صول الإخوان للحكم قد حولهم من ثوريين دمويين إلى حكام معتدلين ، فماذا قدم لنا من أدله على هذا الاعتدال؟

يقول: " كان في استقبالنا الدكتور عزيز الدويك رئيس المجلس التشريعى و رحب بنا الرجل ترحيبا حارا ، و لاحظنا جميعا أن هناك ١٣ مقعدا من مقاعد المجلس عليها صور كبيرة لأعضاء المجلس الذين تم انتخابهم رغم و جودهم في السجون الإسرائيلية..خاطبنا بإنجليزية سلسله و بليغة حازت إعجاب الجميع ، و لكن إعجابهم الأشد كان بسبب الوضوح و الاتساق و قوه الحجج... و لم يتهرب من أي سؤال... و كان أهم ما جاء في حديث عزيز ألدويك: أولا أن حركه حماس هى حركه تحرير و طني فلسطينية الوجهة إسلامية الجذور ، و أن فوزها في الانتخابات حسم السجال العظيم حول التناقض بين الإسلام و الديمقراطية... و أن حكومة حماس تلتزم بمواثيقها للشعب الفلسطيني و التي على أساسها انتخبت ، و تلتزم بالمواثيق الدولية التي أقرها المجتمع الدولي".

المهم ما أن ينتهي هذا الاجتماع التاريخي ليعود سعد و طلابه إلى بيت لحم حيث يقول: "و عندما عدنا إلى بيت لحم في الضفة الغربية علمنا بالعمليه الأنتحاريه التي قام بها أحد الفلسطينيين من تنظيم الجهاد المناوئ لحماس".

تعالوا إذن نرصد أهم الادله على تحول الحركات العنيفة إلى معتدلة عندما تجلس على العرش: أولا ترحيب الدويك الحار بهم ، فلم يأتهم لابسا قناعا يخفى معالم و جهة و لا حاملا لرشاش يطلقة في الهواء و لا مكشرا عن أنيابه مثل بقية المتطرفين ، و هذه علامة أولى ،.أما العلامة الثانية فهي أنه خاطبهم بإنجليزية سلسة و هى لاشك علامة حداثة و تمدن و تحضر حتى حازت بلاغتة الإنجليزية إعجاب الجميع.

و ينبهنا إلى ملاحظة الجميع لصور المعتقلين المنتخبين على كراسيها شاخصة بالمجلس التشريعى ؟! فهل يرى عالم الاجتماع أن عنترية إثبات الوجود للمعتقلين بانتخابهم و هم فى المعتقلات ، و وضع صورهم في كراسيها هو تطور و تقدم و اعتدال؟ ... كيف ستصوت هذه الصور الشاخصة الصامتة و كيف سيقدمون طلبات الإحاطة و كيف سيناقشون التشريعات ، و فى النهاية ماهو مقدار الصدق في القرار التشريعى؟

حتى الآن لم يقدم سعد شيئا يشير إلى حسم السجال العقيم حول التناقض بين الإسلام و الديمقراطية ، و لا إلى اعتدال حماس ، فرئيس المجلس كعادة الإخوان يستخدم لغتين ، لغة تتحدث عن و طن هو فلسطين بينما و ثائق الاخوان كلها المعلنة للجميع لا تعترف بشئ إسمه الوطن ، و ضمن هذة الوثائق و ثيقة حماس التي دخلت بموجبها الانتخابات.

أيضا يقدم لنا اللغتين في التزام الدويك و حماس بميثاقها مع التزامها في الوقت نفسه بالمواثيق التي اقرها المجتمع الدولي !! فهلا يعلم الدكتور سعد أن ميثاق حماس لايلتقي بالمرة مع المواثيق الدولية؟

بالطبع يعلم لكنه يتكلم بلسان الاخوان ، فميثاق حماس يعمد إلى قرار الخليفة عمر بن الخطاب منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا ، عندما طلب العرب الفاتحون من الخليفة تقسيم الأرض بينهم بما عليها من ثروات أو بشر كما تقسم غنيمة العسكر حسب الشريعة ، فقرر عمر أن يجعلها ملكا للعرب جميعا في شكل (وقف) تعود منافعه على الأجيال التالية لأبناء العرب الفاتحين لينال الأحفاد نصيبهم من غنيمة الأجداد. و ميثاق حماس يقول: إن فلسطين كلها من النهر إلى البحر و قف ديني للمسلمين عبر الأجيال حتى يوم القيامة. لكن حتى يكون الميثاق صادقا كان لابد

على حماس أن تكون أكثر التزاما بالإيمان الاسلامى ، فهذا الحق للعرب الفاتحين و حدهم ، لذلك على حماس إن أرادت الإخلاص للدين ، أن ترسل ضريبة الرؤوس خراجا عن مسلميها ، و الجزية خراجا عن مسيحيي فلسطين ، و ان يرسلوا نساءهم لأصحاب الحق الشرعي في ركوبهن في جزيرة العرب ، بل أن حماس بكل رجالها حسب القرار العمرى إنما هم فيئ ضمن الفييء المستحق لعرب الحجاز و حدهم.

إن عالم الاجتماع لم يرى مطلقا حجم التناقض بين الحديث عن فلسطين كوقف على العرب الفاتحين (يزور الحماسيون تاريخنا المقدس و يعممون الوقف على كل المسلمين) ، و بين الحديث عن فلسطين كوطن ، و بين مفهوم الوقف و مفهوم المواطنة! أم ضاعت البوصلة من سعد حتى راح يروج لالتزام حماس بالمواثيق الدولية ، و هى تطلب فلسطين من النهر إلى البحر!

الم يقرا سعد البند الميثاقي الخماسي الذى يؤكد أن ألمشكله الفلسطينية لا حل لها الا بالفريضة الاسلاميه على كل مسلم فريضة الجهاد؟ و كيف يرى حماس تعترف بالمواثيق الدولية و يروج لذلك ، و تؤمن بميثاقها في الوقت ذاته ، و هو الميثاق القائل في بنوده أن الأمم المتحدة و مواثيقها هى صناعه لمؤامرة يهودية محبوكة هدفها تدمير القيم في بلادنا ليسهل لهم السيطرة علينا و على العالم.

ألم يقرأ سعد في ميثاق حماس حديث شجر الغرقد الذى سينادى المسلمين يوم المذبحة الكبرى لليهود: و رائى يهودي يا مسلم تعالى فأقتله؟ ألم يقرأ سعد إصرار ميثاق حماس على ربط القضية الفلسطينية بكراهية قديمة حدثت في بلاد الحجاز منذ أربعه عشر قرنا ، باعتبارها قضيه دينيه لا و طنيه ، و ضرورة تنشئه النشء المسلم على هذه الكراهية؟ ألا يرى سعد أن الأمم المتحدة و العالم كله لن يفهمنا عندما نتحدث هذه اللغة و لن يرى فينا سوى مجموعه إرهابيين؟

ألا يرى سعد أن ذلك ضياع لقضية و طنيه شريفة ، كان يكفيها أن تطرح تحت مظله المواطنة ليشارك فيها المسيحي الفلسطيني أخيه المسلم الفلسطيني و كل الملل و النحل ، و أن تجد من يفهمها و يتعاطف معها و يدعمها في كل بلاد الدنيا ، لأنها كلها لأهلها أوطانا و ليست أديانا.

لقد أراد الأخوان من سعد في السجن (حسب كلامه) أن يعلمهم كيف يتحدثون مع العالم بلغه هذا العالم لكسب تأييده و تعاطفه معهم ، فإذ به يرطن رطانتهم و يروج لأشد أفكارهم رجعية و انغلاقا و دهاء و إزدواجيه و مخاتلة. يبدو أن التأسلم قادر على محو كل ما قبله ، كما الإسلام يجب ما قبله.

ويبدو أن العملية الانتحارية التي قام بها الجهاد أفسدت على سعد ما أراد ترسيخه في أذهان طلابه ، فقام يصف تنظيم الجهاد بأنه مناوئ لحماس؟ منذ متى؟ و كيف؟ و لماذا؟

أم أن الجهاد يمارس العنف حتى يصل إلى السلطة بدوره و يجلس على العرش معتدلا، فيعتدل؟

و هل كي نصل إلى السلطة يجب أن نمارس العنف أولا؟

ثم كان خير خواتيم سعد بموضوعه المنشور بشفاف بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٣ تحت عنوان (الاستبداد و اضطهاد المعتدلين.. عصام العريان نموذجا).

وفى هذا الموضوع يظهر عن سعد كثير مما أخفاه عنا فى علاقته بالإخوان ، و على امتداد ربع قرن مضى

يقول سعد الدين: " أصبحت مقتنعا أن نظام مبارك لا يطيق الناشطين المعتدلين.. حتى لا يظهر في الساحة سوى المتشددين " ، و هو كلام نبصم عليه بالعشرة ، لكن ما نرفض الموافقة عليه أن يكون نموذج هؤلاء المعتدلين هو القطب الإخوانى الدكتورعصام العريان! الذى اعتقله الأمن المصري فكتب سعد موضوعه يدافع عن العريان بالروح و بالقلم ، يقول سعد: " لقد عرفت عصام العريان على امتداد الربع القرن الماضى ، و قد تزامنت عودتي من الخارج ١٩٧٥ مع سنوات نشاطه الطلابي في كليه الطب. و مع اهتماماتي البحثية بالحركة الإسلامية ، كان طبيعيا أن ألقاه ، حيث كان هو أحد رموزها البازغة ، و فى أهم فصائلها النشطة و هى جماعه الاخوان المسلمين. و كانت الجماعة قد أعلنت إقلاعها عن العنف بعد صفقه غير معلنه مع الرئيس الراحل أنور السادات عام ١٩٧٢ ، و لكن قليلون هم الذين صدقوا هذا الإعلان في ذلك الوقت.. و فى كل مجهوداتي البحثية كان عصام العريان ندا و محاورا من الطراز الأول.. و رغم أني أختلف معه أيديولوجيا ، إلا أن احترما متبادلا و ألفه إنسانيه دافئة نمت بيننا على مر السنين. ثم تزاملنا في العمل النقابي في تلك السنوات من ١٩٨٦ – ١٩٩٦.. و تلازمنا في سجون مبارك.. و كثيرا ما تبادلنا حكايات و طرائف و الام السجن في لقاءتنا بعد الخروج.. و فى السنتين الأخيرتين جمعني بعصام العريان مؤتمران هامان ، الأول في ابريل ٢٠٠١.. و كان استكمالا لحواري في السجن مع الفصائل الإسلاميه.. و نظمت لهم حوارا استمر يوما كاملا مع عدد من الدبلوماسيين الغربيين في القاهرة و شارك عصام العريان ، بل كان أحد نجوم الحوار ، و أنبهر به الغربيين.. أما المناسبة الأخيرة فقد كانت في ديسمبر ٢٠٠٤ في الأردن في مؤتمر نظمه مركز

دراسات الإسلام و الديموقراطية ، و شارك فيه أمريكيون و عرب مسلمين و غير مسلمين.. و طالب المنظمون من عصام العريان و منى أن نتقمص أدوارا أساسيه معاكسه تماما لأدوارنا الفعلية في الحياة ألعامه. و من ذلك أن يقدم هو حججا مقنعه ضد تطبيق الشريعة أو إقامة الدولة الدينيه ، و المدهش أن عصام قام بهذا الدور خير قيام.. و على إمداد ٢٥ عاما لم أسمع عصام العريان يدعو إلى العنف أو يحض على كراهية الآخر غير المسلم أو المختلف معه في الرأي. كان عصام طالبا نابها في الطب و كان نقابيا لامعا و خاض و فاز في انتخبات برلمانيه ، و كان أداؤه في مجلس الشعب نموذجيا بشهادة زملائه من نواب الأحزاب الأخرى.. مبارك ، إرفع يدك عن عصام العريان".

من نافلة القول أننا ضد أى اعتقالات و محكمات لا تتم بالطريق القانوني المدنى الطبيعي ، ضد قوانين الطوارئ و الاعتقالات التي تواظب أنظمتنا الاستبدادية على ممارستها ، سواء كان المعتقل عصام العريان أو سعد الدين ابراهيم أو أيمن الظواهري ، و نطالب مع سعد الدين برفع يد النظام عن جميع المواطنين مسلمين و أقباط و نشطاء حقوق و حريات. لكن سعدا عندما يذكرنا بصفقه السادات مع الإخوان أيام كان الدكتور العريان طالبا ناشطا إسلاميا ، فهو إنما يذكرنا بأيام طعمها كالحنظل و لونها اشد سوادا من الليل البهيم ، أيام تسلطن التيار الإسلامى بالجامعات ، و ضرب الطلبة أساتذتهم الليبراللين بالأحذيه في قاعات المحاضرات ، يذكرنا بأيام مهاجمه التيار الإسلامى للحفلات الجامعية المعتادة ، و تدميرهم الكراسي و آلات الموسيقى و الميكرفونات على رؤوس العازفين و الحضور ، أيام كانوا يشوهون و جوه السافرات بماء النار ، أيام منعوا الحفلات ألمسرحيه بالقوة ، أيام الزموا الأقباط المذلة و المسكنة و الصغار ، برعاية شخصيه من الرئيس المؤمن ، و تحت سمع و بصر البوليس المصري ، و أثاروا الفتن الطائفية من السلوم و العريش إلى أسوان و عنيبة.

إن الدكتور سعد يفخر بزمالته لناشط إسلامى كان نشاطه في الزمن الأغبر ، حتى قتلوا الرجل الذى أفرج عنهم و ترك لهم مصر سداحا مداحا يوم نصره ، و لم يسلم من شر نشاطهم الإيمانى أحد ، لا عدو و لا حبيب.

ثم يذكرنا الدكتور سعد الدين مره أخرى بأيام استيلاء الاخوان على النقابات ، عندما نشط الدكتور عصام العريان في نقابه الأطباء بعد تخرجه ، حيث تم التحول عن قسم أبقراط أبو الطب ، إلى قسم لا علاقة له بالطب بل بالطائفة و حدها ، رغم أن بادج النقابة يحمل اسم (النقابة العامة لأطباء مصر) أي إنها لكل الأطباء مسلمين و غير مسلمين ، فإن العريان و إخوانه عندما نشطوا بالنقابة جعلوا القسم يبدأ بالبسملة

الاسلاميه (بسم الله الرحمن الرحيم) ، رغما أن قسما كهذا لا يفتتح هكذا ، فكي تبدأ بالبسملة فذلك يعنى أنك ستقول كلاما مقدسا ، و يا ليت الغرض كان تقديس مهنه الطب ، بل كان هو الأسلمه الإجباريه لكل طبيب غير مسلم عندما يؤدى القسم مع عدم اعتراف رسمي بوجود أطباء غير مسلمين يزيد عددهم عن ثلث أطباء النقابة. لأنه لو كان الغرض من البسملة هو تقديس هذه المهنة الجليلة و ممارستها بشرف يليق بها ، لتم إعطاء الطبيب المسيحي نفس الفرصه ليقسم بمقدسه هو الذى يؤمن به.

ثم بعد البسملة صياغة إسلامية كاملة المفردات مبنى و معنى ، مثل "تعاون الهيئة الطبية على البر و التقوى ". و من يومها لا يقسم الأطباء على شرف المهنة بضمير شخصي نقى بين الطبيب و ربة ، إنما هم يقسمون على البر و التقوى ، فما للبر و الطب؟ و ما للتقوى و ما للمرض و العلاج؟ و من ثم تمت عملية استتبا ع الأطباء المسيحيين جبرا للأطباء المسلمين السادة. و من باب زيادة النكاية فيهم يقول البند الأخير من القسم: "أن تكون حياتي مصداقا لايمانى في سرى و علانيتى ، نقية مما يشينها إتجاة الله و رسوله و المؤمنين".

هذا كلام يجوز أن يقال في مسجد السيدة نفيسة أو السيدة زينب إثباتا لإخلاص المسلم لرب الإسلام و رسوله محمد بالتحديد و التدقيق و بالذات ، فالقسم لم يقل "و رسله" من باب اعتراف يوجبه قانون الإيمان الاسلامى نفسه ، و من باب الاعتراف بديانات الآخرين و لو من طرف اللسان ، لكنهم أرادوا قسما طائفيا عنصريا خالصا استتبا عا لغيرهم ، سياديا أنفا متكبرا فظا متعاليا ، فأي زمن يذكرنا به الدكتور سعد الدين ، و أي نشاط يضرب لنا به الأمثال للاعتدال عن صديقه الدافئ الأليف و خله الوفي عصام العريان؟ و من يومها مازال الطبيب المسيحي يؤدى قسم النقابة على هذا الحال ، فطوبى لأطباء مصر الأقباط بعدد أسماء ذات الله الحسنى ، و يا لوعة الكبد عليك يا و طن يوم يفوز بحكمك العريان و إخوانه.

أما أن يقوم الدكتور العريان بعمل تمثيلي في مؤتمر الأردن ، و أن يقدم فيه حججا مقنعه ضد تطبيق الشريعة أو أقامة الدولة الدينية ، و ان يبرع في ذلك براعة أبهرت الدكتور سعد و الأجانب ، فهو ما يعنى و جوب أن تستريب دوما في الإخوان لقدرتهم التمثيلية ضد ما يعتقدون حقا و على عكس ما يبطنون؟ أم أن سعدا أرادنا أن نصدق تمثيل الدكتور ؟إن هذا الإيمان الدافق من سعد الدين بصديقة الحميم العريان , يدفعنا دفعا ليس إلى معرفة شخصيه العريان و مدى لطافتة و ظرفه و دفئة كما حدثنا عنة خلة سعد الدين ، إنما لمعرفة ما يعتقد العريان نفسة و ما يعلنة بلسانة هو لا بلسان سعد.

هكذا يتكلم العريان:

قدم سعد العريان نموذجا للاعتدال و لم يقدم لنا دليلا و احدا على هذا الاعتدال الذى زعمه , غير شهادتة هو و حدة و هى غير مقبولة كدليل ، و من ثم سأعرض هنا لاختيارات عشوائية لكلام العريان , بحثا عن اعتدال العريان و الذى يشهد لة رجل مهم من رجالات المجتمع المدنى فى مصر.

بين يدي الآن مقال كتبة العريان بالوفد المصرية في ٢٠٠٥/٤/٢ , إضافة إلى حوار له مع شبكة شفاف بتاريخ ٢٠٠٤/٨/١٤.

وضع العريان لموضوعه بالوفد عنوانا هو "مخاوف مشروعة و هواجس لا مبرر لها " ، قاصدا إقرار المتخوفين من أقباط أو ليبراليين على تخوفهم من الاخوان المسلمين ، لكنه أيضا قصد إلى تبديد تلك المخاوف المشروعة لأنها ليست أكثر من هواجس لا مبرر لها.

يقول العريان: "إن الاخوان قد أعلنوا على لسان مرشدهم الأولوية قبل تعديل الدستور لإطلاق الحريات ، بحيث يكون لدينا مجلس شعبي حقيقي يعبر عن الإرادة الشعبية يتم انتخابه في انتخابات حرة نزيهة" و المهم هو أن هذا المجلس المنتخب هو من سيقوم بتعديل الدستور أو استبداله بدستور جديد.

بطول موضوعه لم يقترب الدكتور عصام من الجوانب الحقوقية للديمقراطية ، فقد حدثنا عن ضرورة عدم تعديل الدستور كخطوة أولى ، تتبعها خطوة ثانية هى إطلاق الحريات لانتخاب مجلس تشريعي تكون مهمته هى صياغة الدستور الجديد. لأنه يعلم كيف تم محو و عى المواطنين فلم يبق عندهم شئ يعلمونه عن الدنيا سوى الإسلام و شريعته ، و هو الوعي الذى سينتخب دعاة الدولة الدينية و الشرعية ، الذين سيقومون بعد ذلك بإعادة صياغة الدستور ، و يا خراب بيتك يا مصر من بعدها.

لماذا لا يخطر للدكتور و هو يتحدث عن الصندوق و الحريات أن يتحدث عن ما هى الحريات المقصودة إضافة لصندوق الاقتراع ، فهلا طمأننا على مساواة المرأة للرجل في الميراث و الشهادة و تولى المناصب بما فيها منصب الإمامة العظمى؟ و هلا طمأننا عن و ضع الأقباط في ظل دوله الشريعة المنتظرة؟ و هل سيتم تحديث عهد ألذمه العمرى أم سيطبق عليهم مستحدثات إسلاميه لا نعرفها؟

الاخوان و عريانهم يقعون في مشكله بين ما يضمرون ليتقوا منا تقاه ، و بين ما يعلنون تقيه أيضا باللسان لا تمس القلب ، فهم يقدمون لنا أنفسهم بحسبانهم دعاه

الإسلام أو هم الإسلام نفسه ، ثم تجدهم يحدثوننا بمفاهيم غريبة عن الإسلام: كالمجلس التشريعى و الحريات و الاراده الشعبية ، فهلا أخبرنا الدكتور العريان أين نجد في الإسلام أو تاريخه شيئا مما جاء على لسانه عن المجلس المنتخب انتخابات حره نزيهة ، و أين نجد الإراده الشعبية و فى أى متن أو حاشية ، و أين يمكنا العثورعلى مفهوم الحرية (أللهم إلا مفهوم الحر بالنسبة للعبد و هو فقط ما تعرفه الثقافة الاسلاميه عن معنى الحرية). و هل سبق و جرت أى انتخابات في تاريخ الخلافه الاسلاميه المستبدة منذ فجرها و حتى سقوطها عبر أربعه عشر قرنا من الظلم و انعدام الرحمة و الاستبداد الدموي. على العريان أن يختار هنا ما بين الإسلام و ما بين الحقوق العلمانية كى نستطيع أن نفهمه و نثمن ما يقول.

بعد أن يطالب الدكتور العريان في مقاله بالوفد بحريا ت تكفل مجلس تشريعي يعدل الدستور أو يجدده أو يستبدله ، يعود في المقال نفسه ليطالب سلفا بتعديل مقدما لبعض مواد الدستور الحالى "المواد المتعلقة بالرئيس ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٤ و أن الاخوان مع هذا التعديل الحقيقي"؟ حيرونا إخواننا الإخوان ، مرة هم مع بقاء الدستور حتى يتم تعديله على أيديهم لا سمح الله ، و مرة هم مع تعديل بعض بنوده الحالية و الخاصة برئيس الجمهورية و مده حكمه و سلطاته.

وعلى شرح العريان نتسأل: متى عرف الإسلام و إخوانه مسألة تحديد مده و لاية الرئيس أو الإمام أو الخليفة؟ إن الاخوان يزعمون إنهم الإسلام ثم يطلبون شأنا ليس من الإسلام و لا يوجد له شبيه في تاريخ الإسلام ، إن ما إن ما قال العريان هو بمنطق و فقة الإسلام السنى الاخوانى هو كبيرة من الكبائر ألمثيره للفتن ، و من ثم يجب ذبح العريان طبقا لنصوص الشريعة الإسلامية ، أو جلده على ملأ تعزيرا. مره أخرى هذه المتناقضات لا يحلها إلا أن يختارالعريان و الاخوان ما بين الإسلام و لغته و مفاهيمه و نظمه ، و ما بين الديموقراطية المدنية الحقوقية العلمانية ، و إلا ظلت هواجسنا كوابيسا مستمرة. فإما أن ينخرطوا في العملية الديموقراطية دون تدليك غرائز التدين عند الشارع المسلوب الوعي ، و أن يكون هذا الانخراط بمبادئ مدنيه مائه با لمائه لا علاقة لها بأي دين أو أي مقدسات ، و إما أن يظلوا إخونا و لا يحدثوننا برطانة رفضوها طوال تاريخهم ، إنهم يرطنون فقط ، حتى يصلوا بها انتهازيا لصندوق الاقتراع و حده ، إلى المجلس ثم الكرسي الأعظم ، ثم استبدال الدستور (بالقرآن دستورنا). لإقامه الخلافة المقبورة مرة أخرى ، لا أقامها الله و لا ردها.

ويحتج الدكتور العريان بشده على قانون الطوارئ ، و كذلك نحن ، لكن بشرط أن يكون احتجاجا بمرجعيه مدنيه لا إسلامية ، لأن القول بمرجعية دينية هو كذب

صريح على الناس ، و افتراء على تاريخ الإسلام الذى لم يعرف بطوله و عرضه أى قانون بالمرة سوى قانون الطوارئ الدائمة منذ حكم أبو بكر بن أبى قحافه و حتى اليوم. فلماذا يحتج الاخوان على قانون إسلامى أصيل ١٠٠% - أصالة و عراقة و خصوصية؟ أم أن ذلك يجوز لكم و لا يجوز لغيركم ، أو بلغة سعد الدين ابراهيم: حلال لهم و حرام على غيرهم؟

لماذا لم يعلن الاخوان إدانتهم لهذه الطوارئ الطويلة البغيضة في تاريخ الدولة الاسلاميه حتى نصدق فعلا أن الاخوان ضد مثل هذه القوانين؟

أم ينادون بما لا يؤمنون؟ إن الاخوان داخل جماعتهم لا يعرفون حتى الآن نظام الانتخاب ، و يظل رئيسهم / مرشدهم / رئيسا مدى الحياة حتى يصيبه الخرف قياسا على نظام الخلافة الاسلاميه. إن الاخوان بهذا الشكل هم مره دكتور جيكل و مره مستر هايد.

ثم يؤكد العريان " أن مبادرة الإخوان للإصلاح هى برنامج الاخوان لبناء نهضة مصريه ترتكز على مرجعيه إسلاميه ، و تسعى إلى تحقيق غايات الإسلام العليا في العدل و الحرية و المساواة و الشورى و الكرامة الانسانيه"

فهلا سال الدكتور سعد الدين صديقه في مسألة النهضة المصرية بينما كل الاخوان ضد مفهوم المواطنه و الوطن و بخاصة مصر ، و آخرها (طظ في مصر) شعار الاخوان الجديد الذى أطلقه كبيرهم الذى يعلمهم السحر؟ و كيف تكون مصريه و تقوم على مرجعيه إسلاميه ، و أساتذتهم الكبار لا يعترفون بوطن و لا برايه قوميه؟

وهلا سأل سعد الدين صديقه الدافئ و حميمة المعتدل عن غايات المسيحية العليا ، و غايات الشيعة العليا ، و غايات العلمانيين العليا ، و غايات الملحدين العليا. لإن لكل فريق قيما خاصة يراها هى العليا ، لذلك لابد أن تصبح جميعا في الفعل الديموقراطي نسبية تماما و ليست عليا ، و لا يجرؤ على القول بغايات طائفية عليا في الفعل الديموقراطي أى شخص يفهم بسائط الديموقراطية الابتدائية. ثم ألا يرى سعد معنا أن القول بغايات طائفية دينيه عليا هى هدف الفعل الديموقراطي ، هو انحياز لفئه من فئات المجتمع ، و لدين من أديان المجتمع ، يخلق بها ميزه و فضل لهذة الفئة على باقي مكونات المجتمع ، و هو ما لا علاقة له بالديموقراطية ، لأنه يؤدى إلى الانحياز الطائفي و من ثم إلى التباغض و التفكك الاجتماعي ، مع عدم الولاء للوطن إزاء الولاء للطائفة.

نذهب مع العريان إلى حواره مع شفاف حيث يجيب عن السؤال: "ما هى الديموقراطية من و جهه نظر الأخوان المسلمين ؟" بقوله: " إن الديموقراطية

لايمكن فصلها عن ثقافة الشعب ، و بالتالي فالأبعاد الفلسفية للديموقراطية تخضع لطبيعه المجتمع الذى تنشأ فيه..

فهناك تنوع مختلف من الديموقراطية ، لكن هذه الديموقراطيات تتفق على أسس هامه و هى ما نتفق عليها نحن الاخوان ، و هى أن الشعب من حقه أن يولى الحاكم و أن يحاسبه و أن يعزله لفترات محدده ، و فصل السلطات الثلاث. و أن رأى الأمه محترم في انتخابات دوريه ، و حقوق الأفراد مكفوله بحكم الدستور ".

العريان يرى أن الديموقراطية يجب أن تخضع لثقافتنا التي لم يشر إلى ماهيتها ، و بالطبع المقصود هنا هو الإسلام لأن الاخوان لا يرون في المجتمع بشرا آخرين لهم ثقافة و دين مختلف ، ثم يتحدث عن كون الديموقراطية هى توليه الحاكم و محاسبته و عزله لفترات محدودة (وحكاية عزله لفترات محدودة إجتهاد عرياني ليس له سوابق فقهيه ، و المقصد في النهاية أن ديموقراطيتنا الإسلامية تولى الحاكم مدى الحياة ، و لم يحدث أن تم عزل حاكم إلا بالسم أو السيف) أما فصل السلطات فقد أكد محمد حبيب و كيل الاخوان للشرق الأوسط في ٢٠٠٥/١١/٢٧ أن هذا الفصل بين السلطات و اختصاصاتها لابد أن يستهدى بالشريعة الاسلاميه و لتأكيد ما قلنا نقرأ استطراد عريا ن الشارح" و لكن نضيف عليها أى على الديمقراطية _ الإسلام..بمعنى أن الديموقراطية في المجتمعات الاسلاميه تخضع لثقافة هذه المجتمعات الإسلاميه.. لأن هناك سقفا لهذا المجتمع و ثقافته و شريعته الاسلاميه التي يحتكم اليها....لأنها شريعة محترمه"!

أو ليست بقيه الشرائع الدينيه محترمه في نظر العريان؟ فلماذا الاسلاميه و حدها يكون لها السيادة؟ ثم أليست شريعة القانون المدنى ألمقدسه في بلاد الحريات شريعة محترمه إختارها الناس و ارتضوها؟ يجيبنا العريان: " لابد من و جود سقف لما هو الحلال و الحرام في الدين و ما هو الثواب و الخطأ في القانون " الرجل يلف و يدور ليقول في النهاية إن الصواب في القانون هو الحلال إسلاميا و إن الخطأ في القانون هو الحرام إسلاميا.

ثم يتطوع العريان بطمأنة الأقباط بوعود لفظيه من قبيل قوله الواثق من قيام دولتهم الاسلاميه: "فإن ضمان حقوق الأقباط في ظل الإسلام أكثر من عدم الالتزام بالإسلام ، لان الإسلام يجرم الاضطهاد لمن هو مخالف في الدين"

وبغض النظر عن صدق الرجل مع نفسه و مع إيمانه و تقواه ، و أن الإسلام لا يضطهد المخالف بل يطلب منه أحد ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتل ، و بغض النظر عن حديثه المرسل عن العدل و الحرية و المساواه و الكرامة الإنسانيه التي

لم تتحقق في تاريخ المسلمين و لا حتى زمن الراشدين ، فإن الصحفى المحاور يسأله: "و لكن في حال تطبيق الشريعة الاسلاميه سيحدث خلاف بين الأقباط و المسلمين" ، فيجيب العريان: "بالطبع ستحدث خلافات بينهم.. و الحل هو سيادة التسامح و قبول الأخر" ، و لا تعلم من سيتسامح مع من هنا؟ السيد المسلم أم الذمي القبطي ، و من المطلوب منه قبول الآخر في ظل تطبيق الشريعة الاسلاميه ، بل أن العريان يحسد الأقباط على حظوظهم و تميزهم بقوله: "الكنائس الآن تقوم بنشاط كبير أما المساجد فلا تستطيع".

هذا الرجل كذوب و شرير لأنه يقول شيئا و الواقع كله أمام الدنيا كلها ينطق بالعكس تماما ، أما السر في هذه الحرية التي تنالها الكنائس و تستحق عليها الحسد فهو "أن امن الدوله لا يستطيع التدخل في شئون الكنائس"!.... روح يا شيخ منك لله ! أشوف فيكم يوم !.

المهم أن استمرار الحوار يفصح عن ما هو مخفي و مستور ، فيسأله الصحفي: "إذن أنت توافق على تأسيس حزب قبطي من الممكن أن يتولى السلطة و يحكم المسلمين" ، فيجيب الناشط المعتدل صديق رجل الاجتماع المعتدل: "إن هذا افتراض خيالي في بلد مثل مصر ، لأنه في ظل الدستور و القانون سيكون ذلك ضربا من الخيال ، فإذا تولى حزب اسلامى السلطة في ظل دستور يحكم بمقتضى الشريعة ، فكيف يأتي بعده حزب قبطي؟"

أما المرأة فلم يتعرض لها العريان و لا كل الاخوان حتى الآن خاصة ما تعلق بحقوقها ، و إن تكرموا عليها و سمحوا لها با لمشاركها في الانتخاب و الترشيح و تولى الوظائف عدا منصب الامامه العظمى.

وإذا كان سعد الدين يستبشر خيرا بالإسلاميين الديموقراطيين و يرى إنه ممكن أن يكونوا كالنموذج التركي الذى و صل فيه الإسلاميون إلى السلطة و لم ينقلبوا على الديموقراطية ، فإن صديقه و حميمة العريان يرد على حبيبة سعد الدين قائلا في الحوار نفسه: " تركيا اعترفت أنها دوله غير اسلاميه و آخر تصريح لرئيس الوزراء قال فيه أن تركيا دوله علمانية و دوله اوربيه أكثر منها اسلاميه " ، إن العريان يا دكتور سعد يرفض نموذجك الذى اقترحته للإخوان و يراه نموذجا علمانيا أوروبيا غير إسلامى ، فهلا عرضت عليهم نموذج طالبان مثلا؟

بالفرض الحسن مع الظن الحسن بأن سعد الدين ابراهيم لم يكن طوال الربع قرن الماضى يحمل في داخله شيخا سلفيا ، و أن ذلك قد جد عليه بعد حبسه الظالم مع الاخوان ، فإن جريمه النظام في مصر أنه حول سعدا إلى مسلم سلفي ، إنه إبداع

حكومتنا الرشيدة الفريد التي بلا نظير ، إبداع حول شعبا بكاملة من شعب مقبل على الحياة منتج مبهج مرح فنان مخلص لوطنه ، إلى شعب متجهم مكتئب ضد كل ما هو جميل في الحياة ، شعب طائفي عنصري قاسى.

إن ما فعله النظام المصري بسعد الدين هو تماما ما فعله رئيس العصابة بضابط مكافحه المخدرات الشريف ، الذى قاوم الإغراء ت و الرشاوى و استمر في مطارده العصابة ، فما كان من (البيج بوس) سوى أن اختطفه و حبسه ، و ظل يحقنه بالمخدر يوميا حتى تحول الضابط الشريف إلى مدمن لا خطر منه بعد. لقد حقنوا سعدا بأفيون الشعوب.

خسارة يا سعد الدين .. خسارة يا مصر.

حوار سامح سامي مع سيد القمني

لا اعرف لماذا أتذكر كلمات الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه:

"إنني أعرف نصيبي ، سوف يرتبط اسمي ذات يوم بشئ هائل مرعب ، بأزمة لم تعرف الأرض نظيرا لها ، بقرار حاسم ومضاد لكل ما آمن به الناس حتى الآن ولكل ما تطلبوه وما قدّسوه.. سوف يرتبط بقلب جميع القيم". وهذه هي الصيغة التي وضعتها لفصل تعيشه البشرية في أقصي درجات تأملها لذاتها. وهو الفصل الذي تحول في كياني إلى لحم وروح.."

حين يأتي إلى ذهني اسم الدكتور سيد القمني فهو يذكرني بنيتشه مع الاختلاف ، الزماني والمكاني ، بينهما. وهل لان الدكتور سيد القمني يذكرني بفكر نيتشه- مع مراعاة الفروق بينهما والاتجاهات- في قلب جميع القيم المطلقة المتوارثة ويعيد قراءتها مرة أخرى ولا يتراجع- وهذا سبب معاركه الفكرية التي تتحول لعداء شديد تكفيري- عن إصدار حكم بوقفها وتغييرها بل ونصفها... لا اعرف فالدكتور سيد القمني مفكر "استثنائي" جاء وعاش بيننا ونحن لا نعلم قيمته الآن**!**. كنت أتمنى أن أتحدث إليه في ظروف ملائمة لحالته الصحية وظروفه المرضية.

*"إن مشروعه الفكري خارج الاجتهاد؛ لأنه يطعن في صحيح الثوابت والعقائد التي تجمع الأمة مما يستفز مشاعر المسلمين. وأن هذا الاستفزاز يحدث في مناخ عالمي يتخذ من الإسلام عدواً" هذا كلام الدكتور **محمد عمارة** عنك... تعليقك؟

**إن مثل هؤلاء السادة الذين يمثلهم الدكتور محمد عمارة يفترضون أن مفاهيمهم للمفردات والمعاني هي المفاهيم الواضحات التي يتفق حولها مختلف الفرقاء.
متصورين سامحهم الله أن طريقتهم في التفكير هي الطريقة المعيارية للجميع. وكان بإمكاننا أن نقبل طريقتهم كمعيار لكنهم للأسف لا ينطلقون من كون مفاهيمهم هي المعيار بحسبانها قد تم التوافق على مقاصدها بين الجميع عبر جدل حضاري طويل. لكن لأنها مفاهيمهم وكفى بذلك سببا لصلاحيتها المعيارية ، مع الأسباب المضمرة لصحتها المستندة إلى الإسلام بحجة الدفاع عنه ضد أعدائه ، فتكسب المفاهيم شرفين: شرف الدفاع عن الدين ، وشرف أنها مستمدة من هذا الدين. كما لو كان من المتفق عليه انه كي يكون المفهوم معياريا فيجب أن يستند إلى الدين أو تكون مهمته صياغة مفردات دفاعية عن الدين ، بينما المفاهيم والمفردات والمقاصد التي يستخدمونها ليست معيارية بإطلاق ، ونموذجها الواضح أمامنا في كلام الدكتور عمارة.

فهو يرى أن مشروعي الفكري خارج الاجتهاد ، متصورا أن الجميع قد اتفق على أن الاجتهاد مشروط بالشروط التي كبلته بنهاية القرن الرابع الهجري ، فتحول الاجتهاد إلى إعادة تفسير المفسَّر وحرث المحروث طوال عصور خضعت لهذه الشروط الفقهية اللاإلهية أو اللاقدسية. واكتسبت القدسية عبر حلف الفقيه والسلطات ، وما يملكه هذا الحلف من قدرات السلطة وتوجيه العقل الجمعي. بينما الاجتهاد المطلوب اليوم يجب أن يبدأ من تكسير شروط إجتهاد كانت تلائم زمنها وعصرها ، وأصبحت اليوم قيودَ على العقل الإسلامي أودت به إلى ما هو فيه الآن.

وهكذا يبدأ الأستاذ بمفهوم يحمل عنده معنىً وعند غيره معنىً آخر ليلزم الجميع بمفهومه كما لو كان هو المعيار والمقياس لكل الأفكار والاستنتاجات الممكنة.

أما لماذا هو خارج الاجتهاد؟ فالإجابة بدورها إجابة اتهامية ومراوغة في آن معاً. ولا ترد على شيء ولا تفند شيئاً ولا تقدم حجة أمام حجة ، فالتهمة الجاهزة التي ألجمت الجميع عبر العصور يجب أن تكون فعّالة اليوم. **ومن غير الواضح لسيادته أن التهمة ليست حجة إنما هي إرهاب فصيح صريح..** ألا تراه يقول:" إنه يطعن في صحيح الثوابت والعقائد"؟!

كما لوكان الطعن هدفاً في حد ذاته فيما أقدّمه للناس ، وهي تهمة ارفضها تماماً ؛ لاني احترم كل الأديان وأوقع على حق كل صاحب اعتقاد ، أو كل من لا يعتقد ، في حقه فيما يراه ويطمئن إليه ضميره ، وانه ليس مهمتي"الطعن"؛ لان هذا الطعن لابد أن يكون له هدفه... و إلا لماذا الطعن في دين المسلمين؟

إذاً ، لابد أن وراء الطعن ما وراءه ، حلف المؤامرة التاريخية ضد الإسلام والمسلمين. وبالطبع سيكون العبد الفقير إلى الله أحد أيدي المؤامرة الخفية.. و إلا لماذا الطعن إذاً؟

ويعلم كل قارئ لأعمالي مدى الحرص على التوثيق الأكاديمي التمامي وعدم الانتقاء لإثبات أو نفي ما أرى ، لكنهم جميعا يرون أن كشف السلبيات وتعرية الأخطاء هو هذا الطعن المقصود.

ولا يذكرون من قال:"رحم الله امرئ اهدى إليّ عيوبي".

إن الدكتور عمارة ورفاقه يضعون قاعدة غريبة ، وهي أن أي نقد اليوم لأوضاع الأمة أو تاريخها أو منهجها في التفكير ، يساهم في تعريتها أو فضحها أمام أعدائها وهي ضعيفة مهانة ، لذلك فإن أي لون من كشف السلبيات يصب مباشرة في خانة التعاون مع أعداء الأمة. ولما كان لكل أمة أعداؤها عبر العصور الماضية والآتية ،

وان الظروف ستصنع لكل أمة عدوا كل يوم ، فيبدو انه قد كتب علينا السكوت وعدم نقد أي أوضاع أو أفكار خاطئة لإصلاح شأن الأمة خوفا من أن يرى الآخرون عورة الأمة وهي مخصية.. بينما الكل يعلم أنها مخصية دون أن يرفع أحد ثيابها.

إن الدكتور عمارة ليس فريدا هنا ، بل هي جوقة كاملة تقف هذا الموقف:"لا صوت يعلو فوق صوت المعركة" ، انظر معي قول المفكر المستنير(حسبما يشار إليه) الأستاذ **فهمي هويدي** يقول:" عندما يكون الوطن جريحا والأمة مهزومة فإن تشتيت الجهد في الصراعات الداخلية الفكرية أو العراقية أو الطائفية لا يمكن أن يوصف إلا بأنه خيانة للأمة وجناية على الوطن والأمة " كتابه المفترون ؟؟؟ ص ١١٥. هو نفس كلام الدكتور عمارة: "إن مشروعه الفكري خارج الاجتهاد ، لأنه يطعن في صحيح الثوابت والعقائد التي تجمع الأمة مما يستفز مشاعر المسلمين وان هذا الاستفزاز يحدث في مناخ عالمي يتخذ من الإسلام عدوا".

انظر كم المغالطات هنا:

أولا ما هو صحيح ثوابت الأمة؟

ثانيا ما معني "صحيح" هنا ، وكيف نتأكد انه صحيح ، ثم

ثالثا هل يستطيع الدكتور عمارة أن يقول لنا ما هي ثوابت الشيعة والسنة والجَهمية والمُرجئة والمعتزلة والاشاعرة ؟!.

يلقون الكلام متصورين أنهم يقولون كلاما مفهوماً متعارفاً عليه ، رغم أن ما يلقونه مجرد اصطلاحات مخترَعة لا تدل على شيء بقدر ما هي حامل للتحريض والإرهاب فقط ليس إلا.

مع الثوابت ممنوع الاقتراب أو التصوير ، وكل واحد وثوابته بين هذه الفرق المتفرقة ، وفي أي محاولة تفكير ستخرق أو تطعن ثوابت الأمة عند هذا الفريق أو ذاك ، لذلك يستحسن عدم التفكير أصلا.

والمضحك قوله إني أهدف من هذا الطعن في الثوابت إلى تفريق الأمة المجتمعة المتحدة المتوحدة في وجه ما يغلبها غلاب؟. إن قليل من الصدق مع النفس في مثل هذه المواقف يصلح العقل ولغة هذا العقل.

ثم يلقي بمفرداته المفترض عنده أنها من البديهيات. "في مناخ عالمي يتخذ من الإسلام عدوا". وهي بدورها من أوهام الدكتور عمارة ؛ لأننا نحن من يتخذ العالم

كله عدواً بطريقتنا في فهم الإسلام منذ فجره وحتى الآن ، ودفعنا العالم الحر ليستفرغ طاقاته التي كانت مصدر إبداعاته العلمية والحضارية والحقوقية في الدفاع عن نفسه ضد إرهابنا. إنه عقل لا يرى سوى نفسه وسوى مفاهيمه داخل كهفه.

* وقال الكاتب فهمي هويدي:"إن هذا الكلام لا يقال على الملأ ، لأن إشراك العامة في مثل هذه الأمور يثير الفتن"... تعليقك؟.

** لقد قال الأستاذ فهمي هذه الجملة ضمن مقال تحريضي مرعب كتبه بلغة أبي حمزة المصري وايمن الظواهري. اتهم فيه كتابي "الحزب الهاشمي" بأنه أسوأ مما كتب سلمان رشدي ضد الإسلام ، وانه كما قامت الأمة المسلمة ضد رشدي فعليها بقيادة الغيورين من أهل الهمة أن تقوم ضدي. وكان هذا الكلام في زمنه شديد الخطورة. و من اللطيف أن موضوع الأستاذ فهمي لا تجد فيه ما يشير إلي عثوره علي استشهاد بمصدر ضعيف أو خلل في الأمانة العلمية. كل ما فعله هو فضح ما رآه هجوما على الإسلام من وجهة نظره مع تحبيشها بدفع وحث للقتل بلغة تحريضية كتبها المفكر الإسلامي المستنير. أما الألطف فهي عبارته التي جئتني بها من هذا الموضوع ، و فيها اعتراف ضمني بان ما طرحته يستحق الطرح لكن ليس على العامة الذين في نظره يثيرون الفتن... وهذا الكلام لا تعليق عليه.

*هل الوحدة التي تعيشها متفردا في منزلك ومنعزلاً عن الناس ، أثرت عليك وأعمالك ؟

** الحقيقة لو كان المرض رجلا لأكلت كبده. وهو ما ألزمني الفراش ، ومعه أصبحت الحياة لا تطاق. لولا تواصلي مع الناس ومع أحبائي ، ومع من يكرهون ما أكتب عبر ما أكتب ، لما كان هناك أي معنى لمعاشرة الألم بلا توقف. وبالطبع أثرت هذا العزلة على مشاريع كبيرة بيدي لا اعلم متى أنجزها ، لكنها لم تؤثر على قضيتي لحظة ، لأنها سر استمراري في الحياة.

*هل فشل وتعثر الأفكار القومية مثل الناصرية يجعلك تتحول إلى فكر أخر ؟ فمثلاً هزيمة ١٩٦٧ جعلتك تتحول من الطرح القومي إلى الفكر الليبرالي ؟

** ماذا تريد مني؟ قاعدة "يحيا الثبات على المبدأ"؟

لقد ثبتنا يا أستاذ أكثر مما ينبغي ، فكانت كوارثنا أكثر مما ينبغي! وماذا بعد احتلال أرض الوطن ليعيد الجميع النظر في قناعاتهم؟

لكي أحيطك علما أني لم أكن حينذاك بهذا الذكاء بحكم المرحلة السِنِّيّة. وقد ظللت من أبناء الفكر القومي بعدها فترة طويلة رغم الهزيمة؛ لأني كنت مصدقا على

المستوي السياسي بضرورة الخلاص بالفكر القومي ، بينما بدأت قناعاتي ، لأسس المشروع القومي ، نفسه تهتز مع تتابع الكوارث وانكشاف حقائق وأسرار هذا المشروع. فإذا به مِسخ منخور من داخله ، تسلّط على رقاب الناس باسم قضايا الأمة ، وأضاع في سبيلها كرامة الإنسان وقيم الحريات حتى أسقطه ضعفه بعد أن أصبح نظاما بلا شعب أو بالأحرى شعوباً مخطوفة في طائرة استولت عليها أنظمة. في حالة هبوط اضطراري دون ارض واضحة. وعندما عجّل صدام حسين بالضربة القاضية باحتلال الكويت ، كان من الذكاء أن ألتَفِتَ إلى ما أحمل من إرثٍ بغيض. فكان بحثي عن كرامة الإنسان قد سما فوق فكرة الوطن الواحد والوطن القوي والأمة الجبارة وحلم السيادة وزهو الانتصارات.

ومع الليبرالية لابد أن نعترف أنها أفضل النظم اليوم التي تحمي هذه الكرامة الإنسانية وترعاها. واعتقد انه يوم يوجد في بلادنا الإنسان الكريم ، سيوجد الوطن العزيز القوي.

* كنت دائما تزهو وتفخر انك أنجزت ما أنجزت دون الانتماء إلى أي حزب أو هيئة أو مؤسسة أهلية أو حكومية ودون أي مساعدة من أحد وفي ظروف صحية قاسية وظروف معيشية اقسى.. فلماذا الآن انضمامك إلى "حزب مصر الأم"؟.

** أنا لم انضم لحزب مصر الأم ولا غيره ولا أنوي الانضمام إلى أي حزب أو جماعة بل أني حتى لست عضواً في إتحاد الكتاب المصري ، لأضمن استقلالية كلمتي دون أي ضغوط أو أي مراعاة لأي خواطر أو لسياسة أي حزب أو لعدم خسارة منصب أو دخل. **فحريتي ككاتب هي بيت قدسيّ الخاص الذي لا يدخله أحد سواي**. لكني كنت صديقا لحزب التجمع الوطني المصري ، ولم أزل صديقا له ، واعتبر نفسي صديقا لحزب مصر الأم ، لكني لم ولن أكون عضواً في أي تنظيم كان. وهذا قرار اتخذته مبكرا وحرصت عليه رغم كل الإغراءات الممكنة المطروحة.

* هل الممارسات الدينية وراء التخلف الاجتماعي ، فاني أرى أن الممارسات الدينية والعقائد وراء ما نحن عليه الآن ؟.

** كل زمن وله ممارساته ، فكان الرقص وضرب الأرض ومخاطبة السماء وسكب بعض الماء على الأرض في زمن السحر تحفيزاً للطبيعة لتجود بمطرها على أساس أن الشبيه ينتج الشبيه. ثم كانت صلاة الاستسقاء في زمن الدين كممارسة شبه سحرية لكنها ارتقت من طلب الأرواح إلى طلب إله واحد. وقد تجاوز العالم المرحلتين.

ويعيش الآن مرحلة الممارسة وفق المنهج العلمي وأهدافه ونتائجه مع الاحتفاظ بالدين كمطمئن نفسي في زمن تطور مادي هادر كاد أن يفكك كل الإنجازات الإنسانية السابقة في التراحم الاجتماعي. وبذلك فانه قد يحدث تخلّف في أحد جوانب القيم الاجتماعية ليس بسبب الدين بل بسبب التطور العلمي الجارف المفاجئ. ومن ثم فالممارسات الدينية في حد ذاتها لا تكون عامل تقدم أو عامل تخلف إلا بنتائجها الملموسة في الواقع. ولا يجب حصر الدين هنا وحده كسبب إنما بحسبانه أداة في يد بشر يصوغونه وفق أغراضهم التي قد تؤدي إلى التخلف أو التقدم.

وإذا كنت تقصد الإسلام تحديداً ، فاني أقول لك انه بحالته الراهنة ، وبما يحمله من قواعد فقهية بل واعتقادية ، هو عامل تخلف عظيم بل أنه القاطرة التي تحملها إلى الخروج ليس من التاريخ فقط ، بل ربما من الوجود ذاته.

الإخوان و حلهم الإسلامي

عندما خرج العرب من جزيرتهم يحتلون دول الحضارات المحيطة بهم في القرن السابع الميلادي تحت راية الاسلام , كان قد تم وضع تعريف اسلامي للون جديد من الحرب , فالحرب المعتادة عبر التاريخ في مجموعها تندرج في نوعين : فهي اما حرب دفاعية أو حرب هجومية , أما الجديد الاسلامي فهو مفهوم يخلط كلا اللونين تحت اصطلاح الجهاد الذي يعني حربا دائمة في المطلق , لا تتوقف ما دام في الارض شخصا واحدا لم يعلن اسلامه بعد. أو لم يدفع الجزية للمسلمين اعلانا عن الخضوع واثباتا لسيادة المسلمين. لان المبدأ الاسلامي الجهادي يقوم علي عرض ثلاث خيارات علي غير المسلمين وهي: الاسلام أو الجزية أو الحرب.

وجهاد الفتوح يعد فقهيا من الفروض الاسلامية الاساسية مثله مثل الصلاة والصيام ويسمي **فرض كفاية** , أي يكفي أن يقوم به القادرون علي القتال من المسلمين ليسقط التكليف عن بقية المسلمين , ولكن بشرط اعانة المسلمين غير المقاتلين للمسلمين المقاتلين بالمال والدعم والسلاح وكل ما هو ممكن , واذا توقف هذا الجهاد فقد أثم كل المسلمين واستحققوا عقوبة ربانية بالذل والمسكنة والهوان , لذلك رأي المسلمون المعاصرون ان تخلفهم الحالي ، وضعفهم وهوانهم ، كان نتيجة تخليهم المؤقت عن فريضة الجهاد.

ولان خروج أي جيش بحروبه خارج حدود أرضه الوطنية هو عدوان علي بلاد الآخرين , ولأن الاسلام دين يفترض فيه أن يكون ضد العدوان علي الآمنين كأي دين أخر ، فقد تم تبرير هذا العدوان الغازي لاحتلال البلاد المحيطة بالجزيرة , بدمج الحرب الدفاعية بالحرب الهجومية تحت مسمي اصطلاحى واحد هو **(الجهاد)** الوارد في القرآن , وانه أمر الهي وليس بشريا لا يملك المسلم معه الا الطاعة والامتثال للقرار الالهي , فتصبح جريمة العدوان علي الآمنين ليست بجريمة لان من أمر بها هو الله , والله لا يأمر الا بالخير , حتي لو ظهرت عدوانا ، لانها في النهاية تمكينا لدين الله في الارض ، ويكون المدافع عن عرضة ووطنة وممتلكاتة هو المجرم ، لأنة يقف في طريق نشر دعوة السماء.

لذلك كان العدوان علي غير المسلمين وحتي اليوم من وجهة النظر الاسلامية هو شرع مشروع ، وهو الخير نفسه ، بل انه أفضل عبادة يتقرب بها المسلم الى ربه , لانها تصل الي قتل المسلم نفسه في حروب ذلك الزمان بالسلاح الابيض ، الذي كان لابد فيه من افتراض موت المحارب , وفي حال موته فان موته يسمي استشهادا في سبيل الله يدخل بموجبه جنات الله السماوية عريسا تزفه الملائكة للحور

العين , ومع تحولات الزمن وتطور أدوات الحرب التي يمكن بها القتال دون موت المقاتل أو تقليل نسبة الموت , فان المسلم يحنط التاريخ من بابين : الاول هو تقديس الفعل الأرهابى الحالى ، والثانى من باب اعتقاد سحرى قديم وهو ان الشبية ينتج الشبية فيذهب ليس بغرض القتال بل بغرض الموت شهيدا ، أى الاستشهاد بقتل نفسه قربانا للرب حتي يحوز الرضي الالهي ومكانا أفضل في جناته. وحتى ينتج الشبية شبيهة فينصر الرب المسلمين اليوم وهم فى ضعف وهوان كما سبق ونصر المسلمين الاوائل وهم أذلة على امبراطوريات زمانهم عندما جاهدوا طلبا للشهادة ....او هكذا يعتقدون.

ومع مفهوم الجهاد الاسلامي هذا لن تجد في علوم الفقه الاسلامي فقها للدفاع عن الوطن لان الوطنية في الاسلام كفر , لان وطن المسلم هو الاسلام ذاته , ومساحته الجغرافية هي العالم كله.

لذلك يقول الشيخ (يوسف القرضاوى) ملخصا موقف الأسلام من الوطنية بقولة : " ليس بمجتمع مسلم ذلك الذى ننقدم فية العصبية الوطنية على الأخوة الأسلامية حتى يقول المسلم وطنى قبل دينى" ثم يجعل الوطنية كفراوعبادة اوثان ، وان " دار الأسلام ليس لها رقعة محددة " ويترتب على ذلك ان تكون " مشاعر الولاء للأسلام واهلة هى التى تقود المجتمع وكذلك مشاعر البغض لأعداء الأسلام" من كتابة : ملامح المجتمع المسلم الذى ننشدة - مكتبة وهبة - القاهرة -٢٠٠١ - ص : ٨٦، ٢٤ ، ٨٠، ٥٧ أو قولة فى كتاب أخر : ان الوطنية هى من صناعة الدول الأستعمارية بغرض تفكيك وحدة المسلمين او بنص كلامة " فى واقع مصر والوطن العربى والأسلامى .. شجع المستعمرون النعرة الوطنية هادفين الى ان يحل الوطن محل الدين ، وأن يكون الولاء للوطن لا للة وان يقسم الناس بالوطن لا باللة وان يموتوا فى سبيل الوطن لا فى سبيل اللة - كتابة الأخوان المسلمون - مكتبة وهبة - ١٩٩٩ ص ١٨ ،١٩. لكنك ستجد بدلا من مفهوم الوطنية أبوابا طوال لفقه الجهاد ، الذي كان عبر التاريخ هو الاعتداء الدائم علي غير المسلمين واحتلال بلادهم وتحويلها الي بلاد مسلمة كلما كان ذلك ممكنا. وقد أسمي القرآن وأحاديث النبي محمد هذا الفعل باسمه الصريح دون مواربة أو تحرج , كان **(غزوا)** ولا زال حتي غزوتى نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ المباركتين!. وهو فعل راق مقدس لا يشين صاحبه بل يشرفه و يرفعه درجات عليا من السمو. مثلما كانت أفعال القتل الجماعي في سيناء بأمر موسي النبي , أو مجازر يشوع , او حروب داود ، وكلها بذوق اليوم جرائم قتل جماعي ، لكنها زمانهم كانت افعالا مقدسة لانهم كانوا انبياء يتلقون اوامرهم من السماء , وسجل العهد القديم من الكتاب المقدس ذلك بوضوح شفاف ودون تزويق ، ودون أن يشعر المحرر بأي حرج فيما دونه. الفرق هنا أن

ما جاء بالعهد القديم وغبرة من كتب الأديان الأخرى ، قد أصبح قديما وانتهي بنهاية زمنه وأصبح مجرد فولكلور للمؤمن به , بينما هو في الاسلام حي قائم فاعل مستمر حتي اليوم.

كذلك كانت مهنة الحرب في تلك الازمنة الخوالي مهنة نبيلة شريفة عند مختلف الامم , لانها كانت تعود علي المحارب بالجاه والمال والمكانة الاجتماعية , و كانت كذلك في الاسلام , لكن الاسلام أعطاها زخما جديدا فأصبحت اضافة لشرفها ونبلها حرفة مقدسة , وأباح الاسلام للمحارب المسلم الاستيلاء علي كل ممتلكات غريمه بعد أن أباح له دمه , سواء كانت تلك الممتلكات مال أو عقار , أو حتي نساء وأطفال أو رجال أسري , يتم بيعهم في أسواق النخاسة , فكانت مهنة الجهاد مصدر ربح عظيم للمسلم المجاهد فحاز المكانة الاجتماعية الرفيعة وصار ينظر اليه حتي اليوم بحسبانه بطلا مقدسا اسطوريا يتماهي في شخصه كل المسلمين. ونموذجا لذلك سفاح تاريخي لا مثيل له هو **خالد بن الوليد** الفاتح الدموي لبلاد العراق ؛ الذى كان يتسلى ويتلذذ بلذة القتل للقتل ، ومع ذلك هو في نظر المسلمين نموذجا مقدسا وصفه الخليفة أبو بكر بأنه " سيف الله المسلول" ، ووصفه مرة اخرى بقوله : " عجزت الولائد أن يلدن مثل خالد" ، و من ثم شكل خالد نموذجا يحلم المسلمون اليوم برجل مثله يقودهم لفتح بلاد العالم مرة أخري.

في تلك الازمان كان شعار الجيوش الاسلامية الفاتحة لبلاد الآخرين هو : "الاسلام أو الجزية أو الحرب".

كان هذا ما يعرضه خالد بن الوليد ، أو عمرو بن العاص ، أو القعقاع أو غيرهم من قواد الجيوش الاسلامية علي الشعوب الاخري. ويبدو الشعار دعوة لدين جديد **لكن الحقيقة لم تكن ابدا كذلك** , لانهم لو كانوا يقصدون الدعوة لدينهم الجديد حقا , لأعطوا الناس فرصة للتفكير في هذا الدين الجديد , ولاصطحب الجيوش معها فقهاء الدين لشرحه للناس قبل القتال , وعقد المناظرات مع أصحاب الديانات السابقة لاثبات تفوق الاسلام علي غيره من أديان ، لكن ذلك كله لم يكن واردا ، ولم يحدث ولا مرة واحدة في تاريخ الجهاد الاسلامي.

هذا رغم أن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما من أبطال الجهاد قد ظلوا على دين قومهم بل وقادوا جيوش مكة ضد المسلمين فى أكثر من موقعة ، ومن ثم استغرقوا سنوات طوال منذ بدء الدعوة الاسلامية حتي قرروا اعلان اسلامهم ، وانضمامهم للقوة الجديدة المنتصرة في جزيرة العرب.

بينما الجيوش الاسلامية الفاتحة بقيادة هؤلاء انفسهم ، عندما كانت تصل في سيرها الفاتح أبواب أي مدينة كانت تطلب اجابة فورية واضحة علي العرض : الاسلام أو الجزية أو الحرب. رغم أن قواد الجيوش المسلمة أنفسهم لو سألناهم عما هو الاسلام ما أجابونا اجابة واضحة , لأن القرآن الكتاب المقدس الاول لم يكن قد تم جمعه بعد , وكان المسلم يكتفي بحفظ بضع آيات يستخدمها في صلاته , ولم يكن بين هذه الجيوش أحد من حفاظ القرآن ، بعد أن تم التحفظ عليهم في يثرب عاصمة المسلمين حفاظا علي حياتهم ، بعد موت اكثرهم في حروب المنشقين علي الدولة في الجزيرة (حروب الردة). كذلك لم تكن احاديث النبي قد تم جمعها وتدوينها بدورها ، ولم يتم ذلك الا بعد مرور قرن ونصف من الزمان , ولا كانت علوم الفقه قد ظهرت بعد , بل ولم تكن لغة العرب نفسها قد تم وضعها في شكل قواعد واضحة متفق عليها.

ان شعار الاسلام أو الجزية أو الحرب ، لم يكن هدفه الحقيقى هو دين الاسلام أو أسلمة البلاد المفتوحة. بقدر ما كان اخضاعا لهذه البلاد لسيادة العرب , وتبرير جرائم القتل والابادة الجماعية والنهب والسبي ، بكون الجيوش العربية مسيرة بأمر الرب لنشر دينه , لأن سلب الممتلكات أو سبي النساء أو أسر الاطفال وبيعهم في أسواق العبيد ، كان حق الرب الذي شرحه في القرآن وأوضحه بلا لبس , وكان العرب ينفذون ارادته القدسية , لذلك كانوا يسقطون الجزية والاسر والقتل عمن يخضع للرب ويعلن اسلامه.

ولأن المثل العربي يقول: "كل عربي تاجر" وهي حقيقة تاريخية معلومة , فقد كانوا تجار العالم القديم بعد أن انقطعت طرق التجارة العالمية ، خلال زمن طويل قبل الاسلام بسبب حرب الفرس والروم ، ولم يبق أمنا لها سوي صحراء الجزيرة التي لم يرغب فيها لا الفرس ولا الروم , ومن ثم أصبح العرب تجار العالم القديم بلا منازع. اصبح الجهاد صفقة علي طريقة التجار , صفقة بين الله وبين العرب , يقوم بموجبها العرب باخضاع العالم للعبودية لله , مقابل أخذ نصيبهم من الصفقة أموال ونساء واطفال وارض المهزوم. وبموجب هذه الصفقة تنازل الله لهم عن حقه في الغنائم ، والتي كان يأمر في العهد القديم بحرقها جميعا للرب (انظر سفر الخروج والعدد ويشوع) , لكنه قرر تركها للمسلمين في حديث النبي محمد " أحلت لنا الغنائم ولم تحل لأحد من قبلنا" ، وأكد القرآن تنازل الرب عن عن حقه في الغنائم للمسلمين بدلا من حرقها ، وأنها حلال مشروع بقول القرآن للمسلمين " فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا". والوصف طيبا هنا يضيف الي شرعية الغنائم صفة الخيرية أيضا والشرف وطهارة المصدر. هذا باختصار ما كان عن مفهوم الجهاد منذ ظهوره , ويزعم كاتب هذه السطور أن هذا الشعار لا زال قائما وتمت استعادته بعد تحوير طفيف , هو شعار الاخوان المسلمين " الاسلام هو الحل" ومعني ان يكون

الاسلام هو الحل , ان العلم الحديث الذي ادي لتقدم العالم كله ليس هو الحل لتخلف بلاد المسلمين , وهو ما يعني ضمنا تنشيط الخرافة وروح التواكل والاعتماد علي الله وليس علي العقل ، وهو ما يعني ايضا أن الديمقراطية ليست هي الحل , الاسلام هو الحل وليس عقلي ولا علمي ولا يدي ولا ديمقراطيتي ولا حقوقي الانسانية هى الحل.

شعار يرفض أي طريق للحل سوي ذاته , شعار يعني عدم اللجوء للحلول البشرية ما دامت لدينا الحلول الالهية , والحلول الالهية تقوم أساسا علي تعبد المسلم لربه , بالصلاة والصيام والحج والدعاء وغيرة ، وهو كفيل بانقاذه وانقاذ امة المسلمين. وأعلي درجات هذا التعبد هي الجهاد لاحتلال بلاد الآخرين ، ونزح خيراتها الي بلاد المسلمين فيتم حل كل مشاكل المسلمين.

لذلك حصد الاخوان في الانتخابات التشريعية ما حصدوا من أصوات لأن شعار الاسلام هو الحل ، هو شعار كل مسلم وليس شعار الاخوان وحدهم , ولو كانت في مصر انتخابات نزيهة حقيقية لاكتسح "الاسلام هو الحل" كل الاحزاب الاخري , ليس لأن الاخوان جماعة منظمة تنظيما دقيقا كما يبرر المتفلسفون ، وليس لانها حقيقة واقعة في المجتمع وفي الشارع المصري اثبتت نشاطها التنظيمي القوي حسبما يري المنظرون السياسيون , فليس مثل تلك الاسباب وراء تصويت المسلم المصري للجماعة , لانه ليس هكذا يفكر رجل الشارع المصري , المصري يستشعر الهوان والتخلف والفقر والهزيمة , ويعتبر ان ذلك بسبب آثامه وبعده عن طريق الله حسبما يقرعه مشايخ القنوات التليفزيونية صباحا ومساء , ومن ثم يري في الجماعة نموذجا للتقوي والالتزام , وانها هي الاقرب الي الله , وانها لو حكمت مصر فان الله سينصرها لانها الاكثر طهرا وقربا من رب الاسلام , فهم ملتحون مصلون صائمون حريصون علي اداء الصلوات الجامعة , نساءهم منقبات قانتات , هم نموذج الصحابة الاوائل للنبي الذين تدخل الله بنفسه من أجلهم ، ورفعهم من الذل والفقر الي التمكين والعز والقوة وفتح بهم بلاد العالم.

ان الشارع المصري عندما يعطيهم صوته فهو يعطيه لما يتصور انه الاسلام الذي يرضي عنه الرب , لذلك لم يجد الاخوان أي بأس في استثمار هذه المشاعر الفطرية البسيطة فكان اعلانهم عن أنفسهم في الانتخابات للمواطن (اعطي صوتك لله) , (لا ميثاق ولا دستور. قال الله وقال الرسول).

المصري يري الفارق الهائل بين العالم المتقدم وبين بلاد المسلمين فلا يري أي امكان للحاق بالمتفوقين بجهودهم البشرية , ومن ثم فلا حل سوي ان يتدخل الله بنفسه لينقذ امته المختارة بنفسه , فيعطيه صوته , يعطيه للاخوان.

يعطيهم صوته ليتدخل الله وينتقم من اليهود والنصاري (وعادة ما يتم تركيز الكراهية هنا على اسرائيل وامريكا) الذين اهانوا المسلمين بتفوقهم ، ويرفع شأن المسلمين الي مقام السيادة الموعودة ربانيا. لذلك يقدم الاخوان أنفسهم للناس بوصف أنفسهم بأنهم المسلمون , لتعميق شعور بقية المسلمين بأنهم غير مسلمين حقا بل آثمون خطائون. لذلك يلتزم الاخوان المظاهر الدينية التي تجعلهم في نظر البسطاء من مسلمي اليوم كالصحابة الاوائل , ومع هذا الاسلام المخلص النقي يصبح شعار (الاسلام هو الحل) هو الحامل للشعار القديم , هو الحل لعرض الشعار القديم علي العالم القوي الكافر: الاسلام أو الجزية أو الحرب. ويحمل الشعار الجديد حماية الرب الذي كان يحمي الشعار القديم ، فاحتل المسلمون به نصف العالم القديم المعروف زمانهم. الشعار يعني ان الرب سيكون راضيا عن الاخوان ورضاه يعني تسليمهم حقهم في الصفقة التجارية ، ليكونوا أصحاب الحق في الحكم والادارة , وان هذه ارادته ورغبته ، لان الحكم بالاسلام فرض شرعي يعلنه الاخوان دوما ، بتأكيدهم أنهم سيحكمون بالشريعة الاسلامية , وهو الحكم الكفيل بتأكيد الصلح مع الله , ليعود رضاه علي المسلمين فيقوي شأنهم ، ويعودوا سادة العالم من جديد.

الشعار يتضمن أيضا معني أن الاسلام كما هو الحل فهو الغرض والهدف , وان الاخوان انما ينفذون مشيئة الله ولا يبغون من وراء ذلك مكسبا ولا مغنما ، فهم لا يريدون من الوصول الى السلطة وحكم البلاد الا خير الاسلام والمسلمين ، مثلهم مثل الصحابة الاوائل الاطهار , هو ذات ما كان يقوله هؤلاء الصحابة القدامي بشعار الاسلام أو الجزية أو الحرب , لكنهم عندما تمكنوا قتلوا وذبحوا وسلخوا ونهبوا واغتصبوا.

وقد كتب صاحب هذا القلم منذ حوالي عام بمجلة روزاليوسف القاهرية ان ما يفعله الاخوان في مصر بمبادئهم الوهابية هو اعادة فتح عربى- هذة المرة سعودي - لمصر كرة أخري ، في موضوع بعنوان (ثأر الدرعية واعادة فتح مصر) , وبعد اشهر , ولأن النبوءة صحيحة , فقد أعلن الاخوان ذلك وبنفس التعبير والمعني ، في وثيقة **خيرت الشاطر** بعنوان (فتح مصر) ، ليثبت صدق صاحب هذا القلم. انهم يعيدون فتحها ليس بالشعار القادم من الخارج: الاسلام أو الجزية أو الحرب , انما بشعار جديد يتناسب واعادة احتلال مصر من الداخل ، والتسلط عليها بشعار الاسلام هو الحل. وهذا الحكم أو التسلط يسمونه اليوم (التمكين) ، وعندما تمكن اسلافهم من قبل فعلوا ببلادنا وشعوبنا الاهوال ، فماذا عن تمكين الاخوان واعادة فتح مصر من الداخل؟

وكما ردد الصحابة الاوائل الفاتحون شعارات جميلة من قبيل ان الناس يتساوون كأسنان المشط ، وأنه لا فضل لعربي علي أعجمي , وانه متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا , وانه لو عثرت دابة بالعراق لسأل الله عنها الخليفة بالحجاز , وان الدعوة للاسلام تكون بالحكمة والموعظة الحسنة.. لم يطبق أي من هذه الشعارات في حروب الفتوح يوما بل كان ما يطبق هو الذبح والسلخ والنهب والاسر والسبي.. باختصار الاسلام أو الجزية أو القتل.. فان الاخوان المسلمين يرددون نفس الكلام اللطيف ولكن مأخوذا من مونتسكيو ، وجان جاك روسو ، وفولتير , فيحدثوننا عن الحريات وحقوق الانسان والشوري التي سبقت الديمقراطية، لكن شعارهم (الاسلام هو الحل) يستبعد فورا كل هذه الكلام الجميل ، لان واقع الاسلام الاول الذي يريدون استعادته ، لا يعرف شيئا عن المساواة ولا الحريات ولا حقوق الانسان فكلها مفاهيم معاصرة بنت زماننا اليوم , ناهيك عن كون تطبيقات المسلمين الاوائل لم تعرف لا المساواة ولا الحرية ولا الحقوق ، حتي بمفاهيم زمانها و ماقبل زمانها كما في دساتير روما أو كمافى ديمقراطية أثينا مثلا. وعليه لا يبقي من الشعار سوي انه ليس العقل ولا التفكير العلمي الذي انتج مفاهيم زماننا عن الحريات والحقوق والتقدم , ولا الديمقراطية ، هي أحد الحلول الناجعة لمجتمعاتنا التي يزعمون أن لها خصوصية دون كل البشرية لا يصلح معها الا الاسلام وحده حلا' ، هي خصوصية الطاعة المطلقة لأولي الامر من الاخوان عندما يصلون الي الحكم.

لا شك ان الاستبداد الذي مارسته الحكومات المتعاقبة منذ يوليو ١٩٥٢ وحتي اليوم , كان التهيئة والتمهيد للشارع المصري لقبول الاستبداد الالهي ، كتعويض أكرم من الاستبداد الحكومي ، ممثلا في التصويت للاخوان , بعد ان تركت الحكومة خاصة منذ زمن السادات كل وسائل التعليم والاعلام للفكر الدينى المتطرف، ليستعيد الاسلام الجهادي نفوذه في الشارع المصري , من باب استخدام المواطنين المتعصبين للأسلام فزاعة للمجتمعات الحرة في الغرب. ليكون الشارع الارهابي هو البديل الاوحد للحكومة ازاء غرب بات يعاني من فوبيا الاسلام , ويصبح الخيار مابين الحكومة المستبدة وبينا الشارع الهمجي المتخلف الذي يقفز الي القتال والاستشهاد طوال الوقت , حتي تحول الشارع المصري الي أشد انواع التعصب كراهة وبشاعة , وهو ما تمثل في احداث متتالية ضد الاقباط المفترض انهم اهل الوطن ، وامتدادة فى عمق التاريخ وهم اصالتنا الحقيقية , ناهيك عن الارهاب الدموي وهو ما يشير الي عودة الاسلام الجهادي وعقيدة الولاء البراء ، للتمكن من عقل المسلم المصري الذي تم مسح وعيه بالكامل لصالح الجهاد.

وخلال هذه الحقبة لم تنشغل السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية بما حدث في بلادنا , ولم تتساءل عن حقوق الانسان فى بلادنا بشكل جدي , طالما كان جنود الجهاد يقومون بما تريده منهم في افغانستان او فى غيرها , الكارثة انه حتي بعد تحول هذا الجهاد ضد امريكا والغرب تقول وزيرة الخارجية الامريكية **كوندوليزا رايس** للواشنطن بوست : " اننا لا نخشي وصول الاسلاميين او المتطرفيين الي الحكم , لان التطرف يكمن في غياب قنوات النشاط السياسي والاجتماعي".
ومصيبة اخرى قالها دبلوماسي امريكي آخر انه :" لا ضرر من وصول الاسلاميين الي الحكم اذا مارسوا تداول السلطة عبر الديمقراطية" , كما لو ان الديمقراطية هي فقط تداول السلطة بصندوق الاقتراع. دون النظر الي شروط الديمقراطية وقيمها التأسيسية قبل هذا الصندوق من تعددية جزبية، واحترام لحقوق الانسان ، ونسبية الحقيقة ، ورفض المطلقات والفكر المقدس كحاكم او معيار سياسي. وهي كلها كفر صريح من وجهة نظر اسلامية , واجلي من يمثل وجهة النظر الاسلامية هم الاخوان واخوانهم فى العراق او فى قندهار. اما اكثر اللطافات الامريكية في التعامل مع المشكلة فهي موافقة الكونجرس علي تخصيص ١.٣ مليار دولار لمشاريع الغرض منها تطبيع وترويض الاسلاميين المعتدلين؟!

ومثل هذه الفهم الامريكي عن اسلام وسطي معتدل يشير الي عدم معرفة علمية دقيقة بتاريخ الأسلام وبالفرق الاسلامية اليوم وأمس ، فهذا التيار المعتدل أو الوسطي والذي يعد أبرز من يمثله الآن الشيخ **يوسف قرضاوي** ، **وفهمى هويدى وسليم العوا** وغيرهم ، هو ضد الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وضد الحريات المدنية ، وضد الحقوق السياسية والمدنية للمرأة. وضد حقوق الاقباط , نتيجة الاصرار علي تفعيل آيات القرآن والاحاديث ، والاصرار علي صلاحيتها لكل مكان في الارض ولكل زمان حتي نهاية الازمان , وبين تلك النصوص المقدسة حواجز قاطعة بين المؤمن اي المسلم وغير المؤمن اي صاحب اي دين غير الاسلام باطلاق وخاصة اليهودي والمسيحي , والموقف من هؤلاء قتالهم حتي يسلموا او يخضعوا للمسلمين بدفع الجزية وهم (صاغرون) ، أي وهم أذلاء مهانون ، فالحدود قاطعة بين الاثنين , اضافة الي عقيدة الولاء والبراء التي يستحيل معها قيام أي لون من الاعتدال أو الوسطية.

وفي الاسلام مبدأ اسمه (**التقية**) أي اظهار المسلم غير ما يبطن ، حتي يحقق غرضه بالنصر علي عدوه , و هو ما تستخدمه الفرق الاسلامية اليوم , فيقولون كلاما جميلا ومواعظ لطيفة ويعلنون ايمانهم بالديمقراطية ، لكن مع الاصرار علي تطبيق الشريعة الاسلامية التي لا تلتقي ابدا مع الديمقراطية. فهم يريدون اقامة دولة علي نسق دولة الخلافة الراشدة , دولة السلف والفقه الاسلامي الذي لم يتغير مطلقا

عبر القرون واذا كانوا يزعمون انهم سيطورون الشريعة والفقه فما لهم لم يطوروا شيئا حتي الآن؟ أم تراهم سيطورون بعد ان يحكمونا!! هذا موقف لا يمكن الثقة به مطلقا.

حتي اليوم ترفض كل الفرق الاسلامية علي تنوعها اعلان الغاء الرق والعبودية لان بالقرآن ثلاث وعشرين آية تؤكد العبودية ، ناهيك عن الاحاديث النبوية ، وفقه كامل للرقيق ، و حتي اليوم ترفض كل الفرق الاسلامية الغاء العقوبات البدنية ، لانها تقوم علي نصوص قرآنية وحديث نبوي ، حتي الان يرفضون مجرد الاعتراف بالمجازر الهائلة التي اقامها المسلمون لأهالي البلاد المفتوحة ، ناهيك عن الاعتذار عنها اعتذارا لائقا يشير الي تغيرهم. وحتي اليوم يرفضون ان تكون للمرأة حقوقا كالرجال. فهي نصف ذكر في ميراثها ، ونصف ذكر في شهادتها امام القضاء ، وهي ناقصة عقل ودين بنص الحديث الصحيح , هم يقولون انهم مع حقوق المرأة , لكنهم ابدا وحتي الان لم يناقشوا هذه المسائل الحقوقية الاساسية ، باعتبارها قرارات الهية لا تقبل النقاش ولا التعديل , بل هم حتي اليوم ضد قيام مجلس تشريعي يشرع فيه البشر لانفسهم ما يناسبهم من قوانين ، لان المشرع هو الله. تعالوا نستمع الي الاخوان وكيف يمارسون (التقية) بالاعلان عن ايمانهم بالديمقراطية ، **دون أن يتنازلوا مليمتر واحد عن الشريعة التي هي نقيض الديمقراطية بالكلية** , يقول المرشد العام للاخوان الاستاذ **مهدي عاكف** لمجلة آخر ساعة المصرية بتاريخ ٢٠-٧-٢٠٠٥ " ، اننا نؤمن بالديمقراطية ايمانا كاملا , لانها هي التي تأتي بانتخابات حرة نزيهة , اما بالنسبة للديمقراطية التي لا حدود لها (أي قيم الديمقراطية الحقوقية الليبرالية العلمانية) والتي تقول أن الشعب هو كل شئ , نقول لها: لا , ان رأي الشعب مقنن بالشريعة ، وهذا هو الفرق بيننا وبين غيرنا , انما نحن ديمقراطيون الي اقصي حدود الديمقراطية ، فلا ننسي ان الدستور المصري يقول ان الشريعة الاسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع" ..... الاخوان مع ديمقراطية صندوق الانتخابات ، لكنهم ليسوا مع تشريع المجلس أو الشعب , هم يريدون ديمقراطية تصل بهم الي الحكم , وبعدها يحكمون باسم الله. اذن لقد دخلوا المجلس لالغاء دورة في التشريع ، وربما احياء مشروع تطبيق الشريعة المقبور.... وهذة نبوءة اخرى اطرحها عليكم والايام بيننا

وعندما طالب صاحب هذا القلم ومن بعده الاقباط بالغاء **المادة الثانية بالدستور** رد المرشد العام في حديث لصحيفة المصري اليوم في سبتمبر ٢٠٠٥ بقوله :" ان هذه المطالبة تمس خطوطا حمراء لا يجب الاقتراب منها" ، واستكمل نائبه يقول :" ان هذه المطالب بمثابه خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه , لان ذلك سيفجر حربا اهلية داخل مصر" ، وزاد عليهما محامي الجماعات ممدوح اسماعيل قوله:" ان هذه

المطالب لن تكون الا علي جثث الجميع , وأصحاب هذا الرأي يطالبون بحمامات دم في مصر". .... أما المرجع الديني للجميع الشيخ قرضاوي فقد اعلن في برنامج الشريعة والحياه بقناة الجزيرة قوله:" اذا كان المراد بكلمة مدني.. العلمانية فهذا مرفوض عندنا , لان الاسلام عندنا هو دين الحياه للفرد وللأسرة وللمجتمع وللأمة وللدولة.. ونحن نرفض النقص من الاسلام أو أن نحذف شيئا منه فهذا ليس من حقنا , لان الله أنزله كاملا والكامل لا يقبل الزيادة والنقص ٢٠-٢-٢٠٠٥"

والذي لا يلتفت اليه السياسيون في الغرب ، هو أننا عندما نطالب الاخوان بالالتزام بالديمقراطية الحقوقية العلمانية ، ومبدأ تداول السلطة بين أحزاب متعددة ، وحرية السوق والحريات الاساسية : كحرية العقيدة وحرية الفكر وحقوق المرأة والعمليات المصرفية والاتمان وحقوق الاقليات ، عندما نطلب هذا من اى فريق اسلامى فانما نطلب المستحيل !!.. لان هذه المطالب تقع تحت طائلة قانون فقهي لا يتنازلون عنه ابدا هو " انكار معلوم من الدين بالضرورة". بحيث ان المطالبة فقط بهذه الحقوق تجعل صاحبها مرتدا عن الاسلام وعقابه القتل بجز الرقبة ، لان الاسلام لا يعرف أحزابا فهناك فرقة واحدة ناجية هي التي يجب أن تحكم ، وتعد الفرق الأخرى كلها كافرة، ولا حرية في العقيدة لانها ارتداد جزاؤه القتل , وليس هناك حرية تفكير ازاء النصوص المقدسة , والعمليات المصرفية ربا , ولا حق للاقليات الا بموجب عقد الذمة الكرية البغيض , ولا حقوق للمرأة مساوية للرجل في الميراث أو الشهادة فذلك نقض لحدود الله المنصوص عليها في الشريعة ...كما قال قرضاوى المعتدل الوسطى من هنيهة .

لذلك يري قرضاوي في الحلقة المشار اليها ان العلمانيين العرب " يسعون الي تفكيك الاسلام ويريدون أن يحذفوا من الاسلام الكثير من تعاليمه ، فيريدونه اسلاما بلا *جهاد*، وزواجا بلا طلاق ، وعقيدة بلا *شريعة*.. وحقا بلا قوة ، ومصحفا بلا *سيف* ، بينما هو رسالة تشمل كل جوانب الحياة من ادب الاستنجاد الي بناء الدولة ، ويشرع للانسان منذ أن يولد حتي يموت". !!!

وهكذا سنجد ان الفرق المتطرفة غير الوسطية أو غير المعتدلة والتي ترفض الديمقراطية علنا , هي الاكثر صدقا مع نفسها ومعنا ومع العالم , فمن أعلن رفضها ، أراح واستراح ، ويمكن التعامل معه بأسلوب ورد يناسب موقفه المعلن , اما المشكلة الحقيقة في بلادنا والمعوق الاساسي الذي يخدعنا ويخدع الغرب ، فهو النصاب الاخواني أو النصاب الحكومي القائم. بما يدعيه من تبني للديمقراطية والحقوق ، بمسميات حقوقية معاصرة مع طرح البديل الاسلامى الذى يناسبنا .... ويحمل فى طياتة توحش زمن مضى منذ ١٤٢٥ عاما، ، بدلالات

ومعاني لا تصلح لزماننا لانها وضعت لزمن مضي منذ ١٤٢٥ عاما ، يغطيها ويزيفها بألفاظ زماننا , فقط ألفاظ ومجرد كلام من باب (التقية).

وتأسيسا علي كل هذا , فان صاحب هذا القلم يرن كل أجراس الخطر في حال استيلاء أي تيار اسلامي علي الحكم في مصر أو في أي بلد مسلم آخر ،ا جراس خطر علي حضارة الغرب نفسها , ان الامر عندما يكون واضحا بشدة لا نراه لوضوحه , فلدي كل الفرق الاسلامية علي الارض مبدأين لا يتنازل عنهما ابدا: الاول ان الاسلام دين عالمي , والثاني ان الاسلام دين ودولة , والنتيجة شديدة البساطة التي تترتب علي هاتين المقدمتين هي: ان العالم كله لابد ان يكون دولة المسلمين. وهي النتيجة المدونة بابواب الشريعة الطويلة ، ومعلوم اساسي من الدين بالضرورة من ينكره فقد كفر. فالمقدمتان والنتيجة هم من صلب الشرع الاسلامي , لكن رجال الاسلام السياسي يعلنون للعالم المقدمتين دون النتيجة الواضحة , ولان العالم المعاصر في الغرب لا يفكر بطريقة اسلامية فانه لا يري النتيجة المحتومة. وهي ان العالم كله هو دولة الاسلام الدين العالمي. لذلك تري الجماعات الاسلامية المعارضة علنية وسرية , ان كل حكومات العالم غير المسلم هي حكومات غير شرعية , لانها تقوم علي ارض هي ارض الاسلام اصلا ، وتحكم شعوبا هي شرعا امتداد للامة الاسلامية , لكنهم يعيشون في ظلام الكفر تحت حكم القانون البشري الذي يسمونه (الطاغوت) ، وانه بالجهاد سوف يتم تصحيح الاوضاع العالمية , وتمكين دولة الاسلام من أرضها ومن شعوبها المارقة.

ان الحكم باسم الاسلام اخواني أو طالباني (لا فرق) لو أقر أن لدولته حدودا فسوف تنتهي عندها سلطاته وشرع دولته , لانه يكون قد تنازل عن ركن اساسي من اركان الاسلام وهو عالميته دينا ودولة , لذلك لم تقر الخلافة الاسلامية عبر امتداد تاريخها الطويل بحدود لدولتها ، ولم تقر بوجود دول أخري تقيم معها علاقات دبلوماسية تعترف بها بموجبها ، وظل الحال كذلك حتي زمن السلطان العثماني عبد الحميد أخر سلاطين الخلافة ، الذي اضطر مكرها ازاء المتغير العالمي الذي فرض نفسه علي الخلافة ، للاعتراف بحدود لدولته وبوجود دول أخري. لكن هذا المتغير العالمي لم يفرض نفسه علي المفاهيم والقواعد الشرعية الاسلامية , والتي تقوم عليها جماعات كالاخوان المسلمين , وليس الاعتراف بوجود دول اخري الا كذب شرعي مسموح به عند الضرورة بمبدأ (التقية) ، ولانه من صحة اسلام المسلم عدم الاعتراف بالدول الاخري , فهو ما يعني ان ما تم عقده من اتفاقات ومعاهدات مع تلك الدول ، وهو أمر يتنافي مع الشريعة وباطل ولا يصح الالتزام به ، الا لضرورة ضعف المسلم المؤقت وقوة غيره , وهي شئون مؤقتة لان الايام دول يداولها الله بين الناس قوة وضعفا. وضمن تلك العهود اتفاقية السلام مع اسرائيل ،

والتي هي الكفر بعينه لذلك قتلوا السادات بسببها , وفي حال قيام حكومة اسلامية فستكون مكلفة شرعا بتصويب أوضاع العالم، بازالة الدول الكافرة لتوسيع حدود دولة الاسلام لتتطابق مع خريطة دولة الاسلام كما أرادها اللة.. خريطة العالم .

واعمالا لذلك تصف اللائحة التنظيمية لجماعة الاخوان المصرية الجماعة بانها:" هيئة اسلامية جامعة تعمل علي اقامة دين الله الاسلام في الارض واقامة الدولة الاسلامية التي تنفذ أحكام الاسلام وتعاليمه , واعداد الأمة إعدادا جهاديا ".

بينما صك مصطفى مشهور مرشدالاخوان الأسبق المنافيستو الواضح دون اى التباسات: يقول مشهور : "ان الجهاد والأعداد لة يخدم مهمتنا العظيمة ، ليس لمجرد دفع العدوان ..ولكن الجهاد لأتمام المهمة العظيمة وهى اقامة دولة الأسلام والتمكين لهذا الدين .. ونشر الأسلام فى ربوع العالمين - السبييل الى الجهاد –

عن مجلة المكتبة العربية (لايدن - هولندا) يوليو ٢٠٠٤

سلسلة فقهاء الظلام

صحوتنا لا بارك الله فيها (الجزء الرابع)



بقلم

د/ سيد القمنى

مدونة

عن مصر أتحدث

3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

الاستبداد بمساندة السماء

في بلاد المسلمين معاهد علمية , مهمتها تخريج مشايخ الدين للدعوة والوعظ والإرشاد. ويزعم هؤلاء علي مختلف فرقهم وتنافر مذاهبهم , انهم وحدهم الأمناء علي دين المسلمين منذ فجره الأول , و **أنه لا يحق لأي مسلم خارج المنظومة المشيخية ان يتحدث في شأن الإسلام والمسلمين , لانه حكر علي الدعاة فقط.**
وهو الزعم الذي يضع مشايخنا أمام مسئولية تاريخية عظيمة وهائلة , ازاء ما آل اليه أمر الاسلام والمسلمين عبر عشر قرون مضت من الهوان والتراجع والانهزام.

والناظر الي الشارع في بلادنا سيجد المسلمين وقد سلموا أدمغتهم للمشايخ بالتمام والكمال , فلا يخطو المسلم خطوة ولا يأتي تصرفا ولا يقول قولا إلا بعد استفتاء المشايخ , فهو يسير وفق برنامج من الأوامر والنواهي , متي يصحو ومتي ينام وكيف ينام وبماذا يدعو قبل أو بعد وما هو الوضع المستحب اثناء الدعاء على ظهورهم أم على جنوبهم. لأن المشايخ هم حفظة كتاب ما فرط الله فيه من شئ , لذلك كل شئ عند المشايخ كامل كومبليت صالح لكل مكان في مكة أو في الصين أو في المريخ ولكل زمان مضي أو لم يأت بعد.

وأمام الرهاب المستمر للإله الذي يفرضون حضوره طوال الوقت ، ويجعلونة يتدخل في كل كبيرة وصغيرة ، ويشغلونة بالتوافه الهينات في حياة المسلم ، ليضع له عقوبات مفصلة مشروحة بعناية , فالعقوبات الربانية ألوان وفنون :

- من شي البشر علي النار
- الي القلي في الزيت
- الي التمزيق باشواك من حديد
- الي الوثاق بالسلاسل الطوال
- من جهنم الحمراء
- الي جهنم البيضاء التي ابيضت نارها لكثرة ما تلظت
- من عقارب كالبغال الموكفة
- الي ثعابين قرع
- الي عقاب دنيوي في المال والعيال والصحة والمستقبل

فكان ان سلم المسلمون المسئولية لمشايخهم الذين يعرفون الدروب والأنفاق والمعابر السرية لدين أصبح ثقيلا هائلا لكثرة ما أضافوا اليه , فأوكل المسلمون للمشايخ مسألة إيمانهم الذي يستعصي عليهم فهمه , ويجهلون فنونه مقابل الطاعة العمياء التي هي سبيل النجاة.

ومع هذا التسليم الشعبي الجارف لسادتنا المشايخ فان حال المسلمين كما ترون فضيحة بجلاجل ، فضحونا وجرسونا في العالمين , بمقابل لن يغفره لهم التاريخ وهو : عقل الناس الذي أخذوه منهم ، فقط ليعرفوهم بالله ويشيروا لهم نحو الله.. هذا هو الله؟! أخذوا عقل الوطن مقابل أن يعرفوهم علي الله الذي سيقوم بالتفكير لهم نيابة عنهم ، عبر دعاته من كل لون ومذهب.

و أصبح كل من أتخذ سمت الشيخ من لحية أو زبيبة أو يونيفورم حق له أن يكون داعية ومفتي , يعرف في كل حاجة ويفتي في كل علم ويتحدث في كل شأن مما هو فوق الارض أو تحتها , وفي نهاية الفتوي يختمها بقوله " والله أعلم " !!...... إن عبارة " والله أعلم" هي تدريب دائم للعقل لينسحب من العلم ولا يتعامل معه كوسيلة وأداه للمعرفة , لأن الله اعلم عند مشايخنا ، بينما في العلم نحن من نعلم وليس في العلم شئ اسمه " والله أعلم".

ان العبارة اخلاء تام وصريح للشيخ من مسئولية تفسيره أو فتواه , ويترك السائل مبلبلا , ذهب يستفتي لتزداد حيرته , **السائل مسلوب العقل والإرادة يفترض في نفسه أنه لا يعلم شيئا** ، فذهب يسأل الشيخ الذي يعلن عن نفسه بالفم المليان انه (عالم) عارف ، فاذا هو به بدوره جاهل لا يعلم ، ورغم انه يقر في النهاية انه لا يعلم فانه يتصرف من البداية علي انه وحده من يعلم مفتاح أي حقيقة أو معرفة صادقة تامة.

ان عبارة " والله أعلم" المشيخية لا تبدو تعبيراً عن تواضع ذات الشيخ العالم , بقدر ما هي تسليم بان الحقيقة شئ مخفي لا يعلمه إلا الله , ولأن الله هو من أخفاها فهو وحده من يعرفها , هي دعوة صريحة لعدم البحث أو المعرفة أو العلم استسلاما للمشايخ.

هذا بينما لم تنتقل أوروبا الي النهضة الا عندما كسرت قاعدة " والله أعلم" , واعتبرت الحقيقة والمعرفة مشاعاً موضوعياً لمن يبتغيها ويبحث عنها , وقالت: أنا أبحث.. اذن أنا أعلم. وأن اللة قد رضى عن علمهم هذا فكشف لهم عن كنوز علمة.

بحث علماء الغرب فاكتشفوا أن سبب الاصابة بالمرض ليس المس الشيطاني ولا الغضب الإلهي , إنما هي كائنات محايدة لا علاقة لها بغضب او رضي تعمل علي أي جسم حي مناسب لحضانتها لتستكمل دورة حياتها , من ميكروبات وفيروسات وجراثيم. بحث الأوروبي فاكتشف ان عمر الكون مليارات السنين وليس ٤٠٠٠ سنة كما يقرر كتابه المقدس ، فعلم وتأكد أن كتابه المقدس يقدم له كتالوجا مزيفا ،

لأن ماكينة الكون الموجودة تحت حواسنا وآلات رصدنا تقول شيئا غير ما يقول الكتالوج المقدس , لهذا قررت أوروبا أن تنحاز للعلم , وأحالت الكتالوج المزيف الي دار المحفوظات الأثرية , بينما المسلمون حتي اليوم يقبلون كتالوجات مزيفة , من كتالوجات **الصحاح** إلي كتالوج **الشعراوى** , الي كتالوج **قرضاوي** الي كتالوج **سليم العوا** الى كتالوج **فهمي هويدي** وهلم جرا.. فهم أكثر من الهم علي القلب.

وإذا كان الدعاة يرون أن لديهم كل الحلول الربانية الجاهزة كأكمل الحلول واكثرها نجاعة لكل شأن في الحياة , فلماذا نحن دون الأمم قبيلة الله المتخلفة التي أختارها رب السماء خيرا للأمم؟؟ !!!!.

لقد كانت حلولنا مع اسلامنا مطروحة في سوق العالم عبر التاريخ ومع ذلك فان العالم الغربي عندما اختار لنهضته ، لم يختر الإسلام انما اختار فلسفة اليونان وديمقراطيتها وفنونها , واختار قوانين الروم ودساتيرهم وفنونهم , ورجع **لأوزيريس** فىمصر القديمة **وعشتار** فى العراق القديم **وأدونيس** فى الشام القديم كأفكار انسانية...كل المعارف والفلسفات كانت مطروحة في سوق العالم للمفاضلة والاختيار , ومن بينها كان الإسلام الذي يتميز عنها جميعا بكونه رباني المصدر , بل أنه يجّب كل ما قبله , لكن عند الاختيار العالمي لم يختره أحد واختار الجميع غيره , فهل قصر دعاتنا في تبليغ العالم بدعوة الإسلام واكتفوا بالجلوس بيننا يدعوننا نحن الى الاسلام بعدما أسلمنا بألف واربعمائة عام.

كذلك تقوم لغة العلم كله طبيعياً كان أم انسانياً , فلسفة أم سياسة أم اقتصاداً أم قانوناً علي التراث اليوناني والروماني وليس فيه من الإسلام شئ. واختار العالم الذي تقدم قيم الوثنيين وترك القيم الربانية !!

لماذا يا تري؟ ولماذا أصبحنا بين بلاد العالم من يحتاج إلي إصلاح باعتراف الجميع؟

لماذا تخرج المظاهرات في بلادنا تطالب بالديمقراطية وحقوق الإنسان , ولا تخرج في أوروبا وأمريكا مظاهرات تطالب بالشوري وبالجهاد وتعدد الزوجات؟

أليس ذلك بعلامة بليغة علي تقصير الدعاة رغم ما حازوه من ثقة شعوبهم وتسليمهم لهم؟ مع ما حازوه من نجومية وأبهة اجتماعية ومنازل سلطوية ورفاة وسعادة ، أدناها منزلة لهط الثريد المعمر بالسمن البلدى لهطا , وهو كله ما وفره لهم بسطاء المسلمين الفقراء مخصوما من دخولهم المتواضعة , كي يتمكن الدعاة من نشر دين المسلمين وحمايته.

ما بين عامي ١٩١٩ و ١٩٥٢ تشكلت في مصر نواة لطبقة برجوازية أفرزت ليبرالية وليدة , وفي ذلك الزمان تراجع دور الشيخ تراجعاً كبيراً بل ومهينا , وكان الشيخ هو محل عمل كثير من ألوان الكاريكاتير في المسرح والسينما والصحف , كان توجيه السؤال الاستنكاري لأي محاور " **هوه أنت فقي؟** " يعتبر إهانة شديدة , فهو استنكار تصغيري يشير الي العقلية الحافظة علّة الجمود والببغائية , هو أيضا سخرية مرة من العاملين بشئون الدين علي العباد , صاحبها وعي شعبي واسع بدور رجل الدين في التخلف امام دنيا متسارعة. في ذلك الزمان كان الأزهر هو المكان الوحيد الذي يكفل لطلا به مع العلم الديني كل سبل المعيشة من اقامة وجراية طعام وكسوة ، جلبا لزبائن حال الفقر بينهم وبين التعليم المدنى ، فكان علي المستوي الطبقي ملجأ عاما للمعوزين والمعدمين وبخاصة ذوي العاهات منهم.

حتي جاءت ثورة غفر يوليو ١٩٥٢ (المباركة) لتقيم شرعيتها علي التحالف مع الأزهر , وإعلاء شأنه حتي يكون مصدراً محترماً لشرعية حكمها. وانتهي المشروع القومي بهزائم منكرة انتهت بقيام الصحوة الاسلامية (المباركة بدورها) علي انقاض المشروع القومي (المبارك) المهزوم.

ومع الصحوة عاد الشيخ الي الصدارة بقوة أعطته مساحة تسلط علي العباد لم يسبق أن حازها من قبل خلال تاريخه , وهو الأمر الذي ساعدت عليه تقنيات الإعلام الحديثة من صحف وتلفاز ومذياع , وهو ما كان في بلادنا من حق الحكومة وحدها تصوغه كيفما تشاء , لكنها - لحسابات سلطوية بحت ، وبقصد قطع شعوبنا عن الحداثة ومبادئها الحقوقية- بدلا من أن تصوغه ، تركته لحلفائها من مشايخ سداحا مداحا , مما انتهى الي ضياع عقل الوطن , بينما أصبح الدين اسهل مطية لكل من يريد أن يركبنا , ويعمل علينا شيخ. ودون أن نفكر أن هذا الدين هو من عند اللة وأنة يستحق منا احتراما يليق بة.

وكان للظرف الموضوعى دورة الفصيح فى نشوء طبقة رجال دين فى الإسلام منذ فجرة: عندما اعتمد المسلمون على حفظ القرأن كنتيجة طبيعية لانتشار الأمية ، اضافة الى صعوبة قراءة القرأن المبكر لعدم تنقيط الأحرف ولا تشكيلها بعلامات مميزة ، مماجعل مثل هذة القراءة بدون شيخ معلم وملقن ومرشد تكاد تكون غير ممكنة بالمرة ، ومن ثم ظهرت طبقة القراء التى أسست من بعد لطبقة رجال الدين التى احتكرت الفهم والتفسير بحكم الأستاذية. وإبان الصراع السياسى فى الفتنة الكبرى وما تلاها من فتن ، أمكن لهؤلاء اكتساب القداسة بمبدأ كان مرفوضا زمن الدعوة وزمن الخلافة الراشدة وهو تدوين السنة ، مع اختراع الأحاديث حسب الطلب وبالقياسات المرغوبة ، أصبح لهم مهمة مقدسة إضافية هى تفسير القرأن

بالحديث. ومنذ شرع الخليفة عمر ضرب عنق من يختلف مع الستة المرشحين للخلافة من بعدة ، أمكن بالقياس ان يصبح هذا الجزاء بجز العنق من عرشة ، من نصيب من يدلى برأى غير ما يقول بة اهل الدين.

وخلال الفترة القريبة من متغيرات نصف قرن أو يزيد قليلاً , أ ثبت المشايخ علي طول الخط أنهم لا منشغلين بالناس ولا حتي بالدين , انما كانوا مع مصالحهم وحلفهم السلطاني , وهو الحلف الذي تدني بهم الي حد استخدام الدين بانتهازية ورخص وابتذال ، لتبرير كل المتناقضات للسلطان ، كي تدوم إنعاماته ورضاه علي اهل حظوته من مشايخ. عندما كانت مصر ملكية كانوا يهتفون والإخوان امامهم "الله مع الملك".

وعندما دارت الأيام وجاء الزمن الناصري اكتشفوا ان الاسلام هو الذي أسس للإشتراكية , وخوطب النبي محمد " الإشتراكيون أنت امامهم".

وفي الزمن الساداتي اكتشفوا انهم كانوا مخطئين في فهم الدين خطأ فادحا وقالوا فية ما هو علي النقيض الكامل من مقاصده , لانه دين اقتصاد سوقي مفتوح حر , دين جعل الناس درجات وطبقات. كذلك كان موقفهم عندما كان السلطان يريد حربا , وكيف ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله كأنهم بنيان مرصوص , ومع توقيع كامب ديفيد بين مصر واسرائيل عادوا فاكتشفوا بالرسوخ في العلم ان رسوخهم الأول كان باطلا , لأن الله قد امرنا أمرا واضحا ان نجنح للسلم ان هم جنحوا لها.

وهكذا يكتشف المسلم أن منظومته المقدسة المطهرة ذات المصدر الإلهي الرفيع والشريف شرف مصدرها ، هي الأشد تعرضا للانتهازية والاستغلال من مشايخ يعلنون أنهم أهل هذا المقدس وحماته. وانهم بدلا من أن يصونوا دين الله بإبعاده عن العبث والخطأ والطمع البشري , إذ بهم هم من يضيفون الي شرع الله ما ليس فيه , ثم يكتشفون خطأ اضافتهم في كل مرة , ليعودوا يصوبوا ويضيفوا المزيد , ان مثل هذا التدخل في المقدس هو تدنيس له , ويشير الي ان مشايخنا يشتهون النبوة , أو بعضها.

ومع حضور فوضي الصحوة الإسلامية التبست المعارضة بالتشدد الذي لم يقف عند حد معاداة السلطة او المشايخ الرسميين , بل تجاوزه الي معاداة المواطنين والمجتمع كله. ولم يكن مشايخ المعارضة الاسلامية المسلحة أوفر حظا بالمبادئ والقيم المحترمة من مشايخ السلطان , فقتلونا ، وحاكمونا ، وكفرونا ، وهددونا ، ومزقوا الوطن ، ودمروا السياحة بوحشية فضحتنا أمام العالم.

وقد فعلوا ما فعلوا بدورهم بادعاء الرسوخ فى العلم ومعرفتهم وحدهم بالمعاني الصحيحة للوحي الاسلامي , ليعودوا هم انفسهم وليس غيرهم ، ليكتشفوا ان رسوخهم الاول كان باطلا , وانهم قد اكتشفوا رسوخا جديدا , ليكتبوا سلسلة المراجعات التصحيحية التي تحولوا فيها عن العمل المسلح الي خوض العمل السياسي السلمي. ليوضحوا ان رسوخهم الثاني قد نسخ رسوخهم الأول بأمر الله؟!.. ألا ترونهم...؟.. إنهم ينسخون؟! إنهم يقلدون السماء... إنهم لا يشتهون النبوة فقط ،.... إنما هم يشتهون الربوبية!!

ومن ثم لم يعد لقب (**داعية**) قاصرا علي الدهاقنة الرسميين ، وانما حازه امراء الجماعات الإرهابية علي كل صنوفهم , حتي تقدم هؤلاء للعمل بمهمة الفتوي ليبرروا جرائمهم بدورهم ، التي هي جرائم دموية بكل المقاييس ويعطونها شرعية سماوية مطهرة. وهكذا يضعك كلا النوعين من المشايخ في مشكلة ، لانهم يتحصنون وراء السلطان ووراء الدين وتفسيرهم له , فان انت أردت إطلاق سهم علي السلطان رشق في الدين ، وان اردت إطلاقة على الشيخ (سلطانيا كان أم ارهابيا) اصبت بة دين اللة الدين !!

ويبقي السؤال : اذا كان موضوع اهتمام المشايخ سلطانيين أو إرهابيين هو الدين , والدين واحد وربه واحد , فلماذا يختلفون؟

انهم يختلفون بشأن دين كامل وليس شيئاً بسيطا هينا. ربما يصح افتراض ان الاختلاف طبيعي لتفاوت العقول والبيئات والثقافات المحلية والمستوي المعرفي.. الخ , لكن الصحيح باطلاق انه خلاف حول المصالح ، والمكاسب ، والسلطة ، وبلهنية العيش فى طراوة القشدة البلدى ، بدأ مع الأمة مبكراً في فتن وجوائح قسمتها فرقا وشيعا متقاتلة تكفر بعضها بعضا ، لانها تعمل جميعا تحت راية الكتاب والسنة المفترض انهما يعبران عن دين واحد ، وأمة واحدة ، ورب واحد!!

اذن لا مفر عن استنتاج أن الدين في حد ذاته لم يكن هدفا واضحا لصراع الشيوخ وانقسام الفرق وتعدد المذاهب. إنما كان الإنقسام تسهيلا للشيخ كي يتمكن من السيطرة علي فريق من المسلمين يلتفون حوله , يمدهم بآرائه تشريعا لوجوده ووجودهم مع ضمان الاستمرارية والتنفيذ , وضمان رسوخه في سدة القيادة.

ويلاحظ المراقب قيام تنافس الكهنة حتي داخل الفريق الواحد علي الاستحواذ علي أكبر جمهور , باستخدام فنون الخطابة والبلاغة واللباقة ، مع سمت الورع الملائكي أحيانا ، أو سمت القيادي المقاتل الجسور أحيانا أخري. لكن جميعهم يقومون بعرض ما يرضي الجمهور ويحببه في داعيته المتبتل ، أو شيخه المقاتل , مع الطعن في

إيمان المنافسين. فمن سطع نجمه اصبح مرغوبا فيه من السلطان (**مصطفي محمود , شعراوي , غزالي , زغلول , قرضاوي ، هويدى**.. الخ) وذلك لشهرته وقدرته علي التأثير في العوام , فيصبح شريكا في حاشية السلطان , وينال السيادة والسعادة مع الهبات والإنعامات ويعيش فى المهلبية , أما الشيخ المقاتل فانه عندما ينجح فانه يعيش كالخفافيش ماصة الدماء فى الكهوف والبوادى والأصقاع المتبدية فى كهوف تورا بورا أو قندهار أو بوادى الشام وأصقاع العراق ، يطلب المزيد من الدم البرئ دون أن يشبع أبداً.

وكان اشتداد المنافسة عبر التاريخ وراء فتح الباب لفكرة (التكفير) والإقصاء كحل ناجح مع المعارضين , فقامت الفرق الاسلامية تكفر بعضها بعضا , وقام كل طامع الى السيادة يطرح تأويلة الخاص للدين وفهمة لة فى سوق الأطماع ، بتسويق فكرة مع تبديع وتكفير فكر كل الفرق الأخرى بحسبانة من يعرف وحدة الإسلام الصحيح.

وعادة ما يبدأ التكفير المتبادل بين التأويل الجديد وبين سابقة ليصل إلى صدام وقتال. وفى تاريخنا ما كان أكثر القتال للوصول الى السلطة بالدين ، بل ان تاريخنا ليس شيئا غير ذلك ، وما أشنع ما ارتكبوا من مجازر علنية حتى أبيد بعد أل البيت فرق بكاملها مع كل ما أنتجت وقالت ، وبقى الفريق المنتصر وحدة سيداً. ولأنة انتصر فلا شك انة كان على الحق ، ولأنة من يملك الحق فهو يؤكد ان الحق واحد فقط لاغير ، ومن ثم فغيرة هو الباطل المطلق ، وهكذا انتصر القتلة وأصبحوا أسيادا لنا.

لقد حاءنا القتلة ومشايخ المنسر بالحق بعد أن ابادوا الباطل ومحقوة وسحقوة ، العباسيون أبادوا الأمويين وأخرجوا جثث من مات منهم حتى يجلدونهم ، ثم أين المعتزلة؟ اين المرجئة؟ اين الجهمية؟ اين المعطلة؟ اين مؤلفات ابن الراوندى والرازى؟ كانت الإباده تمتد الى الفكرة.

ان من يحكم المسلمين اليوم فكر قاتل وسلطات قاتلة وتشكيلات عصابية التكوين قبلية القوانين طائفية عنصرية ، ولو رددنا كلام مقتول سابق لأصبحنا المقتول اللاحق. وكان أكثر هذه الفرق ضراوة ، هو ما يسمي **مذهب بن عبد الوهاب** الذى تحالف مع ابن سعود للاستيلاء على حكم الجزيرة ، و الذي يتم تعريفه بحسبانه تجديدا لمذهب الإمام أحمد بن حنبل. لذلك لا تجد مبدأ التكفير مرفوضاً في بلادنا او مستهجنا ممجوجا ، بل هو يسير فينا مسري الأمراض المستوطنة.

لانه لو لم يقم عبد الوهاب بتكفير بقية الفرق فلن يحصل على اتباع... لن يحصل على زبائن مادامت الفرق الاخري سليمة صحيحة , فالتكفير هنا أداة اعلان ؛

وايضا ؛ وهو الأهم ؛ انها أداة ترويج و تسويق يعمل بها لنفسة زبائن..... لأنه لو قال ان الشيعة والمعتزله والاشاعرة والأحمدية والبهائية علي صحيح الدين ، فإنة سيترك مجالا للاختيار , وربما ذهب الناس الى هؤلاء وتركوه فى بوادية قاعداً , إنها باختصار بلاغي ما قالة المثل الشعبي المصري : " ما يكرهك إلا ابن كارك " ، ومن ثم كانت الاختلافات الحادة حتي انهم لم يتفقوا علي الرب الذي يؤمنون به ، و بصفاته , وذاته ، وكلامه مخلوق أم أزلي؟

والنتيجة التكفير والتقتيل.

وهي موضوعات صراع نخبة المسلمين المتخصصين , فما بالك بالعوام منهم؟ وتظل الفرقة أو المذهب يردد ذات الكلام , ويكرر ذات القصص , ويؤكد ذات الأساطير ، كأنهم جميعا غير مصدقين لما بين أيديهم ويريدون التصديق بمزيد من التكرار والترديد دون أي جديد.

و مع الصحوة أصبحت المدرسة والصحيفة والإذاعة والتليفزيون أماكن ووسائل مهمتها تعليم الناس الايمان , وبات لا يخلو خبر محايد ، أو برنامج حواري ، أو محاضرة ، أو حتي فنون درامية ، من مهمة دعوية , حتي أمسي الحكم علي الرأي حتي في أخطر الشئون ليس بمدي نفعه او ضرة ، أو صوابه من خطئه ، إنما بقدر ما دعم نفسه بالآيات والأحاديث أو أي حكاية من حكايات زمن التابعين وتابعي التابعين ، صحيحة كانت أم مخترعة. والسبب الواضح هو أن الاستعانة بالمقدس والاستناد اليه في الخطاب الموجه للمسلمين , هو من أجل الإرغام علي قبول القول والخضوع للأمر حتي يرضخ الجميع إخلاصا لما يعتقدون أنة دينهم , **فظهرت مع الصحوة أسوأ أنواع الديكتاتورية لأنها الاستبداد بمساندة السماء.**

في حوارات المشتغلين بالدين وموظفية ، لا يجدون باسا من اظهار بعض الاحترام لمنجز الحداثة وقوانين العلم والعقل مداورة والتفافا ، لانهم عندما يجدون ان الحوار غير مجد ، مع رغبة الداعية في فرض فكر يتنافي مع العقل ومنطقه ، فانه فوراً يلجأ للحديث والآيات ليرضح المسلم بعد أن تحاور بالعقل وأشبع رغبته في الشغب الحميد ، ليقبل بعد ذلك ما يرفضه عقله احتراماً لآياته وآحاديثه القدسية.

وقد ساعد التطور التقني والعلمي في وسائل الاتصال والاعلام في تطور الدول نحو مزيد من الارتقاء العلمي والحقوقي , بينما في بلادنا تمكن حلف الشيخ والسلطان من استثمار هذه الادوات والتقنيات لمسح وعي المسلمين واعادتهم الي الوراء قرونا ، لأن مثل تلك الاجهزة لا تملكها في بلادنا الا الحكومة التي هي الدولة نفسها (!!) ومن ثم أمكن لهذا الحلف بتلك التقنيات العالية من انجاز أكبر عملية تدجين مجرمة

تمت في التاريخ لشعب من الشعوب في أقصر فترة زمنية ممكنة , وأصبحت الزيادة في دين الله ملعباً مشيخياً ، حتي أصبح الحجاب فريضة سادسة , وعادت اللحية مع الجلباب الباكستاني لينتمي الجميع الي هناك وليس الي هنا.. فدخلت البداوة الوهابية العنيفة الي بلاد هي بطبيعتها الزراعية كانت الاميل الي السلم , لتسيطر علي مختلف الاقطار من فاس الي بغداني وعلي كل بلاد العرب أوطاني ، ثم لتتجاوز الجغرافيا مسافرة في كافة مناطق العالم اينما يعيش مسلم لاثبات أن العرب الفاتحين وان لم يعد لديهم في البلاد المفتوحة جيوش احتلال ، فان لهم ثقافة حولت كل المسلمين الي غزاة فاتحين طول الوقت , ينتمون بالولاء الي حيث جغرافيا الاسلام ، الي الحجاز الوهابي. ثقافتهم بالصحوة الاسلامية جاءت بفتح جديد وغزو غليظ , يفقد فيه المواطن حريته من دماغه , فيسافر شابا يافعا واعدا ، متهربا متخفيا بلدانا وبحارا وصحاري ، لكي ينتحر عند باب مسجد او حسينية او فى تشييع عزاء في العراق , معتقدا انه حر مختار فيما اختار ، وانه علي الحق الذي لا شائبة فيه , وانه قدم حياته فداء لدينه وربه وامته!!

من المبادئ الاستبدادية الراسخة بطول التاريخ , أنه اذا أردت نشر شئون لا تقبل المناقشة فعليك بالارهاب ، لأن الارهاب يذهب باللب والعقل فيصبح الانسان مذعورا مرعوبا ، لا يجد معروضا أمامه في سوق الفكرة سوي أهوال يوم القيامة ، وعذاب القبر ، والجن ، والعفاريت ، يحيطون به في كل مكان ، ومع الهلع والبحث عن الامان من هذه الخوف المقدس يصبح المسلم علي استعداد لتسليم أي شئ مقابل الامان حتي لو كانت ارادته أو روحه , وهنا يظهر له الشيخ اللطيف الوديع ليمنحه الامن والطمأنينة ، انها ذات قصة فاوست ، فالشيخ او الشيطان سيحمل عنه كافة أوزاره ببعض الفتاوي ، ويطمئنه أنه المسئول عنه أمام رب الجبروت , ويأخذ منه مع روحه ، ارادته ، و عقله أيضا ، مقابل المسبحة وكتاب الادعية وسجادة الصلاة ، وحزاما ناسفا اذا كان من المحظوظين المختارين ، لجنة عرضها السماء والارض.

لو كنا آمنين ولا يحيط بنا هذا الخوف المقدس الرهيب لفكرنا ، وناقشنا ، وربما قاومنا ، وهنا يخسر الشيخ نفوذه كله , لكنه بالارهاب الدائم يرعبك ليشل تفكيرك , ويشير اليك : هذا هو المخرج الآمن ، وستجد هناك كتب فتاوي بن باز وبن عثيمين وابن قرضاوى وابن جمعة , ثم عليك أن توافق علي كل شروطه التي يعرضها عليك مقابل الامان , لتصبح تابعا صالحا تعلو درجاته بقدر ما يقدم من علامات الخضوع والطاعة والخنوع. فهو يؤكد للمؤمن الطائع الخانع انه قد امتلك كامل حريته ، لانه تحول من عبد للعباد الي عبد للإله , بينما هو في الحقيقة أصبح عبدا لأسوأ انواع العبودية...للمشايخ أوللسلطان!!

وهكذا اصبح مشهد المسلمين ومشايخهم وسلاطينهم ، مشهدا بائسا زريا يزري بالعقل وبالشخصية الانسانية , موقف هو منتهي الاستخفاف بآدمية الانسان ، وبعقله ، وبكرامته ؛ أصبح الشيخ يقوم بتلعيب المسلمين علي كيفه , نام نوم العازب.. ينام فورا , قل دعاء طلوع السلم.. يقول , اعمل عجين الفلاحة..يعجن , اقرأ دعاء دخول الخلاء.. يقرأ , لا تركب زوجتك الا بموافقة القرداتي ، بكلمة سر الليل المعروفة بدعاء النكاح , يقرأ ، ليثبت الشيخ حضوره في أخص أوقات المسلم....... حاشرا نفسه بين الزوجين.

وتري المأساة مجسمة كاملة الاهانة , محزنة جارحة مؤلمة ، عندما تتابع أسئلة المسلمين لمشايخ الفضائيات ، وكم هي تافهة الي درجة تصيب بالدهش والحيرة مما وصل اليه العقل المسلم. ويبدو أن مشايخ الفضائيات يعمدون الي ابراز تلك التساؤلات المزرية عمداً ، لزيادة تحجيم العقل المسلم داخل اضيق الاطر الممكنة ، التي تضيقها الفتاوي يوما بعد يوم.

استفسارات الفضائيات تشير الي مسلم سلبي جاهل ، لا يعرف كيف يتخذ ابسط القرارات في خصوصياته البشرية , تمت برمجته ليعود اليهم في كل شأن , سلبوه ارادته بمزاجه وكسب هو ضمان الا يضل ، فهذا الجيش من المشايخ هم من سيختارون له ما هو مضمون الصحة وسليم النتائج , حتي ضمر العقل المسلم ودخل في غيبوبة الاحتضار , في حالة موت سريري طويلة.

كانت السنة المحمدية هي أقوال وأفعال النبي محمد ، فيها ما يجوز الأخذ به والاقتداء به طلباً للثواب , وفيها ما لا يصح الاخذ به لأنه كان من خصوصيات النبي , ومنها ما لا يأثم المسلم ان لم يأخذ به ودون أن يخرج علي الملة. وبموت النبي ظهرت سنن من لا يوحي اليهم : كسنن الراشدين المهديين , ثم أخيراً ومع الصحوة الاسلامية وعودة الفتوحات بقيادة بن عبد الوهاب , ظهرت سنن الائمة الفقهاء والعلماء بطول التاريخ الاسلامي تحت مسمي الفتوي والاجتهاد الفقهي. و تضخم شأن الداعي والمفتي لتعلو منتجاتهم علي المنتجات المحمدية ؛ التي يجوز أخذ بعضها وترك بعضها. لأن سنن العلماء كلها جبرية لا اختيار فيها , كلها ملزمة رغم انها غير موحي بها ، ولم يعلم بها حامل الوحي جبريل اصلا. كلها ملزمة رغم انها جميعها انتاج بشري , انها وضعية , ان سنن الوحي علي لسان النبي الذي لا ينطق عن الهوي فيها ما يجوز تركه دون عقوبة سماوية رغم ان صاحبها هو الله , أما سنن مشايخنا فلا يجوز ترك اي منها , رغم ان الله لم يوح لاحدهم بها , اصبحت سنن مشايخنا هي قول وفعل من لا يوحي له.

والملحظ الهام بشأن الفتوي انها خصوصية اسلامية , فاذا كان الاسلام هو آخر الاديان وتمامها وكمالها وأشملها فلماذا هو بحاجة للفتوي؟ ان الفتوي هي استكمال نقص وهو ما يشين ديننا وهو متكامل بذاته وليس بة من حاجة لمشايخ الفتوي.

ويمكن رصد أنواع الفتوي وحصرها في أربع حزم ,

الاولي هي الفتاوي الخاصة بالعبادات من صوم وحج وصلاة وزكاة ،

الثانية اجتماعية يتلقاها المفتي من السائل وتتعلق بشئون شخصية وعائلية ، وفى هذين النوعين عادة ما يلزم الشيخ السائل بحل بذاته وسلوك بعينه دون تفرقة بين ماهو عبادة وبين ماهو شخصى او اجتماعى ، فهم يزعمون ان أى سلوك المسلم هو تعبد وضمن هذا السلوك يأتى التزامة بالفتوى ، التى تصبح أوامرها جزءا من العبادة , بينما الصواب هو أن يقدم الشيخ راية كنصيحة ومشورة غير ملزمة لانه شأن يخص الناس وليس شانا من شئون الدين في ذاته.

أما الحزمة الثالثة فهي الفتاوي التي تصدر عن دور الافتاء , والتي تصدرها تلك الدور دون طلب من أحد ولا تتعلق بأمور العبادات , بل هي تأتي لاثبات الوجود كانها قرارات جمهورية تلزم وتمنع وتسمح دون طلب من أحد ، وهو ما أوقع الدبلوماسية المصرية في الحرج أكثر من مرة , حتي تم انذار دار الافتاء رسمياً من وزير الخارجية المصري , للتوقف عن التدخل ذلك التدخل الناشئ عن شعور المفتي بضعف الحكومة واحتياجها للكاهن باستمرار. مصيبة مثل هذه الفتاوي أنها لا تتوقف عند الحدود المحلية بل هي عابرة للقارات , رغم انها ان صلحت في موطن قد تكون خرابا عاجلا غبر أجل في موطن آخر.

ورابع انواع الفتوي هو تلك الحزمة من الفتاوي المتبعثرة الصادرة عن غير ذي صفة , تدعمها تيارات شعبية غير رشيدة ، بها قتل السادات ، وبها دمرت طابا ، و شرم الشيخ ، ودهب ، والعريش ، وبها جرت مذبحة الاقصر ، وبها قتل فرج فودة ، وبها نهبت بيوت الاموال فقراء المسلمين , وبها ندمر العراق ونقتل ابناءه.

حرمت الفتاوي التدخين فاختفت السجائر من البقالات وانزوت في الاكشاك ، وأصبحت قاعدة دينية , ثم حشرت انفها فيما هو اخطر فحرمت الفن ، والاستنساخ ، والتطعيم ، ونقل الاعضاء ، فأغلق بنك العيون أبوابة! وبما ان الفتوي تشريع قانوني قدسي فانها تصعد الي السماء ، وعلي السماء هنا أن تفهم ، و ان تسمع ، وان تعى ، وان تطيع ، وان تنفذ. فعندما يفتي المفتي بحرمة التدخين ، يصبح من الضروري علي ربنا أن يسمع الكلام ، وأن يلتزم بالفتوي ويدخل المدخنين نار جهنم. كذلك علية أن يعاقب جريمة نقل الاعضاء , وأن يعاقب المشتغلين بالفن ،

وأن يدخل غير المحجبة الي النار , دون وجود نصوص عقابية في كلام الله في أي شأن من هذه الشئون , لكن علي الله أن يقوم بالوظيفة التي أناطها به كهنة المسلمين.............. وظيفة الجلاد.

ومع اختلاف الفتاوي باختلاف ألوان الفقه ما بين جعفري شيعي ، وسني ، وزيدي ، وغيره , لابد أن يتساءل العقل المسلم : بأي فقه منهم سيلتزم ربنا ويقوم بدوره التنفيذي؟.. في نفس البلد الواحد مثل مصر تتضارب فتاوي الازهر بالنقيض الكامل مع فتاوي دار الافتاء (البنوك , ختان الاناث ، كنماذج) ، فهل سيحتار ربنا هنا في تنفيذ الفتاوي المتضاربة؟.... التي تصعد اليه أوامر من الأزهر ودار الفتوى والتشريع ومن قنوات الجزيرة ، والمجد ، واقرأ ، وإكرة ، واخواتهن ، ومن بن باز ، واين عثيمين ، وابن جمعة ، وابن لادن ، وابن الزرقاوي , وابن قرضاوى ، وابن هويدى ، وابن عاكف ، وابن العوا. ثم ماهو المعيار الذي سيستخدمة ربنا في الاختيار والمفاضلة بين تلك الأوامر والنواهى المتضاربة الصادرة الية ، مع ما يفرضه المفتي علي الله لتعذيب من يعصي المشايخ ، واثابة من يرضون عنه.

تحكي لنا كتبنا التراثية , أن نبي الاسلام في مرضه الأخير صلي قاعدا الي جوار أبي بكر , " فلما فرغ من الصلاة أقبل علي الناس وكلمهم رافعا صوته قائلا: يا أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم وإني والله لا تمسكون علي شيئا إني لم أحل لكم إلا ما أحل لكم القرآن ولم أحرم عليكم الا ما حرم القرآن /الطبري سنة ١١ص١٩٨".

فالرسول صاحب الدين لم يحرم علينا الا ما حرم القرآن ، وترك لنا فيما عدا ذلك مساحة حرة واسعة ، نتعامل فيها بعقولنا وحسب ظروفنا ومصالحنا , وهي المساحة التي لم يأت القرآن علي ذكرها , فأنقض عليها الكهنة ليؤمموها لصالحهم ليجدوا فيها مكانهم الدائم. ليحرموا علينا ما لم يرد في قرآن ولا سنة ، كتحريمهم مستحدثات العلم والطب كالتطعيم والاستنساخ والتلقيح الصناعي وزرع الاعضاء , وهي شئون لا يعرفها الاسلام ولم تكن فى سنة ولا في قرآن ، فأضافوا للاسلام تحريمات ونواهي دون وحي يوحي. علماً أن من يبدع نصف دين أو ربع دين هو مبتدع لدين جديد غير دين الله , هو كاذب شرير علينا ، وعلي الله ، وعلي الدين , وهي البدعة الملعونة في الاسلام نصا وروحا ، اصطلاحا ولغة , لانها بدعة في الدين ، انهم بهذا المعنى من المتنبئين.

الفتوي اسمها فتوي شرعية , والدار الرسمي لها اسمه دار الفتوي والتشريع , لذلك هي قانون ، ومع سيل الفتاوي المنهمر ؛ أصبح كلام الفقهاء والمفتين في منزلة الوحي وشريعته , وأصبحت الفتوي قانون ديني ملزم الزام الوحي. رغم أن كل ما

قال الفقهاء ، والمفسرون ، والمفتون ، وأصحاب المذاهب ، قد صدر بعد توقف الوحي بموت النبي , وهو ما يعني انها غير ذات سند سماوي ولا يمكن ان تكون في حجية شريعة محمد , لانها جميعا من وضع البشر ،............ انها جميعا بهذا المعني " **وضعية** " بكليتها تشوبها نقائص الوضع مثلها مثل اى منجز انسانى اخر.

الشيخ اذن لا يملك أية قداسة بل هو لاعب بدين الله , ويضع رأيه الشخصي مقدما علي الوحي الالهي ويفرضه علي المسلمين ويلزمهم به , ومع معرفتنا ذلك يجب أن تتراجع مهابة الشيخ الرهابيه من انفسنا , فهي حالة رهابية غير ذات سند ولا سلطان ولا شرع الهى ولا ارضى.

ان السبب الحقيقي وراء فوضي المشايخ و الفتاوي والدعاة في بلادنا انه ليس لدينا مجلس تشريعي حقيقي ، ولا قانون مدنى حقيقي , وهو ما أدي الي تأكل الدولة المدنية ومؤسساتها وتراجعها , ليحل الشيخ في كل محال اتخاذ القرار والسيادة الممكنة , وأمسي يمارس حقوقا لا يملكها غيره من المسلمين دون مبرر واحد ديني أو دنيوي يمنحه تلك الحقوق , ويرفض ان يكون لغيره من المسلمين مثل هذا الحق ، ناهيك عن غير المسلمين من مواطنين.

الشيخ يفكر.... اذن علي المسلم ألا يفكر.

فقد قال الغزالي ، وقرر بن تيميه ، وحسم بن حنبل ، وانتهى ابن عبدالوهاب.. ، هذا هو مقياس الامور ، و بة حسمها أيضا ، أقوالهم هم ، فيلعبون في شغل الله ، ويعبثون بتخصصاته ليسلبوه بعضها , ويتهمون العلمانيين الضعاف من أمثالى بالعبث بدين الله مع تكفيرى بغرض قتلى. فمثل هذه المقالة التي بين يديك مثلا هي عندهم عبث بدين الله ، رغم انها لم تفتر فتوي ، ولم تضف ألى الأسلام ، ولم تحذف منة شيئا ، أنهم يلبسون علي المسلمين ان من مسهم اومس فتاواهم فقد مس الله ذاته ، الم اقل لكم انهم يشتهون الربوبية!

ان صحيح الايمان المفترض ، يؤمن ان الله عندما ترك ما ترك دون تشريع أو تدخل ، لم يكن سهوا منه ، فلا شئ عنده عبثا. انما ما يجب أن يفهمه المؤمن ان الله ترك ما ترك قصدا ، وعمدا ، لانه لم يرد التضييق علي عبادة بالاكثار من التشريعات ، والتحريمات ، والتجريمات. ليترك لهم عن قصد منة ورغبة مساحة حرية يمارسون فيها انسانيتهم ، يضعون لانفسهم فيها ما يناسبهم من تشريعات , لان الله كان يعلم أن الدنيا ستتطور , وكان يعلم أن الاحوال ستتبدل لانه هو الله , وليس غيره اله ، اليس هذا ما يعتقد المسلمون؟.

هل يعتقد المسلم البسيط أو المفكر أن رب الاسلام ، كان لا يعلم أنه سيكون في الارض يوما بلدا مثل امريكا وبقدرات امريكا , او بوجود الاتحاد الاوروبي , أو هيئة الامم........؟ بالطبع فيما يعتقد المؤمن ، ان اللة كان يعلم ، كان يعلم ولم يذكرها ولم يضع لنا اي قواعد تشريعية محددة للتعامل معها ، وترك لنا مواجهة مشاكلنا بأنفسنا فسكت عنها ، لكن مشايخنا يحلون في مساحتنا الحرة ليصادروها ، و ليصدروا فتاواهم ازاء مثل تلك المستحدثات.

واذا كان رب الاسلام قد علم بذي القرنين وفتوحاته كما ورد بالقرأن ، فلا شك انه كان يعلم ان استاذ ذي القرنين كان هو الفيلسوف اليوناني ارسطو , وأن استاذ أرسطو كان افلاطون ، ومع ذلك لم يندد لا بأرسطو ولا بأفلاطون ولا بالفلسفة ولم يكفر المتفلسفين..... كما فعل الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي من بعد ، وألجمنا عن التفلسف والكلام ، بكتابه (الجام العوام عن علم الكلام) ، بينما لم يفعل ذلك ربنا فترك لنا ما تركه دون ان يحدد منه موقفا ، ليكون مساحة المؤمنين الحرة للاخذ من السياسة الارسطية ، أو الجمهورية الافلاطونية ، أو قوانين سولون وروما ، او من ديمقراطية اليوم ومقد ساتها القانونية الحقوقية الراقية انسانيا.

ان رب الاسلام أيضا حسبما يخبرنا القرآن كان علي علم بأنظمة الحكم المختلفة ومنها حكم بلقيس لمملكة سبأ , وكيف انها كانت لا تتخذ قرارا الا بعد الرجوع الي مجلسها الشعبي (ملئها) ، ولم يعترض عليها نبي الله سليمان بهذا الشأن ، حسبما جاء فى القرأن ، ولم يعب عليها نظامها في الحكم , لكنه عاب عليها دينها , وترك لشعب سبأ نظامهم شبية الديمقراطي في الحكم ، دون ان يندد به أو يعترض عليه. كان ما عابة عليهم هو سجودهم لغير الله وليس طريقة حياتهم.

القرآن والسنة لم يتكلما عن زرع الاعضاء ، ولا عن التدخين ، ولا عن مجلس تشريعي ، ولا عن حقوق الانسان ، لأن رب الاسلام كان يعلم أن التطور وحده وهو قاعدة الكون الازلية , وان هذا التطور سيفرز ما سوف يفرزة في حينه ، وترك ذلك لعباده حرا طليقا لأنها شؤون لم تكن قد وجدت بعد ، و دون أن يدخله تحت قوانين مقدسة ، حتي لا يتجمد المسلمون عند النص , وحتي لا يختلف المسلمون حوله ويتقاتلون , تركها مساحة حرة لهم ليتنافسوا فيما هو الاصلح لهم ؛ بدلا من أن يتقاتلوا لعبا بالدين وبالسيوف وبمصائر شعوب بكاملها.

كذلك لم ينتقد رب الاسلام القيم الانسانية وما يحميها من قوانين وضعية , رغم انها كانت كقوانين من وضع المجتمع عبر جمعيات منتخبه شعبيا , كانت معروفة وموجودة في روما قبل ظهور الاسلام بألف عام كاملة , وسكت عنها القرآن وترك للأجيال اللاحقة عندما تكتمل نضجا وعندما تحتك بدول العالم وترتقي مثلها ، ان

تسعي اليها تستلهمها وتستلهم منها , وهو ما سبق وسمحت ببعضة الضئيل الدولة العباسية ، فانجبت كوكبة من المفكرين لم يتكرروا بعدها أبداً.

أليست القاعدة : " مانهاكم عنه فانتهوا , وما آتاكم فخذوه"؟ ا

ذن لماذا يحرم المشايخ كل يوم شأن مما تركه الله مسموحا؟ ولو كان مضمون الفعل الفتوي أصلا من أصول الدين لقاله لنا ربنا ، ولم ينتظر الدعاة حتي يأتوا من بعد توقف الوحي ليكملوا له شرعه ودينه ويفتون في الارض كالآلهة.....فسادا..... أنهم يريدون الربوبية , , , , لا محيص!.

ان من حق المسلمين اليوم ان يستردوا ما أخذه منهم المشايخ وما صادروه بفتاواهم , من حقهم ان يقيموا صناعة سياحة حرة طليقة تكفل عيشا كريما في بلد فقير , من حقهم ان يقيموا الكرنفالات السعيدة ، وان يستعيدوا الفرح ، والحفلات ، والفنون التي تروح عن الروح ، من حقهم ان يضعوا شرائعهم بأيديهم كبقية خلق الله , من حقهم النهوض بالمرأة ، وبالسينما ، وبالبنوك ، وأن تصبح مسألة أدخن أو لا أدخن ، أسهر بالحسين أو بكازينو بالهرم ، ألبس الحجاب أو الميني جيب أو طاقية الإخفاء , مسائل حرية شخصية يجب طرد المشايخ منها , حرصا علي الدنيا وعلي الدين وعلي عقول المسلمين.

ان طرد الدهاقنة والسدنة والكهنة والأحبار و المشايخ وكل من اشتغل بالدين من عالم المسلمين ، واجب ديني علي كل مسلم يحب دينه ووطنه , فليس في الاسلام كهانة ولا سدانة ، وليس في كتاب الله ولا في سنة نبيه شيئا اسمه الازهر أو رجال الازهر او جماعات تزعم الإسلام دون كل المسلمين. وتركهم يلعبون بنا وبديننا مأثمة عار علي كل مسلم فرط في كرامته التي منحها له الله (ولقد كرمنا بنى أدم) ، وفي دينه ، وفي وطنه ، وترك كل شئ لرجال مثلنا لهم مطامع ورغائب ونزعات وحاجات بشرية , رغم أنهم ليسوا بآلهة ، ولا بأنبياء ، ولا بأنصاف أنبياء. ولاهم حتى من الصالحين.

أيها المسلمون أعلنوا ايمانكم بأن محمداً هو خاتم النبوات بطرد الكهنة من حياتكم ، حتى تصحوا وتتعافوا وتلحقوا ببقية الامم ، وربما عليكم قبل ذلك........ اقامة محاكمات علنية شفافة ، لآخر جيل من هؤلاء في زماننا ، ولأسماء من مات منهم... زيادة فى تحرى العدل.

عن مجلة (أقلام) فبراير ٢٠٠٥

البيعة ليست هي التصويت (١)

إصرار من لون عجيب ، دون كل شعوب الدنيا ، على إدخال الدين في كل مدخل كبر شأنه أو صغر ، إصرار أصبح نوعاً من المرض العضال. وضمن هذا الإصرار يأتي إلحاح الذين يلعبون السياسة بالإسلام ، وكيف أمكنهم العثور في الإسلام على كل ما وصلت إليه المبادئ والقيم والحقوق الإنسانية في زمن الحداثة وما بعدها ، وكل ما يتعلق بنظام الحكم المتفوق والذي أدى لتفوق بلاده حيثما تم تطبيقه ، مما دفعهم بدلاً من الأخذ به وتطبيقه إلى البحث في ركامنا التاريخي عن كل مكونات العمل السياسي الديموقراطي كما هو في أقصى نضوجه اليوم. وأول سؤال بديهي يطرح نفسه إزاء سادتنا هؤلاء هو:

إذا كنا نملك كل تلك الأدوات الحاكمة بين الشعب والدولة ، بما يؤدي إلى إرادة شعبية هي الحاكم الحقيقي عبرانتخابات حرة ، إذا كنا نعرف حقوق الإنسان فعلاً ، إذا كنا نعرف ما هي الحرية؟ فلماذا نحن هنا في القاع ولماذا هم هناك يجوبون الفضاء؟! والمصيبة الأفدح أن تكون كل تلك القيم الدافعة للتحضر موجودة في ديننا ولا نعرفها ولا نكتشفها إلا بعد أن نراها محققة في بلاد الغرب ، وهو ما يعني أحد أمرين: إما كذب وبطلان هذا الإدعاء كله برمته وأن الإسلام لم يعرف مفاهيم الحريات والمساواة وحقوق الإنسان والقيم الديموقراطية التي نعرفها اليوم ، وهو الموقف العلمي الذي لابد منه ، لأن تلك مفاهيم بنت زماننا لم تكن تعرفها البشرية زمن الدعوة الإسلامية وإن عرفتها مناطق أخرى كاليونان وروما. لأن ال (إما) الأخرى ستعني أن أولى الأمر منا ومشايخنا وفقهاؤنا التاريخيون والصحابة والراشدين كانوا يعرفون كل تلك القيم المؤدية للعدل والتفوق والتحضر في ديننا ، ولم يعملوا بها ولم يحاولوا تحقيقها ، وتركوا المسلمين وغيرهم معهم تحت الظلم والقهر بطول عصور الخلافة السوداء وهي جريمة تاريخية كبرى ، ثم ظهروا يحدثوننا اليوم عن هذا الذي كان بيدهم وكانوا يخفونه عنا!!... إنهم لازالوا يريدوننا عبيداً لسدانتهم بسرقة حلمنا في وطن ديمقراطي دستوري حقوقي محترم.

نموذجاً لهؤلاء الفلاسفة الجدد الدكتور **محمد زيدان** ، وهو من يكتب للنخبة الراقية من الإسلاميين ، لذلك هو يشغل منصب رئيس القسم الشرعي بشبكة إسلام أون لاين ، وهي أهم شبكة إسلامية حتى الآن ، وتحظى بنسبة زوار هائلة. وقد كتب الدكتور زيدان على شبكته عملاً بعنوان: "البيعة: شرعية الشورى وتمكين الأمة"

http://www.islamonline.net/arabic/mafaheem/2005/07/article01.shtml

وهو عمل مثالي ونموذجي لما نحن بصدده كخطاب إسلامي جديد قرر التفاعل السياسي بعد حراك العالم في سبتمبر ٢٠٠١ ، ليثبت أن حداثتنا موجودة لدينا ، وهي ذات الديموقراطية الغربية لكن بمسميات وآليات إسلامية ، وهي تناسبنا بعكس تلك الغربية لأنها غريبة عنا. ومن هنا تأتي أهمية موضوع الدكتور زيدان الذي يمكن اتخاذه لمناقشة مسألة البيعة ، كأداة ديموقراطية إسلامية في ممارسة الشعب للسلطة ، ومدى صدق هذا الطرح من عدمه كشهادة لفلاسفة الإسلام السياسي الجديد. وعليه يمكن هنا إنشاء موضوع يبحث البيعة حسبما تراها أحدث الأدبيات الباحثة في تيار الإسلام السياسي المعاصر.

البيعة كشرعية للنظام:

يدخل الدكتور زيدان إلى موضوعة بفقرة قوية تبدو محكمة الترتيب والغرض ، يقول: "البيعة من أبرز جوانب الفعل السياسي الذي تمارسه الأمة ، إذ أنها في الرؤية الإسلامية هي التي تضفي الشرعية على نظام الحكم ، بل وتسبق إنشاء الدولة في الخبرة الإسلامية في عهد الرسول /ص/.فهي ميثاق تأسيس المجتمع السياسي الإسلامي ، وأداة إعلانه الالتزام بالمنهج والشريعة والشورى ، وهي صيغة تمكين الأمة لا إخضاعها ، قبل الدولة وبعدها ، .. والبيعة في الخبرة النبوية هي عقد اجتماعي تأسست عليه الأمة ثم الدولة. فالعقد الذي حدث مرتين عند العقبة كان عقداً حقيقياً تاريخياً ، تم فيه الاتفاق بين إرادارت إنسانية حرة ، وأفكار واعية ناضجة من أجل تحقيق رسالة سامية ، في حين أن فكرة العقد الاجتماعي عند روسو مثلاً في الفكر الغربي الحديث ، كانت تبريراً غيبياً لا نصيب له من الواقع ، لجأ أصحابها إليها لمحاربة سلطة الحاكم الفرد عبر أسطورة لم يشهد تاريخهم تحققها كما حدث في التاريخ الإسلامي".

ألا ترون هذا الكلام الكبير العظيم الفخيم؟ ألا ترووننا قد سبقنا عقد روسو الاجتماعي في بيعتي العقبة ، بينما نحن في قاع الأمم تراتبا؟ بل أن عقد روسو كان مجرد تهويماً غيبياً مقابل عقدنا الواقعي الحقيقي (البيعة) ، الذي تشهد عليه أحداث تاريخية وقعت مرتين عند العقبة. مثلي لا يقتنع بسهولة بطرح الكلام الجميل المرتب المنمق المفلسف ، لأن ذلك لو كان حقاً لكنا نحن القاطرة التي أخذت العالم نحو الحداثة منذ ألف وأربعمائة وستة وعشرين عاما ، ولكُنا الأكثر رقياً وتقدماً نحن ودول العالم الأخرى مما هي عليه الدنيا الآن. هنا لابد أن نشك في الكتالوج المقدم إلينا من الدكتور زيدان ، فالكتالوج يقول شيئاً وواقعنا يقول شيئاً آخر ، ومن ثم وجب البحث وراء ما طرح الدكتور ومدى صدقه من كذبه أو تدليسه.

هنا ، وحتى نفهم ما قال سيادته ، سنقوم بتحليل وتفصيص ما قال واحدة واحدة ، في خطابه السياسي الإسلامي الجديد: ولنبدأ بالواحدة الأولى:

يقول سيادته: "إن البيعة من أبرز جوانب الفعل السياسي الذي تمارسه الأمة ، إذ أنها في الرؤية الإسلامية هي التي تضفي الشرعية على نظام الحكم".

وهكذا يكون أول الآية كفر ، واستئصالاً وتكفيراً وتحريضاً ، بصيغة الجزم والتأكيد ، فهو يصدر حكماً على كل الحكومات الإسلامية القائمة بالكفر ، ويسحب عنها الشرعية ، فكلها قامت على نظام الدولة الحديثة ، ولم يكن فيها كلها بيعة (عدا بضعة منها). ألا ترونه يصوغها مشروطة بقطع تأكيدي "إذ أنها" مما يعني أن كل حكومات المسلمين المعاصرة غير مشروعة ، "إذ أنها (أى البيعة) في الرؤية الإسلامية هي التي تضفي الشرعية على نظام الحكم".

الغريب في شأن سادتنا هؤلاء من مفكري التيار الإسلامي أنهم يبنون أبنية محكمة قوية البناء ، لكن كلها على مستوى المخيلة وحدها وليس أبعد من ذلك. المشكلة أن هذا الكلام المتخيل يتم ترديده باستمرار حتى بات كما لو كان حقيقة ، وأن علينا التصديق ثم السمع والطاعة.

لكن هل القواعد الدينية المفترض فيها السمو والبناء والتقدم ، يمكن أن تصبح مهمتها إثارة الفتن وتدمير الأوطان بالحركات الدينية المسلحة ، أو حتى الثورات الشعبية المتدينة؟ والأهم هو السؤال: ما هو مصدر هذه القاعدة التي تبدو صحيحة واضحة دينياً ١٠٠% ، في أى مكان هي موجودة بدين المسلمين؟ إن عبارة تحريضية من هذا النوع إنما تحرض الشعوب بالدين للفتن لأن حكوماتها لم تقم على نظام البيعة ، رغم أنه إذا كان لابد من الثورة ، فهناك أسباب ومبررات أخرى كثيرة لا تدمر لكنها تبني. نحن بحاجة لمعرفة مدى صدق هذه العبارة التي بني عليها موضوعه كله عن البيعة ، وبحاجة إلى النصوص الصريحة التي يمكن أن تنبثق عنها مثل هذه القاعدة الدينية الدستورية؟

إن التحريض على التمرد الديني غير المعارضة البناءة ، إن تحريض البسطاء وهم وقود كل الحركات الدينية عبر التاريخ ، يحولهم عن الولاء لوطنهم إلى خيانة الولاء الوطنى لصالح ما يقال لهم أنه شرع السماء ، مما يعطي الضوء الأخضر لعمليات الإرهاب المسلح بحجج شرعية قالها الدكتور زيدان ، المفترض أنه في طليعة الحداثيين الإسلاميين. ليعطي الدافع لمزيد من دمار اقتصاد بلاد المسلمين وموت الأبرياء وتفجير السياح ودور العبادة ووسائل المواصلات وأنابيب البترول ، فيضرب منتج د.زيدان في كل مكان دون هدف واضح سوى التخريب والتدمير ،

لأن الدكتور زيدان لم يضع بديلاً حقيقياً واضحاً يمكن تطبيقه اليوم للنظام الذي تقوم عليه الدول الإسلامية ، وسنرى معاً كيف أن وفاضه أخلى من عباراته الكبيرة.
الأهم في كل هذا أنهم يشيعون بين المسلمين إتفاقاً على عدم شرعية الحكومات القائمة ، حتى يكونوا هم البديل الشرعي لأنهم هم من يفهم الإسلام وشروطه ، وحتى يتم إتفاق الأمة على اختيارهم بديلاً ، فليس أمام المسلمين سوى الإرهاب والتخريب حتى تسقط هذه الأنظمة غير الشرعية بيد الجماعات الإرهابية الشرعية.

المثير هو أن زيدان يعلن يقينه هذا على المسلمين وهو يعلم أن الحال لم يكن كذلك في تاريخنا الميمون ، لنقرأ معاً (فصل في وجوب الإمامة وبيان طرقها ، من كتاب الإمامة وقتال البغاة ، في المجلد الثالث من روضة الطالبين) إذ يقول فصل: وأما الطريق الثالث (لتنصيب الإمام) "فإذا مات الإمام فتصدى للإمامة من جمع شرائطها ، من غير استخلاف ولا بيعة ، وقهر الناس بشوكته وجنوده ، انعقدت خلافته ، لينتظم شمل المسلمين. فإن لم يكن جامعاً للشرائط بأن كان فاسقاً أو جاهلاً ، فوجهان أصحهما انعقادها لما ذكرنا ، وإن كان عاصياً بفعله". وبعد تولي المتغلب توضع له الأحاديث في الصحاح ، عن حذيفة بن اليمان: "إسمع لحاكمك وإن ضرب ظهرك وإخذ مالك" ، وكذلك عن الحسن البصري: "لا تعصوا أولى الأمر منكم فإن عدلوا فلهم الأجر وعليكم الشكر ، وإن بغوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر ، فهو امتحان من الله يبتلي به من يشاء من عباده ، فعليكم أن تتقبلوا امتحان الله بالصبر والأناة لا بالثورة والغيظ".. وعن أحمد بن حنبل عن رواية عبدوس العطار:"من غلب على المسلمين بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً ، باراً كان أم فاجراً". ويقول ابن عبد ربه في العقد الفريد (كتاب اللؤلؤة في السلطان): "السلطان زمام الأمورونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذي عليه مدار الدنيا ، وهو حمى الله في بلاده وظله الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم وينتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم. قالت الحكماء: إمام عادل خير من مطرٍ وابل ، وإمام غشوم خير من فتنةٍ تدوم ، ولما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن". قال وهب بن منبه فيما أنزل على نبيه داود (ص) "إني أنا الله مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، فمن كان لي علي طاعة جعلت الملوك عليهم نعمة ، ومن كان لي علي معصية جعلت الملوك عليهم نقمة". وعن عبد الله بن عمر ، "إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإن كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر". ليوجز حذيفة بن اليمان نظرية الإسلام السياسي في الحكم فيقول عن النبي (ص): "ما مشي قوم قط إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله".

إنها بيعة المتغلب التي يتميز بتشريعها فقهنا الإسلامي عن غيره ، في تسليمه بالأمر منعاً للفتنة وانشقاق الأمة ، فما بال زيدان يحرض على الفتنة وانشقاق الأمة؟ خاصة وهو يعلم أن بيعة المتغلب كانت هي المتغلب على تاريخ الخلافة الإسلامية بطولها وعرضها ، فما باله لا يعترف بحكومات إسلامية ولو متغلبة منعاً للفتن؟ أم تكون الفتن هنا مطلوبة في حالة وجود البديل الذي يزعم أنه الإسلامي الشرعي؟ في حالة وجود زيدان ورفاقه دون فلسفة حكم متكاملة واضحة بأيديهم؟ وإذا كانت البيعة هي التي تعطي الشرعية للحاكم ، فماذا عن تأخر علي بن أبي طالب والهاشميين ومعظم جزيرة العرب عن بيعة أبي بكر ، ومع ذلك فإن التيارالسني يعتبر بيعة أبي بكر شريعة مئة بالمائة.

وماذا عن امتناع الوالي معاوية عن مبايعة الخليفة الرابع على بن أبي طالب؟ وما هي الإجراءات الدستورية التي كان يلزم اتباعها وإجراؤها في ذلك الوقت لضمان عدم امتناع معاوية؟ وهل كان للبيعة مؤسسات تضمن تنفيذها؟ وهل تمكن الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب الذي حكم بالبيعة ، من فرض سلطانه على الشام وعزل المتمرد معاوية؟ إن البيعة لم تحافظ على نظام حكمها الشرعي مع علي ، وأخذ غير الشرعي (معاوية) منصبه بل وأحتاز الخلافة كلها دفعة واحدة. ثم أخذ البيعة له ولابنه يزيد تحت تهديد الصحابة بالقتل ، **ما قيمة البيعة هنا؟** وهل أفادت البيعة عثمان بما أضفته من شرعية على نظام حكمه ، وهل ساعدته على إخضاع المتمردين من عرب مصر والصحابة وصانت حياته؟ وماذا وضع نظام البيعة من إجراءات لمثل هؤلاء؟ وكيف كان يمكن التصدي لهم شرعياً. وما هي الترتيبات والتنظيمات والإجراءات والمؤسسات التي يقترحها د. زيدان لمواجهة مثل تلك المشاكل مستقبلاً؟ وما هو حكمه على تلك الأحداث من منطق فكرة السياسي الإسلامي المعاصر؟ أم أن الشخصيات التي عاصرت الفتنة الكبرى مقدسة ولا يجوز توجيه النقد إليها بما يفيدنا في تطوير نظم الحكم والمراقبة الشرعية وفق نظام البيعة؟

اللطيف في شأن سادتنا المفكرين الإسلاميين أنهم لا يلحظون ما هو شديد الوضوح ، وهو أن البيعة لم تكن يوماً سبباً لشرعية أحد ، وقد عبر الخليفة عثمان عن ذلك بوضوح عندما طالبه الثوار بالإعتزال ، فهو لم يعتد ببيعتهم ، ولا بسحبهم هذه البيعة ، لأنها لم تكن لا في العير ولا في النفير ، فقد كان رده التاريخي ، **"والله لا أخلع قميصاً سربلنيه الله"** ، كانت هي إذن إرادة الله وليست إرادة الناس وبيعتهم ، كان عثمان يعتقد أن تلك بيعة من الله وليست بيعة من الناس ، وماذا تكون بيعة الناس بجوار بيعة الله؟

ويبقى النظام الإسلامي غير قابل للتطوير والتحديث بسبب هذه القدسية التي لحقت زمن الصحابة وبيعاتهم. على زيدان أن يختار؟ وهو لا يستطيع حتى ان يختار ، ثم يقدم لنا درساً في العقد الاجتماعي الإسلامي ، بنظام البيعة الذي لم يتمكن من حماية نفسه يوماً.

البيعة ليست هي التصويت (٢)

البيعة تسبق الدولة

الحديث مع الدكتور زيدان لا يمل ، فلنأخذ الواحدة الثانية من حديثه إذ يقول: "بل وتسبق (أى البيعة) الدولة في الخبرة الإسلامية في عهد الرسول /ص" ، ويستشهد على ذلك بقوله: "فالعقد الذي حدث مرتين عند العقبة ، كان عقداً حقيقياً تاريخياً" (يقصد عقد اجتماعي كما قال) ، إذن البيعة قد تمت مرتين في العقبة الأولى والثانية من الأنصار للنبي ، وبذلك "تسبق إنشاء الدولة في الخبرة الإسلامية في عهد الرسول". ولا تفهم الغرض من وضع قاعدة لا تعمل منذ أن وضعت ، فالخلافة على مدار التاريخ الإسلامي كله كانت تقوم على الوراثة ، إلا في عصر الخلفاء الراشدين وحدهم ، حيث تولى كل خليفة بأسلوب وطريقة فريدتين لم تتكرر مع سواه. فلم يخضع تولية منصب الخلافة في زمن الراشدين لأى آلية أو لقاعدة منتظمة ، وهو ما يعكس ارتباك تلك الفترة وعدم وضوح شكل الدولة أو نظام تداول السلطة فيها أمام أصحابها ، ولا تجد هنا أى فائدة لكون البيعة "تسبق إنشاء الدولة في الخبرة الإسلامية". لأنه لو كان الأمر كذلك لظهر معها قواعد لتداول السلطة ولنظام الدولة وشكلها ، وهو ما لم يحدث مما أدى للارتباك في تداول السلطة ، وإلى قيام نزاع مسلح بدأ في الفتنة الكبرى ثم الجمل ونزاع علي ومعاوية في حرب أهلية, ونعرفها بالفتنة الكبرى تمييزاً لها عن فتن أخرى تملأ صفحات تاريخنا الإسلامي السياسي.

لم تستقر الأوضاع إلا بعد قيام الدولة الأموية على فكرة الملكية وتداول السلطة بالوراثة أو بالغلبة والقهر ، وكانت البيعة مجرد إجراء شكلي يعبر عن خضوع الرعية ، لأن البيعة ليست آلية انتخابية كما يحاول زيدان أن يلقي في روع المسلمين المسالمين الطيبين ، البيعة لم تكن وسيلة اختيار الحاكم ، لأن الحاكم يكون معروفاً قبل البيعة ، فالبيعة لا تكون إلا لخليفة ، فتولي الخلافة أسبق من البيعة في إجراءات تولي الحكم ، ويريد زيدان هنا أن يفهمنا أن اللاحق هو الذي أنتج السابق ، رغم أن البيعة تكون للحاكم بعد تعريفه وإعلانه وتوليه الكرسي فعلاً.

وحتى بعد استقرار الدولة في المملكة الأموية والعباسية لم ينجح الفقه في الاستقرار على طريقة تداول السلطة ونظامه ، ولم ينجح في تحديد شكل هذه الدولة ، وجعل كل شئ جائزاً لغياب فلسفة السياسة التي تحدد أهداف الدولة والعلاقة مع المحكومين ، لغياب دستور ونظام موحد للحكم ، رغم نجاح شعوب قديمة قبل الإسلام بقرون طويلة ، ولم يستفد المسلمون منها ، وكان أقربها إليها النظام الروماني الدستوري.

كل ما يقوله الفقه لنا جاء في روضة الطالبين نفس الباب السابق: "وتنعقد البيعة بثلاث طرق: أحدها البيعة كما بايعت الصحابة أبا بكر الصديق (رض) ، والطريق الثاني استخلاف الإمام من قبل الإمام القائم وعهده إليه كما عهد أبو بكر الصديق (رض) إلى عمر (رض) ، وانعقد الاجماع على جوازه. والاستخلاف أن يعقد له في حياته الخلافة بعده ، فإن أوصى له بالإمامة فوجهان حكاهما البغوى: ولو جعل الأمر شورى بين اثنين فصاعداً بعده كان كالاستخلاف ، إلا أن المستخلف غير متعين ، فيتشاورون ويتفقون على أحدهم ، كما فعل عمر فجعل الأمر شورى بين ستة اتفقوا على عثمان (رض). وذكر الماوردي أنه يجوز العهد إلى الوالد والولد وفيه مذهبان.. وأنه لوعهد إلى جماعة مرتبين فقال الخليفة بعد موت فلان ، وبعد موته فلان ، وبعد موته فلان جاز وانتقلت الخلافة إليهم على ترتيب ما رتب ، كما رتب رسول الله (ص) أمراء جيشه مؤته. وأما الطريق الثالث فهو القهر والاستيلاء.. سبق سرده في بيعة المتغلب".

في حال بيعة المتغلب لا معنى للبيعة ، فسواء بايعته أو لم تبايعه فقد جلس هو واستراح على الكرسي ، هو لا ينتظر التمثيلية الإسلامية الهزلية إلا لإثبات السيادة والسيطرة ، وخضوع شعبه وإقراره بذله ، هي تهنئة وتباريك وإعلان إذعان وطاعة.

في حالات البيعة الثلاث لا وجود هنا للناس ، ففي أنواعها تنعقد البيعة بعد تولي الخليفة بالاستخلاف أو بالشورى أو بالتغلب ، هذا رقم ١ ، ثم تأتي البيعة في الترتيب رقم٢ ، والبيعة بهذا المعنى لا تضفي الشرعية على النظام بقدر ما هي إعلان خضوع الناس للحاكم الجديد ، هي إعلان إذعان علني.

ويحاول د. زيدان جعل البيعة مبدأ إسلامياً مقدساً تم صكه قبل إقامة الدولة في عهد النبي. وهو منطق مردود عليه بمنطقه هو نفسه ، لأنه إذا كانت البيعة هي التي تضفي المشروعية على الحاكم ، وأن البيعة سبقت إنشاء الدولة في الخبرة الإسلامية ، لأن رسول الله حسب اعتقاد المسلمين لم يكن في حاجة للبيعة بهذا المعنى ، لأنه نبي ليس بحاجة لمن يضفي الشرعية على فعل أو قول من أقواله ، فالنبي مختار من السماء ويدعمه الرب وليس بحاجة لاستمداد الشرعية من بيعة بشرية ينشئ بها الرب لنفسه دولة إسلامية على الأرض. كما أن البيعة لم تؤد إلى إجماع كل الناس على الإله الإسلامي ، فلازالت الأرض تتقاسمها أديان شتى: لأن زيدان إن قصد بالبيعة مفهوم الانتخاب المعاصر فهو يعني الاختيار بين بدائل ، والرسل لا يأتوا باختيارنا بل من السماء بايعناهم أم لم نبايعهم ، وبيعة البشر لا تعطيهم شرعية لهم ولا لدولتهم.

البيعة في الخبرة النبوية

فماذا عن بيعتي (العقبة) كما يقول "بعقد تاريخي حقيقي بين إرادات إنسانية حرة وأفكار واعية ناضجة من أجل تحقيق رسالة سامية"؟ بنص كلام زيدان؟ ألا يعني ذلك أن الانتخاب/ البيعة الإسلامية كانت المفهوم الأعلى والأرقى ، لأنها تحققت في الواقع كعقد إجتماعي ، وسبقت مفاهيم روسو التي كانت مجرد كلاماً غيبياً ، بل وسبقت وجود الدولة وإنشائها ، مما يعني إعطاءها قيمة عليا أعلى من الدولة ، فهو يقول عن هذا العقد الذي تم في العقبتين " تم فيه الاتفاق بين إرادات إنسانية حرة ، وأفكار واعية ناضجة ، من أجل تحقيق رسالة سامية ، في حين ان فكرة العقد الاجتماعي عند روسو مثلاً ، في الفكر الغربي الحديث ، كان تبريراً غيبياً لا نصيب له من واقع".

يبدو الكلام هنا قوياً مدعماً ببيعتين حدثتا على الأرض بل وقبل إنشاء الدولة ، لكن الخطأ الوحيد هنا أو التلبيس على المسلمين ، هو أن كل الكلام يبدو صحيحاً خاصة وقائعه التاريخية التي لا يمكن إنكارها ، لكن ما يمكن أنكاره بل يجب إنكاره أن بيعتي العقبة كانتا لمحمد (ص) لإنشاء دولة ، وهنا خلط للأوراق الذي يفوت على العين التي لا تدقق فيما يسوقه لنا سادتنا أهل الدولة الإسلامية ، فلم يكن هناك أى اتفاق في البيعة على إنشاء دولة بموجب تلك البيعة ، ولا توجد أى بيعة في الإسلام منشئة للدولة كما يزعم الدكتور زيدان ، هو يريد تأكيد أن الإسلام دين ودولة و ليس مجرد دولة بل دولة مستكملة الشروط والأركان التي وصلت إليها الدول المعاصرة المتفوقة. وهو في واقع الخبرة الإسلامية لا وجود له بالمطلق ، لأن الإسلام كما جاء كان دين للحياة وللآخرة بالعبادات والثواب والجزاء ، نعم حدثت بيعات وليس بيعتين ، فهناك العقبة الأولى والعقبة الثانية ، وبيعة الرضوان المسماه ببيعة الشجرة في الحديبية ، لكن أياً منها لم يرد فيه شئ عن الدولة ولا السياسة ولا نظام الحكم. ويبدو لنا أن الإسلاميين لديهم شئ من الارتباك والتخبط في هذه المفاهيم ، حتى أن الدكتور زيدان نفسه يفسر البيعة لنا ثلاث مرات ، كل مرة بمعنى مختلف فالمعنى الأول في قوله: "إن البيعة هي ميثاق تأسيس المجتمع السياسي الإسلامي" ، وفي قوله: "فالعقد الذي حدث مرتين عند العقبة كان عقداً حقيقياً تاريخياً تم فيه الاتفاق بين إرادات إنسانية حرة وأفكار واعية ناضجة" ، وأن هذة البيعة كانت "من أجل تحقيق رسالة سامية". وهكذا لم تعد البيعة ميثاق تأسيس المجتمع السياسي الإسلامي ، لأن الهدف في القول الثاني هو من أجل تحقق رسالة سامية ، أى أنها كانت شأناً دينياً صرفا داعما للرسالة كى تتحقق. فهي مرة عقداً اجتماعياً تأسست عليه الأمة ، ومرة كانت أساساً لتأسيس المجتمع السياسي

الإسلامي ، ثم مرة تحقيقاً لرسالة سامية. إن دقة المفاهيم عند حضراتهم مفقودة بالمرة.

للتدقيق نعود إلى ما حدث ليلة العقبة الأولى وليلة العقبة الثانية اللتين ركز عليهما الدكتور زيدان ، نبحث عن الدولة ، أو عن العقد الاجتماعي ، وعن الإرادات الإنسانية الحرة ، وعن عقد تأسيس المجتمع الإسلامي ، وأياً ما نجد منها ، سيكون في صف الدكتور وإخوانة المسلمين ، وعسانا نجد خيراً.

نقرأ حوادث سنة ١١ للهجرة في أى كتاب من كتب السير والأخبار والحديث ولنأخذ هنا من المنتظم إذ يحدثنا أن "من حوادث هذه السنة ، أن ثنتا عشر رجل لقوه (ص) بالعقبة ، وهم أسعد بن زراره.. (يذكر الأسماء حتى) عويم بن ساعدة ، فبايعهم رسول الله (ص) ليلة العقبة الأولى.. ويقول: ونحن اثنى عشر رجلاً أنا أحدهم ، فبايعناه على بيعة النساء: على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق و لا نزني ولا نقتل ولا نأتي ببهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصاه في معروف ، وذلك قبل أن تفرض الحرب ، قال (ص) : فإن وفيتم بذلك فلكم الجنة وإن غشيتم فأمركم إلى الله ، إن شاء غفر وإن شاء عذب".

هذه حكاية بيعة **العقبة الأولى** على اتفاق بين الرواة في كتب السير والأخبار والحديث والتفسير. ألا يشركوا بالله ولا يزنوا ، ولا يقتلوا ، ولا يكذبوا. كلها بنود لشأن ديني أخلاقي بحت ، كلها تأكيد من أصحابها قبول الإسلام وشروطه ديناً يؤدي لدخول الجنة أو النار ، أمر الناس فيه مفوض لرب الدين إن شاء غفر وإن شاء عذب؟ فأين هو الفكر الواعي الجديد؟ إن منطوق هذه البيعة يوعز بشدة أن مجتمع العرب كان مجتمع فسوق ورذيلة وفجور وانحلال وفساد ، حتى يحتاج الأمر إلى هذا اللقاء التعهدي المبايع على التخلي عن أخلاق الجاهلية وفسوقها والتخلق بأخلاق الإسلام. منطوق البيعة ليس فيه ما يشير بالمرة إلى تأسيس مجتمع سياسي إسلامي ، وليس فيها أى عقد اجتماعي يؤسس أمة أو مجتمع ، لأن المجتمع كان قائماً موجوداً ، ولن يقيمه إثنى عشر رجلاً ، هذه البيعة كانت إشهار إسلام ودخول في الدين الجديد ، تم فيها تعريفهم ببعض يسير من مبادئ وشئون دينهم ، فلم تكن الحرب (الجهاد) قد فرضت بعد ، ولم يكن الدين قد اكتمل ، فحتى الدين نفسه تعاهدوا على بعضه وهو الجزء الذي كان يعرفه النبي حتى حينها في الزمن المكي الذي لا يحوي إلا على اليسير من مبادئ الإسلام وقيمه وتشريعاته ونصوصه ، ومعظمها نسخه الزمن المدني في يثرب الذي لم يتعاهدوا عليه ، هكذا كانت بيعة العقبة الأولى: تحديد هدف الدين بالسعي في الدنيا للحصول على رضا الله لدخول

جنته ، وليس لإنشاء دولة ذات سلطة وسلطان ، وملك يتناصر حوله الناس أو يتصارعون.

فماذا عن **العقبة الثانية؟** "قال كعب بن مالك: خرجنا في حجاج قومنا حتى قدمنا مكة ، وواعدنا رسول الله (ص) بالعقبة من أواسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج كانت الليلة التي واعدنا رسول الله (ص) ومعنا عبد الله بن عمرو بن حزام.. وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله (ص) ، نتسلل تسل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن نحو ثلاث وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا. نسيبة بنت كعب أم عمارة ، وأسماء بنت عمرو بن عدي وهي أم منيع ، فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله (ص) ، حتى جاء ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر اخيه ويستوثق له. فلما جلس (ص) كان أول من تكلم العباس (المشرك؟!) فقال: يا معشر الخزرج.. إن محمداً منا حيث قد علمتم (يقصد قرابته وقبيلته وليس دينه) ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه (الحديث هنا عن حماية ومنعه النبي من قبيلة قريش رغم عدم إيمانهم به) ، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم (لم يقل كما أمره الله بذلك فهو لا يؤمن بدين محمد ، ولا يرى إلا الوقائع).

القضية المطروحة هنا أن العباس بن عبد المطلب يعلن للأنصار أن محمدا لا نتبع دينه ولانؤمن بنبوته ومع ذلك نحميه لأنه ابن قبيلتنا ، ونحن نحافظ عليه في مكة ونحميه طبقاً لتقاليد القبائل البدوية ، ولكنه رغب في اللحوق بكم والهجرة إليكم. المطروح هنا هو مسألة حماية محمد(ص)وضمان أمنه وسلامته ، لذلك كانت الكلمة الأولى للعباس غير المسلم لكنه عم النبي.

نكمل الاستماع إلى العباس مستطرداً: "فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه (أى الهجرة إليهم) ، ومانعوه ممن خالفه (كانت حرية العبادة مكفولة وموفورة حتى هذه اللحظة ، ولم تكن الآيات المدنية بهذا الشأن قد وصلت) ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ، (أى الهجرة) ، فمنذ الآن دعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده".

العقبة الثانية إذن كانت تمهيداً للهجرة ، نجح فيها العباس الكافر في تحقيق الغرض منها وهو توفير الأمن لمحمد عند هجرته ليثرب ، لأن كعب بن مالك يستطرد: "فقلنا إنا قد سمعناك وسمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت. قال: فتكلم رسول الله (ص) فتلا القرآن ودعى إلى الله تبارك وتعالى ورغب في الإسلام ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فأخذ

البراء ابن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب والحلقة ورثناها كابراً عن كابر".

هو إتفاقية دفاع مشترك ستقوم فيها حروب مقبلة سيقودها النبي ، لذلك كان هذا الاتفاق واللقاء سرياً ، تسللوا إليه تسلل القطا ، لأن قريش كانت هي المستهدف الأول ، لأن يثرب كانت تقع على عصب الطريق التجاري إلى الشام ، وبعد الهجرة قطع المسلمون من يثرب هذا الطريق وحاصروا مكة اقتصادياً لتركيعها. لذلك أكد البراء أن أهل يثرب هم أهل الحرب والحلقة. لقد قبل الأنصار تولي مهمة حماية النبي وتأمينه عند هجرته إليهم. يستمر كعب بن مالك روايته فيقول: "فاعترض القول البراء يكلم رسول الله (ص) ، أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالاً ونحن قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله (ص) ثم قال: بل الدم الدم الهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم".

إنها بيعة اتفاق على الدم والهدم والحرب وألا يتخلى الأنصارعن نبيهم ويمنعوه كما يمنعون نساءهم وأطفالهم حتى يشتد أمره وتقوى شوكته ، وعليه أيضاً عندما يقوى شأنه ألا يرتد عنهم ويتخلى عنهم ويعود إلى بلده. هذه هي العقبة الثانية بتفاصيلها ليس فيها شئ عن دولة ولا انتخابات ولا تصويت ولا دستور ولا ديموقراطية ولا أى شئ مما يريد الدكتور زيدان أن يوهم به القارئ المسلم.

للرواية بقية ، فيتابع ابن مالك: "وقال (ص) أخرجوا إثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. وقال ابن اسحق ، فخبرني عبد الله بن أبي بكر بن حزام ، أن رسول الله قال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء كفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، قالوا: نعم".

الرواية توضح أنه حتى ذلك الوقت وهذا الاتفاق ، كان للأنصار أحياء أى قبائل ولها زعامات مستقلة سوف تتكفل بتنفيذ بنود هذا الاتفاق الدفاعي أو الهجومي المشترك ، وأن هذه الزعامات كانت أثني عشر ، لأن مجتمعهم كان قبلياً عشائرياً وليس دولة ذات قيادة واحدة بنظام تراتبي إداري هرمي كما هو أبسط نظم الدول المجاورة ، منذ الوف السنين.

يقول بن مالك : "وقام منهم العباس بن عبادة بن نضلة موضحاً لهم ملخص ما تم الإتفاق عليه فقال: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم ، قال: إنكم تبايعون على حرب الأحمر (اليهود) والأسود (قريش) من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذ نهكت أموالكم ومصيبة أشرافكم قتلاً ، أسلمتموه؟ فمن الأن

فهو والله خزي الدنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على تهلكة الأموال وقتل الأشراف ، فخذوه والله خير الدنيا والأخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف".

أين هنا الدولة؟ العقبة الأولى كانت تمهيداً للهجرة وكانت اتفاقاً سرياً غير علني والدول غير سرية ، العقبة الثانية سرية لتنفيذ الإتفاق ، ثم قال رسول الله (ص): "ارفضوا إلي رحالكم ، فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنملين غداً على أهل منى بأسيافنا ، فقال (ص): لم نؤمر بعد. فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما غدت علينا جلة من قريش جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج إنا قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينكم. فانبعث من مشركي قومنا من يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه ، قال: وصدقوا ، ولم يعلموا".

مرة أخرى: أين هي الدولة؟

العقبة الأولى كانت تمهيداً للهجرة ، وكانت اتفاقاً سرياً غير معلن ، والدول غير سرية. العقبة الثانية سرية بدورها لتنفيذ الاتفاق السري ، الهدف هو تكوين حلف عسكري ضد الأحمر والأسود من الناس ، حلف هجومي وليس دفاعي ، وليس أكثر من هذا ، الكلام الأهم في العقبة الثانية هو الذي تم طرحه ، هو كلام العباس الكافر نيابة عن بني هاشم الكفار في بيعة تأسيس لمجتمع إسلامي؟ كيف يتفقان أو يلتقيان؟ الاجتماع ببساطة كان لتأمين الهجرة وتكوين الجيش الهجومي الذي سيأخذ منه كل طرف نصيبه من الصفقة أو البيعة ، ولا علاقة لها بروسو وعقده الاجتماعي لا من قريب ولا من بعيد ، ولا بتأسيس مجتمع سياسي إسلامي لأنه من كان يرأسه كافر هو العباس ، وإلا لو أقررنا بذلك فلابد أن نقر بما يترتب عليه ، وهو إمكانية وصول غير المسلم إلى رئاسة المسلمين بالقياس ، فهل هذا المطلب الرفيع والسامي والمحترم هو ما يطلبه سيدي الدكتورزيدان؟ فلنتابع إذن لمزيد من الفهم والتدقيق.

البيعة ليست هي التصويت (٣)

البيعة كعقد اجتماعي

يقول الدكتور زيدان "إن البيعة هي ميثاق تأسيس المجتمع السياسي الإسلامي". وهي من العبارات العجيبة التي تلقي هكذا دون تدقيق في القول حتى يكون مفهوماً. فهل سيؤسس الدكتور زيدان بالبيعة مجتمعاً سياسياً إسلامياً من فراغ؟ أم في مجتمع قائم؟ أم هي السير على السنة ، كما انفصل النبي وأتباعه عن مجتمعهم ، ثم أخذوا في التغذي على المجتمع الجديد والتهامه إما بدخول أفراده في الإسلام أو خضوع القبائل للقوة الجبرية ، إنه يحدثنا عن مجتمع كالثقب الأسود يظهر فيلتهم ما حوله.

إن أى إنفصال عن أى مجتمع يعتبر في نظر أهله خيانة للمجتمع وللوطن ، والدكتور زيدان يريد تكوين مجتمعاً يتم سلخه من المجتمع القائم ، وهو ما يحمل في طياته تكفير المجتمع كله لأن مجتمعنا ليس المجتمع السياسي الإسلامي المطلوب ، إنهم يأخذون المواطن من الولاء لمجتمعه ووطنه للولاء إلى كيان هلامي معادي غريب محارب لوطنه وأهله وناسه ، يفصل الناس عن مجتمعهم ليعود بهم إلى طريقة حياة مخالفة ، ليتم التفجير والتدمير ونتساءل مندهشين: من أين أتانا الإرهاب؟

كيف يمكن القول اليوم أن التصويت هو البيعة وأن تصويتنا مقدس لأنه يقوم على فعل مقدس تم في العقبة الأولى والثانية ، دون أن يكون في الأولى لا سياسة ولا دولة ولا شورى ولا ديموقراطية ، كان الكلام عن الدين والعبادة والجنة وليس للحصول على دولة. وفي الثانية كانت شديدة التكتم والسرية لأنها كانت تاخذ إقراراً وتعهداً من رؤساء قبائل إثنى عشر أنصارياً ، لا توجد هنا دولة ، هنا حوار قبلي وليس حوار دولة ، الدولة عندما تتعاقد تتعاقد مع رئيس واحد وليس مع ١٢ رئيس (نقباء الأنصار) ، لا يوجد نظام هرمي يعطي الرئيس فيها تعليماته للدرجات الأولى من السلم لنقلها للدرجات التحتية الأوسع.

أما الآيات التي جاءت بشأن البيعة فقد جاءت تالية للبيعة وليس قبلها ، لتوافق عليها ، "لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً /١٨/ الفتح". أو "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً /١٠/ الفتح" ليس هنا أيضاً دولة ولا ديموقراطية ولا مؤسسات ولا هيئات ، لا شئ ، هي برقيان تهنئة وتبريكات سماوية ليس أكثر ، وليس فيها فرض للبيعة على المسلمين حتى ينشئوا مجتمعاً سياسياً إسلامياً كما يريد زيدان.

يعني المسلمون عملوا بيعة ، جاءت الآيات وقالت إن ما فعلوه هو عمل حميد ، ليس أكثر.

كل هذا كان عندنا ، بينما روسو كان هيمان في غيبيات العقد الاجتماعي؟ لماذا كل هذا الجهد الذي يبذله زيدان وإخوانه بلا طائل.. لماذا؟ لماذا يكون الدين هو معيار الديموقراطية؟ كل هذا الجهد لأن أهل الدين كأصحاب مصالح لن يتنازلوا بسهولة ، لكني أعتقد أن هذا اللون من الخطاب الذي بين أيدينا هو زفرتهم الأخيرة.

أنظر اختياره للألفاظ للتعبير عن دلالات لا تعنيها بالمرة ، فالبيعة هي "ميثاق تأسيس المجتمع السياسي الإسلامي وأداة إعلانه الالتزام بالمنهج والشريعة والشورى".

عندما يقول رجل أكاديمي قولاً فلابد أن يعنيه ، لا أن يعتمد على انتشاره في المخيلة الجماعية لكثرة الترديد والتكرار. فإذا كانت البيعة ميثاقاً فلابد أن يكون هذا الميثاق مكتوباً ، خاصة مع تعلقه بامر مصيري يمس تأسيس المجتمع الإسلامي السياسي ، يمتد بامتداد الإسلام ، وأن يكون هذا الميثاق موضحاً به كل ما قدم الدكتور زيدان ، خالياً من الغموض ومبيناً لأسس ذلك المجتمع وعوامل قيامه بالتفصيل الدقيق ، وقد قرأنا المكتوب في كتب السير ونصوص القرآن دون أن نجد لهذا الميثاق ذكر. إن نفس الكتب تعرف ما هو الميثاق لذلك دونت بنود المواثيق للتاريخ حتى اليوم ، مثل ميثاق صلح الحديبية بنداً بنداً وشرطاً شرطاً. وكان لهذا الميثاق مدة زمنية وليس أبدياً ، فكانت مدته عشر سنوات فقط ، ومع ذلك دونه لنا التاريخ الإسلامي ، فإذا كانت البيعة ميثاقاً ونظاماً أبدياً في السياسة الإسلامية فلماذا لم يتم تدوين بنود هذا الميثاق بالمرة في أي مرجع إسلامي. لأن هناك فرقاً بين الحديبية ووثيقة البيعة ، البيعة هي الأهم ، ومع ذلك ذكرت تفاصيل الحديبية بكل دقة رغم إننا لن نطبق الحديبية اليوم وهى المدونة بنداً بنداً ، ونريد أن نطبق البيعة ، وليس لدينا وثيقتها لا في القرآن ولا في حديث ولا في كتب الروايات إسلامية التي يدعيها الدكتور زيدان ، لماذا لم يخبرنا الله بتفاصيل هذا الميثاق إذا كان له كل هذه الأهمية في دين المسلمين.

لماذا لم ينزل على نبيه آية الميثاق أو سورة الدستور؟ ، إن قوله أن البيعة ميثاق تأسيس المجتمع السياسي الإسلامي ، وبما أن هذه البيعة قد تمت في الخبرة الإسلامية زمن الرسول ، فالنتيجة المحتمة هو أن ما لدينا الآن مجتمعاً سياسياً إسلامياً ، وهو ما يرد طلبه إنشاء هذا المجتمع ، لأنه قد تم إنشاؤه بتلك البيعة ، لكن لو أسمينا مجتمعنا بالمجتمع السياسي الإسلامي فعليه يمكن لنا افتراض مجتمعاً مسيحياً سياسياً ، ومجتمعاً بوذياً سياسياً ، ومجتمعاً هندوسياً سياسياً ، ويكون لهذه

المجتمعات خصوصياتها المغايرة لخصوصيات المجتمع الإسلامي ، وحتى لا يحدث أى خلط يشوب مغايرة مجتمع المسلمين ومخالفاته للمجتمعات الدينية الأخرى ، خاصة مع وصف مجتمعنا تمييزاً له بالمسلم ، لم يضع د. زيدان تعريفاً دقيقاً لهذا المجتمع ، ولا وضعه غيره من متأسلمين أو إخوان ، حتى يمكن للمجتمع إجراء عمليات الفرز والتجنيب للمجتمعات لمعرفة مسلميها من غير المسلمين. لنعرف مثلاً موقع المسلمين الذين يعيشون في الغرب الكافر والشرق الوثني وهي ديار حرب جميعاً ، هل يشكل هؤلاء جزءاً من المجتمع الإسلامي المقصود ، أم أنهم مواطنون يعيشون في أوطان ، أم أنهم يعيشون جاليات بدون هوية. وهل ستنطبق قواعد المجتمع المسلم كالبيعة والشورى على تلك الجاليات؟ هل يذهبون للتصويت في بلادهم حسب الأنظمة المعمول بها في الديموقراطية ، أم سيعطون الرئيس بوش البيعة؟ أم تراهم سيبايعون بن عاكف وابن قرضاوي بغض النظر عن الأوطان ، أم يجب عليهم الأنتظار حتى يقوم سدنة الإسلام بالاستقرار على تسمية الخليفة المقبل للمجتمع الإسلامي وساعتها يبايعونه؟ أم تراهم سيختارون فيما بينهم من يبايعونه ويعطونه الولاء؟ أم سيختارون هاني السباعي أو أبا حمزة المصري أو أبا قتادة أو أبا فصاده؟ أم سيعيشون في الغرب ويعطون ولاءهم لخليفة من بلادنا جاري البحث عنه؟ وعلينا انتظار اتفاق الفرق الإسلامية ربما ألف وأربعمائة عام أخرى ضائعة كالتي ضاعت. كل هذه الأسئلة بلا إجابة لأن الألفاظ بلا معنى وبلا ضابط ، كلها كلام نظري لطيف لا علاقة له بواقع ، كلها خيلاء وشعر وفخر بمجتمع غير موجود ولم يوجد قط.

البيعة كالتزام بالإسلام

هنا يتضح لنا ان الدولة المطلوبة باسم البيعة هي دولة الاستبداد عينه ، إنهم من الآن وقبل ان يستبدوا بنا مرة أخرى ، يقومون بتقديس وسائل الاستبداد وأدواته ليسلم بها المسلمون بحسبانها ديناً وإسلاماً. ألا ترونه يقول أن البيعة هي ميثاق تأسيس المجتمع ، لا بل وهي "أداة إعلانه الالتزام بالمنهج والشريعة والشورى"!!

ألا ترون معي أن البيعة لا يصح أن تكون أداة إعلان الإلتزام بالمنهج والشريعة بمنطق الإسلام نفسه؟ لأن إشهار الإسلام والنطق بالشهادتين يحمل ذلك الإلتزام ويتضمنه ، فهو جزء في مبناه ، بمجرد الدخول في الإسلام يعني الإلتزام بمنهجه وشريعته وأحكامه. والحاجة لبيعة لتحقيق ذلك الإلتزام بالإسلام يعني شعورهم أن هناك من سيرفض حكمهم ودولتهم ، وهنا يتم اعتبار هذه المعارضة عدم التزام بالإسلام ، لذلك يكون النكوص عن البيعة نكوص عن الإسلام.

ولو كان الأمر بهذا المنطق صحيحاً ، أى أن البيعة موضوعة لإلزام المسلم غير الملتزم ، لترتب على ذلك أن تكون البيعة ركناً من أركان الإسلام تجعل الناس يلتزمون بشريعته ونظامه ، ويصبح الإسلام بلا بيعة هو والكفر سواء. كل هذه الإضافات في دين الإسلام يفعلونها ببساطة لأنهم يتحدثون بإسم الإسلام ، ولا شرعية معهم لذلك ، بينما البدعة المكروة في الإسلام هي "الزيادة في الدين" على اتفاق الفقهاء. إنهم أيضاً يعلمون هذا ومع ذلك يفعلونه.. إن الدين ليس هو غرضهم ولا هو هدفهم.. إنما هو الكرسي الأعظم في الوطن.

المصيبة ان البيعة بهذا الشكل الذى يسوقه لنا د.زيدان ليست ركناً سادساً في دين الإسلام فقط ، بل هي الحاكمة على الخمس أركان الأساسية التأسيسية التي نعرفها ، فهي شرط إلتزام وتنفيذ. الدكتور زيدان يكتب لنا شيكات بدون رصيد ، غير قابلة للصرف ، ويريد توقيعنا في المقابل على بيعته. فإذا كانت البيعة فرضاً فلماذا احتاس أبو بكر في السقيفة؟ لماذا لم يقل أن البيعة فرض ، كما قال "الخلافة في قريش" وكما قال: "الأنبياء لا يورثون". لماذا لم يحلها أبو بكر دفعة واحدة كما فعل بالحديثيين السابقين؟ لو كانت البيعة ركناً إسلامياً وميثاقاً معروفاً مفروضاً ، لفرضها أبو بكر بحديث نبوي ثالث ، وإذا كانت الخبرة النبوية والخبرة الإسلامية مصدراً هاماً كأحداث واقع وليست تنظيرات فلسفية كما عند روسو ، فكيف جاز له أن يقول "إن البيعة هي أداة إعلان المجتمع الإسلامي الإلتزام بالمنهج والشريعة والشورى"؟ ألا يرى أن البيعتين اللتين كانتا مناط حديثة (العقبتين)' كانت قبل اكتمال الشريعة وقبل الهجرة وقبل نزول آية الشورى أصلاً؟ إن البيعتين ببساطة كانتا حلف هجومي يكون فيه النبي هو الزعيم الدينى ، كانت البيعتان قسم ولاء للنبي والدين لا للدولة ، فلم يكن هناك دولة.

ناهيك عن كون البيعة لم تلزم من أعطاها بالإسلام ، فلم تثمر مع المنافقين مثلاً لأن الدين اقتناع وليس إعلان بالبيعة. زيدان يعلم أننا أسلمنا سلفاً ، لكنه يريد منا الحلف والقسم بصدق إسلامنا بإعطاء البيعة؟ المصيبة هنا أن الهدف الحقيقي من البيعة قد اختفى وراء هذا الركام من الكذب والتلفيق ، إن الخليفة جالس سلفاً في الصورة وحوله خلفيته طاقم محترف من تجار الدين ينتظرون البيعة ، التي أصبحت شأناً مقدساً لأنها ركن سادس للإسلام يضمن بقية الأركان؟!.

أن الحديث مع هؤلاء القوم له لذة كشف الباطل ومحاكمة الفاسد وتعريته لكشف مدى استهانتهم بديننا وبناسنا ، مدفوعين بالرغبة في تحصيل السيادة السلطانية. أنظر مدى الخلط بلعبة الثلاث ورقات الفاسدة ، يقول البيعة أداة إعلان المجتمع المسلم التزامه بالمنهج والشريعة والشورى ، بينما الإيمان ومقياسه وكميته شأن لا

يمكن معرفته ، لذلك الإيمان شأن فردي تماماً ، لذلك كان يوجد منافقون زمن النبي ، ومع الإيمان يكون الالتزام بالشريعة من عدمه.أما البيعة فهي شأن جماعي لا يؤثر في صدق إيمان الأفراد ، فالإيمان لا يتعلق بالمجتمع الذي تريدونه (إسلامياً) إنما يتعلق بالفرد.

وحسب العقيدة الإسلامية فإنه لا تزر وازرةً وزر أخرى ، فسوف يحاسب الله الأفراد لأنها أمور تخص الفرد وحده وتعود نتائجها عليه وحده ، دون مسئولية على المجتمع أو على الحاكم أو حتى على النبي. فالمسئولية الدينية شأن فردي ليس جماعياً ، فلا البيعة ولا المجتمع بقادران على إلزام أى فرد بإيمان معين ولا بدين معين ، حتى أن النبي المؤيد من السماء لم يستطع أن يلزم أعمامه بالإيمان ، لأنه في الزمن الملكي لا إكراه في الدين حتى لو كان بالبيعة ، فقد حضر عمه العباس البيعة وكان كافراً (أسلم العباس قبل فتح مكة بساعات).

البيعة كتمكين للأمة:

قال زيدان: إن البيعة "هي صيغة تمكين الأمة لا خضوعها ، قبل الدولة ، وبعدها". ألا ترون حجم الكذب على التاريخ؟ إبحث في تاريخنا ما شاء لك البحث ، فلن نجد هذا التمكين للأمة يوماً ، في عهد مَن مِن خلفائنا العظام كانت الأمة متمكنة وغير خاضعة؟ من أين لهم هذه القدرة على التزييف ليأتي بهذا التعريف الذي يجعل الأمة متمكنة من الدولة وليست خاضعة؟ من سن هذا من الخلفاء؟ راشدين أو غير راشدين؟ أوأين يمكن أن نجد هذا في كتب السيرة ام التاريخ الإسلامي أم الفقه؟ أين تحديداً؟ لن تجد شيئاً بين يديك يدل على هذا المعنى ولو من باب التأويل. إنه يقصد تمكين أهل الدين ، فهم كل الأمة ، هم حراس الدين ، ومن يؤتمن على الدين يؤتمن على الحياة بالضرورة. أما حكاية (الأمة) التي يرددونها طوال الوقت فإن زيدان لا يعرف معناه ، ولا الصحابة عرفوا معناه ، ولا النبي قال لنا شيئا عن معناة ، ولا أحد منهم شرح لنا وقال ما هي الأمة المقصودة ، وأين هي؟ وأين تقيم؟ الغريب هذا الاجتراء على مستقبل البلاد والعباد ، بينما لا توجد قاعدة واحدة واضحة ثابتة مدونة بدقة قانونية لتمكين الأمة في تنصيب الخليفة أو خلعه؟ ولو كانت مثل تلك القاعدة موجودة ما حدثت الفتنة الكبرى ، لأنه بموجبها كان الجميع الصحابة وعثمان يعرفون ما يجب فعله ، إما خلعه وإما بقاؤه واستسلام كل المسلمين للقاعدة مع خليفتهم وطاعتها دون قتل وقتال وفتن.

لم تكن هناك قاعدة توضح هذا أو ذاك.إذا كانت دولة كما يزعمون فالمعنى أنها كانت دولة بلا نظام ، لأن الإسلام لم يقصد إقامة نظام دولة ، بل قصد الدين وحده ، ولذلك كان لكل خليفة من الراشدين رأياً يختلف عن الآخرين في طريقة استلام

الحكم وفي علاقته بالمحكومين. كل شيخ وطريقته في الشغل ، ولم يكن هذا الشغل تنويعاً مفيداً كما يقول لنا اهل الدين ، إنما كان إرتباكاً عشوائياً ، ولم تنتظم الدولة إلا بعد الراشدين واخذ الخلافة بالنظام الرومي وبعض الفارسي ، وفق ملكية وراثية منتظمة إلى حد ما. فلم توجد في الإسلام عملياً في الواقع اى قواعد لوصول أي حاكم لكرسيه ، الإمام علي كان يريدها ديناً وسياسة ، معاوية لم يشغله لا الدين ولا السياسة وأخذها بيعة متغلب. من تمت مبايعته عن رضى من الناس هو علي ولم تمكنه البيعة من الحكم ، ومن تمكن هو معاوية ، إذن البيعة لا بتهش ولا بتنش.

يضع زيدان البيعة ليس مقابل العقد الاجتماعي عند روسو ، إنما في مكان أرقى سبق في عمق التاريخ وأنها تحققت في واقع الخبرة النبوية ، ومع ذلك فإن أصحاب الخبرة في عمق التاريخ هم اليوم في الدرجات السفلى في رتبة الكائن الإنساني ، بينما أصحاب العقد الاجتماعي الوهمي الغيبي هم من يمثلون رتبة جديدة في فرع الإنسان هي العالم المتمدن الراقي بحضارته التي ننفس الغرب عليها ، وهي الحضارة التي قامت على تهويم العقد الاجتماعي المتخلف الغيبي؟!! والفكرة الأساسية في عقدهم الاجتماعي هي التي دفعت زيدان وإخوانه لإعادة فحص ركامنا لإستخراج ما يكون بديلاً لها ، او ينافسها ، أو يعادلها ، أو حتى يشبهها كلاماً وهذا أضعف الإيمان!! فلما لم يجد شيئاً قام يقيم مدينته الفاضلة تخيلاً ووهماً. ودليل أنها مجرد أخيلة وهلاوس هو عدم توصل هذا الخطاب إلى أي جديد يمكن تطبيقه حتى هذه اللحظة.

زيدان لا يقر بفضل روسو نكاية فيه لأنه سمح لنفسه أن يكون من العلماء الكبار دون أن يشهر إسلامه. ودون أن يفهم زيدان أنه سواء أقر أو لم يقر فلن يقدم شيئاً ولن يؤخر ، لأن المجتمعات التي قامت على فكرة العقد الاجتماعي عند روسو قد نهضت بالفعل وأصبحت هي المجتمعات التي توصف بالمجتمعات الحرة ، وليس المسيحية ولا اليهودية ولا الإسلامية. فالمجتمعات التي تطلق على نفسها اسماً دينياً في العالم اليوم ، هي المجتمعات المتخلفة وحدها.

العجيب في شأن سادتنا عدم إدراكهم ما بأيديهم من متناقضات ، فبينما يؤكد الدكتور زيدان البيعة كمقدس دونه الكفر ، يستشهد بأحاديث: "من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات موتة جاهلية ، ومن مات وقد نزع يده من بيعة كانت ميتته ميتة ضلالة" ، يقول لنا "وهي (أي البيعة) ليست ممارسة قهرية بل اختيارية حرة" ، ثم يدرك الخلل فيبرره بقوله في مهرجان كلامي عجيب : "والإلتزام الديني ببيعة وفق حديث من مات وليس في عنقه ميتة جاهلية ، يعني ببساطة أن البيعة وإدارة تولي السلطة ووجود إدارة سياسية في المجتمع الإسلامي تنظم شئونه وتدير مصالحه ، هو شرط

التمدن الإسلامي ، وتجنب الوقوع في الفوضى التي قد تضيع مقاصد الشرع وبالتالي تعود جاهلية.. إلخ".. في وسط هذه المتاهة يمكننا أن نخلص إلى أن البيعة يمكن أن تكون اختيارية دون أي دليل شرعي نقلي أو حتى عقلي فيما قال ، المهم انه يريدها اختيارية لتجنب الوقوع في الفوضى التي قد تضيع مقاصد الشرع.. إلخ ، وهو ما يعني أن المسلمين قبل ذلك منذ زمن الدعوة وحتى الآن قد عاشوا في فوضى ضيعت الشرع وعادت جاهلية ، وليس فقط الجكومات في الدول الإسلامية المعاصرة.

لنقرأ معاً كتاب الجهاد من فتح الباري باب "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر".. فيه حديث لأبي هريرة عن قزمان الذي قاتل مع النبي في غزوة أُحد وكان شديداً على المشركين وقتل وحده ما قتله الجيش كله ، فأصيب إصابة شديدة فقتل نفسه من الألم فقال النبي "إنه من أهل النار". ونعيد قراءة كتاب روضة الطالبين ، الطريق الثالث لتولي الإمامة "فهو القهر والإستيلاء فإذا مات الإمام فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة وقهر الناس بشوكته وجنوده ، انعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين ، فإن لم يكن جامعاً للشرائط بأن كان فاسقاً أو جاهلاً فوجهان أصحهما انعقادها لما ذكرنا ، وإن كان عاصياً بفعله".

وعليه يمكن اعتبار الخلافة قائمة ، فلماذا يبحثون عن دولة إسلامية وخليفة ، لماذا لا يعتبرون حكام المسلمين ممن تصدوا للإمامة بشوكتهم وجندهم ، وإن كان الحاكم فاسقاً أو جاهلاً ، حتى يستقر المجتمع المسلم؟ إذن ليس الدين هو هدف الدكتور زيدان ولا كل كوكبته من إخوان ، إنما هي السلطة ، وما أسوأهما من خيارين أمام شعوبنا ، الحكومات الإستبدادية القائمة فى الدول الإسلامية ، أو زيدان ورفاقه.

ادفنوا موتاكم !

على عينا وراسنا كل ألوان الخطاب التدليلي التبجيلي لمؤسسة الأزهر ، لكنني أعتقد أنه مع حركة الإصلاح فلا أحد فوق المؤاخذة أو كبير على المساءلة ، ومن هنا سأحاول إلقاء نظرة تاريخية على الأزهر للوصول إلى نتيجة نستطيع أن نحكم فيها على أدائه كمؤسسة حكومية وطنية ، خاصة في ظل مبدأ المواطنة وحقوق الإنسان ، والتي سنصر طوال الوقت على طلب تفعيلها في واقعنا حتى نصدق ما يحدث ونتفاعل معه ونحترمه .

إن الأزهر يقوم في مبادئه على اهداف ثابتة وغايات اسمى ، هي تخريج قادة للفكر الديني ، هدفهم إنقاذ العالم من الظلمات والأخذ بيده إلى النور ، أي إلى الإسلام ، ويقدم للدارسين فيه معارف ومهارات يؤكد أنها الأفضل في العالم كله ، لأنها موروثة عن الزمن القدسي عندما كانت الأرض على اتصال بالسماء في بلاد أخرى تقع على الجانب الشرقي من البحر الأحمر ، وأن الرب قد أختار هذه المنطقة وباركها وحرمها وبخاصة مكة والمدينة ، فأصبحتا أقدس المواقع على الأرض ، وأن الله الذي أوحى لعبده هناك هو الأدرى بما يصلح لمخلوقاته منهم.

و هنا نقول كلاما تقريريا لا بلاغيا أن هذا الفكر عندما يكون الخلفية والأساس الذي يقوم عليه التعليم الأزهري ، فهو ما يعني أن هذا اللون من التعليم قد ظل دون تطور أو تغير أو تبدل أو انفتاح ، تأسيسا على مسلمة تؤكد أن خير القرون في الزمان كله كان بالحجاز في القرن اسابع الميلادى.

وتقوم المسلمة على حديث بهذا المعنى ، فيترتب عليها أن أي تغيير يتفاعل مع متغيرات الواقع وتقدم الزمن ، يعني أن هناك نقصا في مأثورنا وتراثنا الكامل المقدس ، وحتى لا يكون هناك أي نقد تم تشريع الحدود التي تقونن قطع الأطراف وجز الأعناق والجلد والسلخ في حال التفكير ، مجرد التفكير ، بما يتناقض مع تراثنا الخالد أبد الدهر ، تفنى الدهور ولا يفنى.

و المعلوم أن التعليم في بلادنا قد انقطع عن تخصصاته القديمة في جامعات الإسكندرية وأسيوط وطيبة ، ومدارسه المتخصصة في الفنون والعلوم على اختلافها ، **فمع الفتح العربي أصبح التعليم في بلادنا كله دينا وبعضه دين وما يستنتج منه دين ، وذلك لكفالة طاعة المواطنين لسيادة سلطة تمثل جماعة أو هيئة أو طائفة ، مهمتها أن تقوم بالتفكير نيابة عن كل المواطنين** ، لأن الوطن ليس بحاجة لتفكير أكثر مما هو بحاجة إلى دين وذمة وشرف .. إلخ ..إلخ ، وتعتبر هذه السيادة

السلطوية نفسها العقل المفكر القادر المبدع المتمكن من إدارة كل الشئون داخليا وخارجيا ، وذلك لأن العوام قاصرون عن إدارة شئونهم بالخلقة والفطرة .

ومع هجمة الأسلمة التي أتتنا مع زوبعة ما يسمونه "**الصحوة الإسلامية**" تمكن **السعودي بن عبد الوهاب** من إعادة فتح مصر ، وقام كل أسيادنا من القبور ، يشيرون لنا كي نسمع ونطيع ، هكذا قال **بن تيمية** ، وهكذا قال **الغزالي** ، وهكذا قال ابن عبد الوهاب ، وهكذا قال **ابن قطب** ، وهكذا قال **ابن عاكف** ، وهكذا قال **ابن ابى العزائم** ، لقد نهض موتى التاريخ ليحكمونا مرة أخرى كسادة لنا يقولون قولا مقدسا ، بعد أن ظلوا يقولون ما ينوف على ألف وأربعمائة عام ، ظلوا أربعة عشر قرنا يقولون وحدهم ولا ينطق غيرهم ، ومعهم لا قول لشعب ولا لمواطن عبر التاريخ الهباب غير قول آمين.

ماذا يقول الطالب الدارس؟ وهل مسموح له أن يقول أمام البخاري أو الشعراوي وباقي جحافل هذه الأقوال المقدسة المنزهة وحدها؟ إن الطالب في ظل هذا المنهج التعليمي لن يفهم أبدا أن من حقه أن يقول ، فهذا شيء عجاب ، وبدعة ما لها في شرعنا من باب.

ألا ترون المسلمين في الفضائيات يخاطبون أصحاب القداسة بقولهم : يا شيخنا ويا مولانا ويا سيدنا ، في اعتراف بائس بأن العبودية كحامل لهذه الثقافة قد ختمت الأرواح بالذلة والمسكنة؟

ألا تسمعونهم يطلبون الفتوى على الملأ في أخص الشئون حتى أدخلوهم معنا في مخادع الزوجية؟

ألا ترون مدى الصغار ومدى التمكن من الأرواح والعقول حتى بات الواحد منا لا يخطو خطوة دون أن يعرف فيها رأي مشايخنا؟

وفي المقابل لابد أن يستشعر الشيخ أنه شخص استثنائي غير باقي الناس ، فهو سيدهم ، وهو من يخطط لهم ، وهو من يضع لهم القوانين ، ويكون له الحق كل الحق من بعد أن يكفر هذا ويرضى عن هذا ، أن يشكل خطرا على هذا النظام ، وأن يضغط على ذلك الفريق ، ومن ثم أن يلعب سياسة ، لأن جمهوره يقدسه ، وهو الفائز بحول الله.

و كلنا يعلم أن الهدف من إنشاء الأزهر كان هو دعم توجهات الفاطميين بمصر ، ومع تغير الأنظمة الحاكمة والمذاهب المسيطرة ، تقلب الأزهر في جلسته مع كل جديد على مستوى السلطة ، وأثبت أنه يمكنه التغير مع المتسجدات ، فانتقل من

التشيع الفاطمي إلى المذاهب السنى في نقلة نقيضة بالكلية ، ومن بعد ذلك أثبت مرونة مذهلة في التحول والتغير ، فكان مع اشتراكية **عبد الناصر** ، ثم مع الانفتاح الاقتصادي ، وكان مع الحرب ، ثم أصبح مع السلام ، وهي مرونة تحسده عليها كل الهيئات الدينية المشابهة في العالم .

لكن عندما يتعلق الأمر بحريات المواطنين أو بحقوق الإنسان الأساسية كحق الحرية وحق الاعتقاد وحق إعلان الرأي ، فإن الأزهر كان يتخذ أشد المواقف تزمتا وانغلاقا وأصولية شديدة المراس. وهو أمر يؤدي إلى التساؤل عن سر هذه الازدواجية ما بين أزهر مرن قادر على تطوير نفسه وتطويع الإسلام لما هو جديد ، وبين وقوفه ضد حقوق المسلمين وحرياتهم الأساسية !

هل كان موضوع مشايخ الأزهر عبر التاريخ هو استمرار الحظوة السلطانية وهباتها اللدنية فقط؟! هل كان مع ما يريد الحاكم حتى لو قهرا واستعبادا ، ويصبح ضد شعبه عندما يطلب أن يكون إنسانا كبقية الناس في العالم ، وإنسانا كريما كرمه الله ؟!

والملاحظ لتاريخ الأزهر سيكتشف أنه رغم كل ما حصل عليه من قداسة ورفعة ، فإنه لم تثبت عليه يوما اهتمامات وطنية بالمعنى المفهوم من كلمة وطنية ، ومن كلمة مواطنة ، لأن لغته واهتماماته وموضوعاته وتاريخه وكل ما يتعلق بشأنه الدعوى يأخذنا إلى وطن أهم وأقدس من مصرنا ، يأخذنا إلى حيث أسيادنا في الحجاز . ولا أتهم الأزهر أنه انشغل يوما بناسنا الذين هم على مختلف الاصطلاحات : غوغاء ، رعية ، أهل ذمة ، أنباط ، علوج ، موالي ، بقدر ما انشغل بكيف يوجه العوام ليدفعوا لله والحاكم ، كما لا أتهم الأزهر بأنه حقق سبقا في ميدان حقوق الإنسان ، لأنه ضدها حتى الآن ، وأكثر ما يحز في نفسي كمسلم أن الأزهر لم يسع مرة إلى رقي الأمة ، أو دعوتها إلى نقل الحضارة من بلاد المتقدمين إلى بلادنا ، حتى بعد أن أدرك مدى تخلفه مع مجئ الحملة الفرنسية ، ومع ذلك لم يطور الأزهر نفسه ، ولأن فاقد الشئ لا يعطيه ، فهو ما كان بالأصل قادرا على تطوير الأمة.

حتى بعد بونابرته ، وقف الأزهر ضد كل اكتشاف أو أختراع أو حرية ، لأن كل ذلك خروج على الإيمان ، لأنه لم يخرج من لدنهم هم ، ولا يبقى إلا أن تسألهم : ومن أعجزكم عن فعل مثل فعلهم وأن تتطوروا مثل تطورهم ؟! هل كان المسلمون سيقولون لكم لأ . . هذا كفر؟

وعبر السنين السوداء السوالف التي كان فيها أجدادنا يروون أرض مصر الطيبة بعرقهم ودموعهم .. وحتى الآن ، كان رجال الأزهر هم محل الوجاهة الاجتماعية والوجوه المقدمة ، تحترمهم الرعية وتجلهم ، بل تتبارك بهم وتتقدس ، لكن هذه الرعية التي كانت تقبل الأيدي طلبا للرضا السماوي ، لم يكونوا موجودين في أجندة مشايخنا ، لأن مصدر رزق مشايخنا ووضعهم السيادي مستمد وقائم على عدم الأخذ في الاعتبار بشئون الرعية في القرارات السيادية ، لذلك كان رجال الأزهر هم الطبقة الحقيقية الحامية للحكام من أجل استقرار الأوضاع الاجتماعية على ما هي عليه دوما ، ومن ثم كان الأزهر هو الحامي الحقيقي لمنظومة الاستبداد الشرقي في دولة خراج تتركز كل السلطات فيها عند القمة ، حيث السادة والأشراف والبكوات والفاتحون ، ولم يكن للشعب سوى دور واحد هو تنفيذ الأوامر والصدع بالفتاوي ودفع المطلوب منه لتقسيمه على مائدة اللئام ! ثم ال الازهر فى النهاية الى حليف للحكومات الوطنية ، اخذ بموجبة مكانا سياديا **يتم تعيين شيخة بقرار جمهورى مع تلقيبة بالامام الاكبر وبدرجة رئيس وزراء !!!!!.**

وكلنا يعلم أيضا أنه بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر ، فإن محمد علي لم يلجأ للأزهر مع عزمه وكارزميته وخططه لبناء مملكة قوية ، إنما اتجه أولا إلى التخلص من كل مراكز القوى الفاسدة في مذبحة القلعة ، ثم اتجه ثانيا نحو أوروبا ، و لم يستطع الأزهر حينها أن يقدم بديلا وطنيا أو قوميا أو دينيا أو محليا للتحضر كالغرب ، لم يكن عنده ما يفيد به الأمة وينهض بها ، كان خالي الوفاض .. كان لا يعرف سوى التخديم على السلاطين ، وهو ما استمر يقوم به ، لكن النهضة زمن محمد علي تركته إلى بعث البعثات واستجلاب الخبراء وخطط الإصلاح الغربية ، فنهضت مصر لتصبح ندا للدول العظمى في عصرها منذ قرنين من الزمان .
وقامت نهضتها على الانفتاح على العلم بمعناه العصري الإنساني الكشفي الابتكاري التجريبي ، وأيامها قال أحدهم : لو كان لمشايخ الأزهر أي نفع لأخذهم معه نابليون إلى فرنسا.

ولابد من توضيح بدهية معلومة وهي أننا عندما نتحدث عن الأزهر لا نتحدث عن الإسلام ، لأنه ليس في القرآن أو الحديث شيء اسمه أزهر أو رجال أزهر ، وبالنظر إلى حال الأزهر سنجد أنفسنا بإزاء حالة متحفية تتحرك في عالم حفري ، لأن علماء الأجناس والحضارات يقولون لنا أن أيه حضارة سليمة لابد أن يضيف إليها الجيل الواحد إضافات ابتكارية جديدة تصل إلى نسبة ١٥ % لتفسح المجال للتطور والنمو والازدهار ، بينما تعلقت قلوب الناس في بلادي برجال الدين ، فإن رجال الدين في بلادي مازلت غاية أمانيهم أن نعود معهم إلى القرن السابع ميلادي ؟! هي دعوة إلى "الخلاء" حيث لا تاريخ ، ولا وجود.

وإذا طالعنا كشف حساب الأزهر في تأدية مهمته التأسيسية ، وهي حماية دينه ومجتمعه ، بما له من كرامة مرفوعة وأموال مدفوعة ليؤدي دوره التربوي والديني ، ولأنه قلعة ديننا الحصينة بالفرض الضروري ليبرر وجوده ، فإن أزهرنا لم يحصن نفسه ولا مجتمعه ولا دينه ، وفشل بكل سلطانه القادر في إرساء مبادئ الدين السمح ومعاني الأمن والأمان أو التطور بالدين ليتماشى مع متطلبات الزمن ، لقد فشل الأزهر في ذلك ولم يستطع مواجهة الفكر التكفيري ، بينما من تصدي لهذه المهمة للحفاظ على الدين وعلى الناس وعلى الوطن ، هم المفكرون الليبراليون الذين يكفرهم الأزهر ، وأنهم في ذلك أصحاب الفضل العظيم الذي لا ينكره إلا فاسد الضمير والأفاق اللئيم . لقد فشل الأزهر لأن الفيروس اخترقه مبكرا ، بينما أمن الليبراليون من الإصابة عندما تحصنوا بطعم الحضارة.

لقد فشل الأزهر في أداء دوره لله وللوطن وللناس عندما أصر ولم يزل يصر على مسلمة أن "الحق لا يتغير".

نعم إن الحق والخير والجمال هي قيم مطلقة بين بني الإنسان ، لكن معيار القيمة نفسه قد تغير بمرور الزمن ، واكتسبت هذه القيم معاني جديدة ، وللتبسيط الشارح اتساءل : هل تكون مضاجعة رجل لامرأة رغم إرادتها بحجة أنها جارية أو ملك يمين أو سبية حرب .. خيرا!؟ أم هو هتك عرض علني بموافقة القانون الشرعي ؟!

وهل يظل القانون الذي يشرع هذا قانونا ملائما اليوم؟

وهل مضاجعة صغيرات البنات حتى سن تسع حسب المبدأ السني المعلوم هو خير اليوم أم شر؟

وهل الفنون الجميلة بأنواعها من موسيقى إلى مسرح إلى باليه إلى غناء وطرب إلى فن تشكيلي رسما أو نحتا أو تصويرا ، مما يرتقي بالحس الإنساني ويؤدي إلى رهافة الروح .. هل هذا شر؟ أم خير؟

وهل تفجير زوار الحفيد النبوي في مساجد العراق في يوم الجمعة ، وتمزيق أشلاء الأبرياء من شيعة أو نصارى العراق .. هو خير أم شر؟

يبدو سادتي أن الأزهر بما يعلنه يعيش زمنا غير زماننا وعلينا نحن أن نراجع شئونه ، وقبل هذا وذاك أن نراجع فهمنا لقيم الحق والخير والجمال بما يوافق زماننا.

والعجيب أن الأزهر يراوح مكانه دون أن يلتفت شرقا إلى بلاد المقدسات ليرى الإصلاح وهو يدق أبواب الأرض المقدسة ، ونوافذ محمد بن عبد الوهاب ، ثم قام

الأزهر يصلح ويعالج بعد أن دقت أمريكا عاصمة الخلافة ، منذرة بقية الأنظمة الخليفية في المنطقة لكن الأزهر قام يصلح بنفس الفكر ونفس الأدوات وذات المنهج والمنطق ، فهو يعالج بينما هو حامل الوباء ، ويداوي بالتي كانت هي الداء .
مشايخنا مازالوا عند قديمهم لا يدركون أن القيم أيضا متغيرة ، وأن الحق ليس واحدا ، وأن الخير والجمال أيضا قد أصبحا قيمتين إنسانيتين لا طائفيتين ، بل تشملان جميع البشر.

كان يفترض في الأزهر بالنسبة للدين أن يكون كوزارة الصحة بالنسبة للمواطنين ، لكنه عندما لم يتحرك اخترقه الوباء واستشرى وانتشر .. فإذا برجاله يصدرن فتاوي قتل الأبرياء فيستشهد **فرج فودة** ، ويطعن **نجيب محفوظ** ، ويقفون ضد الحملة التي قامت للقضاء على عادة ختان الإناث بفتاوي محتشدة ، ويكفرون بنوك الدولة ويحرمون معاملاتها بما يضرب الاقتصاد الوطني في مقتل.

فذهب الناس يودعون أموالهم بيوت الأموال الإسلامية برعاية مباشرة علنية دعائية من رجال الدين في بلادنا من **شعراوي** إلى **قرضاوي** ، إلى أزلامهم ممن وفروا للصوص نهب فقراء مصر وتدمير اقتصادياتها ، عندما ركن الناس إلى ثقتهم في مشايخهم بإيمان تسليمي خانع خاضع يبحث عن ربح سريع دون بذل أي جهد ، فكان ما كان ، وكم حذر أخي وصديقي الراحل ممجدا **فرج فودة** من بيوت الأموال ارجع لكتابة (الملعوب) ، وقدم فيه الدراسات الوافية بحسبانه اقتصاديا مبرزا ووطنيا مخلصا ، في وقت كان المشايخ يعلنون ويدعون لبيوت الأموال ، وأيضا يقبضون أجورهم من هذه البيوت من مال الفقراء ، وقتلوا فرج بفتاواهم وفروا بأموال الناس ، ولم يقم واحد فقط ممن قبضوا من هذه الأموال بردها حتى تعود لأصحابها ، من شعراوي إلى قرضاوي وما بينهما وما بعدهما من أزلام ، ومع ذلك مازال عوامنا يعتبرونهم السادة والأسياد.

لقد ظلوا يقولون ألفا وأربعمائة عام "أربعة عشر قرنا" البخاري يقول .... ، وابن عباس يقول ..... ، وابن تيمية يقول ..... ، وبن لادن يقول .... ، ليضيفوا لإسلامنا مالم يكن فيه يوما ، وكلهم ليسوا بأنبياء ، لقد قالوا طويلا وقننوا طويلا.

لكن اليوم من سيقول ، هو نحن .. الناس ، وسنقول كل مختلف عن المعلوم بالضرورة ، وسنعلن كل رأي يضرب الخطوط ، الحمراء جميعا ، ويهتكها هتكا ، وسنتجاوز كل الأسوار المانعة القامعة من ثوابت الأمة ، سنقول مصالحنا ومعاشنا ومستقبلنا وحرياتنا وحقوقنا الإنسانية ، نريد عندما ينزل المواطن المصري بلدا لا يفتشون حتى ما تحت ملابسه الداخلية ، نريدهم ان يستقبلونه هاشين باشين حفاوة

بإنجازه وعلمه ونبوغه ، لقد انتهى بنا مشايخنا إلى كاريكاتير دموي ومحل هزوء وسخرية واحتقار من شعوب العالم ، بعد أن وأدوا وقتلوا كل جميل في بلادنا.

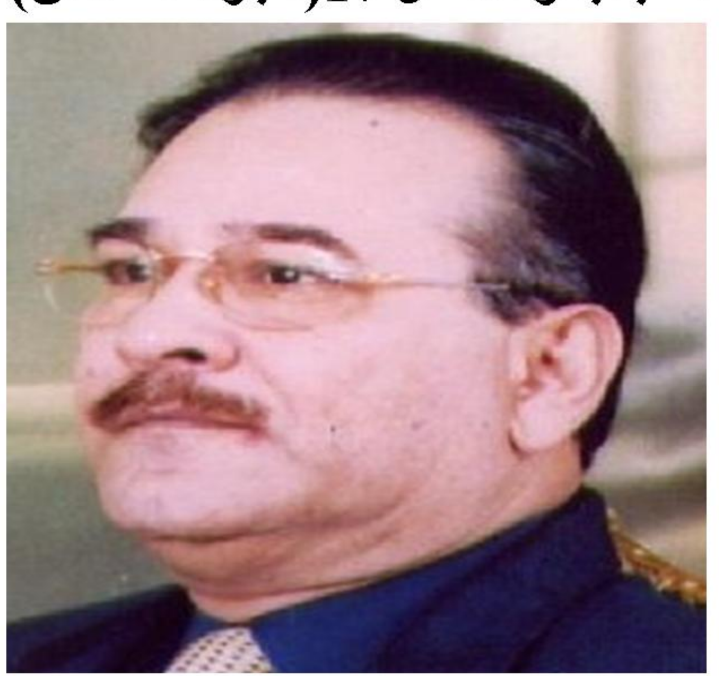
اليوم لم تعد معاهد العلم مكانا لتعليم الناس الإيمان ، فهو أمر يحصله الإنسان بنفسه عندما يريد ، ولم تعد مكانا يحفظون فيه التراث ، لأن التراث يحفظ بدار الكتب أو المتاحف ، معاهد اليوم هي التي تقوم بصنع الإنسان الحي لا الميت ولا المخدر بأحلام أموات لم تتحقق يوما ولا حتى في زمانها القدسي ، معاهد اليوم تعلم الناس ما ينفعهم بالعمل والجهد المنتج المبهج.

أما التراث وأهله الملتحفون بأكفان الموتى فقد آن لنا أن نودعهم اليوم غير آسفين داعين أهل مصر : يا أهل مصر .. ادفنوا موتاكم ، وبلا عزاء !.

نشرت فى روزاليوسف العدد ٤٠٠٦

سلسلة فقهاء الظلام

الحجاب و قمة ال 17(الجزء الخامس)



بقلم

د/ سيد القمنى

مدونة

عن مصر أتحدث

3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظنة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

مكانة الحجاب بين فضائل العرب

لن أنشغل في هذا المدخل بموضوع الحجاب بالذات ، بقدر ما سأمهد لمناقشة الموضوع بتحديد المعاني و المفاهيم ، مع فرش الأرضية التاريخية تمهيداً و تأسيساً حتى نستطيع أن نميز في التعامل مع قضية الحجاب بين الخيطين الأبيض و الأسود.

و لنتفق بداية حول معاني ما يطرح من ألفاظ حول هذه القضية ، و لنبدأ بمعنى الفضيلة كقيمة معيارية لسلوك المسلم الأخلاقي ، إذ يضع مشايخنا الحجاب كفرض ديني ، و الفرض حسب الفهم الإسلامي يقف علي الدرجات العليا علي سلم القيم و السلوكيات التى تميز المسلم بالفضيلة و الشرف ، و هي التي تميزه عن بقية بني الإنسان من مختلف الملل و النحل ؛ في كافة أنحاء المعمورة.

إذن لنتفق مبدئياً حول معني الفضيلة كقيمة أخلاقية معيارية لقياس السلوك ، فالمعلوم في الفرع الفلسفي المعروف بعلم الأخلاق ، أنه ليس لفرد أن يحدد السلوك الفاضل ليفرزه عن السلوك الرذيل غير الفاضل و الشرير بالضرورة ، مهما بلغت مكانة هذا الفرد. إنما المجتمع هو الذي يضع التعريفات و المواصفات و التفاصيل و يفرز بين نوعي السلوك ، لأنه لو كان ذلك بيد الفرد ، فإن الفرد لا يريد أى قيود علي سلوكه ، و لا يشتهي سوى إنطلاق رغباته و شهواته التي تحقق سعادته الشخصية بإشباع هذه الرغبات ، بغض النظر عن غيره من أفراد جماعته أو مجتمعه ، و مدى ما يحصل لهم من ضرر إزاء تحصيله لأغراضه وحده دون عنهم. لذلك فإن الجماعة هي التي تبحث عن تحديدات السلوك بغرض النفع العام للجماعة كلها و دون أن تصاب بالضرر و مع ما يتفق و ظروفها و بيئتها و جغرافيتها ، بغرض أساسي ، هو البقاء و عدم الفناء ، أو عدم الذوبان في جماعات أخرى لها نظم و تعريفات أخرى مختلفة لقيمتي الفضيلة و الرذيلة.

و عندما تضع الجماعة فضائلها المرغوبة لديها ، فإنها تلزم الفرد بالتنازل عن بعض رغباته مقابل قبول الجماعة لعضويته فيها ورضاها عنه.

و من هنا فإن الفرد الذي يريد رضا جماعته ، عليه أن يشتري ودها بالتنازل عن بعض رغباته و أن يلتزم بتعريف الجماعة للفضيلة و توصيفها للسلوك الفاضل ، وذلك مقابل نياشين شرف تضعها الجماعة علي صدره ، فيقال عن فلان رجل أمين أو رجل صادق ، و عن فلانة بإنها امرأة طيبة أو زوجة صالحة. و الفرد بذلك لا يتقاضي عما تنازل عنه و خسره مالاً أو عقاراً لأن الفضيلة شأن معنوي لذلك يكون مقابلها بالضرورة شأناً معنوياً غير مادي ، فتعطي الفرد السمعة الحسنة و التي

قدرتها الجماعة منازل و مراتب إجتماعية لإشباع غروره و من ثم شعوره بالسعادة ، وعليه ترتقي مراتب الفرد الإجتماعية بمدى إلتزامه بفضائل مجتمعه و ترّفعه عن الصغائر المرذولة.

و بإختلاف ظروف الجغرافيا بين بلاد الوفرة الخصيبة و بلاد الندرة الجافة الفقيرة ، و بين بلاد السواحل و بلاد العمق القاري ، يختلف أيضاً التاريخ ، فتختلف المصالح المرجوة بين بيئة و أخرى و قدرها و زخمها ، كما تختلف المعاني الإنسانية للشهامة و المروءة و الفضيلة و الرذيلة و الخير و الشر باختلاف تلك الظروف المجتمعية الإقتصادية الجغرافية ، و من ثم يتم تعريف أى قيم و كل القيم بأنها معيارية أى أداة قياس للسلوك تختلف من مواطن لآخر و من زمن لآخر ، و إن صلح بعضها في مكان أو زمان بعينه ، فإنه يكون خراباً عاجلاً في زمان و مكان آخرين.

نضرب لذلك مثلاً من المجتمع العربي في جزيرة العرب إبان العصرين الجاهلي الأول و الجاهلي الثاني أو الآخر ، قبل الإسلام. فنجد العربي في جاهليته الثانية و قد دارت محاور حياته كلها حول التجارة ، حتي قيل في المثل السائر في الدنيا (أن كل عربي تاجر). و كانت التجارة في جزيرة العرب بداية لتحول عظيم بالمجتمع عن سابق نمطه الجاهلي الأول ، نمط القبيلة المتنقلة وراء الكلأ و عيون الماء ، التي كانت تعيش عالة علي الطبيعة لا تنتج إنما تسعي وراء منتج الطبيعة النادر و الشحيح في الصحارى ، لتشرب مائه و تتغذي علي عطائه نباتاً أو بروتيناً حيوانياً يأتيها ناتجاً طبيعياً من تلاقح قطعانها. و في مثل هذه البيئة حيث النادر الشحيح من الخيرات الطبيعية ، عاش المجتمع العربي في **جاهليته الأولى** صراعاً قبلياً دائباً لا يهدأ و لا يتوقف على الخيرات الضنينة ، حتى كان العربي يذبح العربي من أجل حفنة تمرات أو إزار أو درع أو سيف أو سكين أو قوس ، أو من أجل حيازة موطن الماء ،

كان الصراع الاجتماعي إذاك صراع حياة أو موت ، فهو صراع صفري يفوز أحدها و يخسر الآخر حياته و ممتلكاته لصالح المنتصر ، و في مجتمع كهذا لا يكون ثمة معنى للحديث عن الفضائل كالأمانة و النخوة و المروءة و الشرف ، لأن مثل هذه المعاني لابد أن تفضي بصاحبها إلي الفناء جوعاً و عطشاً بالضرورة ، أو التحول إلي العبودية لقبائل أخرى منتصرة.

أما كيف انتقل هذا المجتمع البدائي الهمجي من جاهليته الأولى إلى **جاهليته الثانية أو الأخيرة** ، فهو ما يمكن قراءته من قراءة تاريخ العالم في ذلك الزمان ، و ما كان من تأثير لأحداث العالم علي جزيرة العرب ، حتى نقلتها من عصر إلى عصر و

من توحش إلى بشرية و من زمن السعي وراء الثمار و الماء و الصيد إلى زمن الإستقرار و إنشاء المدن و العمل بالتجارة ، بل و القيام بعبء تجارة عالم ذلك الزمان ، حتى أصبح العرب بفضل تلك الأحداث الدولية هم وسطاء ثم أصحاب تجارة العالم القديم كله شرقاً و غرباً ، شمالاً و جنوباً.

خلال القرن الخامس الميلادي كانت تجرى تحولات هائلة عالمياً و محلياً ، فقد دخلت إمبراطوريتا الفرس و الروم حرباً طالت في زمناً حتى أصبحت سبعينية ، و طاردت كلاهما الأخرى في مستعمرات كل منها و في كل خرم في العالم القديم ، حتى قطعا مسار طرق التجارة بين كليهما قطعاً تاماً ، مما أدى إلي كارثة إقتصادية عالمية ناتجة عن خنق طرق تجارة العالم.

و لعل أهم السلع التى عز شأنها سلعة كانت مطلباً للقتال العسكري ، هي طيوب الهند و أفريقيا التى كانت هى مصادر علم الصيدلة ، و العلاج للجرحي و غيرهم من مصابين بالأمراض. و لم يبق آمناً من بين طرق التجارة الدولية غير طريق الصحارى الكبرى بجزيرة العرب و هو المار بمكة ، و هو الطريق الوحيد الذى لم يرغب فيه لا الفرس و لا الروم ، و تصادف أن أهم البضائع التى كانت ترد لهذا الطريق هو الطيوب الهندية التى كانت تصل من الهند و أفريقيا إلى موانئ اليمن .

من ثم تهيأت الفرصة السياسية الدولية والإقتصادية لتحول مجتمعي عظيم في جزيرالعرب ، التى تحول عربها عن أكل بعضهم بعضاً للقيام في البداية بالتجارات الصغيرة التى جعلت عرب الجزيرة يقومون من بعد بعبء تجارة العالم مع نمو الثروات الخيالي الذي وصلنا بعض من خبره مع أسماء تجار بلغت ثرواتهم ثروات الأكاسرة و الأباطرة ، كما كان مثلاً شأن أبي أحيحة الأموي. و حمل العرب بضائع الصين و الهند وأفريقيا من شواطئ اليمن إلى بلاد الإمبراطوريات في رحلة الصيف ، و حملوا بضائع الإمبراطوريات عوداً إلى موانئ اليمن في رحلة الشتاء.

و قاد هذا التحول المجتمعي العظيم المتسارع مع تسارع الأحداث العالمية الضخمة و الهائلة ، **قبيلة قريش** التي سكنت على منتصف الطريق التجاري المار بمكة ، و استقرت فيها و تحولت بها من مجرد استراحة جرداء إلى مدينة عامرة كبيرة ، تنيخ بها القوافل التجارية التجارية للراحة بضعة أيام قبل أن تتابع رحلتها الشمالية الشامية. حيث كان التجار يجدون كل مطالبهم من خيام فندقية إلي ملاه ليلية و مراقص و خمارات ، إضافة إلى ما يلزم من أرباب قبائل جزيرة العرب كلهم ، إستضافت لهم نماذج منحوتة في فناء كعبتها حتى بلغ عددها بعدد أيام السنة ، فيأتي العربي التاجر ليلهو و يعبد و يستريح أياماً جميلة يستمع فيها إلى شعر عكاظ و يبيع فيها و يشتري من سوق بدر ، ثم يضع أسهمه في القافلة الكبرى السنوية في رحلة

الشتاء والصيف ، بينما يتم حفظ التجارة في رعاية الرب الأكبر للتجار ، رب السماء ، الأمين الحافظ للتجارات ، الكريم مع عباده ، فكانوا يودعونها الكعبة كمخزن في حراسة الله و هو الإله الأعظم من كل الأرباب صاحبة التماثيل ، لأن تلك إنما كانت شفاء لهم عند رب السماء كي يستجيب لهم و يبارك لهم في تجاراتهم ، و من ثم أصبحت مكة حينذاك مثل لاس فيجاس و سان فرانسيسكو اليوم ، مرتعاً لكل التجارات و النزوات التى تمثلت أول تجارات في العالم ، التجارة بالجنس والعبيد ما بين صويحبات الرايات الحمرإلى أسواق العبيد الكبرى.

و حتى تشتري قريش أمن تجارتها الدولية ، فقد أشركت القبائل العربية الأخرى في تجارتها بنسب تعود علي أصحابها بقدر ما دفعوا في قوافلها. و منحت آخرين جعالات لوقوفهم علي الطريق التجاري الطويل ، لتجعلهم حراساً للقوافل بدلاً من نهبها ، حرصاً علي استمرار سيولة الطريق كضامن لحياة عربية أفضل ، و إدراك من العربي ثاقب ، بعد تجارب أكتشف معها أنها أفضل طريقة للحفاظ علي أمن هذا الطريق من كل سؤ. لأنه الطريق العالمي الوحيد ؛ وان إستمرار سيولة و أمن هذا الطريق سيكون ضامناً لعدم احتلاله من قبل إحدى الأمبراطويتين ، لأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوا فيها وسلبوا التجار مكاسبهم و فرضوا عليهم الضرائب الباهظة ، و جعلوهم أذلة ، و كان العرب في غنى عن كل هذا ، و أكثر غنى بما حققوا من مكاسب قامت كلها على معاني و كلمة و فضيلة (الأمانة) ، فكان كل تاجر حريصاً على أن يعرفه الآخر بأنه **(الصادق الأمين)** ، و ثابروا في هذا الشأن ، لأن الصادق الأمين كان الناس يسلمونه تجاراتهم فيأخذ نسباً أعظم من قرنائه نظير الإشراف علي قوافل التجارات ًو ثمناً لوعثاء الطريق و مشقته. و هكذا كان للمتغير الدولي دوره في ظهور فضائل محلية من نوع جديد لم تكن معروفة و لا حتى مفهومة من قبل زمن الجاهلية الأولى ، كالوفاء بالعهد ، لأن التجارات عهود شفاهية أو مكتوبة ، يكفي نقض بعضها حتى لا يثق الناس في مواثيقها كلها ، فتخسر و تبور ، لذلك كان عربي العصر الجاهلي الثاني حريصاً علي الوفاء بالعهد الذي كان تطبيقه والإلتزام به ، حافظاً للمال المتداول بين أيدي كثيرة و قبائل عديدة ، و ضماناً لحقوق المساهمين قبائل وأفراد و حراس في قوافل التجارة الدولية. و هي فضائل لم يعرفها العصر الجاهلي الأول ، هذا ناهيك عن فضائل متلازمة مثل **كرم الضيافة** حتى لا يهلك حاملوا التجارات في فيافي الصحارى ، لطوارئ الرياح ومشاكل المرض سواء للبشر أو للجمال فيجدوا في القبائل المتبدية مراكز للراحة و الإستشفاء ، و لأن العائد يعود بفوائده علي الكل ، فكان للكريم علي الطريق أعطيات تقتطع من عائد القافلة كلها بعد عودتها سالمة آمنة ، رداً للكرم بكرم أعظم يحقق لصاحبه العائد المادي و التكريم المعنوي لفضله وكرمه ، و رد من الجماعة

للجانب المادي بالمادي مع تكريم صاحبه و إشهار شأنه بفضيلة الكرم ، و بلغنا من بينهم حاتم الطائي بكرمه الأسطوري و هاشم جد النبي الذي كان يهشم الثريد لقومه أزمان المجاعات لذلك لقبه العرب هاشماً بينما أسمه الأصلي هو عمرو.

و قد كان النبي يذكر قريشا مقرونة بالأمانة دوماً ، و من حديثه لأبي قتادة إبان حرب النبي مع قريش قوله: **" يا أبا قتادة إن قريشا أهل أمانة من بغاهم أكبه الله على فيه " . السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٢٥.**

المهم مع هذه التحولات في الجزيرة بدء ظهور الشعور القومي نتيجة إلتقاء العرب في الأسواق ، ثم تقارب لغاهم المختلفة للتفاهم ، حتى صاروا يتفاهمون بلغة العاصمة التجارية مكة لغة قريش ، فكان إن بزغ شعور قومي يدفع العرب لإختيار أنفسهم شعباً واحداً له لغة واحدة و أب واحد هو يعرب بن عدنان ، الذى يعود لإسماعيل بن إبراهيم الخليل ، تقارباً مع التوراة و تأثراً بيهود الجزيرة و أساطيرهم عن آباء البشر الأولين.

هنا بدأ حلم العرب في توحد قبائلهم في دولة. بعد أن شعرت بالتآزر بعد أن كانت تأكل بعضها بعضاً في معادلة صفرية مستمرة. و من كان يكسر هذه الفضائل المستحدثة كانت قبائلهم ترفضهم و تلفظهم خارجها بلا حماية و لا رعاية في مجتمع بلا شرطة و لا قانون ، و النسب للقبيلة هو دعامة للفرد في مواجهة غوائل المجتمع البدوي ، و قد شكل هؤلاء الملفوظون من قبائلهم من اشتهروا بلقب الذؤبان و أحياناً الصعاليك ، و هم من مرق علي قيم مجتمعهم غير معترف بها و لا بفضائل جماعته ، و عادة ما شكل هؤلاء خطراً مستمراً على التجارات جاءت به حكايات القوافل ، كفرز موضوعي ضروري بحسبانه تمرداً يتبنى مبادئ مخالفة ، و ما خالف فضيلة المجتمع فهو رذيلة ، مقابل الفرز الأعظم للفضائل الكبرى الخادمة لمصالح الجماعة و كبار التجار و ذوي الوجاهة مثل الوفاء بالعهد و الأمانة و الكرم.

عندما ظهر الإسلام عاد بالعرب إلى زمن الغزو و الأسر و السبي ، و السلب و النهب **(من قتل قتيلاً فله سلبه ، ومن أسر أسيراً فهو له - حديث نبوي ضمن شريعة الحرب)** ، و هو أخشى ما كان يخشونه العرب على تجارتهم ، خاصة عندما هاجر النبي و أصحابه إلى يثرب حيث عنق الطريق التجاري الدولي ، و أخذوا يقطعون الطريق علي قوافل قريش التجارية في حصار إقتصادي يطلب تركيعها للنظام الجديد و الدولة الجديدة الطالعة على صفحة الزمان في جزيرة العرب. و هو ما جاء أول ما جاء على لسان النبي ينادي اتباعه قبل الغزوات و السرايا و الفتوح ، و قد تم تجنيدهم و تجييشهم و تدريبهم شهوراً سابقة في يثرب للقيام بمهامهم التى ألقاها التاريخ علي عاتقهم ، فقاموا يغيرون تاريخ العالم. يقول النبي **:"أحلت لنا**

الغنائم و لم تحل لأحد من قبلنا ، و ذلك أن الله رأى عجزنا و ضعفنا فوهبها لنا ، الثعلبي /العرائس / المكتبة الثقافية / بيروت ، ص ٢٤٩".

مصحوباً بالآيات القرآنية تضع قواعد نوزيع الغنيمة بعد إنتصار الغزو "و اعلموا إنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه و للرسول و لذوي القربي و اليتامى و المسكين و ابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله و ما أنزلنا علي عبدنا يوم التقى الجمعان و الله على كل شئ قدير ، .. فكلوا مما غنمتم طيباً حلال و اتقوا الله إن الله غفور رحيم ، ٤١ ، ٦٦ / الأنفال".

بمقاييس فضائلنا المعاصرة لن يكون مفهوماً كيف يكون القتل و الغنم حلالاً طيباً؟ و قد يقف العقل حائراً يحاول أن يفهم و لإيمانه تثبيتاً. و بمقاييس مواد معاهدة جينيف لابد أن تجفو الروح السلب و القتل و الغنائم ، لكن الإسلام كان يعلم ما هو فاعل ، كان هو الأعلم بزمانه و ظروفه ، و إن العربي لا يخضع لعربي إلا إذا كان ذا شأن عظيم كالنبوة المصحوبة بالقوة ، فهذه القبائل لا توحدها و تضمها تحت سلطان دولة يثرب المدينة إلا القوة القاهرة لأنفة البدوي التى تجعلة يرفض الخضوع لسلطان من غير سلطان قبيلته .

هذا بالتحديد ما جعل قريشا سيدة عالم التجارة تجزع علي تجارتها التي ستؤدي إلى خراب الجزيرة كلها ، فكان قطع المسلمين لطريق التجارات و الإستيلاء علي ما فيها و قتل حراسها و مرشديها يعني كساد التجارة و بوارها. و هو ما يمثله قولهم: **" لتقطعن عنا الاسواق فتهلكن التجارة ، و ليذهب ما كنا نصيب فيها من المرافق / سيرة ابن هشام في الروض الأنف للسهيلي ٤ / ١٨٦ ".** أو ما عبر عنه لسان صفوان بن أمية يردد لسان حال قريش و هى تقول: **" إن محمدا و اصحابه قد عوروا علينا متجرنا ، فما ندري ماذا نصنع بأصحابه و هم لا يبرحون الساحل؟ و أهل الساحل قد وادعوا محمداً (أى دخلوا في حلفه و سلطانه) ، و إن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموال ، فلم يكن لنا من بقاء ، و إنما حياتنا على التجارة إلى الشام في الصيف ، و إلى اليمن في الشتاء** / أبكار السقاف / نحو آفاق أوسع / الأنجلو / القاهرة ، ج٢ ، ١٤٥٨".

لذلك طمأنهم الإسلام وأعطاهم برهاناً على مكاسبهم المقبلة ، بما كسبه جنوده من الغزو و السلب و النهب الحلال ، أحل من لبن الأم و برضي و مباركة و مشاركة سماوية بالملأ الأعلى الذين نزلوا يحاربون مع المسلمين لتأكيد هذة الحلالية ، مع برهان آخر بعدة غزوات علي بلاد الروم كراً و فراً و استقطاع أرض بقبائلها من الرومان لتخضع لسلطة يثرب مثل وادي القرى و تيماء ، موجها نظر العرب إلى حيث كنوز العالم ، فكان البديل بالغزوالخارجى هو الأعلى و الأكثر عائدية ، ناهيك

عن كون المحارب لو مات لدخل جنة عرضها السماوات و الأرض. كان البديل للتجارة هو فتح الباب لغزو دول الحضارات المحيطة حيث الثروات الهائلة و كنوز الأباطرة و الأكاسرة و الأمراء الدوليين و سادة العالم القديم. و تطميناً بعبارات مباشرة يقول القرآن مخاطباً قريشا و العرب: " **و إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء الله و الله عليم حكيم / ٢٨ / التوبة** ". و يشرح ابن هاشم مصدر هذا الفضل الذي سيغنيهم بقوله: " **يغنيكم الله من فضله أى من وجه غير ذلك .. قاتلوا الذين لا يؤمنون بالكتاب و اليوم الأخر من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، أى ففي هذا عوض عما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأعناق أهل الكتاب من الجزية / المسعودي / مروج الذهب ٢/ ٥٧** ".

عاد المجتمع العربى فى جزيرتة إلى فضائله القديمة التى كانت قد أصبحت في العهد الجاهلي الأخير رذائل منبوذة من المجتمع ، نتيجة الطارئ الجديد الإسلامي ، و لكنها لبست ثوباً جديداً أكثر تماسكاً و قوة ، ثوب الدين الواحد الجامع ، في شكل أوامرو نواه و حدود و جزاء و عقاب دنيوي و أخروي ، و هو ما مهد فيما بعد لإكتشاف التشريع القانوني الذي لم يعرفه العرب من قبل ، إلا في شكل مواضعات اجتماعية فاضلة و غير فاضلة.

و المعنى في كل ما سلف أن الفضيلة معنى يتطور و يتغير بتطور الزمن و تغيرظروف المجتمع محلياً نتيجة إرتباطه بالمجتمع الإنساني و ما يحدث علي سطحه من أحداث تاريخية. و لا توجد فضيلة ثابتة تناسب كل المجتمعات ، فما هو فضيلة في زمن ، قد يكون أشر الرذائل في زمن أخر داخل نفس المجتمع ، و ما هو رذيلة في مجتمع قد يكون فضيلة كبري في مجتمع آخر ، كذلك تتغير دلالات الفضيلة بتغير الزمن و متطلباته.

أضرب هنا مثلاً آخر من تاريخنا العربي: عن زياد بن جزء الزبيدي قال في فتوح مصر: " لما فتحنا باب إليون (بابليون) تدنيا قرى الريف فيما بيننا و بين الأسكندرية قرية قرية ، حتى وصلنا إلي بلهيب ، قرية من قرى الريف يقال لها الريش و قد بلغت سبايانا المدينة و مكة و اليمن. أرسل صاحب الأسكندرية إلى عمرو بن العاص: إني كنت أدفع الجزية إلى من هو أبغض إلى منكم معشر العرب ، للفرس و الروم. فإن إحببت أن أعطيك الجزية علي أن ترد علينا ما إصبتم من سبايا أرضي فعلت. فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمربن الخطاب فأجابه: أما بعد ، فإني قد جائني كتابك تذكر أن صاحب الأسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن نرد عليه ما أصبتم من سبايا أراضيه ، و لعمري لجزية قائمة لنا ، و لمن بعدنا

من المسلمين أحب إليّ .. أما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة و اليمن ، فإنا لا نقدر علي ردهم ، و لا نحب أن نصالحه علي أمر لا نفي له به / الطبرى / ج ٢ / أحداث سنة ٢٠ / دار الكتب العلمية / ص ٥١٢ ، ٥٢٢".

هنا لابد أن نلحظ بشدة استمرار فضيلة الوفاء بالعهد و الحرص عليها في الزمن الإسلامي ، متوارثة من زمن الجاهلية الثاني الذي تنتسب إليه أعظم مكارم العرب و فضائلهم في الأمثال و القصص التي وصلتنا عنهم. و قد حرص الخليفة عمر علي العمل بهذه الفضيلة و خشي معاهدة صاحب الأسكندرية على شرط و عهد أن يعيد إليه بموجبه نساء و حريم بلاده المسبيات ، فهو مما لا سبيل إليه ، فلن يعيد أحد في مكة أو المدينة أو اليمن ما وصله من حريم مصر و أخذه نصيباً و فيئا حسبما كان يوزع عمر الفئ و الجزية علي العرب ، كل حسب رتبته الإجتماعية و نسبه بين العرب ،

١- ففرض أولاً لهاشم
٢- ثم لأصحاب بدر
٣- ثم للسابقين
٤- ثم للمهاجرين
٥- ثم للأنصار
٦- ثم لباقي قبائل العرب

رفض الخليفة هذا الشرط المعاهد للصلح لأن إستعادة النساء اللاتي تم توزيعهن متعة للعرب مسألة شديدة الصعوبة ، و هو ما يعني مخالفة الوفاء بالعهد كفضيلة راسخة منذ العصر الجاهلي الثاني صانع المكرمات ، بينما لم يلحظ الخليفة بالمرة أن سبي النساء يخالف فضيلة إجتماعية متفق عليها بين دول العالم القديم إسمها الحفاظ علي العرض من الهتك. الأمر ببساطة دون محاولة تغليف أو تجميل للتاريخ ، أن هتك عرض العدو لم يكن رذيلة في القانون الأخلاقي الإسلامي ، و إذا كان الزمن قد تغير و أصبحت مشاعرنا اليوم لا تقبل سبي النساء و نكاحهن ، فإن زمنهم كان سبي و هتك العرض علامة رجولة و فحولة و قوة و بطولة ، ناهيك عن كون ركوب السبايا كان إعلان نصر و فوز لله و جنوده المسلمين ، فكان كل قائد فاتح يتغنى بعدد ما سبي من نساء بلاد الحضارات ليوزعوا علي عرب الجزيرة و يباع الفائض في أسواق النخاسة. كان ذلك علامة نصر بغض النظر عن الوسائل و علاقتها بسلم القيم.

كان السبي هو ضريبة الهزيمة على من لا يستجيب لأحد المطالب الثلاثة: الإسلام ، أو الجزية ، أو الحرب ، و ما يتبع الحرب للمهزوم من تحوله من إنسان حر إلى

عبد مملوك هو و ما يملك من مال أو عقار أو بهائم أو نساء ، حسب قانون الحرب الإسلامي. كانت تلك هي ضريبة المعادلة الصفرية ، و قد أدت شريعة الحرب الإسلامية إلى تقيق مرادها ، فكثيراً ما دفعت إلى إستسلام بلاد عظمى للإمبراطورية الطالعة دون استمرار المقاومة ، لما شهدوه يحدث لبلادهم ونساءهم وأطفالهم ، وعندما اكتشفوا أن عند العرب قانون يقول إن ما أخذه العرب عنوة هو ملك لمن أخذه ، و هو غير ما يؤخذ بالاستسلام بعهود تعفي المهزوم من العبودية المباشرة ليدفع ضريبة الرؤوس جزية و هو صاغر. ما يذكرنا بما حدث منذ قريب في هجرة فلسطينية واسعة إلى خارج فلسطين بعد عدة غزوات قامت بها العصابات الإسرائيلية الأورجون و اشتيرن و غيرها على دير ياسين و قبية و كفر قاسم فكان أن ترك الناس كل ما يملكون و هربوا بجلودهم .

و ما بين اليوم و الأمس أربعة عشر قرون ، و مع ذلك سمح الظرف العالمي بإستعادة مبدأ كان مطلوباً في زمنه و إنتهى زمنه وأصبح قيمة مرفوضة ، إستعاده الظرف العالمي من مكمنه في سلة مهملات و قمامة التاريخ ، ليقيم الإسرائيليون لهم دولة بغض النظر عن الوسائل بمقاييس اليوم ، لأن الرذيلة لابد في السياق الموضوعي للأحداث أن تتحول إلى فضيلة يتم تغليفها بكونها إستعاده لأرضهم من العربي المحتل ، و إنها حالة دفاع وطني مستمر ضد محيط متوحش يتنمر لها حسبما يقولون إن صدقا أو كذبا.

المعادلة الصفرية كانت تحافظ علي حياة البعض بعد أن يتم قتل البعض و يأخذوا ما لديهم لإستمرار المحافظة علي حياة البعض ، و قد إستدعى ظرف العالم و تكوين إسرائيل إستدعاء تلك الفضيلة القديمة بمبرر إقامة دولة إسرائيل المباركة من الرب و حتمية قيامها حتى يصدق الواقع مع نبوات الكتاب المقدس. لتكتسب المعادلة الصفرية قداسة ورعاية إلهية مباشرة لتصبح أعلى من الفضيلة ، لكونها مقدسة.

هنا لابد أن يطرأ سؤال يطرح نفسه بلا تردد: إذا كان الإسلام قد أجاز وطء المسبيات و نكاحهن بلا عدد ، و شراء الإماء لنكاحهن بلا عدد ، و أعطى الزوج بالإضافة إلى حريمه أربع زوجات حرائر ، و كلهن (إماء و زوجات) حلال أحل من لبن الأم ، و الزوجات هن من ينجبن الأبناء الصرحاء الأحرار بالدم ، أما لو أنجبت الجارية فيتم إعطائها لقب فيه شبه إعتراف و عدم إعتراف هو (أم ولد) فتقف في مرتبة بين الأمة و بين الحرة. فإذا كان للرجل كل هذا الحشد من النساء في آن واحد

فما هو المقصود بالزني كرذيلة في الإسلام؟

و ما معني هتك العرض؟

و هل يمكن تصور كل هذه الأجساد في حضن رجل فرد و يفكر في الزنى؟ و لماذا؟

و هو لابد أن يستدعي السؤال بالنتيجة: و هل كان ذلك متوفراً لكل إنسان في دولة الإسلام منذ زمن النبي و حتى إنتهاء دولة الخلافة العثمانية؟ هذا ما يحاول أن يوعز لنا به أنصار الدولة الإسلامية من الإخوان وأنصارهم ، فيحكون لنا عن **إزدهار زمن الخلافة الراشدة** لإنها كانت تطبق الشريعة حتى كانوا يشترون الجارية بوزنها ذهباً ، دون أن يشعروا بأي مشكلة مع كون هذه الجارية كانت حرة في بلادها قبل أن تخطف لتباع ، و أن نهر الأموال الذي فاض علي العرب لم يكن لتمسكهم بتطبيق الشريعة ، و لكن لأنهم سلبوا البلاد المفتوحة و هتكوا عرضها و سلبوها كنوزها و خيرها و حلبوها حلباً.

لدينا في كتب الفقه الإسلامي تفاصيل طويلة تجعل من عارفها يعرف كيف كان الرجل يفضل أن يشتري جارية لو كان له مال ، علي أن يتزوج لما في الزواج من أعباء ، و يقول الفخر الرازي بشأن اقتناء الإماء **"و لعمري أنهن أقل تبعة ، و أخف مؤنة من المهائر (أى الحائر المدفوع لهن المهر) ، لا عليك أكثرت منهن أم أقللت ، عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل ، عزلت عنهم أم لم تعزل".**

و بهذه الكتب تفاصيل لنكاح السراري و الإماء في أبواب طوال تحدد الفارق بين نكاح الحرة و نكاح الأمة ، و مكان الحرة القانوني و مكان الأمة و تراتبهما الطبقي و ما يترتب علي ذلك في الواقع من حيث الحق و الواجب ، و أبحاث حول جواز نكاح الإبن لجارية / أمة أبيه من عدمه ، و حد الزنى العقابي على الحرة الذي يختلف عن عقاب الأمة الزانية ، فالأمة الزانية عقابها التقريع و التخويف و ربما الضرب و إن كررت فعلها يبيعها صاحبها في السوق و لو بخردلة. أما الحرة فعقابها القتل رجماً للثيب و الجلد للبكر.

كذلك هناك بحوث حول ملابس الحرة و ملابس الأمة ، إذ لم يكن الرجل يعتبر أن الأمة ذات شرف فهي أقل من كونها شئ ، لذلك كانت الإماء تتبرجن و تتزينن ، وفي الجاهلية الثانية كانوا يتاجرون بالإماء دعارة مقابل المال في مكة حتى جاء الإسلام و أنكر هذا الفعل و حرمه و جرمه.

أما الحرة فلابد لها من ملابس خاصة واضحة تميزها بشكل قاطع بعلامات تقول أنها حرة ، و أن يكون ذلك الملبس بقصد الإعلان ، لذلك كان الرجل العادي في السوق يستطيع أن يميز بين الأمة و بين الحرة ، و أنه ربما حاول التحرش بالأمة ،

لكنه أبداً لا يتحرش بالحرة ، لذلك ازداد الإسلام تمييزاً لنسائه الأحرار عن نسائه الإماء بالخمار ، فأمر بقوله: "**و ليضربن بخمورهن علي جيوبهن ٣١ / النور**". و يشرح الشيخ يوسف **قرضاوي** معنى الأية بقوله: "إن أوامر الإسلام كانت بمخالفة المشركين و المجوس كأوامرللنبي ، و أن القرطبي فسر فقال: إن النساء زمن النبي كن يغطين رؤوسهن بالأخمرة و يسدلنها علي الظهر فيبقى النحر مكشوفاً ، فأمر بإسدال الخمر علي الجيب أى الصدر ، و كان غطاء رأس كالرجال ، كجزء من طبيعة البيئة لإتقاء الشمس الحارقة: **قل يا أيها النبي لأزواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين / ٥٩ / الأحزاب** ، و سبب نزولها أن عادة الأعراب التبرز في الصحراء و ليس داخل البيوت ، فكان بعض الفجار يتعرضن للمؤمنات مظنة أنهن جواري غير عفيفات ، فجأت الآية لتميزلباساً للحرائر المؤمنات ، و كان عمر يضرب الجارية إذا تحجبت محافظة علي تميز الحرة بزيها ، و في زمننا لا توجد جواري ، و الكنف داخل البيوت ، و انتفي شرط إدناء الجلابيب للتميز بين الحرة و الأمة / حلقة الظاهريون الجدد / قناة الجزيرة ".

مما سبق عرضه نفهم أن ملابس نساء الجاهلية كانت شديدة البساطة ، فهى قطعة قماش تشق من وسطها بفتحة مناسبة تسمح بدخول الرأس ثم تخاط من الجانبين ، فيظل الشق مفتوحاً لعدم معرفتهم بعد بنظام السوستة ، أو الأزرار التي ما كانت تجمع شقاً بحجم الرأس فوق الثديين علي بعضه البعض ، و ما كان لديهم معرفة بشأن الحياكة الأكثر تعقيداً و تخصصاً في بلدان الحضارات و أزيائها ، لذلك يقول القرضاوي: "كانت المرأة في الجاهلية تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شئ / نفس الحلقة". و كانت الحرة تلبس خماراً علي رأسها و هو من تخمر الرأس أى تغطيتها حماية للشعر من أتربة الصحاري و حرها ومنعاً لإصابته أيضاً بالحشرات لندرة الماء ، لذلك تسمى المشروبات الكحولية خمراً لأنها تخمر العقل أى تغطيه فلا يعود يميز ، و كان للخمار طرفان يلقيان خلف الرأس فيغطيان الفتحة الموجودة بالقفا أعلى الظهر ، فطلبت الآيات منهمن جعل طرف من طرفي الخمار يغطي فوق الثديين في الجلباب المفتوح و هي المنطقة التي كان العرب يعرفونها باسم الجيب ، و يغطي الطرف الآخرالقفا. و أن يصبح الخمار دالاً علي الحرة المسلمة و مميزاً لها عن الإماء حتى **أن عمر بن الخطاب ضرب أمة تداري ثدييها بالخمار فأمرها بخلعه وتعرية ثدييها علي الفور.**

لم ينسانا السؤال إبان الشرح فهو مازال يلح طالباً إجابة: إذا كان للرجل أربع نسوة و عشرات أومئات الجواري فلماذا يزني؟ و لا ينى المنطق يشعرنا بمدى حيرته إزاء هذا التساهل الشديد في حشد هائل للنسوة في بيت واحد لرجل واحد ، مع

تشديد عقوبة الزنى و تغليظها علي الزناة ، فهي أشد الحدود و أفظعها للحس الإنساني و أشد حدود الإسلام غلظة و فظاظة ، فهى تحمل إلى جوار العقوبة هدف إطالة زمن معاناة الجاني و عذابه ، كانت الرجم حياً حتى الموت ، مع إشراك المجتمع في تطبيق العقوبة العلنية في حالة تنفيس بدائي من ذوي الخطايا ، ليرموا علي المحكوم خطاياهم مع كل حجر راجم.

و كان **ذو المجاسد عامر بن جشم** قبل الإسلام ، و غيره من كبار القوم و عليتهم ، قد شرعوا للعرب ما أخذ به الإسلام من بعد ، و ذلك مثل حد الزنى الذي أخذه ذو المجاسد نقلاً عن حدود توراة يهود الجزيرة ، ومثل تجريمة وأد القبائل الفقيرة للأطفال وبخاصة البنات ، فأسماة العرب: محيى الموؤدات ..

إن تفحص تلك الخريطة المجتمعية يعني أن نتذكر أن مجتع بدو الجزيرة ، كان مجتمع ندرة شحيح ، يستولي فيه القادرون علي الخيرات بالغزو و السبي و الشراء ، و أن المرأة كانت سلعة ضمن تلك الخيرات ، فتكون النتيجة مع قدرة حيازة نساء أربع و مالاً عدد له من إماء ، أنه لن يتبقى لبقية الرجال فائض من النساء ، و هؤلاء عادة هم غير القادرين و الفقراء المعوزين.

و للحفاظ علي ثروة الأغنياء من الحريم تم اشتراع هذا الحد القاسي منتقلاً من اليهودية إلى عرب الجاهليتين ثم إلى الإسلام ، لأن رذيلة الزنى كان إحتمال وقوعها أكثر من بقية الرذائل كالسرقة مثلاً ، فالشئ المسروق لا إرادة له ، أما المرأة فإنها عندما تريد الزنى فإنها تتحرك و تسعى و تفكر و تحيك ظروف الواقع لتصل إلى سارقها أو بالأحرى إلى سارق مالكها. و مع حيازة قلة من الرجال لمعظم النساء لجأ العرب الفقراء إلى المثلية و إتيان الحيوانات الأليفة ، بل و تأليف حيوانات كالقردة و تدجينها لما في العلاقة الجنسية معها بما يشبه حال الإنسان. كتعويض للفقراء عن نساء لا يحصلون عليهم إزاء مزايدة الأغنياء عليهم في المهور و القدرة الشرائية.

و ظل هذا النوع من الجنس غير السوي مستمراً حتى زمن ظهور الإسلام بل و حتى زمن وضع علوم الأصول و الفقه ، و قال الفقه قوله فيه ، بل تطرق إلى تفاصيله و ما يترتب عليه كشأن اعتيادي معلوم و علاقته ببيقية الفروض الإسلامية ، فتحدث مثلاً عن جماع القرود و الحيوانات كمفسدات للصوم: "و لو أدخل حشفته أو قدرها من مقطوعها في فرج و لو أولج حيوان قرد أو غيره في آدمي و لا حشفة له فهو يعتبر إيلاج لكل الذكر / أنظر كتاب الإقناع المقرر علي طلبة الأزهر ص ٩٠ ج ١".

و قد استثمر الإسلام هذا الوضع الإجتماعي فأقر العود لنظام الغزو و الغنم و السبي الذي كان قائماً في الجاهلية الأولى ، كمحفز لغير القادرين للدخول في الإسلام و الانخراط في جيوشه للحصول علي الغنائم و السبايا والحصول علي الإشباع الجنسي ، و كان هذا الدافع الجنسي المتغول لدي الفقراء المغتلمين حافزاً يفسر بشديد الوضوح سر الاستماتة البطولية لجيوش المسلمين في القتال و انتصارهم رغم قلة عددها قياساً علي العدو ، في كثير من معارك التاريخ الفاصلة. و من ثم كان تشريع السبي و نكاح السبايا ضرورة عسكرية موضوعية لتحقيق الانتصارات و الفتوحات الإسلامية. كان تشريعاً يليق بزمانه ، لكنه أبداً لا يليق بزمننا ، فليس صحيحاً بالمطلق أن شريعتنا صالحة لكل زمان و مكان ، فهو وهم يجب أن نتخلص منه حتى نستطيع ابتداع ما يصالحنا مع زماننا ، زماننا الذي ألغى كل هذه الألوان من الجنس الإغتصابي و اعتبرها جرائم عظمى ، و لم يبق سوى علي العلاقة القائمة على القبول و التراضي بين الطرفين كسبيل وحيد لمشروعية العلاقة.

و كانت البداية من زمن الخديوي إسماعيل في معاهدة مع إنجلترا علي منع بيع و شراء الرقيق السوداني ، و إبراهام لنكولن الذي أصر علي تحرير الرقيق حتى دخلت الولايات المتحدة أفظع حرب في تاريخها (الأهلية الأمريكية) و بعدها تم اعتبار الرق وصمة عار في تاريخ البشرية الشرير.

استمر الفقه الإسلامي في تحريم الزنى حتى لو تمت العلاقة بالتراضى و القبول من الطرفين ، لأنه اعتداء على فرج يملكه آخر ، هو اعتداء علي الملكية ، فالمرأة لا تملك نفسها و من ثم لا تملك جسدها لتمنحه أو تمنعه ، فالمرأة لابد أن تكون مملوكة لرجل ، لأبيها أو لزوجها أو لأخيها او حتى لابنها. و ذلك حفاظاً على حقوق المالكين الذين كانوا في زمن الفتوحات هم العرب وحدهم فلا أحد يملك شيئاً و لا حتى نفسه إذا كان ضمن المفتوحين ، مما أنشأ أزمات جنسية في معظم الإمبراطورية العربية ، كذلك استمر حد الزنى قائماً و مستمراً للترويع و التخويف و الترهيب ، بينما استشرت ألوان الجنس اللاسوي كالمثلية و الجماع مع البهائم و الحيوانات المستأنسة لتفريغ طاقاتهم الجنسية ، و هى أنواع من الجنس لم تضع له علوم الفقه حدوداً مقررة واضحة متفق عليها بل هى تكاد تكون بلا حدود ، كلون من السماح الغير معلن.

ورغم كل متغيرات العالم الحديث و المعاصر الذي جرم الرق و السبي أو اعتبار المرأة من الأشياء المملوكة ، و ألغى التعدد و جرم هتك العرض و صنفه ضمن أبشع الجرائم (الإغتصاب). فإن فقهاء الإسلام عند موقفهم لا يريمون حراكاً و لا تغييراً و لا تبديلاً ، رغم أن الفضيلة و الرذيلة بنت زمانها و ظروفها و مجتمعها

الذي أفرزها و توافق عليها ، و الزمن كله غير الزمن و الناس غير الناس ، مما يلزم معه التواضع على دلالات جديدة لمعنى الزنى عندما يكون جريمة وفق مقتضيات عصرنا ، و هو ما يعني التخلي عن فضائل الأمس التي هى بلا منازع رذائل اليوم ، فلا شئ صالح لكل زمان و مكان.

ففي زماننا و في بلادنا و نتيجة ضيق ذات اليد لملايين المسلمين أفرز الواقع زواج المسيار و العرفي و المؤقت و المتعة و الوهبة و الغفلة ، تحايلاً علي تشريع جمده الفقهاء عند القرن الرابع الهجري ، حتى قالوا: لم يترك السلف شيئاً للخلف ليجتهدوا فيه! و لا تجد البنت أو الشاب حرجاً علي أنفسهم أو علي إسلامهم و يقينهم بدينهم و هما يمارسون تلك الزيجات ، **إن المجتمع يجد حلوله رغم أنف أفراد من الفقهاء يريدون تثبيت الزمان.**

و ضمن هذا الثبات عند عشرة قرون مضت اضطر الفقهاء للسكوت و ليس التنازل عن حق ملكية الرقبة و معاشرة الإماء نتيجة التوافق الدولي علي تجريم الرق و الاغتصاب ، فحرمته السعودية في الستينات بعد طول إمتناع و تبعتها موريتانيا في الثمانيات ، يقفون عند زمن المسلمة الحرة الشريفة الملزمة بلباس يناسب ظروف بيئتها يخمر فجوة الثديين ، ليجعلوا منه ما أسموه حجاباً لأن المقصود لم يكن تغطية الرأس ، لأن غطاء الرأس كان قائماً بالفعل حرصاً على الدماغ من الحرارة و الآفات و القذارة. و اليوم عندنا السوستة و الحمد لله ، و مع إلغاء الرق تحولت الصفات التى كانت للجواري إلى بنات غير المسلمين بإطلاق فهن كالجواري لا يلزمهن حجاب لأنهن لسن من الأحرار ، لأنهن سيكونن يوماً جواري للمسلمين لأن فريضة الجهاد لا تتوقف مادام هناك فرد واحد في العالم لم يسلم بعد ، رتبتهم هي رتبة الإماء فغير المسلمة غير حرة و بالتالي غير شريفة بالضرورة حسب الموروث العربي ، و هي تحت طائلة السبي في أى وقت يتمكن فيه المسلمون من إخضاع الأرض كلها لدين الله الذي لا يقبل بغيره ديناً الإسلام.

لذلك لابد أن تتميز الحرة اليوم (و هي المسلمة وحدها) كما كانت تتميز زمن الدعوة ، بضرب الخمر لكنهم يأخذون الخمر كله ، ما علي الجيب و ما علي الرأس و يخترعون له اسماً جديداً هو الحجاب ، و هو شأن لم يفرضه القرآن علي نساء المسلمين و لا أشار إليه و لا شرعه و لا قننه ، و حتى لو كان فرضاً كما يقولون فهو لتغطية الجيب و لم يتحدث عن الرأس ، فالخمر كان علي الرأس كعادة بيئية صحراوية من الأصل.

و العادة قد نأخذ بها أو لا نأخذ بها ، و لا ترقى مطلقاً لدرجة الفرض. لقد اخترع الإسلاميون لمسلمات زمننا شيئاً ليس في دينهم إسمه الحجاب ، فقط من أجل إثبات

وجودهم مع الإصرار على طاعة المسلمين لأوامرهم بحسبانهم ممثلي الله في الأرض ، لتأكيد السيادة و السيطرة على المجتمع ، ومن أجل تمييز المسلمة و فرزها عن غير المسلمة حتى (يعرفن فلا يؤذين) . و المعني أنه يتم التسليم بأن غير المتحجبة هى العرضة للأذى دون وضع قانون يمنع عنها هذا الأذى فهي غير حرة. لذلك وحسب الخبرة المصرية اليوم فإن غير المحجبة في شوارع قاهرة القرن الحادي و العشرين هي الأكثر تعرضاً للأذى من مسلمي الوطن الملتزمين بالتدين.

و قد إخترعوا الحجاب تأسيساً على حديث النبي "**خالفوهم ما استطعتم**" فإذا تميزوا هم بإطلاق الشعور نخالفهم بالحجاب ، و إذا إلتزموا هم بالتقدم تميزنا نحن بالتخلف ، و إذا تميزوا هم بالعلم تميزنا نحن بالجهل ، و إذا تميزوا بالقوة تميزنا بالضعف ، وإذا تميزوا باللطف والوداعة تميزنا بالصرامة والجهامة ، و إذا تميزوا بالجمال تميزنا بالقبح ، ولله فى خلقة شئون.

كان الحجاب شأناً خاصاً بنساء النبي و هو غير الخمار الذي يغطي الثديين ، و تحجيب المرأة بالمعنى و الصورة التي نراها متفشية اليوم ، هو احد أساليب عزلها عن الرجال ، في مجتمع أصبح فيه مستحيلاً الفصل بين الرجال و الناس و رغم ذلك فإن بعضهم يصر على تفعيل هذا الفصل ، و يجدون من يستمع لهذا القرار المشيخى و ينفذه ، كالحال في قاعات الدراسة الجامعية و كثير من وظائف القطاعين العام و الخاص.

نستمع هنا إلي مرجعية الإخوان المسلمين و كل التيارات الإسلامية حتى الإرهابية منها ، الدكتور يوسف قرضاوي ، و ما قال بهذا الشأن .. يقول **قرضاوي**: "فكانت النساء يحضرن دروس العلم مع الرجال عند النبي ، و يسألن عن أمور دينهن ، مما قد يستحي منه الكثيرات اليوم ، حتى أثنت عائشة على نساء الأنصار ، أنهن لم يمنعهن الحياء من ان يتفقهن في الدين ، فطالما سألن عن الجنابة و الاحتلام و الاغتسال و الحيض و الاستحاضة و نحوها ، و لم يشبع ذلك نهمهن لمزاحمة الرجال / مكتبة وهبة / القاهرة / ٢٠٠١ ص ٣٧٠".

إن قرضاوي لا يجد باساً في الإختلاط بين الذكر و الأنثى ، لكن فقط مع الشيخ ، الذي هو وارث الفُتيا ، و الحال محل الرسول لتفقيه المسلمين في شئون دينهم ، لذلك يشجع قرضاوي المسلمات علي سؤال المشايخ دون حياء في الجنابة و الاحتلام و الاغتسال و الحيض و الاستحاضة ، لكنه يمنع الاختلاط البرئ بين أبناء الجامعة الواحدة و الصف الواحد و تحدثهم في جدول مندليف أو نسبية آينشتين وليس فى الاحتلام والاستحاضة ، دون أن يعمم ذلك المنع على الاختلاط الذي كان

حادثاً زمن النبي ، و الذي كان حالة عامة و ليس حالة خاصة تسأل فيها نساؤنا المشايخ عن الاستمناء و الاستحلام ، عن شئون الفرج و النكاح فقط.

لم يكن إختلاطاً فقط بل اختلاط لمتبرجات مع رجال غرباء ، كانت سبيعة بنت حارث الأسلمية زوجة لسعد بن خوله العامري ، و كان ممن شهد موقعة بدر و غفر الله له ولأصحابه من أهل بدر ما تقدم من ذنبهم و ما تاخر ، و توفى عنها زوجها في حجة الوداع ، فما أن طهرت من نفاسها حتى بادرت بالتبرج و التجمل و التزين و خرجت تمشي بين الرجال طلباً للزواج ، فتقدم لها أبو السنابل بن يعك ، و كهل ، وشاب ، فاختارت الشاب / رواه البخاري و مسلم.

و كانت النساء محل تطلع من الرجال لمعرفة جمالهن وكان جمال نساء القبيلة محل تفاخر بين قبائل العرب ، "من رواية عن يحي بن عبد الله بن الحارث قال: لما دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح ، قال سعد بن عبادة: ما رأينا من نساء قريش ما يذكر عنهن من جمال؟ فقال النبي (ص): هل رأيت بنات أبي أمية بن المغيرة؟ هل رأيت تربة؟ هل رأيت هندا؟ إنك رأيتهن و قد أُصبن بآبائهن". أى أنك رأيتهن و هن غير متجملات و لا متبرجات حيث كن في حال حداد على آبائهن الذين قتلهم جيش النبي. لذلك لم ترهن في وضع يبرز مواطن جمال بنات قريش. مع الملاحظة أن هندا إحدى اللائي ضرب بهن النبي المثل لجمال القرشيات ، هي هند بنت أمية زوج النبي نفسه و المعروفة بأم سلمة.

كان التبرج لإظهار الجمال ليس هو المفهوم من تبرج الجاهلية الأولى المنصوح بعدم لجؤ المرأة المؤمنة إليه ، **كان التبرج المسموح ، كن يضعن الحمرة بسحق الأحجار الحمراء و عملها كمسحوق يشبه بودرة تجميل اليوم ، و قد جملت أم السيدة عائشة بنتها بهذه الحمرة ليلة دخل بها الرسول.**

المسألة كانت تغطية الثديين ليس إلا ، لكن أن تلبس المرأة اللافت للنظر و المبرز للجمال فلم يكن شيئاً محرماً ، لأن هذه هي طبيعة المرأة التي فطرها الله عليها ، و لن تر لخلقة الله تبديلاً. **كانت الأقراط الكبيرة و الطويلة المطعمة من إكسسوارات التجميل اللافتة للنظرمن زينة الصحابيات** ، و هو ما يأتينا ذكره في خبر أم هانئ بنت عم النبي التي تبرجت بمثل هذا القرط و قامت تسير بين الرجال مستعرضة جمالها ، فتحركت غيرة عمر فقال لها: "إن محمدا لا يغني عنك شيئا". فغضب النبي ليس لتبرج أم هانئ مطلقاً ، و لا حتى أشار حتى إليه ، كل ما أغضبه أن يقول عمر أن شفاعة محمد لا تلحق أهل بيته. "رواه الطبراني".

مرة **أخرى نؤكد أنه لم يكن زمن النبي شيئ اسمه الحجاب** كما هو مقرر اليوم ، و لم يكن هناك فصل بين الرجال و النساء ، و حديث ما اجتمع رجل و أمرأة إلا و كان الشيطان ثالثهما لا يلتقي بالمرة مع واقع المجتمع في الزمن النبوي ، مما يشير إلي تهافته ، و إنه من الموضوعات بعد ذلك بزمان طويل ، أما واقع زمان الدعوة يحكيه لنا الجاحظ فيقول: "فلم يزل الرجال يتحدثون إلي النساء في الجاهلية و الإسلام ، حتى ضرب الحجاب علي نساء النبي خاصة ، ثم كانت الشرائف (أى الشريفات بمعنى طبقى) من النساء يقعدن للرجال للحديث ، ولم يكن النظر من بعضهم إلى بعض عاراً في الجاهلية و لا حراماً في الإسلام".

و عن خوات بن جبير قال: "خرجت مع النبي في غزوة فخرجت من خبائي فإذا بنسوة حولي ، فلبست حله ثم انتهيت فجعلت أتحدث معهن ، فجاء النبي (ص) فقال: يا جبير ما يجلسك هنا؟ قلت: يا رسول الله بعيري قد شرد ، فكان رسول الله (ص) يمازحه كلما التقاه: ما فعل بعيرك يا خوات ؟!"

و مثل أم هانئ من بين الشرائف (اى الشريفات أى من عليه المجتمع) كانت الصحابية عائشة بنت طلحة ، التى دافعت عن حقوقها ، و رفضت أن يفرض عليها أحد أمراً لم يفرضه القرآن ، و من ذلك رفضها أى لون من الحجب و التحجب ، و كانت شئونها الجنسية تحكي وتذاع علي الملأ في نوادر و طرائف يسمر عليها المسلمون في سهرهم المتواد و المتراحم ، دون أن تشعربنت طلحة بأى تحرج بل كانت تفخر به. فقد كان لديها يوماً صحابية تزورها ، و إذ بزوج عائشة يدخل متعجلاً فتنهض إليه عائشة و تدخل معه داخلا ، وتسمع الضيفة أصوات المتعة الجنسية لعائشة بنت طلحة ، حتى خرجت إليها ترفض عرقاً ، فسألتها الضيفة مستنكرة: أو تفعل الحرة ذلك؟ فردت عليها: **"إن الخيل العتاق تشرب بالصفير"** ، فشبهت نفسها بالخيول الأصيلة التى تصدر مثل هذه الأصوات صفيراً في مثل هذا الموقف ، كانت عائشة تعلن فخرها بمتعتها ، دونما أن ينزعج أحد من الصحابة. و من حكايات بنت طلحة المشهورة أنها مرة كانت تحت زوجها في السرير فنخرت نخرة تفرقت منها مائة من أبل الصدقة هلعاً و لم تجتمع منذها حتي اليوم. و عندما أراد زوجها أبو مصعب عتابها علي تبرجها الشديد قالت له: "أن الله سبحانه و تعالى وسمني بمسيم الجمال فأحببت أن يراه الناس ، فيعرفوا فضلي عليهم ، فما كنت لأستره / الأغاني ج ٩ ٣٨".

أن زمن النبي ليس بالصورة التي يفهمها المسلمون البسطاء مأخوذة من فيلم ظهور الإسلام و فجر الإسلام او الشيماء ، و يدعمها مشايخنا في وعظهم و

فتاواهم ، و هم من أشرف على وضع اللمسات النهائية لصورة المجتمع الإسلامي الأول في تلك الأفلام.

لم يكن مجتمع زمن الدعوة كما يقدمونه للمسلمين جيلاً من الملائكة ، بل كان مجتمعاً طبيعياً يعيش فية الصحابة كما يعيش البشر ، و يعرف ان للمرأة أن تتجمل فقد خلقت بذلك غريزياً ، و لم يكن امراً ممجوجاً ولا محرماً. كذلك لم يمنع او يحرم لقاء الرجال بالنساء ، بل هو لم يحرم الغزل بينهما لأنه الرسالة الأولى للتواصل الإنساني بينهما ، يروي البخاري عن عبد الله بن عباس أن أخية الفضل كان رديف رسول الله (ص) فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه ، فجعل الفضل بن العباس ينظر إليها و تنظر إليه ، فجعل رسول الله يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر. و لنلاحظ أن هذا الغزل بين صحابي و صحابية كان في حضرة سيد الخلق الذي أينما كان حاضراً كانت السماء حاضرة ، و في أقدس الأماكن و أقدس الأزمان ، في حجة الوداع.

ولم ينزعج رسول الله (ص) ، ولم ينهرهما ، بل كان فقط يصرف وجه ابن عمه الفضل بأنامله الشريفة ليناً و لطفاً و تقديراً منه لفطرة الله التى خلقنا عليها ، ولم يصرف وجة الخثعمية عن التملى من الفضل. وإما لم تكن هذه الخثعمية لا مخمرة ولا منقبة ولا محجبة حتى بدت مفاتنها للشاب ، أو كانت مخمرة و محجبة و مع ذلك فإن الخمار لم يستطع أن يمنع نداء الطبيعة و لم يردع الفضل عن الغزل في حضور رسول السماء و الزمن القدسي كله.

و لم يمنع الحجاب (إن كان قد حدث و هو غير صحيح) المرأة من التطلع و المغازلة ، فإن لها عيون ترى وآذان تسمع ، و في زمن الخليفة عمر اشتهر نصر بن الحجاج السلمي بجماله الأخاذ حتى فتن نساء المدينة ، و أصبح مثل كازانوفا تطلبه النساء و يقلن فيه الشعر الماجن ، الذي نختصره هنا في معناه لشدة مجونه ، فهذه صحابية تدعو ربها أن يصلها بنصر بن الحجاج ليطفئ نارها وشوقها ولوعتها ، و أخرى تنادي: من لي بإبن الحجاج ولو ليلة واحدة ، و هو ما أضطر الخليفة عمر رأفة بالأزواج من الصحابة إلي إبعاد نصر إلي بلاد الشام.

يقولون اليوم أن اختراعهم المسمى الحجاب هو **عفة وطهارة** ، و حتى تعرف المسلمة فلا تؤذى ، أى يحميها من التحرش أو ربما الاغتصاب ، هذا رغم أن كل الميزات التي ميزت بها حرائر الزمن النبوي أنفسهن بإدناء الجلاليب و تخمير الثدي إضافة لعادة تخمير الرأس ، فإن ذلك لم يمنع تعرضهن ليس فقط للإيذاء ، بل للإغتصاب. عن أسباط بن نصر عن سماك بن وائل عن أبيه ، زعم أن امرأة وقع عليها رجل في سواد الصبح و هي تعمد إلى المسجد ، فإستغاثت برجل مر عليها و

فر صاحبها (أى الذى وقع عليها) فأدركوا الذي استغاثت به. و هو يقول لها: أنا الذي أغثتك ....إلخ / أورده البهيقي في السنن الصغرى. و في خلافة عمر "حدثنا الحسين بن عبد الملك بن مسيرة عن النزال بن سيده قال: بينما نحن بمنى مع عمر رضي الله عنه إذ امرأة ضخمة على حمار تبكي كاد الناس يقتلونها من الزحمة عليها و هم يقولون لها: زنيت .. زنيت ، فلما انتهوا إلي عمرقال ما شأنك؟ فقالت كنت امرأة ثقيلة الرأس و كان الله يرزقني من صلاة الليل ، فصليت ثم نمت ، و الله ما أيقظني إلا رجل قد ركبني ثم نظرت إليه معقباً ما أدري من هو من خلق الله. (كتاب الخراج أبو يوسف ١٦٥ المطبعة السلفية / مصر).

بل و كان في الزمن النبوي من الصحابيات من هى متزوجة لكنها عاشقة رجال "عن عكرمة عن بن عباس قال: جاء رجل إلى النبي (ص) فقال: أن امرأتي لا تمنع يد لامس ، قال: غربها ، قال: أخاف أن تتبعها نفسي (أى أنه يحبها بشدة) ، فقال له النبي (ص): فاستمتع بها ".

المشكلة في مثل هذه الشهادات التي نقدمها هنا لنعلم هل كان هناك حجاب؟ و هل منع الحجاب نداء الطبيعة؟ زمن وجود النبي بنفسه بين المسلمين و في حضرة أبواب السماء المفتوحة و في أقدس الأماكن؟

المشكلة ان مسلم اليوم لا تقبل نفسه و روحه و ربما عقله بمثل هذه الشهادات لأن وعاظنا صوروا له الزمن النبوي كما لو كان زمناً ملائكياً روحياً لا مجال فيه للخطأ ، كي يلقوا فيه بكل جديدهم اليوم و يستمدوا منه ما يدعم مخترعاتهم اليوم كالحجاب ليلبس قدسية ذلك الزمان ، لأنهم لا يتلقون وحياً لكنهم يريدون لكلامهم القدسية و هم يستمدونه من زمن الدعوة ، لذلك جرى تقديس ذلك الزمن ليعطي فتاوي مشايخنا و قولهم قدسية الوحي ولا يعرجوا أبداً لمثل هذه الأحداث بل و يخفونها عن المسلمين عمداً و قصداً و رغبة منهم عن سبق إصرار و ترصد ، كي يصنعوا المسلم الذي يريدون: الممتثل المطيع الذي لا يعرف سوى قول آمين.

ربما يأتي مسلم اليوم و هو يقرأ هذه الشهادات ليلقي بنفوره على كاتب هذه الدراسة هنا و ليس على من دون الحدث و لا على من صنع الحدث و لا على المجتمع الذي حدث فيه الحدث ، لأن مشايخنا يصوغون له إسلاماً غير ما كان في زمن النبوة الشريفة ، حتى يلتقي مع ما يريدون الوصول إليه ، و هو الإمساك بدماغ المجتمع كله و إجباره علي الطاعة و التسليم بفروض لم تكن موجودة كالحجاب ، و هو ما يعني أنهم جعلوا المسلمين أكثر طاعة لهم من الطاعة لدينهم و لزمنه القدسي ، حتى فرضوا على أنفسهم بأوامر مشايخ اخر الزمان ما لم يفرضه الزمن القدسي.

و بإيعاز مستمر من فقهاء زماننا ، تصور المسلمون أن ما يسمى بالحجاب فريضة إسلامية من الفرائض العظمى ، حتى أنهم يخرجون في المظاهرات الصاخبة للاحتجاج على أى حديث معلن لا يقول بأن الحجاب فريضة ، كما لو أن هؤلاء المتظاهرين جميعا قد درسوا الأمر و عاينوه في مصادره الإسلامية المعاينة النافية للجهالة ، واقتنعوا بأن الحجاب فرض ، فقاموا يرجمون من قال بغير ذلك. المسلم لا يعلم من شئون دينه ما يجعله يفرز الأحاديث الضعاف من الصحاح المسندات من الأحاد ، و يسلم فوراً بالحديث المنسوب لنبينا أنه قال لأسماء بنت أبي بكر: إذا بلغت المرأة المحيض لا يظهر منها إلا هذا و هذا ، و أشار إلى كفيه و وجهه. بينما لا تجد في القرآن ولا في تاريخ الراشدين الذين عملوا بسنة رسول الله و بالقرآن و شريعته ، ولا في واقعهم العلمي ، ما يشير إلى هذا المعنى الفاصل القاطع ، و لم يكن معروفاً لديهم ولا معمولاً به عند السلف ، بل ستجد ما هو عكس هذا الفرض الوهمي الذي يقصد إقصاء المرأة و ترصدها.

بل و يبالغ المسلمون اليوم في عزل المرأة عن المجتمع ، فقاموا يخترعون إضافة إلى اختراع (الحجاب) اختراعاً آخر يزري بمخترعه هو(**النقاب**).

الذي يغطي كل الوجه ولا يترك سوى العينين ، أو ثقباً واحداً لعين واحدة ، و هو النقاب الذي كانت ترتديه المعلمة المسلمة الفرنسية وصاحبة القضية المشهورة التي رفعتها كي تدخل علي تلاميذها الصغار بنقاب له عين واحدة ، مما قد يرعب هؤلاء الأطفال. ثم هناك نقاب لا يسمح حتى بثقوب ولا للعين الواحدة ، وهو ما أوجز الشيخ الدكتورأحمد صبحي منصور بشأنه ، فاعتبره نوعاً من الاستعلاء علي المسلمين ، و أنه إعلان تميز ، بل هو استعلاء على شرع الله و مزايدة علي الله نفسه ، و ان النقاب إذ يعطي المرأة فرصة التطلع إلي الآخرين و فرزهم واقتحامهم بعيونها ، فإنها بنقابها تمنع عنهم ذات الحق.

و هو ذات الحق الذي تم إعطاؤه للمصليات في المسجد خلف الرجال ، لهذا رفض الشيخ يوسف قرضاوي إمامة المرأة للصلاة بقوله معللاً: **"لأن الرجل المصلي قد يسرح فكره .. ما أجمل قوامها .. ما أجمل جسدها** .. فالإسلام دين واقعي ينظر للإنسان كإنسان تحركه غرائزه ، لذلك منع الإسلام أن تؤم المرأة الرجال ، فهى ستسجد امام الرجل بجسمها / حلقة الأهلية السياسية للمرأة / الجزيرة".

و يستطرد الشيخ شارحاً "في مسجد النبي كان النساء خلف الرجال و لم يكن بينهم أى حاجز ، (اليوم يقيمون الحواجز في المساجد مزايدة علي النبي) .. و كان معروفاً أن العرب يلبسون إزاراً و رداء و كثير منهم لا يلبس السراويل ، و لذلك قال النبي للنساء: لا تعجلن برفع رؤوسكن / نفس الحلقة".

و الإزارأوالرداء هوقطعة قماش تلف علي الوسط الأسفل للرجل ، و كانوا لا يلبسون السراويل ، و هو ما يعني بروز الأعضاء التناسلية للخلف عند السجود مما يسمح للنساء بالتطلع إليها ، لذلك أمرهن النبي ألا يعجلن برفع رؤوسهن ، و ينتظرن الرجال حتى يقومون من السجدة فيقمن بعدهم. "قال الواقدي عن ثعلبة بن أبي مالك قال: تزوج رسول الله (ص) امرأة من بني عامر ، فكان إذا خرج اطلعت علي أهل المسجد ، فأخبرته زوجاته بذلك ، فقال: إنكن تبغين عليها ، فقلن: نريكها و هى تتطلع ، فلما رآها فارقها ، قال الكلبي: كانت عند رسول الله العالية بنت ظبيان بن عمر بن عوف بن كلاب ، فمكثت عنده ما شاء الله ثم فارقها بسبب التطلع".

المقصود أنه أياً كان الوضع ، حجاباً أم خماراً أم نقاباً ، أو أن يكون أمام أو خلف في الصلاة التي هي وقت القداسة ، أو في المسجد الذي هو قدس أقداس الإسلام ، أو في حضور النبي بشخصه و كرامته ، و مع كل الحرص علي عدم التطلع فقد حدث التطلع و من زوجة سيد المرسلين نفسه ، و لم يعاقبها بشئ عظيم ، فقط فارقها ، لأنه يعلم أنه مع كل الحرص فإن نداء الطبيعة عند البعض أكثر استصراخاً ، و أنه شأن غريزي لا يمكن اقتلاعه .

في بلاد المسلمين ، و في الأسواق و في الحروب بل و في الحكم كانت المرأة حاضرة إلى جوار الرجل في حوار خلاق مستمر ، و عندما أقعدها الفقهاء في البيت مع بدء عصورنا المظلمة وتخلينا عن أنوارنا بل و قبرنا لها مع من قبرنا من معتزلة و جهمية و مرجئة و متصوفة و متشيعة ... إلخ. كان الواقع ينطق بموقف القرآن الذي كان حاسماً قاطعاً بصمته في مناطق كثيرة تركها ولم يتدخل فيها ، لنضع نحن لأنفسنا ما يناسبنا من قواعد و نظم وقوانين ، فسطا عليها الفقهاء و صادروا مناطقنا التى تركها اللة لنا حرة مباحة ، ليطلقوا من خلالها علي المؤمنين فتاواهم وفروض مزعومة علي المسلمين و المسلمات لم تكن في أصل المراد الإلهي القرآني و لا بالإشارة و لا التلميح. و كم سطا مشايخنا علي مساحاتنا الحرة التي تركها لنا رب السماء ليحاصروها بحديث مخترع هنا و سنة تنسخ القرآن هناك ، فيرتكبون و هم يفعلون عظائم الكبائر في حق ديننا و دنيانا ، و يستمر المسلمون يسمعون لهم و يتبعونهم إلى حتفهم بظلفهم ، بدلاً من أن يحاكمونهم بعدالة صادقة شفافة عما إرتكبوه في حقنا حتى بقينا هنا في قاع الأمم المتخلفة ، بينما أهل الطاغوت هناك ، حيث الصحة و السعادة و المرح و الإنتاج و الإنجاز و الإبداع و النظافة و الفن و الجمال و الإبتكار و الإكتشاف ، مما يدفع إلي التساؤل عن حقيقة علاقتنا بالرب و هل نحن بالفعل خير أمةً أخرجت للناس؟

و هل يرعى الرب أمته التى أختارها؟ الواقع يقول العكس ، إنه يرعى شعوباً أخرى لا تدين بالإسلام و لا تعرفه ، و كشف لهم عن كنوز علمه دون المسلمين ، فلابد أن يكون السؤال هو: لماذا؟ .. لماذا ....هو السؤال الذي يجب أن يطرحه المسلم على نفسه و ليس على ربه !!

و قد أعفانا الشيخ قرضاوي من مهمة مدى وجوب بقية الزي العربي للمرأة اليوم ، و شرح الشيخ أن المؤمنات كن يذهبن إلى التبرز في الصحراء لأنهم لم يعرفوا الكنف / دورات المياه. و كان يتبع النساء الشباب الذي لا يجد نساء لعله يصيب من إحداهن وطره ، لذلك تم نصح المسلمات بإطالة الجلباب حتى إذا ذهبت تتبرز تفرشه حولها دون الحاجة إلى رفعه فلا يظهر منها شئ حتى تقضي حاجتها ، و بعضهن كن يتسرولن ، لذلك كان النبي (ص) يقول: " اللهم اغفر للمتسرولات من أمتي / الشيخ خليل عبد الكريم / الشدو ٣٩٩ / ٤٠٠ ".

و أفاد الشيخ قرضاوي في تفسيره أن تلك ملابس كانت تناسب زمانها لا زماننا حيث لم يعد عندنا جواري ، و أصبحت الكنف داخل البيوت ، فانتفى شرط إدناء الجلاليب للتميز بين الحرة والأمة ، كذلك أكد على الظرفية البيئية للخمار و هى غير موجودة اليوم. إذن عندنما تغيرت الظروف فإن مجتمع العر ب تغير متحركاً و أنشأ فضائله التى تلائم مطالبه فتغير من جاهلية أولى بدائية وحشية إلى قمة الفضائل في الجاهلية الثانية ، لكن لتفرض ظروف الواقع متطلباتها فتتم العودة من الزمن الإسلامي إلى فضائل الجاهلية الأولى ، و رغم ذلك يعجز المسلمون المعاصرون عن إنتاج فضائل جديدة تناسبهم للتعامل مع عصرهم و تنهض بمجتماعتهم كما فعل هؤلاء الأسلاف على ثلاث مراحل سريعة التتابع مفضلين الإستمرار تحت مظلة فضائل القرن السابع الميلادي و ما قبله في الجاهلية الأولى ، فتضيع منهم البوصلة فيتجهوا بعكس اتجاه التاريخ ، و يرددون فضائل قديمة انتهي مفعولها و زمن العمل بها ، فتأخذهم معها إلى مرحلة أدنى مما حققه الإنسان اليوم ، و بدلا من أن ينشئوا فضائل تناسبهم يستوردون فضائلهم من زمن الجاهلية الأولى و من القرن السابع الميلادي. فيفجرون ويقتلون و يذبحون و يهزوا العالم بغزوتي واشنطن و نيويورك المباركتين. كان الغزو زمن الدعوة رغم عودته لقيم عصر أسبق ، قيمة و فضيلة ضرورية لتوحيد العرب ليشكلوا قوة قوية ضاربة ، كي يخرجوا من جزيرتهم ليملأوا الفراغ العالمي الناشئ عن تهاوي قوة الفرس و الروم بعد حربهم السبعينية ، و ليستعمروا البلاد المحيطة بجزيرتهم بالقوة المسلحة ، حتى أنشأوا إمبراطورية عظمى. لكن أن يتمسك مسلموا اليوم بفضيلة الجهاد فهو الأمر غير المفهوم مع معادلة القوة و الضعف حيث نحن فيها الطرف الأضعف. حتى أن

استعادة مفهوم الجهاد اليوم هو أبلغ تعبير عن هذا الضعف ، إذ أصبح إرهاباً ، و الإرهاب عبر التاريخ هو سلاح الطرف الضعيف دوماً .

لأننا نتصور القوة كما تصورها بدو الجزيرة زمن الفتوحات ، هى قوة القهر و الغلبة لأخذ ما بيد الغير و فرض سيادتنا عليه ، بينما القوة في زماننا تلازمها مجموعة محبوكة من العناصر الإقتصادية و السياسية و المجتمعية ترفع هذه القوة لتعبر عنها ، لذلك فالتصور بأنه بالإرهاب سنحتل العالم كما حدث زمن الفتوح ، لهو تصور شديد البدائية و السذاجة و السطحية.

المسلمون يتمسكون بفضائل انقضى زمنها و لم تعد ذات معنى حتى أنها أصبحت تضر و لا تنفع ، و يلّبس عليهم مشايخهم تلك الفضائل كما في القول بفرض جديد هو الحجاب ، الذى اخترعوه اختراعاً بعد المزج بين نصين قرآنين ، واحد يتكلم عن تخمير الصدرويخص كل المسلمات ، و آخر يتكلم فقط عن زوجات النبي وحدهن فيخصهن بساتر يحجبهن إذا تحدثوا مع الصحابة لأنهن لسن كغيرهن من النساء. و يصرون علي اختراعهم و هذا و يعلونه كفضيلة تصل إلى درجة الفرض.

هذا علما أن الخمار نفسه كان فيه شئ من المغالاة ، لأن الثديين في جزيرة العرب لم يكونا محل اشتهاء ، بقدر ما كانا شيئاً وظيفياً مهمته الإرضاع ، بدليل حديث السيدة عائشة الذي تمسكت به حول رضاع الكبير عشراً ، و كانت تطلب من قريباتها إرضاع من أراد استفتائها في شأن دينه من الرجال. لكننا نسلم بالخمار كتوجيه سماوي لا يمكن الاعتراض عليه.

و لتتميز المسلمة عن غير المسلمة نسمع أن **الحجاب هو مقابل العري** و التهتك في بلاد الغرب لتمييز المسلمة عن غير المسلمة ، لذلك تم الربط بين عدم التحجب إن أرادته مسلمة وبين العرى و التهتك ، لذلك كان شعار (الحجاب عفة و طهارة). لكن ما يرد هذا المعنى و يبطله بالمرة هو أن العري الكامل و التام زمن الصحابة الراشدين لم يكن يستدعي أية عقوبة ، وهو ما توضحه حادثة المغيرة بن شعبة مع أم جميل ، و التى شهدها أربعة عدول من الصحابة شهادة واضحة ، وأن كلاهما كان عرياناً كما ولدته أمه ، وقد شهد ثلاثة منهم أمام الخليفة عمر أنهم رأوا الفعل كاملاً بفخذي أم جميل مرفوعين كأذني حمار وأن المغيرة كان يستبطنها (أى بطنه فوق بطنها) ، و أن خصيتيه كانتا تتأرجحان جيئة و ذهاباً بين فخذي أم جميل ، بما لازم ذلك من شهق و زفر ، و رفع و خفض ، بل أنهم رأوه يدخل عضوه فيها و يخرجه كما الميل في المكلحة. لكن الشهادة لم تكتمل لأن الشاهد الرابع زياد بن أبيه أقر بكل تلك التفاصيل لكنه لم يتمكن من رؤية عملية الإدخال و الإخراج كالميل في المكحلة ، فحكم الخليفة عمر ببطلان الدعوى و أقام حد القذف على الشهود الثلاثة ،

بينما لم يتم استدعاء أم جميل بالمرة كطرف في الجريمة ، و لم تتم عقوبة المغيرة و لا أم جميل بسبب عريهما ووجودهما على سرير واحد فى خلوة بيت مغلق عليهما مع شهق و زفر و رفع و خفض و ساقين كأذني حمار و خصيتين تتأرجحان لكن دون دخول الميل إلي المكحلة. و لا نفهم هنا سر انزعاج مشايخنا من ملابس نساء الغرب حتى دمغوهن بالعري و الفساد و التهتك دون أن يتيقنوا من دخول الميل فى المكحلة هناك ، أليس دمغهم بالعري هو ضرب من قذف المحصنات يستحق الحد الذي أقامه عمر على الشهود الثلاثة بالجلد؟.

يصر سادتنا الكهنة على اختراعهم العجيب (الحجاب) و يصرون على فضيلة تحجيب المرأة دون أن يطلبوا معها بقية فضائل العرب الرواسخ ،

فهم لم يطلبوا حتى الآن فضيلة إعادة هتك العرض للمسبيات ، ولا فضيلة نكاح الإماء بعد شرائهن من من الأسواق ، بل و لا حتى طلبوا إقامة أسواق البيع الحلال للرقيق أبيضاً أ و سودانياً (زنجياً) بحسبانهم البنية التحتية لإقا مة تلك الفضائل في المجتمع .

ولا حتى احتجوا على إلغاء العقوبات البدني كالجلد والقطع والرجم ،

و هو ما يعني أنهم ينتقون من دينهم (لو كان الحجاب ديناً و هو غير ذلك) ، فيختارون ما يريدون من هذا الدين دون فضائل أخرى !! و كأنهم يدينون فضيلة هتك العرض أو كأنهم يستحون منها أو كأنهم قد اختاروا اختيار عالمنا المعاصر فتركوا الرق و السبي و هتك العرض والعقوبات البدنية لزمانهم و ذوق زمانهم و ظروف زمانهم. و إلا فعليهم مواجهة تهمة تحمل كل مسوغاتها القانونية التشريعية هى مخالفة بمعلوم من الدين بالضرورة ، أما إن ارادوا الانتقاء و الإختيار و الفرز من هذا التراث ، فعليهم إسقاط ما يسمونه عقوبة مخالفة معلوم من الدين بالضرورة ، و إعطاء حق الإنتقاء لغيرهم أيضاً.

إن حد الزنا قد وضعت له شروطه الصعبة التي وضعت له خصيصاً دون بقية الحدود ، و هو وجود أربعة شهود عدول يرونه كالميل في المكحلة ، بحسب تفاسير الكبار من لوامع الفقه ، لأنه أشد الحدود و أكثرها قسوة و فظاظة ، كما لو كان يريد أن يجعل إثبات واقعة الزنا أمراً مستحيلاً.

و قد أفزعت هذه الشروط صحابة النبي و خاصة الغيورين منهم ، الذين إن وجدوا رجالاً يعتلون نسائهم و ذهبوا يبحثون عن شهود عدول ، يكون الجاني و الجانية قد قضيا وطرهما و استمتعا بالحرام ثم يفلتا من العقوبة. فإذا رماهما الزوج بالزنى دون تلك البينة المستحيلة أقيم عليه حد عقابي هو حد قذف المحصنات. و قد أرقت

تلك المشكلة كبار الصحابة ، يقول سعد بن عبادة الأنصاري: "والله يا رسول الله إني أعلم أنها (الآية) حق و أنها من عند الله ، لكني تعجبت لو وجدت لكاعاً (زوجتة) قد تفخذها رجل .. لم يكن لي أن أهيجه و لا أحركه حتى آتى بأربعة شهداء ، فوالله إني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته ، فما لبثوا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشياً فوجد عند أهله رجلاً ، فرأى بعينه و سمع بإذنه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله فقال: إني جئت أصلي عشياً فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني و سمعت بأذني ، فكره رسول ما جاء به و اشتد عليه (أسباب النزول للواحدي ص٢١٢ و ٢١٣ و أورده بن عبد البرفي الأستيعاب مجلد ٤ ص ١٠٤٢).

أنصاري آخر هو عويمر بن أبيض العجلاني دخل بيته فوجد رجلاً ممطياً زوجته ، و بقية الخبر أن الزنى قد تأكد ليس بأربعة شهود حسب كتاب الله ، و لكن الزانيتين انجبتا ولدين كل منهما هو الأشبه بالمتهم بالزنى. و لم يكن ذلك دليلاً فهو ليس بأحد القرائن و الشروط الواردة لإقامة حد الزني. هو ما يعني أنه رغم أنهم صحابة و صويحبات رسول الله و أنهم عاشوا الزمن القدسي و في أطهر البقع علي الأرض ، و رغم أن الشريعة قائمة و مطبقة بتمامها و كمالها تطبيقاً ليس له شبيه قبله و لا بعده ، و مع ذلك و رغم كل ذلك ، فإن هذا لم يمنع من الفعل الذي يخشاه مشايخ أيامنا و يطلبون له الحجاب كما لو كان الحجاب أكرم من وجود سيد المرسلين بنفسه أو كما لو أن الحجاب سيمنع ما لم يتمكن نبي الأمة من منعه زمن تطبيق الشريعة.

بل أن مدينة رسول الله كانت تعاني من مشكلة جنسية مستفحلة زمن النبي ، عندما كان ينتهز الرجال القاعدون بالمدينة فرصة خروج الأزواج في جيش النبي للغزو ، ليعتلوا نساءهم في حالة مستحرة منتشرة ، مما كان يهدد الجيش الغازي بتقاعس الرجال عن الخروج ، و البقاء حماية لملكياتهم من فروج النساء ، و لم يجد النبي حلاً للمشكلتين يمكن أن يرضي الناس ، فوضع للمشكلة الأولي حلاً هو **الملاعنة** ، أى أن من يرى زوجته مركوبة لرجل فعليهماأن يتلاعنا ، وسيصيب اللة الجانى من بعد ذلك بلعنتة ، و كان التلاعن يتم في حضرة النبي كأفضل شاهد عدل (أخرجه البخاري و مسلم في الصحيحين و مالك في الموطأ). أما حل المشكلة الثانية التي عرفها التاريخ الإسلامي بمشكلة (المغيبات) أى من غاب عنها زوجها ، فقد لعن الرسول بنفسه من يفعلها و دعى عليه دعاء حارقاً مع التهديد بأن من سيقع بيده من (نبيب التيس) ، و هى الصفة التي أطلقها علي من يزني بالمغيبات ، فإنه سينكل به نيابة عن الزوج المثلوم في شرفه. فهل ما يقوله لنا مشايخنا عن الحجاب ، سيحجب عن بلادنا و بنات المسلمين فعل الطبيعة و نداء الغريزة ، بما لم يحدث ولا حتى

زمن النبي ذاته و بمعرفته و بحضوره و بحضور السماء و الوحي و الصحابة و أمهات المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهيراً ؟!

و إذا كان التزين (**التبرج**) أو العري عندهم مصيبة أخلاقية تستحق العقوبة ، فماذا عن كل تلك الأحداث الجسام زمن الدعوة؟

و إذا كان العري محرماً فهل كان **يجرؤ الخليفة عمربن الخطاب** على كشف ملابس أم كلثوم بنت الإمام علي ابن عم النبي و بنت فاطمة بنت النبي و شقيقة الحسن و الحسين ليرى مدى حسن ساقيها عندما أراد خطبتها؟ و لشدة ما اعجبته أمهرها أربعين ألف درهم (المغني لابن قدامه مج ٨ ص ٦٣) في الوقت الذي كان الخليفة نفسه يشجب ظاهرة المغالاة في المهور ، و لم يكن عمر قد تزوجها بعد عندما وضع يده على ساقيها إنما هو كان بعد يخطبها ، فلا عقد قد تم عقدة ، و لا شاهدان ، ولا إشهار ، فقد أرسلها الإمام علي إليه ليراها الخليفة عن كثب و هو يخطبهما (رواه أيضاً بن عساكر عن عمر و كذلك الطبراني) ، فهل يجوز أن نطرح السؤال الذي طرحه الشيخ خليل عبد الكريم رحمة الله ونور لة قبرة في هذا الموضوع: **"هل يجوز للخاطب اليوم حسب الشرع الذي حمله محمد إلي الناس أن يكشف ساقي مخطوبته و يعاينهما؟ و هل يمكن لأى خاطب أن يقتدي بعمر في ذلك باعتباره من النجوم الذين إذا اقتدى بهم المسلم اهتدى؟** / كتابه مجتمع يثرب ص ٦٠ :٦٤".

لم يبق من مسألة الحجاب سوى كونه تمييزاً للمسلمين عن غيرهم ، و حتى هذه الحجة الواهنة أعفانا من مناقشتها مرجعيتهم الشيخ قرضاوي بقوله: "إن الإسلام يريد للمسلم **أن يكون متميزاً في مظهره** .. إنما المخالفة في المظهر ، ليست من أساسيات الدين / الجزيرة / حلقة الظاهريون الجدد".

و إعمالاً لذلك فإن الدافع النفسي لتنفيذ الأمر بالمخالفة في المظهر ، هو مخالفة عن الدول المتقدمة لإبراز وجودنا بغض النظر عن تقدمنا من تخلفنا ، و الإصرار على هذا الشئ المسمى بالحجاب هو فقط للإعلان بالتميز ، هو أداة إعلان تؤكد للعالم وجود المسلمين في الدنيا ، في عالم لا يرى وجوداً لغير المنتجين المنجزين المكتشفين المخترعين ، لذلك نعلم أنه لا يرانا لأننا لا في العير ولا في النفير ، لذلك نقحم على عيونه رؤية حجابنا و تميزنا بمظهرنا باللحي و الجلابيب القصار ، نريده أن يرانا بتميز مظهري ليس من أساس الدين كما قال شيخهم. و رغم ذلك ذهب شيخهم هذا إلي حد رفع دعوى ضد حكومة فرنسا لمنعها الحجاب في مدارسها.
المهم أننا لا نعلم أننا لا نوجد إلا بالقدر الذي يسمح به المتفوق لنا فيه بالوجود و بالظهور فهم من يمتلكون أدوات و آليات و أجهزة الظهور و الوجود.

إذن لم يكن هناك حجاب بالمعنى المفهوم اليوم ، و كان ضرب الخمار على الجيب و إطالة الثوب لدواعي أمنية فرضتها ظروف هذا المجتمع حيث لا شرطة و لا قانون ، و عندما تتجول اليوم داخل جامعة القاهرة ، أو داخل المترو اليوم ستجد أكثر الإعلانات وضوحاً و تكراراً و هو أن الحجاب عفة و طهارة ، و هو إعلان بغض النظر عن عمدة لإهانة غير المحجبات و إتهامهن بعدم العفة و الطهارة ، فإنه إعلان يؤذي الإسلام نفسه في أمهات المؤمنين ، لأنهن وحدهن من ضرب عليهن الحجاب دون نساء العالمين وهن بنص الآيات لسن كغيرهن من النساء ، فهل كان ضرب الحجاب عليهن لأنهن كن غير عفيفات و لا طاهرات و هن سيدات الدنيا و الآخرة؟ إنهم وهم بسبيل حجب العقل في بلادنا لا يتورعون عن التمادي بعد اختراع ما يسمى بالحجاب ، إلى إهانة أمهات المؤمنين بشعارهم الإعلاني الذي هو بكل المقاييس خطيئة حقيقية من العيار الثقيل. و لا حل معها سوى الاعتراف أن الحجاب لم يقصد به حماية الأخلاق و لا طلب الفضيلة ، فلا يعقل أن تكون نساء النبي أمهات المؤمنين غير فاضلات حتى يجبرهن النص القرآني على التزام الفضيلة بالحجاب ، و هن الفاضلات القانتات العابدات المؤمنات أمهات كل المسلمين بما في الأمومة من كل معانى الطهارة و السمو.

فإذا انتهينا إلى أن الحجاب كما هو معلن عنه اليوم لم يكن شيئاً معلوماً في ديننا و لا في تاريخ الدعوة و الراشدين ، و إذا كان المطلوب من المرأة تخمير صدرها فالسوستة و الأزار تقوم مقام ذلك اليوم ، و لم يكن المطلوب تخمير الرأس بحسبانها عادة قديمة لم يقل فيها الإسلام رأيه ، و كما أن الزمن قد جعل المسلم يتخلى عن العمامة و كانت العمائم هى تيجان العرب ، كعادة لم تعد مطلوبة ، فهو ذاته ما ينطبق على تخمير الشعر و الرأس بالنسبة للمرأة كعادة انتهى زمنها و بيئتها ، ناهيك عن كون الحجاب و اللحية لا يغيران القلب و لا يطهران الروح ، فإذا كان الدين غايتهم فليحدثونا عما يطرق الروح و يلمس القلب و يطهر النفس و يأخذ بيد المسلمين نحو الحضارة بدلاً مما يرزحون تحته من تخلف مقيت.

إن مشايخ اليوم يفرضون على المسلمات شيئاً مزوراً اسمه الحجاب و يضعونه ضمن فروض الدين و هى الزيادة في الدين التى يتم بها تعريف البدعة المكروهة. و حتى لو ذهبنا مذهب مشايخنا بالفرض الجدلي ، نجد أنهم يفرضون على مجتمعنا فضيله. (إن كانت كذلك) تم وضعها لزمن غير زماننا و لبشر يختلفون عنا و لمجتمع مباين بالمرة لمجتمعنا بالكلية ، و في ظروف غير ظروفنا ، و مكان لا علاقة لنا به في عاداته و تقاليده و نظمه من قريب أو بعيد ، إلا في كونه مكاناً توجد فيه مقدساتنا الجغرافية ليس أكثر.

إذن ، و إعمالاً لما سلف ، تصبح المهمة الأهم هى تحصين ديننا عن الانتهازية لكل من أراد مصلحة أو صراعاً سياسياً ، ليستخدم ديننا فى تحقيق مآربه التى عادة ما تكون بعيدة عن الدين و أغراضه و مراميه ، بل ربما تكون ضد مصالح بني الله في الأرض من مواطنين بسطاء و يتم تجييشهم ضد مصالحهم بل و ضد مقاصد دينهم بدينهم نفسه. عن طريق المحترفين و الوسطاء الأنتهازيين الذين لا يرعون لديننا حقه من احترام و توقير.

و من أوليات هذا التحصين لديننا من اللعب به ، إبعاده عن مزالق الصراع السياسي و آلياته التي لا تحترم أى فضائل ، إنما فقط تحترم المصالح التي هى محل الصراع الحقيقي ، و ضمن هذا التحصين يجب أن نعترف جميعاً أن الفضائل هى منتج الجماعة ، و أنها منتج بشري متطورة متغيرة بتطور الزمان و تغير المكان ، و أنها منتج بشري و ليست منتجاً إلهياً ، لأنها لو كانت ذات منشأ إلهي ، لمنحها الله لعباده كجزء من خلقتهم الغريزية ، و إما أن الله قد أهمل خليقته فخلقها منزعة الفضائل ليبلونا و يختبرنا ، و في هذه الحال لن يبقى معنى لتعبير القرآن (و لقد كرمنا بني آدم) ، كذلك لا يمكن تصور أن الله خلق بني آدم و نسى مسألة الفضائل و لم يتذكرها إلا عند إرساله آخر أنبيائه ، (و ما كان ربك نسيا).

هذا بينما الفضيلة منتج إجتماعي ينشأ في المجتمع كنتيجة لقصور هيمنة السلطات على كامل سلوك الأفراد سراً و علانية ، خفاء و جهراً. فإن أمكنها السيطرة على السلوك غير المرغوب العلني و ردعه و عقابه بقوانين الجماعة ، فإن ما يتم فعله في الخفاء هو الأكثر وقوعاً و الأكثر ضرراً لسريته ، و مع ذلك لا يستتبع ذلك العقوبة المادية القانونية لعدم توفر الأدلة. لهذا قامت الجماعة تصنع لها رادع يتم تكوينه في الطفولة مع الأسرة ، حيث يبدأ الضمير في التكوين و التشكل وفق ما تراه الجماعة سلوكاً فاضلاً أو رذيلاًو يصبح الضمير المتشكل وفق رغبات الجماعة هو سلطة ردع داخلي معنوية تسير جنباً إلى جنب مع سلطة الردع السلطوي المادي.

و هذا الرادع المعنوي سيقوم من بعد بتمييز الفضائل وفرزها عن الرذائل حسبما عرفها المجتمع ووضع لها مواصفاتها ، و يصبح الضمير هو سلطة الجماعة الداخلية كضابط لسلوك الأفراد بما يوافق مطالب المجتمع ، ليصبح (ملتزماً) أدبياً و معنوياً بدستور خفي ينوب عن المجتمع يتم زرعه في الطفل منذ مولده لصالح المجموع.

و يترتب على هذا أن نفهم أن القواعد الأخلاقية التى تميز الفضيلة عن الرذيلة كانت سابقة للدين في الوجود ، لأنها نشات مع أول تشكيلات إجتماعية بشرية في أبسط

صورها. و إذا كانت الشرطة هى من يقوم بمراقبة السلوك العلنى للأفراد ، فإن من سيقوم بمراقبة الضمير لضمان عدم انحرافه لابد أن يكون بدوره شيئاً خفياً كالضمير و من نوعه اللاحسي. و من ثم قامت الجماعات تنسب ما تواضعت عليه من أخلاقيات تحقق مصالحها ، إلى أربابها الخفية و التي أهم ما بها هو حماية المجتمع بحماية الفضيلة. فراعي الأخلاق يحب أن يكون من غير طينة المادة ، يجب ألا يكون ملموساً محسوساً ، يجب أن يكون بغير شبيه أو مثيل ، ليقوم الخيال البشري بمحاولة تصوره كقوة عظمى يمكنها معرفة ما بداخل الصدور و لا يمكن لأى صورة لهذه القوة أن تتطابق مع صورتها المتخيلة لدى فرد آخر ، لعدم وجود أى معطيات مادية تساعد على تكوين الصورة المتخيلة ، لهذا تكون هذه القوة الخفية هى المجهول ، و لذلك كان مذهب الفيلسوف عمانويل كانط أن وجود الله كفرض نسلم به كضرورة ، لأن الله هو الضامن للنظام الأخلاقي ، و هذا النظام الأخلاقي هو الدال عليه. هذا بينما بشرت السنوات الأخيرة في عمر الإنسانية بظهور فضائل إنسانية عامة لا تنشغل بثواب أو عقاب ، إنما هي فضائل نفعلها لذاتها و لجمالها و لخيريتها مع أى إنسان بغض النظر عن لونه أو دينه أو جنسه ، فضائل لا تريد مقابلاً سوى وجه الإنسان الكريم. كناتج ضروري لتواصل العالم حتي أصبح قرية واحدة فاحتاجت عقداً أخلاقياً جديداً يتناسب مع ما وصلت إليه مادياً و علمياً.

زمان عندما كنا نحن السادة ، كنا نفرض على غير المسلمين الغيار و المخالفة في الملبس كي نفرزهم عن المسلمين ، و عندما سقطت سيادتنا و لم يعد بيدنا قدرة إلباس العالم كله ملابس نميزه بها عن المسلمين ، فقد قررنا من جانبنا التميز بملبس خاص بنا استدعيناه من عمق الماضي لا هو حجاب كحجاب نساء النبي و لا هو خمار كخمار الصحابيات ، هو شئ اخترعناه بخلطة هجينة بين شأنين لا يلتقان ، نحن نريد المخالفة في المظهر لإثبات أننا موجودون و أ ننا متميزون ليس بقدرمساهمتنا في حضارة الإنسان و لكن بالحجاب. هذا ناهيك عن الجانب النفسي الذي يشعر بالفراغ و اليتم العالمي ، بحيث يشعرون عندما يرون زيهم المتشابه أنهم قوة و هم كثر و أنهم ليسوا وحدهم ، و كرمز لكل الفضائل العربية المتعلقة بالشرف و الطهارة السلوكية ، بغض النظر عن الواقع العملي لهذا الشرف و تلك الطهارة.

إن مشايخنا و دكاترة أزهرنا و جامعاتنا تركوا تفسير الطبري و النسفي و ابن كثير و الرازي و الزمخشري و غيرهم من أعمدة التاريخ الإسلامي بعد ظهور العلم الحديث ، و اضطروا إلى محاولة إعادة تفسير نصوص الدين بما يلائم المكتشفات الجديدة ، مما يعني أن القديم قد أثبت فشله اليوم ، فلماذا يصرون على قديم الخمار الذي كان مجرد زي له ظرفه البيئي ، و لا يبحثون عن جديد يتناسب مع وضع

المرأة في عالم اليوم حتى يجعلوا من الإسلام ديناً عالمياً حقاً يقبله الجميع و يناسب الجميع .

سألوا الشاعر الحطينة و هو في نزع الموت في العقد الثاني للهجرة: ما تقول في مالك؟ قال: **للأنثى من ولدى مثل حظ الذكر**. قالوا له: ليس هكذا قضى الله ، فقال: و لكني هكذا قضيت. أن حكومتنا بجلال قدرها و مجلس شعبها الموقر لم يستطيعوا أن يقولوا و لو مرة واحدة يتيمة في وجه سلطان المشايخ و الأخوان "و لكني هكذا قضيت" كما قال الحطيئة . و في شأن أهون بكثير من الميراث ، هو في شأن قطعة قماش مخترعة و لا أصل لها في دين المسلمين.

الإسماعيليون و الموحدون و القرامطة رفضوا تعدد الزوجات و جعلوا الزواج الأحادي هو الشرع الإسلامي السليم ، و نحن نضرب بموقف وزير الثقافة حائط الحريات ، و نفتي جميعاً بالحجاب كفرض ، فنكذب على الله و على أنفسنا و على المسلمين البسطاء الطيبين ، في تجارة سياسية منكرة كثيراً ما افترت على ديننا الجميل الواقعى الأكثر اعترافا بحاجة الأنسان ، الذى هو يسر وليس عسراً.

عندما تتحول فضائلنا و قيم ديننا إلى مظهر مادي يتمثل في لحية أو جلباب قصير أو حجاب أو خمار أو نقاب ، يكون المسلم قد تحول عن الإيمان الصادق إلى الإعلان المنافق ، الإعلان عن نفسه أو عن نفسها كأرقى من بقية المجتمع ، طالبة من المجتمع الإعتراف بطهارتها و نقاوتها و عفتها و شرفها بسبب هذه القطعة من القماش. و هو حسبما يرى علم النفس لون من الآليات الدفاعية عندما تكون الحقيقة الباطنة غير الإعلان ، فلا أحد يدفع عن نفسه جريمة طوال الوقت دون أن يسأله أحد عن جرمة ، فإن فعل فسيكون مرتكباً للجريمة أو مشتهياً لها لدرجة تحققها الداخلي.

عندما تتحول الفضيلة عن جانبها الداخلي المعنوي السري اللاحسي لتلبس الأزياء و موضات و إعلانات محال الأزياء المحجبة ، عندما تصبح الفضيلة مظهراً دون مخبر ، كما حدث في بلادنا مع عودة القادمين من بلاد بن عبد الوهاب. أصبح المعلن فضيلة محجبة و ملتحية و أصبح السر هو مساحة كل مباح ، و تمت إباحة الجرم مادام يحدث في الخفاء عملاً بالأحاديث: "إذا بليتم فاستتروا" ، "لا تجهروا بمعصية" "من ستر مؤمناً في الدنيا ستره الله يوم القيامة".

و لأن العمود الأساسي في المبدأ السني الحنبلي هو "أنه لا يدخل ابن آدم الجنة بعمله" إنما يدخلها بأداء الطقوس و الالتزام بالمظاهر التعبدية و برحمة ربك ، في حديث منسوب لنبي الإسلام؟ أى بأداء المظهر بغض النظر عن عفن المخبر ، و

الكل يعلم بما يحدث في السر ، و الكل يتجاهل أنه يعلم ، المهم أن تمارس لعبة الإخفاء فلا تقع في جرم مشهود ، فيذبحك الآخرون ممن أتقنوا فنون لعبة الخفاء.

و عندما يصبح الالتزام الأخلاقي في بلاد المسلمين وسيلة تجارة و كسب مادي بأن تشتري لسيارتك من "**قطع غيار الإسلام**" و تأكل في "**مطعم الرحمن**" و تنتمي إلي " حزب الله " و تشرب "**مكة كولا** ملتزما" ، بإعلانات لا تستحي لا من الدين و لا حتى من رب الدين. و عندما يصبح الدين في السياسة أو في التجارة ، فإن الفضيلة تكون قد ماتت و تعفنت و يكون الضمير قد أصبح جيفة ، و يكون رب الدين نفسه كحامي للأخلاق و دال عليها ، قد سئم ما وصلت إليه أحوال عباده ، فتركهم حتى يلقوا مصير أمم سادت ثم بادت.

إن مشايخنا و إخواننا الأخوان و أذرعهم الضاربة و هم يمارسون السياسة و يضعون الكرسي الأعظم في الوطن كهدف إستراتيجي ، يلعبون بديننا ، و يضيفون إلى دين الله ما لم يكن فيه فيبتدعون بدعاً هى المكروهة بنص الحديث ، لأن البدعة المكروهة هى الإضافة إلى الدين و الزيادة فيه ، و يفرضونها فرضاً على المسلمين لإثبات أن المسلمين قد أصبحوا أكثر طاعة للمشايخ من طاعتهم لله ، إنهم كما طالبوا محاكمة المفكرين بتهمة إزدراء الأديان ، **فإننا نطالب السادة الكبار في هذا الوطن بإعلان بقرار بتنفيذ فوري يلغي الحجاب ، و يحاكم من ابتدعه في ديننا بتهمة إزدراء الإسلام** ، و إن أردنا حقاً صيانة ديننا و دنيانا فيجب عدم أخذ هذه الدعوة باستخفاف ، بل ربما أرجوأن تؤخذ مأخذ الجد ، و ساعتها يمكن لنا أن نأمل بأننا سوف نخرج من الثقب الأسود الذي التهمنا ، و أننا سوف نتمكن من اللحاق بآخر قافلة مغادرة نحو النور.

قمة الـ١٧

في انتصارات سريعة كاسحة , تمكنت أسراب الجيوش العربية من احتلال العراق وفلسطين والشام , استخدم فيها الغزاة القوة والقسوة المفرطة , وهو تعبير حديث مخفف عن المجازر والمحارق الهائلة التي نفذها الغزاة بحق شعوب البلاد الموطوءة , مع عمليات نهب يندر في التاريخ الإنساني مثلها , إضافة لنموذج تلك الجيوش الفريد في استباحه الأعراض وسبي الذراري والنساء في مواقع كثيرة حاول فيها اهالي البلاد المفتوحة الدفاع عن ممتلكاتهم أو أعراضهم.

وفي يوم تاريخي استتب فيه الشأن ليثرب , لتتحول من موطن لتجمعات قبلية الي عاصمة لأمبراطورية في زمن قياسي , اعلن الخليفة **عمر بن الخطاب** عقد قمة للنصر , دعي اليها كل من عبد الرحمن بن عوف , والزبير بن العوام , وطلحة , وبلال بن رباح ومعاذ وعلي بن ابي طالب وابن عمر، والسبعة كلهم من قريش , اضافة الي خمسة من الأوس ، ومثلهم من الخزرج ، ممثلين للانصار ، لتنعقد في جبين التاريخ القمة الإسلامية الثانية بعد قمة السقيفة..........**هي قمة الـ (١٧)**.

ان اجتماعا بمثل هذا المستوي الرفيع , وبمثل القدسية المشتملة تحت اسماء حضور القمة ومكانتهم في الدعوة ومكانهم بين العرب :

□ لاشك كان لبحث مسئوليات جسام بعد تلك الفتوحات الميمونة المباركة.

□ و أيضا لاشك أنه كان بغرض هدف عظيم من أهداف الدعوة والأمة والدين.

□ و ايضا لاشك بالفرض الحتمي ان اجتماعا بهذا المستوي كان سيضع نصب عينيه تداول ما تم انجازة من اعمال الجهاد , وتقييم تلك الأعمال ، لدرس ما امكن تحقيقه من اهداف سامية مقدسة.

□ و أيضا لاشك بالفرض انه كان علي جدول الأعمال النظر في مختلف الطرق لإبلاغ العالم كله بالدين العالمي الجديد , وتبليغ البشرية في كل المعمورة باهدافه السامية ومقاصده الشريفة وتفاصيله النبيلة. ترغيبا لسكان العالم للمسارعة في اللحوق به.

□ بالفرض أيضا لابد ان تكون القمة قد أدرجت علي بنودها مناقشة امكانية تشكيل لجان متفرغة من كبار الصحابة الأجلاء , لكتابة المصاحف التي ستحتاجها البلاد المفتوحة ليعرف اهلها تفاصيل دينهم الجديد , مع لجان أخري تكون من مهامها القيام بوضع الشروح والتبيان والترغيب

 بالفرض كذلك ربما لا يفوت هذه القمة مدارسة إمكان افتتاح كتاتيب في البلاد المفتوحة , وتزويدها بالفقهاء والمعلمين المتخصصين من صحابة رسول الله , كرامة لهم وكسبا للثواب. وربما أمكن التفكير في تشكيل لجان تقوم بنسخ المقدس الاسلامي وترجمته ,

 مع تكليف فريق آخر للقيام بمهمة الوعظ والارشاد في البلاد الموطوءة , وان يعملوا بقوت يومهم فقط , رغبة في الثواب الأعظم عند الله تعالي.

 ربما أيضا لو اتسع الوقت في هذا الاجتماع التاريخي , وما أوسع الوقت أيامهم , ان يتم وضع الخطط لإقامة المعاهد الإسلامية في مكة والمدينة لاستقبال البعثات الوافدة من البلاد الموطوءة ، طلبا للتفقه في الدين ودرس اللغة العربية واصولها ، وهو ما يستتبع التفكير في توفير سبل الإقامة لهم بانشاء مدينة للبعوث القادمة من بلاد الكفر الي الأرض المقدسة , حتي يعودوا الي بلادهم مسلمين صالحين عارفين مجتهدين , مع امكانية فتح فروع لمعاهد الجزيرة في العواصم المفتوحة , للقيام بذات المهمة السامية الشريفة.

 وبالفرض ايضا كان لابد ان يدرج علي جدول اعمال هذه القمة ، بحث تأهيل العاصمة لاستقبال ابناء الطبقات الأرستقراطية في البلاد الموطوءة ، لتثقيفهم بالإضافة الي الدين باصول البروتوكول العربي والإتيكيت والأدب الإسلامي ليتأدبوا بأدبه , ليكونوا عند عودتهم الي بلادهم سفراء للعرب وللاسلام. كما كان يفعل الفراعنة عندما كانوا يأخذون أبناء الملوك والارستقراطية الي مصر , ليثقفوهم بثقافتها فيربونهم بالقصر الملكي مع الحاشية الملكية ، لاحداث تقارب ثقافي يضمن ولاء الاجيال التالية لمصر عندما يعودوا حكاما علي بلادهم , مما ينتهي الي تعايشهم معها في سلام. وقد كان العرب علي اتصال بتلك الحضارات المحيطة ببلادهم , وكانوا يرسلون أبناءهم قبل الاسلام لتلقي المعارف في بلاد تلك الحضارات ، فعلموا سيرتها ومناهجها , فكانوا يذهبون للدراسات الأولية في مدرسة جنديسابو الشهيرة. ليلتحقوا من بعد بالتعليم العالي في جامعة الإسكندرية المصرية الأشهر , وقد وصلنا من كتب السير والأخبار أسماء لعرب أثرياء درسوا في تلك المعاهد والجامعات ، مثل : النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط اللذين تم قتلهما أسري في وقعة بدر الكبري , وهو ما يفيد بمعرفة العرب بشأن المدارس ومعاهد العلم ولم تكن شأنا مجهولا لديهم.

 علي جدول الأعمال لابد أن نفترض بنودا وضعت نصب أعينها أهداف هذا الدين القيم لجلوها نبيلة مضيئة خلابة , كاتخاذ الإجراءات السريعة الكفيلة برفع الجور والظلم عن كاهل الشعوب المفتوحة , التي عانت كما تقول كتب التاريخ

العربي من ظلم حكام الطاغوت فرسا وروما , بإقرار العدالة في تلك البلاد وترسيخ المساواة والإخاء بين شعوب الإمبراطورية ، تحقيقا لمبدأ "كأسنان المشط" و إعمالا لقول النبي "كلكم لآدم , وآدم من تراب" ، بدءا بتخفيض الجباية عما كانت علية زمن الطواغيت لرفع المعاناة عن المعوزين والضعفاء. ثم تأسيس المساواة بتحرير عبيد البلاد المفتوحة المستذلين ، مما يكسب الفاتحين صيتا يليق بدين الحرية والإخاء والمساواة والعدل بين الناس , لتحقيق مبدأ لا فضل لعربي علي أعجمي ، وهو أمر يسير لن يخسر العرب معه شيئا.

□ كان محتما أيضا ان يتذكر حضور القمة خاصة الاعضاء القرشيين السبعة ، معاناة مهجرهم من مكة الي المدينة , ومؤآخاتهم مع الانصار باقتسام الطعام والمسكن والزوجات ، فيرفقون بأبناء الشعوب المفتوحة لتجنيبها مرارة التجربة التي خاضها الصحابة الكرام البررة ، احقاقا للعدل , باعادة توزيع الثروات بين الناس في تلك البلاد وفق المبدأ الاسلامي الرفيع في المؤآخاة , دون أن يخسر الفاتحون شيئا , بل أن كسبهم لدينهم ومبادئهم هو النتيجة المحتومة ، وحتي تكتسى الدعوة الاسلامية النزعة الانسانية التي تبين فضل الاسلام علي غيره من الأديان , مع تبيان فضل الاستعمار العربي علي غيره من ألوان الاستعمار الشركي الطاغوتي , تحفيزا لهذه الامم للدخول في دين الله افواجا.

كل هذه الفروض البسيطة التي تؤكد الدين وتنشر قيمة لم يكن أيا منها علي جدول أعمال هذه القمة القدسية المشرفة!!!

فلم ينشغل الأعضاء لا بإرسال القرآن ، ولا الشراح ، ولا الدعاة , ولم يخطر لأحدهم استجلاب البعوث لمكة والمدينة لتلقي العلم , لانه وحتي بعد انجلاء هذا الاجتماع التاريخي , وحتي زمن طويل بعده , لم يرد من البلادة المفتوحة الي الحجاز سوي الذراري والسبايا الحسان ، لركوبهن... وليس لتفقيههن في الدين. بينما ذهب ملوك العرب وامراؤهم في زماننا هذا ليتلقوا العلم في بلاد الغرب , وتخرج أكابرهم من أكاديميات كبري مثل سانت هيرست في بريطانيا ، ولم يركبهم أحد هناك ، علي الأقل فيما هو معلوم ومعلن!!

هنا فجوة كبري هائلة بين تصوراتنا اليوم وبين تصورات ذلك الزمان البعيد ومفاهيمه , لان كل الافتراضات المبنية علي مفاهيم اليوم حول ما كان واجبا أن تهتم به قمة الـ (١٧) ، لم تكن في مخزون العربي الثقافي في تلك الازمان.

و يزداد ابتعاد المفاهيم الاسلامية عن تلك الفروض عندما نتذكر ان ذلك الذي حدث كان في القرن السابع الميلادي , قد حدث في مكان من نوع خاص ، وانه لم يحدث

في روما وقوانينها ولا فى اثينا وديمقراطيتها ولا في الاسكندرية وعلومها ولا في بيروت وابجديتها ولا في جنديسابور ولا في نينوي ، وانما كان في بلاد كان اهلها يأكلون بعضهم ويغزون بعضهم ويركبون بعضهم ، حتي جمعهم الاسلام محولا طاقاتهم العنيفة نحو خارج الحجاز، ليأكل بهم كنوز كسري وقيصر حسبما أكد الحديث النبوي التنبؤي.

لقد كانت قمة الـ(١٧) قمة هامة بلا شك بل هي القمة الثانية في تاريخ الصحابة بعد قمة السقيفة , كانت قمة مصيرية تأتي بعد الفتوح والانتصارات لتتوجها , وهي بمعني من المعاني تعادل في ظرفها الموضوعي ، قمة الحلفاء بعد انتصاراتهم في الحرب العالمية الثانية , و لكن في زمن مختلف وثقافة مختلفة ، بل ان العرب كانوافى زمانهم يتخلفون درجات عظمي عن ثقافة ناس زمانهم في محيط الجزيرة الحضاري الذي احتلوه.

فقد اثمرت قمة الحلفاء المنتصرين في ١٢ اغسطس عام ١٩٤٩ ميلادية عن اتفاقيات ومواثيق لحماية الإنسانية من حروب أخري ، وعن الأمم المتحدة , وعن مواد في مواثيق جنيف , ومنها المادة (١٤) التي تؤكد انه "لأسري الحرب حق احترام اشخاصهم وشرفهم في جميع الاحوال ويجب معاملة النساء الأسيرات بكل الاعتبا" , والمادة (٣٤) التي نصت علي أن "يترك لأسري الحرب حرية كاملة في ممارسة شعائرهم الدينية الخاصة بعقائدهم , كما تعد لهم اماكن مناسبة لاقامة شعائرهم الدينية". وهو ما يضمن للمهزوم الحفاظ علي دينه وشرفه وعرضه ، وان من قرر ذلك هم المنتصرون الذين اتبعوا ذلك بمشروع مارشال لدعم المهزومين علي كل المستويات ، لإعادة تعمير مادمرته الحرب في البلاد المهزومة.

اذن ومع مراعاة فروق الزمن وفروق الثقافات يمكن مراجعة مادار في هذه القمة التي حضرها اشخاص مقدسين في تاريخ الاسلام ، خاصة التيار السني الذي يري نفسه نهاية واكتمال كل حضارة سامية ونبيلة ممكنة.

كان علي جدول أعمال قمة الـ (١٧) أربع بنود فقط تلخص موقف العرب الفاتحين ومفاهيمهم وطريقة تدينهم وتقواهم، أربع بنود كان سببها اربع رسائل وصلت الي الخليفة العادل عمر بن الخطاب. وهي علي الترتيب:

البند الاول: كتاب سعد بن أبي وقاص الي الخليفة ينبئه بأن الناس (أي العرب الفاتحين) قد سألوه أن يقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم.

البند الثاني كان كالأول كان مدارسة كتاب أبي عبيده بعد فتح الشام يخبر الخليفة ان المسلمين الفاتحين قد سألوه أن يقسم بينهم "المدن وأهلها" ؟؟!!

البند ثالثا مثل أولا وثانيا ، فكان طلب الجند الموفدين من الجيش الفاتح للعراق بنصيبيهم. ومثل أولا وثانيا وثالثا كان

البند رابعا ، كان مدارسة طلب بعض الصحابة أن يقسم الخليفة الأرضيين المفتوحة علي الصحابة كما كانت تقسم غنيمة العسكر , كما حدث في خيبر.

الملحوظة التي تفرض نفسها هنا أن الرسائل الاربعة قد أجمعت علي الكلام نفسه ، وعلى المطاليب ذاتها. من كان بالشام أرسل يطلب ما طلبه من كان بالعراق , ولم يكن عندهم موبايلات ولا وسائل اتصال بينهم ليتم الاتفاق علي هذه المطاليب بهذا التوافق الدقيق , وهو ما يفصح عن كون هذه المطاليب كان من المسائل المنتهية ، المتفق عليها سلفا ومفروغا منها لأنها قواعد جهادية عسكرية تم تطبيقها من قبل , وان تقسيم الأرضيين هو شرع وسنة عن النبي كما فعل في توحيده بلاد الحجاز وخاصة ما حدث في خيبر.

لكن ذات الصحابة قد خاضوا مع نبيهم فتح مكة , وكان أهلها هم الطلقاء؟ فلماذا لم يتصور أيا من الصحابة في مصادرهم الاربعة إمكان معاملة البلاد المفتوحة بمادة مكة؟ خاصة اذا اخذنا بالحسبان ان شعوب البلاد المفتوحة حتي الفتح كانوا هم الاقرب الي صحيح الدين بالمفهوم الاسلامي ، فقد كان معظمهم علي آخر ديانة سماوية رسمية هي المسيحية , اي كانوا علي الدين الصحيح حتي زمن الفتوح , بينما كانت مكة أكبر معقل في العالم حينذاك للوثنية والجهل والتوحش.

كانت العدالة تفترض معاملة أهل البلاد المفتوحة معاملة مكة مع ما فرضه الله علي مسلميه من المودة والرحمة للقسيسين والرهبان , وكان للنبي فيهم يهودا ومسيحيين صهرا ونسبا ، بل ونالت مكة ميزات اضافية فبعد اطلاقهم سالمين بأوامر الاخ الكريم وابن الاخ الكريم (ص) , فقام النبي يشتري ايمانهم بالمال تألفا لقلوبهم , فلماذا اختار الفاتحون لبلادنا القتل والذبح والاسر والسبي والمغانم والفيء ، ولم يختاروا لنا مادة مكة ولم يتألفوا قلوبنا بالمال؟ لماذا لم يشترونا ؟؟؟؟ وهي بالاضافة لكونها سنة نبوية ونموذجا من نماذج الفتح المطروحة ، هي ايضا فرض علي المسلمين حسب نص الآيات؟

لقد عامل الفاتحون أهل الكتاب في البلاد المفتوحة معاملة أشد سوءا وبشاعة وقسوة , كان موقفهم بعيدا حتي عن قواعد العدل في الحرب حسب الشريعة الاسلامية نفسها، حتي ذلك الوقت كنا أولي بمادة مكة لا بمادة خيبر , حتي لا يحسب الناس الأشرار ان اطلاق الوثنيين المكيين وشراء ايمانهم ، كان لسبب عاطفي اوعنصري لقرابتهم من النبي. كان العدل هو معاملة البلاد المفتوحة بمادة مكة حتي لا تحسب

عصيبة قبلية لا علاقة لها بالدين وكرامته..... **لقد كانت حكاية إنقاذنا من الظلم علي يد العرب هي اكبر كذبة شريرة في التاريخ الأنسانى كلة.**

كان هذا هو جدول أعمال قمة الـ (١٧) , ولم يسجل ان أحدا في هذا الاجتماع قد تقدم بطلب احاطة عن الفرد المسلم ، والمرأة المسلمة ، والمجتمع المسلم ، وأحوالهم في البلاد الموطؤة , وهو ما يطلبه كل المشتغلين علينا بالدين في أيامنا هذه. يريدون لنا : الفرد المسلم و المراة المسلمة ،والمجتمع المسلم ، ان الأخوان المسلمين يطلبون لنا ما لم يطلبه لنا الصحابة الأجلاء في زمن الاسلام الذهبي.

لقد كان الخليفة عمر بن الخطاب يعادل في زمنه الرئيس الامريكي جورج بوش اليوم , لكنه كان زمانا له قيمة المختلفة , التي حملها شعب لا علاقة له بالحضارة خرج من بيئة متبدية وثقافة بدائية، زمن لم تكن فيه امم متحدة لتراقب ، ولا مجلس أمن ليحاسب ، ولا ضمير عالمي قادر علي اعلان صرخته الاحتجاجية.

كانت قمة الـ (١٧) اجتماعا يليق بزمانها وبأصحابها , اصحابها الذين نسوا تماما وبالمرة الهدف الذي كانوا يفتحون البلاد من أجله ، وجلسوا يتباحثون في توزيع الارضيين والبشر اطفالا ونساء والبهائم بينهم فيئا.

قد يذهب حسن الظن بالقارئ هنا الي أن الفاتحين قد فتحوا البلاد ثم جلسوا هناك ينتظرون موافقة قمة الـ (١٧) لينالوا فيئهم وغنائمهم , و هذاهو الخطأ نفسه ،لان الفاتحين قد نالوا غنائمهم علي أرض المعركة فورا مع كل موقعة ومع كل مدينة ومع كل قرية ومع كل رجل أو امرأة أو حتي طفلا. لقد كانت مطالبهم أبعد من ذلك , كانت مطالبهم بعد كل ما غنموه وسلبوه وسبوه هو الارض بمن عليها , كانت مطالبهم قسمة الارضين عليهم بعد أن أفاءها الله عليهم بسيوفهم.

يحكي (أبو هريرة الدوسي) ما أصاب الصحابة من الدهش والحيرة والفجأة لما أصبح بين أيديهم , فيقول:" قدمت من البحرين (ساحل الاحساء حاليا) بخمسمائة ألف درهم , فأتيت عمر بن الخطاب (رضي) ممسيا , فقلت: يا أمير المؤمنين اقبض هذا المال. قال: كم هو؟ قلت خمسمائة ألف درهم , قال: أو تدري كم هي الخمسمائة ألف؟ قلت : نعم , مائة ألف خمس مرات , قال: أنت ناعس , اذهب الليلة فبت حتي تصبح. فلما أصبحت أتيته فقلت: اقبض هذا المال , قال: وكم هو؟ قلت خمسمائة ألف درهم , قال: أمن طيب هو؟ قلت: لا علم لي بذلك، قال الخليفة: أيها الناس قد جاءنا مال كثير , فان شئتم أن نكيل لكم كيلنا , وان شئتم أن نعد لكم عددنا / أبو يوسف , الخراج ٤٩".

كان هذا المال قادما من منطقة هي الاشد فقرا في الجزيرة ، وليست بغني بلد كالعراق أو الشام ، فقد غنموا بعد ذلك ما كان يصيب بالبهتة , فجاءوا من خزائن كسري بثلاثة ألاف ألف ألف ألف دينار , ووجدوا بالقصر من التحف والأمتعة ما لا يقيم بمال ، من ثياب منظومة بالجواهر الي حلل مكللة بالديباج منظوم فيها الؤلؤ.

هذا غير ما غنمه المحاربون الفاتحون مباشرة بالاستيلاء عليه ، فكان جيش سعد بن أبي وقاص من ستين ألف فارس أصاب كل فارس ثنتا عشر الفا , ثم أن سعدا بعدما أصاب أهالي البلاد المفتوحة الذعر !!!! ، فتفرقوا هاربين بجلودهم فزعا ، قام فقسم المنازل والدور بين رجاله وأنزل العيالات (القبائل الزاحفة من الجزيرة لخير الفرات) في الدور فأقاموا بها ، وهو ما يذكرنا بحكاية دير ياسين وقيبة وكفر قاسم , نفس الممارسة ردا علي ذات الفعال. انها ثقافة البداوة المقدسة المعلومة عند كليهما..... أليسا بنى عمومة ؟ وإن العرق دساس كما قال النبى محمد.

عن موسي بن يزيد قال: " حمل أبو موسي الاشعري الي عمر بن الخطاب (رضي ألف ألف , فقال عمر: بكم قدمت؟ قال بألف ألف , فأعظم عمر ذلك وقال: هل تدري ما تقول؟ قال: نعم , قدمت بمائة ألف عشر مرات , فقال عمر: لئن كنت صادقا ليأتين الراعي نصيبه وهو باليمن / أبو يوسف , ٥٠".

ان هذا المال الذي كانت كثرته كفيلة بالإقناع انه " من طيب هو!! قد جاء بلاد العرب حلالا زلالا وفق شريعة الجهاد الخيبرية , خالد بن الوليد مثلا فتح حصنا لمدينة صغيرة بالعراق تدعي بانقيا , فقتل كل من كان فيه من الرجال , وسبي كل من كان فيه من الاطفال والنساء ، ثم امر باحراق الحصن وهدمه لتذروه الرياح , ثم قرر علي أهل القرية جزية سنوية مقدارها ثمانين ألف درهم (أبو يوسف ١٥٧) , فاذا كانت تلك القرية العراقية المنكوبة المنكورة قد تقرر أن تدفع هذا المبلغ بعدما سلبت ونهبت وخربت ، فكم بالحري كان يدفع العراق كله ، أو الشام كله ، أو مصر كلها؟

عاد العراق برزقه الذي "من طيب هو" لكل فارس محارب بأربعة عشر ألفا , ولكل محارب راجل سبعة الآف ومئة سهم، وأسهم لعيال الشهداء والنسوان من صلب هذه الفئ (اليعقوبي ٢/١٤٥). أي انه كان علي المفتوحين أن يدفعوا دية الميت الفاتح ، وأن يعولوا عياله ونسوانه..... , هل تذكرون صدام حسين عندما كان يأخذ ثمن الرصاصة من اهل المقتول بعد أن يقتل أمام عياله؟ يبدو أن صدام كان خليفة زماننا النموذجي !! هذا رغم أن توزيع مال الفئ علي العيال والنسوان مخالف لشريعة الجهاد ، لانهم لم يوجفوا مع المجاهدين لا بسيف ولا ركاب حسب الشرع القرآني ،

أما مدينة المدائن الشهيرة فقد فاضت بـ " طيبها الحلال" فأصاب الفارس في الموقعة ثنتا عشر ألف , وكانوا ستين ألف فارس (الكامل في التاريخ ج٢ , ص ٥١٨).

أما النساء السبايا من المليحات من شوام وعراقيات وفلسطينيات ، فترصدهم لنا كتب التاريخ الاسلامي وكتب الخراج بأيما فخر وأيما اعتزاز , فسبي خالد في سيره من الحيرة بعد انهائها من الوجود الي دمشق , الف رأس منتقاه , وسبي من دمشق وحدها خمسة آلاف رأس من النوع الأبيض الأشقر الذي يعشقه العربي , أما بنات جلولاء الحرائر فقد فاضوا سبيا وخيرا عميما تم توزيعه علي الاعراب في مضاربهم بالجزيرة ، وفاضت السبايا من جداتنا وامهاتنا البعيدات، حتي أتي الإعرابي لذته نصيبا وهو مسترخ على مؤخرة بعيره باليمن.

وبين أهازيج الفتوح ، ومفاخر الفاتحين ، تجد نوادر يتامي ممن ذهبوا للفتح فلم يروا في هذا الجهاد ما رآه السادة من الصحابة , مثل ذلك الذي اسمه ثعلبه ، الذي عاد ليخطب في مسجد بني حمان مقسما قائلا: " لله علي ألا أرجع الي سواد العراق مما رأيت فيه من الشر/ القرشي /الخراج/٤٥".

المشتغلون علينا بالدين يؤكدون أن أهم أهداف الفتوح الاسلامية هو:

- تحقيق العدل
- اقامة المساواة
- نشر الحريات
- ترسيخ الإخاء،
- حقوق الانسان
- القضاء علي العبودية

لكن يبدو ان تلك الاهداف لم تكن واضحة لصحابة رسول الله في زمنهم , فلم يخطر لأحد من هؤلاء الصحابة الكبار أن يطرح أيا من تلك الاهداف ولو في مداخلة استفسارية فى قمة ال(١٧) التى عقدها الخليفة عمر بحضور سبعة عشر من كبار الصحابة. لم يطلب الصحابة المساواة والاخاء والعدل والقضاء علي العبودية في بلادنا الموطوءة , بل طلبوا بوضوح ودون أي تزويق ، ودون أى تحرج انعدام المساواة وانعدام الاخاء وانعدام العدالة بالكلية مع مزيد من العبودية , طالبوا بامتلاك الارضيين بمن عليها سادة كانوا أو عبيدا ، ملكا خالصا لهم يورثونه أولادهم وأحفادهم كريم لكريم وشريف لشريف وكابر لكابر.

الفرق بين هذة القمة وقمم الدنيا كلها أن قرارات الـ (١٧) كانت قرارات مقدسة , تحولت الي قوانين شرعية استفاضت في تشريعها وتسنيدها كتب الفقه علي مختلف مذاهبها , وما ترتب علي ذلك بالضرورة أن أصبحت قرارتها أبدية.

يحكي أبو يوسف في الخراج (ص ٢٤) وأبو عبيده في كتاب الاموال (ص ٥٩) ما توصل اليه المجتمعون في قمة الـ (١٧) بقولهما : "و الذي رأي عمر الامتناع عن قسمة الارضيين بين من افتتحها".

أما كيف انتهي عمر الي هذا القرار , فقد حدث : " عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك , توفيقا من الله كان له فيما صنع , وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين (يقصد العرب). وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين لعموم النفع لجماعتهم , لان هذا لو لم يكن موقوفا علي الناس (العرب) من الأعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور , ولم تقو الجيوش علي السير في الجهاد ".

واضح ان الاهتمام تركز في نهاية اجتماع هذه القمة كما كان في بدايتها , علي الاعطيات والارزاق للعرب , وتقوية جيوشهم في الثغور حتي لا يعود الروم أو الفرس لاختطاف الفريسة مرة اخري. الاهتمام بالمنافع المادية والاعطيات والارزاق دون اي اشارة توضح أى اهتمامهم من جانب أى واحد فيهم بالدين ذاته وحقوقه والعبادات واصولها وحقوقها. وقد تأكد لأبي يوسف وابي عبيده ان الله قد أظل قمة ال(١٧) بظله. بل وشارك فيها بفعالية , فقام بتعريف عمر بن الخطاب بالصواب توفيقا منه , وهو أن تتحول الارضيين من فيئ يوزع علي المحاربيين حسب شريعة الجهاد , الي فيئ موقوف علي العرب كملكية عامة علي المشاع بجميع أجيالهم ، الي أن يرث الله الارض ومن عليها. وكانت هذه المشاركة السماوية فى قمة ال(١٧) بغرض تسديد عمر وإلباس قرارة رداء قدسيا بهذه القمة المباركة. وهو ما سيطبق بعد ذلك علي مصر بعد فتحها. حين رفض عمرو بن العاص مطلب الزبير بن العوام بتقسيم مصر علي الفاتحين. وإعماله التوصيات التي انتهت اليها القمة بشأن بلاد الشام والعراق. ولم يقم بعد هذه القمة أي خليفة بمحاولة تغيير في هذه التوصيات , فلم يغير من بعد عمر لا عثمان ولا علي ، لانهما كانا من أعضاء القمة ووافقوا علي ما انتهت اليه من توصيات. وكان (علي) يقول في خلافته بهذا الخصوص : "ان عمرا كان رشيد الامر , ولن أغير شيئا وضعه عم". وهو ما استمر قائما في الزمن الأموي والعباسي والعثماني , ولم تسترد هذه الشعوب مقدراتها وارضها وحدودها الا بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية , وبسبب الاتفاقية المعروفة باسم سايكس بيكون ، التى يصفها القوميون والإسلامبون ب (المشؤمة) !!

ان القوميين ومشايخ الدين وكل فرق الفاشية العنصرية والطائفية تحمل بشدة علي اتفاقية سايكس بيكون ويصفونها بالملعونة، لكنهم لا يقومون اخلاصا للمبدأ القدسي ومداً لحبل الإيمان علي استقامته ، بسداد جزية بلادنا للحجاز التي هي القيمة الإيجارية لأصحاب الحق القدسي في بلادنا , و كذلك لا يرسلون نسوانا لمتعة العربي في الحجاز و الى الراعى المسترخى على مؤخرة بعيرة فى اليمن , ولا يرسلون بنات جلولاء وصبايا دمشق من الشوام وعذارى دجلة والفرات لاصحاب الحق في ركوبهن.......... , حتي يكون لكلامهم معني !! , وحتي يتموا صحيح الدين ان كان الدين هو شاغلهم حقا. وعليهم ايضا اعلان التراجع الكامل بل واعلان الأسف و الخجل من اطماعهم في كراسي الحكم في بلادنا , لانه لن يكون (مع مد الخيط علي استقامته) لغير قرشي حسب نص الحديث الصحيح مرويا عن ابى بكر " لخلافة فى قريش". هذا مع علمهم ان منهجهم يفترض أن إعلاء كلمة الله هي الأهم من كل مشاغباتهم السياسية وجرائمهم التي ترتكب كل يوم في حق الانسانية , وانها الاعلي من كل المنافع والمناصب الدنيوية التي يصبون اليها.

أهل الدين والمسترزقون به يسلكون مسلك السلف في طلب منافع الدنيا , و يريدون تزوير الشريعة بطلبهم الحكم وهو ليس لهم. والدليل انهم لا يتمون هذا الشرع بارسال حق الوقف لأصحاب الوقف الشرعيين في الحجاز ، لانهم ليسوا بأصحابه , بل هم انفسهم فيئ ضمن الفيئ وعليهم دفع ضريبة رؤوسهم لأهلها، فهم ليسوا اكثر من عبيد ،لا يحق لهم مجرد القول أو ابداء الرأي. ولعل أهم ما يميز قمة الـ (١٧) عن قمم العرب التى نعرفها في أيامنا هذه , انها قد صاحبتها إجراءات تنفيذية فورية لتطبيق التوصيات دون تسويف أو مماطلة أو تأخير. فقد انتدبت القمة رجلا مجربا محنكا في قياس الاراضي وتقويم جودتها هو (عثمان بن حنيف) , وأمدته بمساعد خبير بذات الشأن هو (حذيفة بن اليمان) , وامرهما الخليفة بعمل قياس مساحي لاراضي السواد بالعراق , وعمل تقدير لقيمتها الخراجية موزعة علي الوحدات بدقة تحقيقا للعدالة , ومنعا للجور والظلم الذي قد يؤدي بالعربي الي أخذ نصيب اكثر من أخيه العربي , أو أكثر مما يستحق حسب منزلته في التراتب العربي لمنازل الناس وطبقاتهم ، ذلك التراتب الذي كرسه الخليفة عمر في توزيع هذا الفيئ , فقد وجد ان مساحة سواد العراق ٣٦ ألف ألف جريب , اي ٣٦ مليون جريب , فوضع علي كل جريب من الحنطة قفيزا ودرهما , أو أربعة دراهم وعلي كل جريب شعير درهمين , وعلي كل جريب كروم عشرة دراهم , وعلي النخل ٨ والقصب ٦ والرطب ٨ , وفي ذلك يقول الشاعر زهير بن أبي سلمي:

تغل لكم مالا تغل لاهلها قري بالعراق من قفير ودرهم

بعد حصر الغلة جاءت مرحلة التوزيع , ومن أجل هذا التوزيع وليس من اجل نشر الدين تم تشكيل اللجان , " فدعي عمر (عقيل بن أبي طالب) و(مخرمة بن نوفل) و(جبير بن مطعم) , وكانوا من نسابة قريش , وقال لهم: " أكتبوا الناس علي منازلهم " , اي أن المسلمين انفسهم لم يعودوا كأسنان المشط , بل اصبحوا رتبا ومنازل ودرجات وطبقات , وهي منازل لا تعتمد علي مدي التقوي أو الايمان ودرجتة ، ولا علي حسن السير والسلوك ولا علي مدي الزهد والورع انما هي رتب عصبية قبلية جاهلية ، أولها المهاجرون من قريش يتوارثون ذلك في اجيالهم ونسلهم , وهم بدورهم رتب فأولهم من حضر غزوة بدر , ثم هاشم ثم بقية قريش , ثم الأنصار , ثم عرب الشمال , ثم عرب الجنوب.. الخ

انظر معي قارئي ونحن علي المائدة الاسلامية والأكالون (بتشديد الكاف) بيعزموا بينا علي بعض : " سأل عمر: بمن أبدأ؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: أبدأ بنفسك. قال:لا , لكني أبدأ ببني هاشم , فبدأ بالاقرب من رسول الله والاقربون أولي بالمعروف , ففرض للعباس ثم لعلي , ثم والي بين خمس قبائل حتي انتهي الي الانصار.. وكان يفضل في العطاء علي قدر السابقة في الاسلام , وعلي قدر القربي من رسول الله , ولكل من شهد بدرا ٥٠٠٠ درهما في السنة , وكل مهاجر قبل الفتح ٣٠٠٠ درهما. ولمن أسلم بعد الفتح ٢٠٠٠ درهما.

وفرض لنساء المهاجرين والانصار ٦٠٠ , ولعيال المقاتلة وذراريهم العشرات , ولكل مولود يولد ١٠٠ درهم , وقال عمر: لئن كثر المال لافرضن لكل رجل اربعة آلاف درهم , ألف لفرسه , وألفا لسلاحه , وألفا لسفره , وألفا لخلفها في أهله ".

وهكذا ومع الفتوح الاسلامية المباركة ظهر في التاريخ لاول مرة جماعة بشرية , تري نفسها المالك الوحيد للبلاد التي تحتلها بما فيها من اراضي وبما علي الارض , اقرأ معي " روي الشعبي , قال: اشتري عتبة بن فرقد ارضا علي شط الفرات , فذكر ذلك لعمر بن الخطاب , فقال له: ممن اشتريتها؟ قال: من أربابها. فلما اجتمع المهجرون والانصار عند عمر قال عمر: هؤلاء أربابها , فهل اشتريت منهم شيئا؟ قال: لا , قال عمر: فردها علي من اشتريتها منهم وخذ مالك ".

ويشرح الماوردي ما ذهب اليه الامام الشافعي فيما انتهت اليه قمة الـ (١٧) من قرارات , فيقول: " الظاهر من مذهب الامام الشافعي رحمة الله في سواد العراق , انه فتح عنوة واقتسمته الغانمون ملكا لهم وحدهم , ثم تنازلول استنزلهم عمر عنه فنزلوا (اي تنازلوا عن حق الملكية الفردية مع الاحتفاظ بحق عائده كوقف لملكية العرب الجماعية) الا طائفة رفضت فاستطاب نفوسهم بمال عوضهم به عن حقوقهم؟!! فلما خلص للمسلمين ضرب عليه عمر الخراج ".

و(الخراج) بحسبانه بديلا عن حقوق العرب في امتلاكنا ملكية البعير والماعز والنساء والعبيد , كلمة تحتاج الي تعريف دقيق أو بالأحرى هى بحاجة لفض وفضح مصطلحها الدلالى , فالخراج هو الكلمة التي تدل علي غلة العبد أو الأمة عندما يفيض العبيد عن حاجة السيد , فيتفق السيد والعبد الزائد عن الحاجة علي اطلاقه يعمل فيما يجيده في الاسواق , فيقال فلان خارج غلامه , اي اتفق معه علي ضريبة يؤديها العبد المخارج لسيده كل يوم خراجا , ويكون مخليا بينه وبين العمل فيقال له: عبد مخارج. فالخراج هو غلة العبد المخارج , ومن ثم تم اعتبار شعوب البلدان المفتوحة عبيدا مخارجين يدفعون غلة العبد لمالكي رقابهم خراجا , يقول بن الاثير:" قال رسول الله لعمه أبا طالب: ألا أدعوهم الي كلمة تدين لهم بها العرب , ويملكون بها رقاب العجم / ج٢ ص ٢٣ , ٢٤ ".

كان الخليفة عمر بن الخطاب بحسبانه رئيس قمة الـ (١٧) يعمل بآيات القرآن :" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتي يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون /٢٩/التوبة ".

الآيات لم تقل "حتي يسلموا" وهو دليل عدم إكراه في الدين , الاكراه فقط في دفع الخراج ضريبة رقبة عبد مخارج , لهذا يتضح السبب في عدم تطرق قمة الـ (١٧) لمسائل الدين ونشره والدعوة اليه. كانت قمة من أجل الغنائم ليضمنوها شرعا قدسيا لهم ولنسلهم من بعدهم. نفس حكاية ابراهيم وربه في التوراة عندما منحه ربه الارض قائلا:" لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الي النهر الكبير نهر الفرات/ سفر التكوين". اما المسلمين فلم تكن للارض المملوكة لهم ولنسلهم حدودا , كانت أرضهم المعمورة كلها , وغير المعمورة ،المسكونة وغير المسكونة.

ظل العبد المخارج شرعا معمولا به وأحد معالم الاسلام في الحجاز حتي اليوم , كل ما في الامر انه تم اعطاءه تسمية جديدة هي (الفيزا الحرة) التي يستورد بها السيد السعودي عددا من العمال من مصر أو الشام أو السودان أو العراق , ويطلقهم للعمل وعلي كل عامل أن يسدد لسيده كل شهر مبلغا من المال يشرطه السيد عليه , ولا يحصل علي جواز سفره الا بعد أن يسدد لسيده كامل غلة العبد المخارج , وتحيا الأمة العربية!!

وبعدما ملك العرب رقاب العجم , فان خليفتهم الذي وزع علي عرب الجزيرة هذه الاموال والنساء الوافدة من البلاد المفتوحة , لمن شاء عد , ولم شاء كال بمكيال , هو من مات قتيلا بسبب مالا يزيد عن درهم أو درهمين.

فبعدما حطم العرب العروش شمالا وشرقا وغربا , سقط في ذل الاستعباد أبناء تلك البلدان بعدما كانوا يعيشون في بلدانهم أحرارا. ومن بين نكدي الحظ كان (**فيروز أبو لؤلؤة) المانوى لذلك يلقب بالمجوسى** ، والمانوية نحلة متطورة من الزرادشتية ، فكان من نصيب المغيرة بن شعبة الثقفي.

كان الخليفة قد سن قانونا بعدم دخول العبيد البالغين عاصمته يثرب , لكن (المغيرة) تمكن من أخذ استثناء من الخليفة لعبده (فيروز) لانه كان عالما مخترعا , لديه من العلم ما ينفع به الناس. ومثل هذا المخترع لاشك أنه كان يعيش في موطنه عيشة السيادة والرفاهية في رعاية الدولة وربما فى رعاية كسري نفسه , ولاشك انه كان يغشي القصور ويعرف أهل الارستقراطية , فقد روي عنه انة كان يمشي في أسواق العبيد فى يثرب يمسح بيده علي رؤوس الاطفال الملكيين والارستقراطيين المسلسلين ، ويذفر بالعبرات بكاء ونشيجا. ولاشك أيضا أن عالما خبيرا مقربا من القصر عندما يجد نفسه عبدا وأولاد الملوك في الاسواق مع أهليهم يباعون بيع الماعز , لابد أنه قد استشعر إزاء هؤلاء القوم البدائيين في بواديهم ما جعله يكتوي نارا وبغضا وكراهية لهم ولدينهم.

خارج المغيرة عبده المخترع علي أربعة دراهم كل يوم ضريبة رقبته , وأطلقه يعمل بالمدينة , فذهب فيروز يستعطف الخليفة أن يخفف عنه درهمين أو درهما , فرفض الخليفة واعتبرها ضريبة عبد مخارج عادلة. بعد أيام التقي الخليفة فيروزا فقال له: " بلغني انك تقول لو أشاء لصنعت رحي تطحن الطحين بالريح , فرد عليه فيروز بنغمة صارمة: "لاصنعن لك رحي يتحدث بها الناس , فاقبل **عمر** علي من معه فقال: توعدني العبد ".

وقرر فيروز أن يتحول عن العلم والاختراع الي النقمة الفدائية , فكمن للخليفة بالمسجد فلما قام الخليفة لإمامه الناس قفز عليه فيروز فطعنه ثلاث طعنات نافذة ؛ فصرخ عمر " قتلني الكلب" ، فتكاثر الصحابة علي فيروز بسيوفهم ومعه خنجر , فتقاتلوا ، فقتل منهم سبعة ، وأصاب سبعة آخرين ، حتي اذا ما رأي أنه مأخوذ نحر نفسه بخنجره , فكان من احتز رأسه عبد الله بن عوف.

وبشأن هذا التاريخ الجهادي العربي النبيل يقدم لنا الكاتب الاسلامي المستنير (فهمي هويدي) تعريفا له يقول:" ان العقل الغربي ينظر الي الجهاد علي أنه Holy war حرب مقدسه , وهي في الحقيقة كلمة لا مرادف لها عندهم (طبعا!!) فالجهاد يتميز عن القتال أو النضال الذي قد يكون في سبيل أي شئ آخر ولا ينتقص منه شيئا بينما الجهاد يفقد مضمونه ويفقد شرعيته اذا لم يكن في سبيل الله / كتابه مواطنون لاذميون ٢١٨ , ٢٢٠".

وبغض النظر عن كون التعريف الهويدي يتضمن دعوة صارخة للتخلي عن مفهوم المواطنة والوطن , بتعارض مطالب الدين مع مطالب المواطنة , فاننا نتابع الاستماع اليه مستطردا " والاسلام لم يأمر أمته بالعدوان" !!؟.. بسيطة.. ماذا يسمي هويدي ما فعله العرب الفاتحون" ؟ ما هو بالضبط ؟ يستكمل هويدي :"و لم يأمر أمته بترويع الامنين ولا بسلب مقدرات الاخرين ولا الاستعلاء عليهم قط "؟

(قط؟!) ألم يطالع هذا الرجل تاريخ اسلافه الكرام البررة؟ أم هو كاذب؟ والكذب شر بالضرورة ، فما بالك اذا كان يكذب علي أمته وعلي العالمين؟

يتابع الكذوب الشرير ليقول ان "الجهاد في الاسلام شرع لنشر الاسلام ونصره للحق ودفعا للظلم واقرارا للعدل والسلام والامن , وتمكينا للرحمة التي أرسل بها محمد ص للعالمين ليخرجهم من الظلمات الي النور , لذلك هو فريضة شرعية"!!

لكن الا يري هويدي وفقا لهذه المبادئ السامية فعلا ؛ الرفيعة حقا ، انه كان علي العرب أن ينسحبوا من البلاد المفتوحة بعد ان أبلغوهم بالاسلام , أو أن يعلنوا ذلك علي الاقل في أي كلمة أو نص أو حرف في مكتبتنا الاسلامية الهائلة , كما تعلن امريكا عن ذلك بشأن العراق اليوم؟ حتي يتركوا أهالي البلاد المفتوحة أحرارا حقا يحكمون بلادهم بأنفسهم؟ أم أن من ضرورات اكتمال الجهاد حيازه الارض والبشر عبيدا ، والجزية وغلة خراج العبيد والسبي ، ميراثا لهم كابرا عن كابر؟

واذا كان الاسلام ونشره هو غرض الجهاد كما يقول , فلماذا لم يكن ذلك علي بند كبار الصحابة في قمة الـ (١٧). الي جوار بنود اقتسام الفريسة بأشد وأقسي وأبشع ما عرف الناس علي يد أي احتلال آخر بطوال التاريخ؟ ولم يكن الجهاد الفاتح نشرا للدعوة المكلف بها ، لان الدعوة لو كانت حاضرة حقا وراء تلك الفتوح , لرأي العالم من العرب فعالا تحببهم فيها وترغبهم في الدين الجديد , بالسيرة فيهم بالعدل والإحسان حتي يدخلوا فيه حبا وطوعا لا كرها.

هويدي يري أن الجهاد هو تحرير البلاد، وهو ما يقوله المشتغلون بالاسلام للمؤمنين الذين اختاروا تسليم أوطانهم مقابل استلامهم الدين , لكن ألا يري هويدي أن الفعل الذي تقوم به الجيوش المحاربة هو ما يحدد طبيعة الفعل العسكري ومسماه؟

مثلا للتوضيح ذهبت الجيوش المصرية وشاركت في حرب تحرير الكويت , وسميت حربها هناك تحريرا لان القوات ذهبت وعادت , فماذا عن الجهاد المقدس؟ هل كانت الجيوش العربية جيوش تحرير أم غزو أم احتلال أم استعمار استيطاني أم هو إحلالي؟ أي اسم سيختار هويدي؟

العراق هذه الأيام هو هم الاستاذ هويدي الشاغل لأنه يرزخ تحت نير الاحتلال الامريكي

لكن السؤال : هل العراق بذلك يكون تحت الاحتلال؟

الإجابة بالقطع هي نعم

لكن يأتي السؤال الثاني وهو : ماذا تفعل قوات الاحتلال هناك؟

هل تغزو؟ أم تستوطن ؟ هل تم استقدام القبائل الامريكية مع النساء ، وهل أنزلوا العيالات القادمة من كاليفورنيا ونيو يورك وشيكاغو فى دور من فر اهلوها فزعا بالنجف والفالوجة؟

ام انها قد حررت العراق من الطاغية؟

هذا مع الإعلان الدائم انها مهمة لها نهايتها وان الجيوش ستعود الي بلادها بعد استقرار الاوضاع. وفي ظل هذا الاحتلال العجيب الشأن بين ألوان الاحتلال عبر التاريخ , عاد الصوت العراقي مرة أخري , وعاد شعبه المجيد يسمع صوته للدنيا سواء في مظاهرات دائبة ، أو انتخابات حرة لم يحدث مثلها علي ارض تلك الاوطان منذ الفتح العربي الميمون , تسمع الدنيا أن هنا شعبا عريقا وأن هنا حرية ، ان الفعل هو ما يحدد الاسم وليس العكس.

ان سحب مفاهيم اليوم عن العدل والمساواة والحريات علي تاريخ الاسلام هو ظلم لكليهما , والعدل هو تسمية الاشياء بأسمائها ، دون تزويق لشأن تعجز كل مساحيق التجميل في الدنيا عن اخفاء تشوهاته وقبحه وبشاعاته. وان ما فعلته قمة الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الثانية يأتي بعد قرون متطاولة من التطور القيمي والاخلاقي والانساني ، **بعد انتصار نموذج الدولة الديمقراطية العلمانية كأفضل نظام عالمي اليوم.** لذلك عندما جلسوا لم يبحثوا في توزيع الأرضيين ، وغلة العبيد المخارجين ، وتوزيع النساء المسبيات حتى يأتي الكاوبوي نصيبه من اللذة وهو مسترخ على مؤخرة حصانة في تكساس. كانت العلمانية الراقية هي سيدة الموقف منذ عصر التنوير , مما أمكنها أن تفرز رقيا ونبلا وسموا وتحضرا ما كان ممكنا أن تفرزه أبدا حضارة البداوة الفقيرة المدقعة حتي في مفاهيمها وطرق اجتماعها وتحضرها بالضرورة.

ان خلط أهل الدين بين الزمنيين يضر بديننا ودنيانا , لان اليوم غير الامس ولان بوش أو بلير غير أبي بكر أو بن الخطاب , رغم ان كل منهم هو سيد زمانه ,

وأمريكا غير الحجاز والناس غير الناس وكل شئ غير كل شئ , لذلك لا تشبه قمة الحلفاء ولا مستنداتها ولا جدول اعمالها ولا أهدافها قمة الـ (١٧) في شئ.

هويدي وأمثاله يقولون لنا " إحنا بتوع الحرية" اسلامنا عدل واخاء ومساواة ، هو القيم الأولي والأخيرة الأزلية الأبدية , هو نهاية التاريخ , لا تسايره ولا تطاوله قيم اخري ناهيك ان تعلو عليه. لكنهم لا يوضحون لنا لماذا لم تكن هذه القيم معلومة لأصحابها من صحابة رسول الله , لانها لو كانت معلومة ولم يفعلوها فانهم يكونوا قد خرجوا عن صحيح الدين , وان لم تكن معلومة ولا من صحيح الدين يكون هو ذلك هو القول الأدق والأكثر عدلا وحقا. ويكون هويدي كذاب أشر.

ان سادتنا اللاعبون بالاسلام علينا يرددون اليوم كلام روسو ومونتسكيو وفولتير، انهم لا يرددون هنا كلام محمد والاسلام , انما يرددون منتج الحداثة العلمانية لينسبوه للاسلام ثم يكفرون به العلمانية!!؟ ان هذه المبادئ والقيم ليست من ثقافة العرب والمسلمين ، لذلك لم تكن معلومة لديهم ، حتي لا نظلمهم بادعائنا علمهم بها وتنكبهم سبلها ، فهي لم تكن ضمن مخزونهم الثقافي (قط) , وهذه الـ (قط) هي الصدق غير الكذوب.

وانتهي اجتماع قمة الـ (١٧) دون اصدار أي تعليمات جديدة بالتوقف عن السلب والنهب والسبى والنكح بعد مدة محدودة مثلا لكل جيش , حتي يتفرغ الفاتحون بعد الاكل والنكح، للدعوة الي سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة , ويعفو الله عما سلف. بل انهمك الخليفة عمر بعد ها مسافرا في فيافي العريان ومفاوز الصحاري بالجزيرة العربية ، يحمل اليهم نفقاتهم (حقوقهم) وحظهم من الغنائم والفيئ. كان عمر مخلصا لبني عنصره وجلدته اخلاصا عظيما مأجورا عند الله , عطوفا بهم رغم قسوته , لانه كان عادلا عدلا بلا نظير ، لكن هذا العدل كان قاصرا علي عنصر العرب ونوعهم وحدهم , كانوا هم الرعية , أما أهل البلاد المفتوحة فشعوبها لم تكن ضمن الرعية , انهم كانوا فيئ الرعية , انهم كانوا من يدفعون للرعية ، ويعولونها.

في عام الرمادة شارك الخليفة عمر رعيته في جوعهم وشظف عيشهم حتي أسود وجهه من أكل الشعير الملتوت بالزيت , وكلمة عام تطلق هنا مجازا لانها كانت بضعة اشهر , فقد كتب عمر الي ولاته وأمرائه علي الأمصار طالبا الغوث , فارسل عمرو بن العاص قافلة من السوائم علي ظهورها الخيرات من مصر الي يثرب قائلا:" أرسل لك قافلة أولها عندك وآخرها عندي ". لكن عسر الطريق ومشقته كان يقضي في كل مرة علي معظم السوائم عطشا وجوعا , فكتب عمرو بن العاص الي الخليفة عمر : انه كان في مصر قناة تربط النيل بخليج السويس (القلزم

حينذاك) ، وأن القبط سدوه في حروبهم مع الروم , وأن فتحه سيؤدي لخروج خيرات مصر بالسفن من حقولها طازجة الي الحجاز , وهو بقول عمرو بن العاص : ما يجعل سعرها بالحجاز مثل سعرها بمصر. ولكن هذا المشروع سيحتاج كل المصريين للسخرة فيه وهو ما سيؤدي الي خراب مساحات كبيرة من الارض الزراعية بغياب اليد العاملة عنها , وأيضا سيؤدي الي كسر الخراج في الاعوام المقبلة.

" فكتب اليه عمر أن افعل وعجل فى ذلك , فقال له أهل مصر: خراجك زاج وأميرك راض , فان تم هذا , انكسر الخراج بسبب نقصان الانتاج لانشغال الفلاحين في الحفر واهدار الماء (النيل) في البحر. فكتب الي عمر ذلك وذكر فيه انكسار خراج مصر وخرابها , فقال له عمر في كتابه: اعمل وعجل فيه.. أخرب الله مصر في عمران مدينة رسول الله وصلاحها / الطبري.... على اتفاق بين كتب التاريخ الاسلامى/ كتاب التاريخ/ بيروت/ دار الكتب العلمية / مج ٢/ص ٥٠٩"

ان عمر بن الخطاب كان عادلا صارما مؤمنا صادقا قوي الايمان , و لم يجد في دينه وايمانه ما يمنع من خراب مصر لصالح مدينة رسول الله , لان الانسان الذي يشكل مفهوم ا لرعية عند عمر هم عرب الجزيرة وحدهم , وفيما عدا ذلك هم مصدر ومحلب ومجلب , وربما لم يكونوا بشرا , فهم لجلب المنافع , هم والسوائم واحد.

طريقة الفتوح نفسها تشير الي هذه المعاني , فلم يتم ارسال كتب الهداية أو المبعوثين للدعوة والوعظ الارشاد المتقدم قبل الفتح , ولا نجد في تاريخنا أي حكم أو دروس أو حجج قدمها المسلمون لأهل البلاد المفتوحة قبل ان يفتحوها ويسلبوها ويهتكوا عرضها كعقوبة لعدم الاستجابة للدعوة. ولم يذكر لنا تاريخنا أي اشارة لأي مؤتمر بين الطرفين يناقش الامر ليعلن علي الناس. كل ما نقراه حرق ودمار وهتك أعراض ، في مفاجآت كارثيه تأتي من خارج الحدود علي أفراس العربان مرددين صياحهم في خيبر : "إنا اذا نزلنا بساحة قوم.. فساء صباح المنذرين ".

أحيانا تصيبك الدهشة من ذكاء مشايخ قنواتنا الفضائية الذين يؤكدون أن كل تلك الاموال المنهوبة ، كانت تصب في النهاية في فوائضها في بيت المال للانفاق في سبيل الله!! وهو ما يعني أنه ما كان لاصحاب تلك الاموال الأصليين معرفة بالإنفاق , وان العرب وحدهم هم من يعرفون كيف ينفقون , وعليهم جمع الاموال من أصحابها ليقوم العرب بخبرة الإنفاق.. بالإنفاق !!

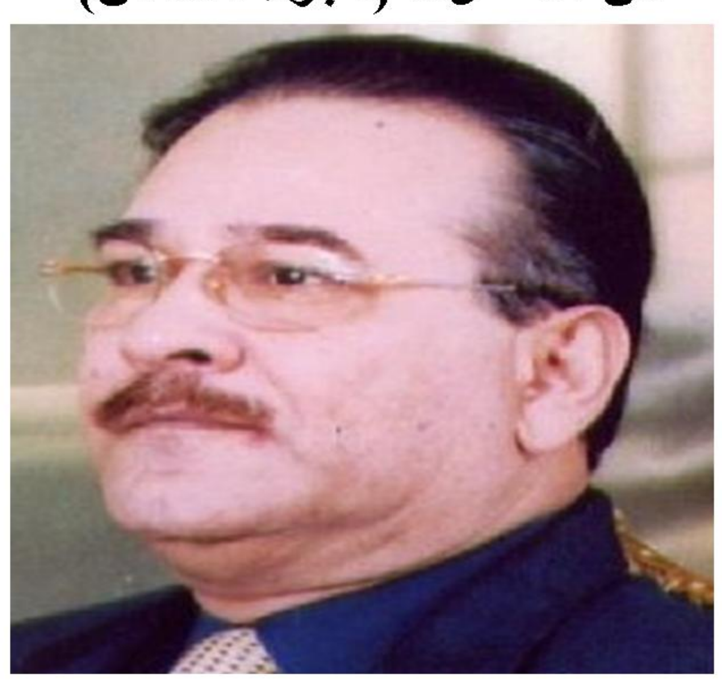
نبوءة النبي " والذي نفسي بيده لتملكن كنوز كسري وقيصر وتنفقونها في سبيل الله " تحققت مما يعني ان انفاق غير العرب هو في غير سبيل الله , وهو الانفاق الذي لم يعد علي البلدان المفتوحة سوي بالذل والعبودية والخراب , وهو ما يعني أيضا أن هويدي لا يري حتي اليوم أن المسلم العراقي أو الشامي أو المصري أو المغربي أهل للانفاق في سبيل الله , لانها خبرة عربية قدسية قاصرة علي العربي وحده.

مرة أخري أعود فاؤكد أني لا أتهم هويدي بالجهل , بل بالتزوير الفاضح والكذب الشرير المقيت علي ناسه وأهله وبنى ملتة , وكذبه ليس أبيضا بحال ، بل هو كذب أسود حالك شديد الظلمة ، والظلم ، والعتمة ، والزيف ، والضلال , هو بيع للوطن في صفقة علنية لاتخزى ولا تستحى... مع الشيطان.

عن المجلة العربية للمعهد الإسلامى بجامعة ميجيل / كندا ٢٠٠٥ يناير

سلسلة فقهاء الظلام

من المحتال؟؟ (الجزء السادس)



بقلم

د/ سيد القمنى

مدونة

عن مصر أتحدث

3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظنة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

مــن المحتــال ؟!

سبق أن أوردنا هنا الحديث المنسوب إلى نبي الإسلام "ص" ، بصدد معركة الخير والشر قبل القيامة والذي يقول أن الحجر والشجر سينطلق في هذه الملحمة ينادي المسلم : "ورائي يهودي يا مسلم تعال فاقتله إلا الفرقد فإنه من شجر اليهود" ، ويدرس هذا الحديث طلبة السعودية في منهج التوحيد ويضيف المؤلف هنا بذكاء معهود : إن اليهود يكثرون هذه الأيام من زراعة شجرهم "الفرقد" في إسرائيل حتى لا يفتن عليهم للمسلمين يوم المعركة الكبرى.

وقد حملت المذيعة "**باربرا والترز**" هذا الموضوع إلى السيد وزير خارجية السعوية ، وقرأت له نص الحديث ، فجاءت إجابة السيد الوزير مدهشة للغاية ، كانت إجابته أولاً دهشة مفرطة عظيمة كأنما هو يسمع به لأول مرة ، ثم أتبع الدهشة بالنفي القاطع أن يكون هناك حديث نبوي يقول مثل هذا الكلام ، وأكد أن هذا الكلام غير صحيح إسلامياً ، وان الأمر فيه لبس ولاشك ، ربما واللة اعلم يعود لخطأ ما حدث في الكتب المدرسية .

وموقف سيدي الوزير يحمل دلالات تتضمن دروساً وعبرا نستعبر بها لنقرأ الدلالات ، فهو أولاً ينكر حديثاً لا يخلو كتاب من كتب الحديث الصحيحة منه أو يكاد ، **وهو بذلك إنما ينكر معلوماً من الدين بالضرورة** ، وهو أمر راسخ في تاريخنا الفقهي ، وله حدوده وعقوباته التي أرساها هذا الفقه ، ويطبقونها علينا دون المشايخ والوزراء والسلاطين وقتما شاءوا وحيثما تمكنوا.

لذلك لا يمكننا قبول دهشة السيد الوزير بهذا الشأن ببساطة وخفة لأنها ليست مما يمر مر الكرام ، فدهشته ليست مجرد إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة يستحق علية جز الرقبة من عرشها ، فقد كانت دهشة استنكارية مصطنعة ، دهشة تنفي وجود حديث بهذا النص والمعنى ، مع اشتمال هذا المعنى على عداء تاريخي قديم يجب وفق أوامر الحديث المضمرة فيه ، أن يستمر حتى قبل قيام الساعة بقليل ، ويومها يبدأ الحديث فعله في الواقع فتحدث المعجزات وينطق الحجر والشجر ، ما عدا الفرقد الداهية الكتوم الذي يداري أصحابه ، ولا يشي بهم إخلاصاً ووفاء لأنه شجرهم "لا تفهم كيف ؟ وهل هناك شجر ينبت لأناس ولا ينبت لآخرين" ؟ ولا تعرف ما هو هذا الفرقد ، فهو شيء كالعنقاء والقنطروس لا معنى له سوى إضفاء طابع الواقعية على الحكاية الخيالية ، فكل شئى لة اسم وليست الدنيا عبثا . . فالشجر اليهودي له اسم معروف ، المهم أن يكون للاسم غموض ، وهو ما يحمل معاني الآسطورة والخرافة فصيحتان ، وهي معان تجاوزتها الأزمان والأيام واستبدلتها

بمنهج التفكير العلمي ، الذي لن يرى في هذا الحديث سوى عقلية أسطورية ذهبت مع زمانها ، دون أن يصدق أي عقل سليم صاح أن في زماننا من يصدق ذلك حقاً .

ثم إن موقف سعادة الوزير يحمل ضمناً موقفين :

- الأول موقف ازدراء الإسلام بسبب هذا الحديث ، وهي التهمة التي طالما صادرونا وحاكمونا بسببها ، لأن دهشته الاستنكارية هي ازدراء واضح
- أما الموقف الثاني فهو خجل السيد الوزير من دينه ، الذي تركه على قارعة الطريق وهرع هارباً يختفي تحت قناع الدهشة المصطنعة ، ثم يقدم لنا نفسه بوصفه العارف بصحيح الدين ، وأن هذا الحديث ليس ضمن هذا الإسلام الصحيح الذي يعرفه ، وهنا عندنا مشكلة مستمرة بلا حل ، **فالجميع يتحدث عن الإسلام الصحيح دون أن نعرف حقاً ما هو الإسلام الصحيح ، ودون أن يقدموا لنا مرة هذا الصحيح** بعد أن يتفقوا عليه مرة واحدة .

مشكلة سيدي الوزير وكل سادتنا أدامكم الله وعافاكم ، سواء كنتم رجال دين أو رجال حكم تريدون الإسلام كما كان في زمنه لتعملوا به في زمن جاء بعده بألف وأربعمائه عام ، تغيرت فيها المفاهيم والقيم والعلوم وبعضها وصل في تغيره إلى النقيض ، دون أن تعترفوا ببساطة بفارق الزمن الهائل و المتغير الأهول .

لقد اعترف اليهود ببساطة ، واعترف المسيحيون ببساطة ، وكذلك باقي الأديان ، فمثلاً لم يعد جائزا ناهيك عن كونة ممكنا اسر النساء فى وآخذهن جواري في الحروب ، وإلا واجه من يفعل ذلك العالم كله وضميره كله.

ومما يخفف وطأة التنازل عن بعض مأثورنا وتركه لزمانه ، أن كل الأديان تخلصت مما يكبلها عن حضور زماننا ، وفي تاريخ اليهود زواج النبي إبراهيم من أخته سارة ، و زواج النبي موسى من عمته يوكابد دون الشعور بالعار ، وفي قديم كل منا حتى كأفراد ما يخجل منه لو فعله اليوم ، وإلا ما معنى التعلم والتطور والارتقاء على مستوى الفرد والإنسانية ؟! وبهذا المعنى لابد أن يتجاوز المسلمون حديث "خير القرون قرني" لأن خير القرون دوما هو آخرها وأحدثها ، لأنه آخر ما وصلت إليه الإنسانية من رفعة علمية وخلقية ، أما أخيرها فهو الذي لم يأت بعد .

ثم ينتهي سيدي الوزير بتخطيء كتب المدارس "كتب التوحيد" المقررة في بلاده مؤكداً أن ذلك خطأ من واضعي الكتاب للطلاب ، لكن دون محاكمة هؤلاء الذين وضعوا وألفوا هذا الأمر وفيه هذا الكره العظيم والعنف الكريه والتحريض على القتل ، لأنه حديث ضد كل معاني الإنسانية ، ثم إذا كان ما قال سعادة الوزير صحيحاً فلماذا تستمر ذات الكتب في فعلها في أرواح التلاميذ الصغار حتى اليوم ؟!

يشبه هذا الذي حكيناه حادثة أخرى مشابهة تحدث فيها القس **"جيري فالويل"** عن نبي الإسلام ، أنه جمع عدداً كبيراً من النساء وكان بينهن طفلة في التاسعة من عمرها "السيدة عائشة" ، بينما كان هو قد بلغ الثانية والخمسين من عمره ، ويغيب عن هؤلاء الذين يهاجمون هذا الشكل من الزواج أنة كان عرفاً اجتماعياً معمولا به على نطاق واسع ، ولم يبدأ التباعد عن نكاح الفتاة الصغيرة إلا في زمن قريب بحكم تطور الأعراف والتقاليد ، وهو أيضاً ما لابد أن يدفع مشايخنا إلى التخلي عن تمسكهم بعادات انتهت ، فحتى اليوم تشرع السنة زواج بنت تسع عملاً بالسنة ، وهو تجمد مخيف وخطر ، وهو أيضاً ضد القانون ، المهم أن "فالويل" جعل المسلمين يشتاطون غضباً لينيبوا عنهم العضو الناشط في المنظمة العربية لمحاربة التمييز العنصري **السيد حسين أبيش** ، ليرد عليه في برنامج **"كروس فاير"** التليفزيوني ، وما كان من مولانا أبيش إلا أن كذب هذا الكلام جملاً وتفصيلاً ، واعتبره افتراء على الإسلام واتهاماً باطلاً لنبي الإسلام .

نشرت صحف الإنترنت أيضاً خبراً عن المعتدل **"قرضاوي الديمقراطي"** لا يشغلنا فيه الجانب الشخصي بقدر ما يشغلنا أنه تمت مطابقة الخبر مع السنة النبوية في زواج الصغار ، والخبر المؤكد أن سيدنا قد تزوج **"بأسماء"** التي تصغر صغرى حفيدات الديمقراطي وتفصلهما مسافة ستين عاماً أو يزيد ، ولم ينكر سيدنا الخبر ولم يقم بتكذيبه ، كما أن فعله هذا يعد فتوى وتشريع بحكم موقع قرضاوى كمرجعية دينية .

ومع التداعي استدعى حادثة اخرى هي على ذات المنوال والنسج ، وكنت أحد أطراف الموقف المباشرين ، وذلك في برنامج **"مع نشوة"** على فضائية MBC ، حيث كنت ضيفاً على البرنامج ، وكان يجلس إلى يساري مباشرة السيد **نهاد عوض** المصري الأمريكي الإسلامي المشهور ، المسئول عن مؤسسة "كير" الأمريكية الإسلامية ، وهي غير مؤسسة كير التي شرفنا أبطال العراق بجز عنق ناشطتها هناك **مارجريت حسن "!!"** . فنحن هنا مع كير أخرى لها اهتمامات أخرى غير الخدمات الإنسانية.

كان عنوان الحلقة هو "الفوبيا إسلام" أو الخوف أو إرهاب الإسلام في أمريكا ، وكانت هذه الحلقة قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ .

أحضر السيد نهاد عوض معه فيلماً تسجيلياً صنعته مؤسسة "كير" وعرضه علينا ليثبت لنا أن أمركيا تعادي الإسلام وتكره المسلمين ، وأن المسلمين الأمريكيين يتعرضون لتمييز طائفي وتعصب عنصري ، لذلك فإن مؤسسته بحاجة للدعم المالي من المسلمين لتدافع عن مسلمي أمريكا ، وقدم دليلاً على نشاط كير في أمريكا جذباً

للدعم المطلوب حكاية عن كتاب بين يديه ، وإن هذا الكتاب مؤلف ضد الإسلام ويتم تدريسه للطلبة الأمريكيين ، وأن به إساءة شديدة لنبي الإسلام ، حيث يحكي الكتاب أن النبي تزوج صفية بنت حيي ابن أخطب بعد مقتل أبيها وأخيها وزوجها وعامة عشيرتها ، وأن كير رفعت دعوى قضائية كسبتها وتم حذف هذا الجزء من الكتاب . والتهبت أكف الحضور بالتصفيق ! وبالطبع بالمناشدة للتبرع .

مددت يدي وتناولت الكتاب ففاجأني عنوانه فهو "الأديان في العالم" وليس كتاباً مخصصاً للإسلام ، وبسرعة ألقيت نظرة على الفهرست فإذا به عرض لكل أديان العالم ، كفكرة عامة فيما يبدو في ضوء عدم تدريس شيء اسمه التربية الإسلامية أو المسيحية في تعليمهم المدني.

هل تشعرون معي بحجم المأساة؟! مأساتنا نحن لا مأساة الأمريكان ، لأن الحدث المحذوف من الكتاب حقيقة تاريخية سجلتها مأثوراتنا الإسلامية جميعاً وعلى اتفاق ودون اختلاف ، ودونت أسباب الحدث وعوامله الموضوعية في زمنه وشكل الحرب التي كانت دائرة حينذاك وقوانين الحرب التي كانت تضع النساء المهزوم سبايا للمنتصر . لكن مؤسسة كير أنكرت حدوث الحدث بالكلية ، **وهو بدروه إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة لارتباطه بتاريخ الدعوة وتاريخ القرآن وتاريخ التشريع الإسلامي ولا محيص معة سوى جز الرقبة** ، كما أنه أيضاً ضحك على ذقن الديمقراطية الأمريكية وقوانينها المحترمة بالاحتيال مستثمراً رقي هذه القيم الحقوقية وبالكذب الصريح ، ليشطب الحدث من الكتاب الأمريكي ، بينما تفوق الأمريكيون باحترامهم للمسلمين ولدينهم وتصديق نصبهم واحتيالهم بشفافية أمرت بحذف هذه الحادثة من الكتاب ، بل إدانة المؤلفين بالتعصب الطائفي ، وما أبشعها في أمريكا من تهمة! ورغم علم كلا السيدين أنه بما يفعل إنما ينكر معلوماً من الدين بالضرورة ، فإنهما أيضاً يعلمان أنه بالرغم من هذا فهو الإنكار المستحب عند جماهير المؤمنين التي تحرص على استحضار الماضي .

حادث رابع لا أذكر على أية قناة فضائية كان ، أنكر فيه أحد المشايخ المسلمبن الأمريكيين وجود الرق كمبدأ مشروع ومباح في الإسلام ، لكن لأن للأقدار لطافاتها وأفاعليها ، فبعدها بيومين أفتى إمام مسجد البصرة الكبير بوهب الأسيرة المجندة الغربية أو العراقية أو المتهمة بالتعاون مع الأمريكان ، كسبي لأسرها ينكحها بحلال أحل من لبن الأم ، وله أيضاً أن يستعبدها في العمل .

أما الخامسة فهي نكتة حقيقية في حديث سمج للمستنير **فهمي هويدي** بأهرام ٢ / ١١ / ٢٠٠٤ الذي كتب مؤكد أن ثمة تلاعباً قد حدث في استطلاعات الرأي بين بوش وكيري يضيف صفحة جديدة إلى سجل الاحتيال الذي اتسمت به حملة الرئيس

بوش من بدايتها . النكتة التالية أن بوش فاز وأن كيري أول من هنأه بفوزه ، ولم يشكك مطلقاً في نزاهة العملية الانتخابية ، اللهو المخفي في الموضوع أننا نسقط عليهم أمراضنا فنراهم أناسا محتالين ومزورين ، ونحن من يتجرأ على التحدث عن الديمقراطية الأمريكية ، ألا ترون أن المستنير لا يرى أين الاحتيال؟ المهم يستطرد المستنير مردفاً : إن تدين بوش يمثل تقاطعا غير مسبوق في التاريخ الأمريكي ، حتى إن رئاسته تعد أول تجربة في تاريخ الولايات المتحدة تقوم على استغلال الدين لتحقيق أهداف سياسية . "لاحظوا الجملة الأخيرة" .. سيدنا هويدي زعلان خالص من بوش لأنه يستغل الدين لتحقيق أهداف سياسية ويطعنه بهذا المطعن ؟!

إذن على رأي سيدهم بن لادن : "إليك يا ربي المشتكي" !!!!!!! انتبه قارئي فرغم أن سيدنا هويدي هو مفلسف الدولة الإسلامية المنتظرة ، فإن الشيخ "يوسف العبيري" أفتى بشأنه قائلاً "الزنديق فهمي هويدي ، أنا بأقول يجب قتله أفضل" .

أنا أراهن على مثل هذا الغباء .. أراهن على غباء الدموي ، وعلى انتهازية المستنير ، وعلى وصولية المعتدل ، فهي تربيطات مفكوكة لابد ان تنتهي بتمزيق بعضها .. أرهان على أنهم سيقتلون بعضم بعضاً ، وأراهن أنهم سيداهمون أصدقاء قضايانا من دول العالم بالتفجير وقطع الأعناق ، فيستنفرون الدنيا كلها ضدهم .

أراهن على دفاعهم الكاذب المزور عن إسلام يريدونه كذلك لتستمر المنافع والسيادة على الناس ، وتطبيقهم في السر ما يكذبونه في العلن ، **كما في الزواج السري لقرضاوي وخالد الجندي ومحمد جبريل والسويركي بالمرة ، فالكل تجار دين يتاجرون بالرضا والنور ، ثم يحملون للغلابة أمثالنا سيف مسرور.**

قرضاوي الديمقراطي يفتي بقتال الأمريكيين في العراق ولا يطلب من ابنه محمد ترك جامعته في فلوريدا ليلتحق بالمجاهدين ، ولا من ولده الأصغر ترك الجامعة الأمريكية بالقاهرة طلبا للشهادة ، وبينما كان يطالب بمقاطعة أمريكا وإنجلترا كان له ثلاث بنات يدرسن في إنجلترا ورابعة تدرس في تكساس .

أعجبني هنا قول الدكتور أحمد الربعي : إن الشيخ قرضاوي مثل كثير من الشيوخ المتطرفين لا يموتون عادة ولا يستشهدون ، ولا يحدث ذلك لأبنائهم الذين يتعلمون في أحسن مدارس الغرب . . فالقرضاوي الذي يعيش الرغد والعز في الدوحة يفتي بقتل المدنيين الأمريكيين ، والأئمة الأربعة الشيعة الذين اجتمعوا في منزل السيد السيستاني في النجف ويعيشون تحت الاحتلال يطالبون بعدم استخدام العنف ضد القوات الأمريكية .

اللغز هنا في جماهير المسلمين الذين كانوا يؤكدون أن امريكا ستغرق في المستنقع العراقي وفي الوقت ذاته كانوا يتكالبون على شراء الدنانير العراقية بعد الغزو ، لأن دواخلهم تعلم أن العراق سيكون له شأن يرفع من قيمة عملته بالغزو. وهو خداع عظيم للنفس وكذب على الذات وعقل مثقوب معطوب ونفس تعاني مرضاً عضالاً ، نشتري الدنانير العراقية استثمارا ونعطي ٩٦% من أصواتنا تأييداً لمجازر القاعدة في العراق "حسب قناة الجزيرة"؟

أترون أين مصيبتنا ..مصيبتنا هي نحن ، نحن البعيدون عن المجازر لا ينالنا منها شيء ، بل ننال الخير الوفير بالتجارة بأموال العراقيين! وما علينا لو مات آلاف العراقيين! وما علينا لو ذبحوا الأبرياء كنعاج ! لأننا نعلم أن كنزنا سيثمر آجلاً أم عاجلا ، إن نسبة التصويت المذكورة لصالح المجازر رسالة للعالم كله تجعلنا جميعاً أمة معطوبة ، تشكيلها إنسان شرير انتهازي لا تقع عليه وحده نتيجة شره ، بل تلحق بالمسلمين البسطاء الذين لا يفهمون ما يقول لهم أشاوسنا ومثقفونا سوى أن جز الرقاب هو الإسلام .

أما الأشد فرزاً لمرارة الحلق والروح فهو موقف المصريين المثقفين ضد حكومة العراق بحسبانها حكومة عميلة للاحتلال ، رغم اعتراف الجامعة العربية والأمم المتحدة بها ، والآشد إثارة للفزع هو عدم تحرك العاطفة المصرية المشبوبة والمعلومة تاريخيا في شعبنا المصري ، عندما كان المصريون يذبحون على شاشات التلفزة وأحدهم يقفز بين يدي جلاديه كالدجاجة المذعورة أمام القصاب ، والآخر يقطعون لسانه حتى لا ينطق بالشهادتين ، وهو ما يشير إلى تمكن فيروس الإرهاب من الناس ، وهي كارثة تحتاج إلى فورة إعلامية وتعليمية على طريق الإصلاح ، ولدينا يا سادة ورب العزة روشتات سبق نشرها في هذه المجلة ومازال منها رصيد عظيم لعلاج ما يحدث ، جاءت بعد جهد زمان وإفناء العمر والسنين في قضية الوطن . وقسماً بالله العظيم لا نريد منكم منصباً ولا نطمع في جاه ولا حتى شكورا ، إنما هو لوجه وطن عزيز يعيش فيه مواطن كريم .

نرجوكم سادة بلاد المسلمين لا تجعلونا نتصور – حاشا لله – أنكم تروجون لهذه العقلية وتحمون أصحابها لتوظفوها لخططكم ، تضليلا لشعوبكم وتجييشا لها لتتوافق مع ديمومة استئثاركم بشتى ألوان السلطة .

هل تتصورون ماذا يمكن أن يفعل العالم الحر وعلى رأسه أمريكا ؟! إن بعض دهماء مثقفينا والمعتوهين من منظرينا يتحدثون عن أبطال الفلوجة وما فعلوا أمام أعظم دولة في العالم ، دون أن يفكر هؤلاء لحظة ، لو كانوا يفكرون ، أن أمريكا كانت قادرة بالضغط على زر صغير على إزالة الفلوجة من خريطة الأرض للأبد ،

خاصة بعد أن غادرها ٨٠% من المدنيين ، لكن الحرص على بقية أهاليها الرهائن في الداخل دفع أمريكا لخوض معارك مواجهة من بيت لبيت ، بينما لديها من أدوات الفتك ما يقيها خسارة جندي واحد . . . ثم ماذا لو كانت أدوات الفتك هذه بأيدينا نحن ! ترانا ماذا كنا فاعلين؟

هل كنا إخلاصاً للسلف سنفعل فعل **خالد بن الوليد** في قبائل بكر بن وائل العراقية فنذبح منهم ما شئنا ترطيبا للقلب وراحة للنفس الكارهة ، أم ترانا كنا سنفعل معهم فعل **سعيد بن العاص** مع أهل مدينة طميسة بالإبادة التامة ؟!

سادتي أهلي وناسي ، سلاطين وعمائم وكاسكيتات وشعوب ، إن هذا العالم الذي نحاربه ونحرص عليه ونكرهه سبق وضحى بأربعين مليون إنسان ، ليحمي حرياته التي لا نفهمها وهم أحرص عليها من حرصنا على إسلامنا ، بل إن تاريخنا يشهد أن هؤلاء باعوا إسلامنا بعرض الدنيا في أول فرصة منذ زمن الصحابة الكرام الذين باعوا كما باع ابن عم الحسين الحفيد النبوي لقاء حفنة مال ، لكن هؤلاء القوم يبيعون كل شيء عدا حريتهم ، لقد صارعوا الشيوعية مع وجود ندية نووية وترسانة صاروخية وتكافؤ علمي حتى انتهى المعسكر الشيوعي في النهاية . وسبق أن دفعت ألمانيا لليهود على مدار عشرين سنة تعويضات هائلة ، وها هي ليبيا تحذو حذوها دفعا لتعويضات عظيمة ، فترى كم سندفع لضحايا البرجين عندما يبدأ الحساب ؟! وكلنا يعرف أنهم قد حصلوا على حقوقهم ويعرفون كيف يحصلون عليها وأنهم على ذلك لقادرون ، فهل من عاقل فيك يا أمة العربان ؟!

هل من مستمع ؟ أناديكم ولا اشد على أياديكم ، أناديكم علكم من سكرات أساطيركم تفيقون ، لأن لكل منا اطفال سيعيشون فى هذا الوطن ..... لنموت قريري الأعين ، راضين عما استطعنا حجبه عنهم من شر وما أمكننا تقديمه لهم من خير .. فهل أنتم منتهون ؟! أم أننا ننادي في قوم قد التاثوا سعارا ليقتلوا ويقتلوا ولا علاج لهم سوى الفناء ؟! وهو على قدرات أمريكا هين وليس بعسير ؟! وهو الأسهل للإنسانية جمعاء كي تتفرغ لعلومها وحضاراتها وتقدمها دون شعوب تأكل وتشرب على حساب الإنسانية ، وتستجدي قوتها من الأقدر ولا تصدر له سوى الكراهية والخراب ! تراكم لو كنتم مكانهم ماذا كنتم تفعلون ؟!.

نشرت فى روزاليوسف - ٢٠٠٤/١١/٢٠ - العدد ٣٩٨٩

مسيلمة الكذاب بعد التحسينات !!

في عام الوفود شاهدت العرب بأعينها ما حققته النبوة من سيادة لقريش على العرب ، ورأت أهل الدعوة ورفاقها الأوائل في العيش الخشن الشظف من قبل ، ثم شاهدتهم عام الوفود بعد سلسلة حروب دولة المدينة لإخضاع العرب ، وهم في حال غير الحال بعد أن جاءتهم الغنائم والسبايا والفيء والعبيد والثراء بالسلطان على العرب ، أو جاءهم السلطان بها. ضمن هذه الوفود كان وفد بني حنيفة ، وبينهم سيد فيهم يدعى مسيلمة يسترونه بالبرود مكرمة لشأنه ، ولا يسجل التاريخ على وجه الدقة ماذا حدث في هذا اللقاء مع النبي ، وتختلف كتبنا التراثية في رواياتها حول لقاء مسيلمة للنبي من عدمه ، فمنها ما تقول إن بني حنيفة التقوه وكان فيهم مسيلمة ، ومنها ما تقول أن بعضهم التقاه بينما ظل مسيلمة في رحالهم. لكن مسيلمة هذا سيبصح شأنه شأناً ، فما أن عاد إلى اليمامة حتى أعلن في بني حنيفة أنه نبي مثل محمد يوحى إليه ، وأنه قد "أشرك معه في الأمر" والأمر أي السيادة "من الإمارة" ، وأرسل إلى النبي محمد (ص) رسالة بهذا المعنى تنتهي بجملة واضحة المعالم والبيان ، إذ يقول بعد الإعلام بشراكته في النبوة ، وفي الأمر ، بشراكة ثالثة هي الهدف وهي الأهم ترد ضمن مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والراشدي ص ٣٠٥ **"رسالة مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد فإني قد أشركت معك في الأمر ، وأن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون ، والسلام عليك "**..

وفي رواية " ولكن قريشاً لا ينصفون " ، وفي رواية "لا يعدلون".

وكان رد النبي محمد بليغاً فصيحاً واضحاً في صرامة هادئاً في قوة ، إذ كتب له يقول :

"بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن الأرض للة يورثها من يشاء من عبادة ، والعاقبة للمتقين".

ولم يكتف النبي محمد بهذا الرد الذي يحيل الموقف لمن سيمكنه حسم المعركة العسكرية لصالحه ، وهو من سيكون الصادق نبوة وملكاً ، فأرسل إلى اليمامة صحابي اختاره لهذه المهمة العسكرية الدقيقة هو **(نهار بن الرحال بن عنفوة)** لينسل إلى من بقى على إسلامه باليمامة ليشدد من أزرهم وعزائمهم ، وأن يشغب بهم على مسيلمة ، وأن يعيد بهم من اتبع مسيلمة إلى الإسلام.

وكان نهار بن عنفوة قد هاجر من مكة إلى يثرب راغباً في رسول الله ، وقرأ القرآن وتفقه في الدين ، وكان ذكياً حاد البصيرة ، ولهذه الصفات اختاره النبي لهذه المهمة الصعبة. لكن (بن عنفوة) كان فتنة على بني حنيفة أعظم من فتنة مسيلمة نفسه ، فما انـّسل إلى هناك حتى رأى سواد بني حنيفة يتبعون مسيلمة ويوقرونه ويقدسونه ، وقارن بين القوة العسكرية في اليمامة والقوة العسكرية في المدينة ، أقوى جيش عرفته الجزيرة هو جيش المسلمين الذي فتح مكة كان عشرة آلاف ، وتبعه جيش المسلمين أيضاً في وقعة هوازن وكانوا ثنتا عشر ألف ، أما مسيلمة فقد جمع جيش في سنتين فقط اكثر من ستين ألف محارب ، بينما مكث محمد ثلاث وعشرين سنة حتى تمكن من تكوين جيش قوامه ثنتا عشرالفا ، وما أن استكشف ابن عنفوة اليمامة حتى ذهب إلى مسيلمة يعلن له وللمؤمنين به أنه جاء يعلن شهادته لمسيلمة بالرسالة والنبوة ، وأن محمداً قد اعترف له أن مسيلمة قد اشرك معه في الأمر وفي الرسالة.

تقول الروايات أن الناس اقبلوا حينذاك على (بن عنفوة) الذي أصبح المسئول الديني والمستشار الخاص لمسيلمة ، يحمل كل أسرار المسلمين معه إلى جيش اليمامة الجرار ، لقد قرر (بن عنفوة) أن ينتصر بمسيلمة وبجيشه وبما لديه من معلومات استخبارية مباشرة ، طامعاً في أموال بعيدة يعد بها محمد المسلمين قائلاً : "**و الذي نفسي بيده لتملكن كنوز كسرى وقيصر**".

هو حلم التاريخ عندما تنهار الأمم فتتفكك كالروم والفرس وتنهكها الحروب لتترك في المكان منخفضاً في ضغط القوة يحتاج لرفع قوي يملأه ، وكان العرب يعرفون ذلك ، ولذلك توجهت الجيوش الإسلامية نحو الشمال الرومي تخضع وادي القرى وما حوله وتأخذ جزيته مخصومة من دخل الروم ، كان المشهد واضحاً لابن عنفوة ، فترك نبي الأمة وهو الصحابي المختار ليلحق بعدو الإسلام ، ليحقق لنفسه هناك مكانه دنيوية لكنها أيضاً روحية. هذا رغم اختيار النبي له لاشك كان بوحي فالسُنة يقدسون كل فعل وقول نبوي لأنه ما كان ينطق عن الهوى ، فاختاره الله ونبيه ، لكنة خدع الله ونبيه.

في عامين فقط تمكن مسيلمة من حيازة القبول وهو الكذاب لدى ستين ألف محارب إضافة لغير المحاربين من أسرهم ، وكان مطلبه واضحاً بلا تخابث ولا لف ولا مداورة : "**نصف الأرض**". تمكن في سنتين من خداع هذه الأعداد الغفيرة وكلهم يؤمن برسالته ، ليأخذوا من قريش نصف الأرض.

ومات نبي الإسلام وقد ظهر في الجزيرة من المتنبئين طليحة الأسدي وسجاح والأسود العنسي وبالطبع مسيلمة ، وتفشى أمرهم وانتشر مما قاد خليفته أبي بكر

إلى خوض حروب طويلة وعسيرة ، خاصة أنه كان يحارب على جبهة أخرى من امتنعوا عن أداء الزكاة ليثرب حرباً طاحنة ضروس.

لم تكن تلك المشكلة الحقيقية رغم شدة خطورتها على الدولة الطالعة ، إنما كانت المشكلة التي حلت بالجميع هي ماذا يفعلون بعد موت نبيهم وقائدهم وقاضيهم الذي كان على اتصال بالسماء يأتي بتوجيهاتها للمسلمين في كل شأن ، ولم يأت النبي بما عنده ولا أجاب بعقله وفكره إنما عندما كان يُسأل كان ينتظر الوحي يحمل إليه الإجابة. وفجأة تجد الأمة نفسها في حال فطام قهري من توجيهات السماء وإشرافها.

و قد تمكن أبو بكر ببراعة وإتقان من حسم كثير من القضايا كانت تستدعي نبي الأمة وهو غير موجود ، فأوجده أبو بكر ، أحياه بإحياء حديثه ، وانتهى الصراع على الرئاسة بحديث "الخلافة في قريش" وهو حديث لم يروه سوى أبو بكر. ومثل حديث "نحن معاشر الأنبياء لا نورث" ، ليحسم الموقف من البيت النبوي ، في شأن يخص ميراث فاطمة بنت النبي ، فأعلم النبي أبا بكر ولم يعلم إبنته. كانت الأمور بحاجة إلى مثل هذا الحسم لتخليق رتبة تقف بين رتبة النبوة ورتبة المؤمن العادي ، تتقدس قراراتها وفعالها ، وهو ما فعلته الفرق الإسلامية كل لأهلها.

فللشيعة بشر مقدسين وكذلك للسُنة ، وإن قدس السُنة الصحابة بلا استثناء بينما مايز الشيعة في مساحة القدسية عند كل منهم.

المهم أن الصحابة وبخاصة الخلفاء الأربعة الأول قد تقدست فعالهم ، لأن الدولة في نشأتها كانت مقدسة على يد نبي مقدس ، استقت حكمتها وشريعتها ومواقفها الدبلوماسية والعسكرية من قرارات السماء التي كانت تصلهم عبر النبى بانتظام ، وبإختفائه وحتى يحظى أي قانون جديد بالشرعية كان لابد أن يكون القانون صادراً عن جهة مقدسة يتقدس بسببها. و من ثم تحولت قرارات الخلفاء التي أقاموها على أساس مصالح دنيوية وخطط عسكرية وأحياناً مصالح شخصية بحت ، تحولت إلى مقررات مقدسة ، فوقف الإمام في مرتبة وسطى يمكن بها أن يكون نصف نبي.

فلم تعرف الدولة الناشئة معنى المؤسسات ولم تر ضرورة لإقامتها ، فلا هيئة يمكنها أن تشرع ولا هيئة محاسبية سليمة ولا إدارات ترتب الأعمال الدولية حسب التخصصات ، كانت الدنيا سهلة بسيطة في عالم البداوة ، فإن اتسعت رقعة الدولة احتاجت شيئاً غير سلامة الضمير وغير بركة الصحابة ، لهذا سقطت دولة الراشدين لولا معاوية الأموي الذي استلم الشام منظماً مرتباً في هيئات ومؤسسات تعمل منذ مئات السنين ، فعلق عليه اليافطة الإسلامية بدلاً من الرومية.

وعندما قرر معاوية تكليف من ينوب عنه في إمامة الصلاة كان قد قرر فصل الدين عن السياسة ، لكن ليتضخم شأن أنصاف الأنبياء وينمو مع حاجة السلطة الجديدة لشرعيتها الدينية ، بإختراع الحديث ، وبإختراع الفتوى ، ليصبحوا بالنسبة للسلطة وتصبح السُلطة بالنسبة إليهم من لزوم ما يلزم لبعضهما البعض. وهو ذات ما فعله مسيلمة من قبل عندما أراد اقتسام الأرض مع قريش ، أيام مسيلمة كان بإمكانه إدعاء النبوة ، لكن بعد رسوخ الدولة وسطوتها وسطوة الإسلام ما عاد ممكناً لأحد الإدعاء بالنبوة بعد خاتم الأنبياء والمرسلين ، أصبح ممكناً فقط التجديد في الدين وصار كل صاحب رأي ووجهة نظر مدعومة بالقوة أن يفرض وجة نظره بإعتبارها الإسلام الصحيح بعد أن تمت إعادة اكتشافه وتجديده ، فمحمد بن عبد الوهاب عند أهله هو الفقيه المجدد للمذهب الحنبلي ، وهو التجديد الذي لا يرى في المسلمين فرقة ناجية سوى فرقته وحده ، بل ويشرع قتال وقتل وسبي المسلمين من غير مذهبه كالشيعة الإمامية مثلاً وهي أكبر فرق الشيعة. عندما يقدس بشر وجهة نظر وفهمه لمعنى النص الديني ويكفر كل ما عداها ، يكون قد جعل من رأيه ديناً جديداً ، حكاية ابن عنفوة تتكرر ولكن بزي إسلامي تنكري. لقد أنزل الله ملائكته تنصر الدين الأول وها هي تفجر البترول لتنصر الدين الثاني. تراه ماذا كان فاعلاً مسيلمة الكذاب لو كان بيده تلفزيون مذياع ؟

آمن به الألوف في سنتين فكم بالحري يؤمن به لو كان نجماً من نجوم القنوات الفضائية ؟ لن يفعل أكثر مما يفعلون الآن وبالضبط.

كل ما في الأمر أنهم ما عاد بإمكانهم اختراع نبوة جديدة وإلا مرقوا من الدين وحق عليهم الحد ، لكن بإمكانهم اختراعها تحت عنوان : التجديد. ويا ليته كان تجديداً بقدر ما هو تشدد وصرامة ومحافظة يمينية مغالية في تطرفها وتشددها ونصيتها وحرفيتها وطقوسيتها.

إنهم اليوم يدعون أتباعهم ليس ليأخذوا نصف الأرض في هوجة الحرب على الإرهاب ، بل ليأخذوا كل الأرض بالانتحار وقتل الشيعة والأكراد والمندائيين والمسيحيين. وبالطبع سيكون نصيب المقاتل إما جنة عرضها السماوات والأرض ، وإما نصيب في حكم العالم عند التمكين ، لأنهم هم من ضحوا من أجل الدعوة الجديدة ، ومثلما كان يأخذ أتباع مسيلمة سيأخذون ، وكلما كان الدعم من رجل في حجم (ابن عنفوة) وشأنه أو ابن الزرقاوي ورهبته كلما كان التأثير أفضل ، ومن لم يتبن المذهب أو الدين أو التجديد الصحيح الوحيد لن يشارك في جمع غلة محصول الأرض وليس له فيها نصيب ، وذلك تحديداً للسلطان المنتظر توزيعها منعاً للزنادقة والرافضة من أي حق في أي شيء.

إن رجالاً ممن حفظوا القرآن وتفقهوا في الأزهر يقولون ما قال نهار الرحال بن عنفوة ويفعلون ما فعل مسيلمة ، فابتدعوا في الإسلام ما لم يكن فيه ، فقدسوا بشراً غير مقدسين ، ورفعوا من قدر أحاديث واجتهادات بشرية وفتاوى إنسانية إلى رتبة القدسية النصية التي كانت الأسس التي قام عليها علم الفقه كله. لتصبح سيرة الخلفاء محل حيل وتبريرات فقهية لما لا يمكن تبريره ، وكلها إضافات مبتدعة منذ بدأت أول خط لها باللغة العربية ، فكلها لم يكن وراءها وحي سماوي حتى تتقدس.

اللطافة هنا أن بعضهم لا يرى شيئاً غير طبيعي وهم يسبغون القدسية على بعضهم البعض دونما حساب ، فهذا مثلاً الدكتور **عصام العريان** يرى رأي اليقين إن وجود الإخوان المسلمين اليوم في مصر وما يقومون بة إن هو إلا تحقيق للحديث النبوي "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها ، ولا أجد أفضل من الإخوان ينطبق عليه هذا الوصف في هذا القرن." – حوار مع شفاف الشرق الأوسط

ها قد وصل المجددون ، وهم ليسوا مجددين اعتياديين ، إنما هم اختيار رباني لتجديد دينه على أيديهم ، الإخوان هنا لن يكونوا مجرد مشاركين في عملية الإصلاح باختيار سماوي ، وإنما اصطفاهم الله كما سبق واصطفى نبيه ، من هنا يمكن أن نرى فيه ابن عنفوة ؟ ومن يمكن أن يكون مسيلمة ؟

ابن عنفوة ورجاله في العراق يصرون على استوزار التعليم والإعلام ليبشروا بدينهم ، بتحويل الإنسان المولود حراً إلى عبد آلي يتم تحريكه بالكلمة والإشارة ، بلا إرادة ، معدم الشخصية ومعدوم القدرة على التفكير واتخاذ القرار ، يسأل الفقيه في كل خطوة يخطوها ، لا يعرف لغة الحوار ، لا يعرف سوى السمع والطاعة ، ويطلب من غيره أن يكون مثله نموذجاً في الخضوع لا يجادل ولا يستخدم عقله ، لأن الدين الجديد يقول إن ما حدث زمن الدين القديم هو دعوة صالحة لكل زمان ومكان ، وإن السلف لم يترك شيئاً دون تقنين واضح للخلف ، لأنم كانوا يعملون برعاية الإله الذي خلقنا ويعلم ضرنا من نفعنا.

أصبح المسلم اليوم مشلول القدرات ضامر التفكير لعدم الاستخدام ، ويتحول الأمر بالتزام النظام والقانون " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم" إلى أمر بالخضوع التام والمطلق.

كلما كنت غبياً وأكثر نفوراً من الحرية ، وأكثر رغبة في العبودية ، وكلما ناهضت حقوق المرأة وكلما تعصبت ضد الأقليات أو أي آخر كلما كنت مؤمناً نموذجياً. كلما

صرخت في المظاهرات حرصاً على عفة مسلمات فرنسا إذا خلعن الحجاب كلما كان إيمانك أكثر ثباتاً وإثباتاً.

الدين الجديد هو ذات القديم ، التجديد بالترديد ، أن تفكر كما كانوا يفكرون وتتحرك كما كانوا يتحركون.

المؤمن الحقيقي هو من يرى بعيون الأموات ويسمع بآذان من هم في القبور ، ليتطابق المؤمن الحي مع المؤمن الميت ، ولأن الميت هو الأصل وليس التقليد ، فإنه يكون قد تم إحياؤه وهو من كان يعيش في القرن السابع ، لنطلب منه أن يعيش في القرن الحادي والعشرين ، التحول إلى ميت هو المطلوب لأن الميت لم يحيي حقاً ولا حتى وهماً ليحقق النصر للمسلمين وهم أذلة.

مسيلمة عاد بعد التحسينات بثقافة تمجد أبطال الصحراء الذين سبق وفازوا بكل الأرض على كل من طلب المناصفة ، عاد يمجد السادة المنتصرين على بلادنا المفتوحة ففازوا بها فيئاً وبالنساء سبياً حتى أن من كان يربط الحجر على بطنه من الجوع في بداية الدعوة ، مات وذهبه يكسر بالفؤس.

لقد وضعوا أنفسهم هذه المرة موضع الرسول ، الرسول كان لا يناقشه أحد ، لأنه ما كان ينطق من نفسه فإن هو إلا بشر مثلهم يحمل لهم إجابات السماء ، وسادة اليوم لا يقبلون المناقشة ومن يناقش أو يجادل أو يطرح رأياً جديداً مثل رأيهم الجديد هو كافر بإطلاق ، كل من يناقش الرسول أو يعترض منافق أو كافر أو كليهما لأنه إنما كان يناقش أوامر الله ، وهم اليوم تحولوا من أنصاف أنبياء إلى أنبياء. جعلوا المسلمين كالسلف في الطاعة رغم اختلاف الزمان والمكان ومدى قدسية الشخوص ، جعلوا المسلمين آلات مطيعة لا تفكر لأنه لا فكر يعلو على الفكر الإلهي. موهمين بخلط الزمان بزمان آخر لا يعرفه ، والمكان بمكان آخر لا يعرفه ، وبمشايخ اليوم الذين لا يرقى أحدهم لرتبة تابع من التابعين مستندين إلى قرار أبي بكر الالتزام بالكتاب والسُنة (بالأحرى صحيح السُنة وهو المختلف عليه) لإعادة الأمة إلى مهد الطفولة ورضاعة السماء. وأيامها كان أمام أبي بكر قبائل بلا خبرة ولا معرفة في أي شأن ، لا يجيدون سوى السيادة ، فأطلقهم على البلاد المحيطة بالجزيرة يمارسون عليها السيادة ، أما اليوم فيطلقونهم لأنهم لا يجيدون سوى القتل !!

جماعات اليوم الإسلامية على أشكالها ترى نفسها الوريث الشرعي (كل منها الوريث الشرعي الوحيد) لهذا التراث الخليفي بمبادئه التي قام عليها وأنها الأمينة على تنفيذه. فالتزمت النص بحرفيته دون وجود النبي والوحي لينسى ويبدل وينسخ ويرفع. لقد أعفى الأمة إبان وجوده من مهمة التفكير فلما مات قرر الخلفاء استمرار

هذا الإعفاء. وهو أيضاً ما يتكرم علينا به دعاة الأسلمة المعاصرين حتى أمسى التفكير مطلباً إن طلبته من الأمة تكون كمن يهينها !!

روز اليوسف

أحذروا فتنه المسيخ الدجال!!

في كتب الحديث و شروحه يأتينا ذكر فتن أخر الزمان ؛ حيث يفترض أن يظهر قبل عودة المسيح للأرض مرة أخرى لإقامة العدل و المحبة والسلام ؛ شخص يمتلك قدرات عظيمة أطلقوا عليه المسيخ الدجال ؛ فيزعم إنه على الدين القويم و أنه المجدد لكل ما سلف من الأديان ؛ و أنه يمتلك مفاتيح الجنة و الجحيم ؛ و أن من تبعه فاز بالسلطان معه في الدنيا ؛ و فاز بجنته بعد الموت ؛ و من خالفه دخل جهنم حيث العذاب المقيم ؛ و إنه قادر علي السيطرة على الأرض جميعا لأتباعه ليكونوا سادة فيها تحت إمارته ؛ و أن من خالفه فقد خاب فأله و خرج عن صحيح الدين ؛ و حقت عليه اللعنة في الجحيم .

و أن هذا المسخ الشائه الممسوخ سيتبعه الكثير من المؤمنين إيمانا بدعوته ؛ لذلك حذر الإسلام المسلمين منه و نبههم كثيراً ووضع له صفات وعلامات و مواقف و تصرفات و ادعاءات تكفي المسلم ليعلم أنه المسيخ و ليس المسيح .

و لا يخلو كتاب من كتب السير و الأخبار أو كتب الفتن و الملاحم الإسلامية من ذكر تفصيلي لفتنة دجال آخر الزمان حتى ينتبه إليه المسلمون و يحذرونه ؛ و أن يصمدوا علي دينهم ولا يشاركوا في فتنته ؛ و يبدوا أن هناك علامات تدل على أن هذا المسيخ قد أظل دنيا المسلمين بظله هذه الأيام و أن من الحذر و الفطنة أن يبحث المسلمون بما لديهم من علامات دالة عليه ليعرفوا من هو ؛ حتى لا يسوقهم إلى الجحيم .

و ضمن تلك العلامات قدرة هذا المسخ الدجال على الإقناع بالدين ليدعوا به لنفسه فيتبعه المؤمنون تصوراً منهم بأنهم بإتباعه يخلصون لدينهم و لربهم و لعقيدتهم ؛ عن حب لدينهم ؛ وهو ما يدفعهم دفعا للوقوع في شراك فتنته ؛ فيكونوا هم الأخسرين دنيا و آخره ؛ فيشاركون في الفتنة و الدمار و هم يعتقدون أنهم لدينهم بين الناس هم المخلصون .

و حتى يمكننا العثور على هذا المسيخ إن كان هذا أوانه حقا كما يقول بعض الكتاب الإسلاميين المعاصرين ؛ نسير معاً خطوة خطوة حتى نعرف أين هو ؛ فلا نفتري ظلماً ؛ و لا نلقى خطاباً منثوراً يدغدغ العواطف نسير معاً بهدى الأمانة التي قبلناها يوم خلقنا ؛ بالعقل الذي هو نور الإنسان و طريقه لليقين ؛ و به يستحق خلافة الله في أرضه .

إن دعاة السلفية في بلادنا يكررون على مسامعنا أقوال السلف ؛ يزجرون الناس و يخوفونهم بالجحيم إن لم يتبعوهم فيما يقولون لأن بيدهم مفاتيح الدين التي هي مفاتيح النعيم .

لنتذكر هنا وعظ الواعظ للخليفة المأمون الذي أصغى للواعظ طويلاً ؛ فلما فرغ قال له : "قد سمعت موعظتك ؛ فأسال الله أن ينفعنا بها و بما علمنا ؛ غير إنا أحوج إلى المعونة بالفعال منا إلى المعاونة بالمقال ؛ فقد كثر القائلون و قل الفاعلون ".

و قبله قال رجل للرشيد " يا أمير المؤمنين إني أريد أن أعظك بعظة فيها بعض غلظة فاستحملها ؛ فقال : كلا ؛ إن الله أمر من هو خير منك بالإلانة في القول لمن هو شر منى ؛ قال لنبيه موسى إذ أرسله إلى فرعون : فقولا له قولا لينا ".

ها قد أمسكنا بطرف الخيط ؛ إنهم يقولون لنا قول السلف ؛ و يفعلون فعل التلف ؛ و يزجروننا و يكفروننا و يخاطبون الناس بالغلظة ؛ و يفتون بالموت و التفجير لمن خالف قولهم ؛ إنها أول العلامات التي يتصف بها المسيخ ؛ لأننا لا كفرنا كفر فرعون موسى حتى يزجروننا بالتكفير و يدمرون بلادنا و أبريائنا بالتفاجير ؛ ولا هم مثل موسى و لا هم فاعلون للخير ولا حتى هم به من الناصحين ؛ بل أن معظمهم فعال للشر معتد أثيم ؛ عتل بعد ذلك زنيم .

يسمون أنفسهم مسلمين في جماعات و فرق من الاثنين و سبعين ؛ ليؤكدوا أنهم وحدهم الفاهمون الراعون لدين المسلمين لذلك حق على المسلمين انسياقهم لقيادتهم و الإيمان بهم قادة للأمة و العالمين ؛ أليست تلك واحدة من أهم صفات الدجال المسيخ ؛ أنه يزعم وحده امتلاك شأن الدنيا و الدين ؟؟!أليس توصيف أنفسهم بالمسلمين ؛ يعني أن غيرهم من الكافرين ؟؟ لكن : ألسنا شركاؤهم في هذا الدين؟ و أن السلف إرث لجميع المسلمين و ليس لطائفة من بينهم تزعم ذلك تتسيد عليهم بالدين ؟! أم أن الإسلام تركة خاصة بفرقة أو عصابة بذاتها من بين المؤمنين؟ تدعي وحدها إنها المسئولة عن دين الله في الأرض ؛ و أنها بذلك تكون مدعومة وحدها من رب العالمين ؟؟!

إن من يحق له هذا القول لم يعد موجوداً بيننا الآن ؛ كانوا المهاجرين و الأنصار و المبشرين بالجنان ؛ و قد ماتوا جميعا منذ قرون متطاولة بعيدة ؛ و بعدهم لم يعد لأحد حق ادعاء ميراث تقواهم وقيادتهم ؛ لأنه لم يرد عن القرآن ولا عن النبي ما يبشر بظهور جماعة الإخوان أو الجماعة السلفية أو الجماعة الجهادية ولا مركز بحوث أزهرية يمنع و يصادر و يكفر ؛ لكنه أكد و نبه و بشر بظهور الدجالين ؛ لقد

أنبأنا بفتنه المسيخ و لم ينبئنا بظهور إخوان توحد المسلمين تحت قيادتها ؛ لكنه أنبأ بتفرق المسلمين إلى فرق ثلاث و سبعين .

لنقارن إذن بين السلف و السلفيين ؛ حتى نفرز الغث من السمين و لم نسمع من السلف شعار القرآن دستورنا طلباً للسلطان بالضحك على ذقون المسلمين ؛ ليسميونهم بعد ذلك سؤ العذاب و يسوقونهم إلى الخراب ؛ لكنهم علموا أن القرآن هو دستور ديننا و أخلاقنا ؛ لأنه لو كان القرآن دستور دولة الراشدين (مثلا) ؛ لما أختلف الراشدون الأربعة كل على طريقته في الفهم و في الحكم و في الإدارة ؛ و إلا كانت مخالفتهم مخالفة للدين ؛ و لما وقعت الفتنة الكبرى ؛ و لما حاربت عائشة علياً ؛ و لما قتل المسلمون عثمان و على .

لو كان القرآن دستور دولتهم و هم خير الصحابة لعاشت دولتهم أزهى العصور و أكثرها أمناً و سلاماً و استقراراً ؛ بينما لم تكن أبدا كذلك .

ثم إذا كان الإخوان و المشايخ و من لف لفهم و رفع شعاراتهم يعلمون أن القرآن هو دستور دولتنا حقا ؛ فلماذا تراجعوا الآن و قرروا قبول الديموقراطية ذات الأصول الرومانية الوثنية ؛ و التي يطبقها الطاغوت الأعظم الأمريكي و يطالبنا بها ؛ لماذا قبلوا بالإصلاح ؛ فهل كان الدستور القرآني فاسد معاذ الله ؟؟ و هل يقر المؤمن الصالح أن القرآن دستور الدولة ثم يعود فيقبل بإصلاحات ديموقراطية ذات صبغة بشرية مائة بالمئة ؟؟

ألا يعني ذلك أنهم يرضون اليوم بالقانون الوضعي الذي طالما كفروه من قبل ؛ يحتسبوه الأجدر بالتطبيق من القانون الإلهي؟؟

أليس هذه من دجل المسيخ على الدين و على المسلمين؟؟

أنهم يعلمون أن السماء لم تضع قانونا لإدارة الدولة ..فالقرآن ليس دستور حكومة ؛ لذلك انتقلوا عنه بكل سهولة إلى المسموح به أمريكياً ؛ ولأنه لو كان دستوراً للحكومة فإن فشل الحكام و الحكومات سيكون مردوداً عليه ؛ لأن الإدارة من الألف إلى الياء نظام بشري خالص ؛ قابل للنجاح و الفشل ؛ تحكمه منظومة الصواب و الخطأ و ليس منظومة الحلال و الحرام ؛ و إلا كان الجميع آثمين حتى صحابة النبي المكرمين .

يقول هنا عميد الأدب العربي طه حسين :" إن النبي لم يرسم بسنته نظاما معينا للحكم و السياسة ؛ و لم يستخلف على المسلمين أحداً من أصحابه بعهد مكتوب أو غير مكتوب ؛ و حين ثقل عليه المرض أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ؛ فقال

المسلمون بعد ذلك ؛ رضيه رسول الله لأمور ديننا ؛ فما يمنعنا أن نرضاه لأمور دنيانا "!!و هو ما يدل بوضوح على إدراك الصحابة الأوائل أن أمور الدنيا شيء و أمور الدين شئ .

و يستطرد العميد :" و لو كان للمسلمين نظام سياسي منزل من السماء لرسمه القرآن ؛ أو لبين النبي حدوده و أصوله و لفرض على المسلمين الإيمان به و الإذعان له "

إذن رضى المسلمون أبا بكر لأمور دنياهم ؛ أي الحكم ؛ أما رسول الله فقد كان للدين والدنيا مختاراً من قبل الرحمن ؛ أما أبو بكر فلم يكن يوحي إليه".

لقد تركت السماء للبشر أن يصمموا لدولتهم قوانين تناسبهم على مسئوليتهم ؛ فإن أصابوا فبتوفيق منها ؛ و إن أخطأوا فمن عند أنفسهم ؛ و ليس من عند الله كما نصت الآيات .

لقد تركت السماء لنا شئون دنيانا ؛ و حريتنا في وضع دستورنا ؛ و قوانيننا التي تناسبنا لنحكم مجتمعنا ؛ لأنها تعلم أن المجتمع دائم التطور دائب التغير ؛ و هو ما يستدعي تغيراً مستمراً في القوانين ؛ و تعديل مواكب للتطور في الدساتير و نظم الحكم ؛ و هو الأمر الذي لا يصح معه القول بأن القرآن دستورنا ؛ لأنه متصف بالثبات خاصة بعد انقطاع الوحي بوفاة الرسول . لكن من أصر على خلاف ذلك لفظهم التاريخ فأين الخوارج اليوم ؟ لقد ذهبوا ؛ لكن ظهر بدلا عنهم المسيخ الدجال و معهد البحوث الأزهري و الإخوان المسلمون ؛ فهل سنكون كلنا من غير أعضاء جماعتهم الإخوان الكافرين ؟؟

إنها فتنة المسيخ واضحة كالشمس .

ثم إن الراشدين الأربعة الذين كانوا الأصدق إيماناً **من ابن عاكف أو ابن قرضاوي أو ابن هويدى** أو ابن المسيخ الدجال ؛ لأنهم كانوا تربية يد رسول الأمة ؛ تعلموا عليه و نقلوا عنه ؛ و كانوا يدينون بدين واحد ؛ و يؤمنون برب واحد ؛ و مع ذلك لم تتطابق سيرة أحدهم في الحكم مع الآخر ؛ و هو ما يؤدى إلى استنتاج أن نظام الحكم كان أحد أهم المناطق الحرة التي تركها لنا ربنا سماحاً براحاً حراً ؛ ليري المسلمون ما يناسب ظروفهم حسب زمانهم ؛ لذلك كان لكل خليفة رأى غير الآخر ؛ و كان كلهم على صواب ؛ لأن أحدهم لم يفعل ما يخالف أوامر دينه أو نصوص شريعته ؛ لأن السياسة و الإدارة فيما عملوا و تعلموا على يد نبيهم كانت شأناً خارج نطاق الدين ؛ لأنه لا خلاف في الدين ؛ و حتى لو حدث خلاف ما كان ليحدث بين الأكرمين المبشرين بجنة رب العالمين ؛ إذن كان اختلاف الراشدين في طريقة

الحكم دليلاً شرعياً واضحاً بحسبان أن فعالهم قد أصبحت سنة لنا ؛ دليلاً على أن الدنيا و سياستها شأن ؛ و أن الدين شأن آخر ؛ لأن الأمر لو كان دينا ما اختلف الهداة المهديون عن بعضهم البعض .

كانت عناصر النظام الحكومي بعد وفاة الرسول هي طبقة الأرستقراطية الدينية المختارة من الصحابة ؛ و هم بشر ؛ غير متجددين نتيجة وفاة نبيهم الذي كان يخلقهم بخلقه و يؤدبهم بأدبه ؛ و بعد الرسول انقرضت هذه الفئة بالاستشهاد في المعارك أو بالموت .

و بعدها جاء جيل ليس له سابقة فضل أو امتياز و كان عليه أن يختار من بين نظم الحكم في الدنيا ما يناسبه ؛ كان هناك رأى الخوارج اليميني المتشدد المحافظ ؛ و كان هناك رأى الشيعة الآخذ بمبدأ الوراثة و الإمامة في آل البيت ؛ و كان هناك من رأى الأفضل في الملك القيصري الكسروي الإمبراطوري ؛ و كان هناك أنظمة ديمقراطية سابقة في روما و أثينا لها دستور و قوانين واضحة تحمي الشعب من جور السلطان ؛ لكن فقهاء الدين تمكنوا من تسخيره لصالح نظام الملوك الذين أكد القرآن أنهم إذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أهلها شيعا .. و هو ما حدث في واقع المسلمين و مزقتهم وصوروا للناس البسطاء أن ذلك هو شرع الله .

فغرقت أمة الإسلام في الصراعات و الإنشقاقات تحت حكم قيصري كسروي يرفع راية الدين باسم الخلافة ؛ حتى إذا سقطت الخلافة العثمانية و بدأ المسلمون يلتفتون إلى نظم الحكم في العالم ليستردوا حريتهم المسلوبة ؛ ظهر جيش المسيخ الدجال من مشايخ آخر الزمان ليستعيدونا ميراثاً لهم بحسبان هذه الحريات المعاصرة ليست من الدين في شئ ؛ أو إنها لا تليق بنا لأننا خلقنا فقط للاستعباد .

إن ما تخلقوا به و خلقهم به مسيخهم الدجال .

يستعيدون به المسلمين للعبودية لهم ؛ قائلين لهم إنها عبودية لله !! دجال ؛

أننا لا نصلح لحريات الغرب الكافر !!دجال ؛

إننا لابد أن نعود لحماية السماء التي فوضتهم في ذلك !!دجال ؛

إن لنا ثوابت في نظام الحكم !! دجال ؛

أن يخوفونا من الاعتماد على أنفسنا لنعتمد على الله ..عليهم !! دجال

أن نظام الخلافة هو المنقذ الذي سينقذ الأمة لتحتل العالم تحت قيادتهم و سلطانهم .. إنه المسيخ الدجال كامل المواصفات .

روز اليوسف ، ٢٠٠٥/٦/٣

اعقروا الجمل

لم يكن المتفجر فردا منفلتا متوحدا ، بل تأكد أنه ضمن خلية ، والله يعلم أين بقية الزنابير ، لكن الفكرة لا تنتفى بهذا الاكتشاف لأنه قد صار ممكنا أن يقوم بالفعل الإرهابى شخص مفرد ، كما حدث بطعن مواطن لسائح يقبل زوجته قبل التفجير بأسبوع ، لقد علمناهم وثقفناهم أن هذا المشهد الذى ترق له حواس البشر فى كل الأرض فيهشون له ويبشون وتخفق قلوبهم له حنانا وتفيض مشاعرهم بالإنسانية.

علمناهم فى المدرسة وفى التليفزيون والمسجد وداخل الأسرة أنه مشهد قبيح داعر غير محتشم ، فكان رد فعل المواطن هو خروج الطاقة التى زرعنا مولدها بداخله ، حتى إنه لم يستطع أن يقاوم مولد الكراهية والقبح بداخله فطعن الزوجين بالمطواة ، فأى قبح وكراهية زرعنا فى بلادنا الجميلة الرقيقة ست الحسن كله؟!

إن مولد القبح والكراهية والقسوة كمولد الطاقة ، ينفجر مع ازدياد الضغط بداخله ، وهو ما يقع تحته المسلم المسكين مع ما يتعرض له من ضغط هائل من أهل الدين فى بلادنا أكثر مما يتعرض له أى أهل دين آخر فى العالم.

فبينما يكفى المسيحى صلاة أن يرشم الصليب فى ثانية واحدة ، فإن المسلم مطالب بالتحول إلى آلة ميكانيكية تردد ذات الفعل كل يوم ، فهو مطالب بأن يذهب إلى المسجد خمس مرات فى اليوم ، ومطالب باستمرار بقراءة القرآن والتباكى إن لم يستطع البكاء وأن يقضى فيه يوم العمل الرسمى بلا إمكانية لأحد أن يطالبه بأداء عمله وهو يقرأ القرآن ، وتلاوة ما لا حصر له من أدعية وأذكار تصاحب كل حركة وكل سكنة من صحوه فجرا إلى لحظة دخوله فراش الزوجية.

عملية ترديد تكرارى فيسرح منه العقل فلا هو مع ما يتلو ولا هو مع ما يجرى فى واقعه ليفهمه ، فى فاصل ساتر بين العقل وبين واقع العالم الذى يجرى من حوله ، فيصبح فى حالة هلوسة مستديمة ضاعت معها القدرة على التمييز بين الجميل والقبيح ، وبين الخير والشر ، وبقيت فقط قيمة الحلال والحرام من وجهة نظر الإسلام وحده ، على المسلم محظورات ضاغطة عاتية ، فهو ممنوع من السؤال خارج القواعد المسموح بها ، وحرية التفكير ، فهى كما حدد الدين شروطها ، وكذلك تمتنع حرية الرأى ، ولا حوار إلا حول كتاب الله وشئون الشريعة كما قررها فقهنا.

و للملبس شروط وأصول تحولت إلى فرائض إسلامية مستجدة كالحجاب ، وياليتهم فرضوا للمسلمين شيئا يدفعهم للأمام ماداموا قد قرروا أن يضيفوا لفرائض الإسلام ما لم يكن فيها بابتداع غير حميد.

وعلى المسلم أن يكون حافظا لكثير من آيات النجاح عند الإقدام على الفعل وآيات إعماء الخصم وفك بصيرة المسلم وجلائها ، المسلم محروم من الكرنفالات الجماعية التى تجمع أبناء الوطن كله على الحب والتلاقى فى شوارع الوطن ليحبوا بعضهم ويحبوا الوطن ، المسلم محروم من الترفيه و الرقص الجميل الراقى والفن الذى يرقى الأحاسيس ، محروم من السينما ومن الرواية ومن المسرح ومن الموسيقى اللهم إلا الدفوف وهو ما لا علاقة له بالموسيقى.

المسلم محاصر حتى الشلل فى العقل فيسلم عقله لنواب الإسلام على الأرض ، لأن هناك من يفكر له ، وهو ما يقوم على مبدأ أن الرسول لم يكن ينطق عن الهوى وهو رسول ، وكان لا يجيب عن أى سؤال لمسلم إلا بعد وصول الوحى ، فما بال المسلم وهذا نبيه وسنته وقدوته ، هل بإمكان المسلم أن يخطو خطوة من تلقاء نفسه؟!

أما المرأة المسلمة فهى إلى عبودية ذليلة كما قال إمام المفسرين الرازى ، فهى عنده بعد تطبيق كل واجباتها تصبح كالأسيرة فى يد الرجل ، ويقول **قرضاوى** «الجزيرة/ حلقة الأهلية السياسية للمرأة» ، مفسرا ما تنوء به المرأة المسلمة ، فهى إضافة إلى كل المطلوب من المسلم الذكر ، فإن عليها واجبات أكثر وحصارا أشد ، يقول قرضاوى:«ضوابط أكثر للمرأة لأن الرجل ليس فتنة كالمرأة ، يطلب منها تغطية الشعر والنحر والعنق ولباس ما لا يشف ولا يصف.. المرأة مطلوب منها من الضوابط ما ليس مطلوبا من الرجل» ، ويفسر قرضاوى السر فى كل هذا الضغط على المرأة دون الرجل بقوله: «المرأة تودى الراجل البحر وترجعه عطشان.. وإن كيدكن عظيم»!

ولهذا القدر سلمت المرأة عقلها وروحها واعتقدت أن تلك فروض دينية مقدورة عليها ، حتى قامت الدكاترة السيدات الأزاهرة يكفرن كاتب هذه السطور عندما تحدث عن حقوق المرأة المطلوبة لها كمواطن كامل الأهلية كالرجل عبر الإعلام والتعليم والمسجد ، وحتى الجماعات الدينية الأهلية ، أمكن السيطرة على عقل المواطن ، ومن ثم إمكانية توجيهه حسب المراد ، أصبحنا أدوات فى أيديهم يفعلون بنا ما شاءوا ، إن شاءوا حاربوا بنا من أجل أمجادهم ، وإن شاءوا حولوا بعضنا إلى آلات تفجير متحركة ، فهناك فريق الوعظ والإرشاد ، وهو الأكثر خطورة لأنه الذى يفرش الأرض الثقافية للإرهاب ، وهناك فريق التبرير الإعلامى للأعمال الإرهابية ، يدين من طرف اللسان ليبرر بأسوأ التبريرات ، وهناك فريق التفجيرات

المحترف الذى يترك لفريق آخر مهمة الدفاع عنه وتبرير فعله ، فإن ضاقت الحلقة ادعوا أن هؤلاء قلة لا شأن لهم بالمسلمين ، وأن الإسلام برىء منهم ، وأنهم يتفجرون حولنا وفينا وفى كرامة بلادنا وفى ديننا لأنهم قد حرموا من الحرية.
أترون مكاسب الصحوة الإسلامية المباركة؟! أتروننا فى قاع الأمم تخلفا ، بل أكثر الأمم حصولا على احتقار العالم؟!

أترونهم وقد أوهموا شبابنا أن الاستبداد شأن حديث العهد اخترعته الحكومات الحالية بدعم من دول الكفر ، وعلى رأسها الطاغوت الأمريكى ، وأن قيم الحرية والعدالة والمساواة كانت هى السائدة فى مجتمعات المسلمين قبل ظهور الاستعمار ، يقولون ذلك باسم الدين المفترض فيمن يتحدث باسمه أن يكون لسانه أكثر طهارة من ذلك ، وأرفع من ذلك التدنى والكذب على الوطن وأهله من أجل مكاسبه السيادية على أكتافنا طوال تاريخنا الأسود الدموى المرعب منذ الفتح وقوانينه. فى هذه الشبكة العنكبوتية التى مدت خيوطها الشريرة فى كل الوطن واستشرت سرطانيا فى عقل أبناء الوطن ، تتوه منك الإجابة وأن تتساءل: من المجرم القاتل؟!

فى حادث الأزهر ، وما قبل الأزهر ، وما بعد الأزهر؟! هل هو الشيخ المرجعى للإخوان وإخوانهم على مختلف الأصناف الشيخ قرضاوى ، الذى وقف ضد السياحة ، وهى المصدر المالى الأكثر ضمانا لمصر من أى مصدر آخر ، لأنها تملك كنزا يعدل كنوز العالم الأثرية مجتمعة ، فقال فى حلقة «الظاهريون الجدد/ الجزيرة»: «يزعمون أن مصلحة الناس أننا نبيح لهم البغاء.. أن نبيح للناس المسكرات تشجيعا للسياحة» ، وبداية كان هذا مدخله لتكفير السياحة: البغاء والمسكرات ، لقد كانت مكة كذلك لكن النبى منع هذا الدخل الاقتصادى مقابل دخل آخر ، هو الجهاد فى سبيل الله من أجل الحصول على دخل أعظم وأفضل بفتح البلدان واحتلالها ، لأن الله قال: «وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ، يعنى إذا كنتم خايفين من ضيق ، ربنا هيوسعها عليكم ، وفعلا وسع الله عليهم بالفتوح والغنائم» ، انظر إلى النصب على المسلمين وعلى الله على الملأ! المقابل إذن هو الجهاد لاحتلال العالم بعد إلغاء السياحة من بلادنا. بينما ملك البحرين فى جواره رفض الاستجابة لطلب المتأسلمين فى بلاده إلغاء الخمر ، لأن مملكة البحرين تحقق الآن أعلى عائد اقتصادى بالنسبة لعدد سكانها لكونها «موناكو» الخليج ، بفضل مجىء العرب المحرومين من الخمر فى بلادهم إلى البحرين ليعيشوا هناك فى لون من السياحة لا علاقة له بالآثار التى يقتل شبابنا زوارها.

رغم أن هناك آثارا جميلة ومهمة فى البحرين ، لكنها لم تكن يوما السبب فى ارتفاع الدخل الاقتصادى لهذه الدولة الصغيرة المنفتحة بذكاء بعد أن كانت أفقر دول

الخليج. إن موقف قرضاوى ليس موقفا شخصيا بالتأكيد ضد مصر وضد توفير مصدر رخاء لأبنائها ، لأنه يقف ضمن جوقة كاملة تردد ذات الخطاب ، معظمهم فى مصر ، قرضاوى يرى: «أن هناك من يسعون إلى تفكيك الإسلام.. فيريدونه إسلاما بلا جهاد ، وزواجا بلا طلاق ، وعقيدة بلا شريعة ، وحقا بلا قوة ، ومصحفا بلا سيف ، هو رسالة تشمل كل جوانب الحياة من أدب الاستنجاء إلى بناء الدولة. يشرع للإنسان منذ أن يولد إلى أن يموت».

دون أن يقول بالطبع أنه لا يوجد قول شرعى فى الشأن السياسى ونظام الحكم فى الإسلام ، حتى لو قام بتأويل بعض الأحاديث فإنه سيجد أنها أقل بما لا يقارن باهتمام الإسلام بنظافة العربى مثلا: «أدب الاستنجاء» ، وشروطه ، فاهتم بشئون وتفاصيل ليست بذات شأن فى حياة المجتمعات والدول وسياستها ، وأهمل الشأن السياسى ، مما يشير إلى أنه قد ترك الشأن السياسى للمسلمين ، لكن قرضاوى ورجاله يقولون إن الشأن السياسى هو حكم الله وليس البشر وبما أن الله لن يحكم بنفسه ، فهم قد اختاروا أنفسهم للحكم بالنيابة عنه!

أوهم قرضاوي شبابنا المسلم بفكرة شمولية الإسلام تلك ، وأنها أصل الإسلام الذى دونه الكفر العلنى ، حتى اضطره المفكرون الليبراليون للاعتراف بأنها أبدا لم تكن أصلا من أصول الإسلام ، وبقوله فى الجزيرة فى ٢٠٠٥/٢/٢٠: «لما سقطت الخلافة الإسلامية وليس للإسلام سلطة دينية ، ماعدش للإسلام شيء ، لذلك الإخوان و **حسن البنا** كانا من أبرز دعاة هذه الفكرة». وفكرة الحاكمية ظهرت متأخرة فى كتابات **سيد قطب** ، إنما فكرة الشمولية بدأها حسن البنا منذ سنة ١٩٢٨.

هذا قول مولانا فى اعتراف شديد الوطأة لا تعرف معه ما يجب أن نفعله مع مثل هؤلاء الذين أوهموا المسلمين بشمولية الإسلام لكل حركة وسكنة للمسلم ، وساعدتهم الدول الإسلامية عبر ما تملكه من وسائل تثقيف إعلامية وتعليمية لتأكيد هذه المعانى التى ليست أكثر من معان وأفكار لجماعة محظورة ملوثة بالدم.

لكن قرضاوى سعيد بما أنجزه فريقه فهو يقول سعيدا ومعه كل الحق: «أصبح المسلمون يتنادون فى كل مكان بتحكيم الشريعة الإسلامية ، ولو عمل الناس استفتاء من يحكم: الشريعة أم القانون الوضعى؟ الشريعة الإسلامية ستكتسح». ومع الشمولية الموهومة للإسلام بالصلاحية لكل مكان وزمان ، التى بدأ زرعها وريها منذ حسن البنا فقط ، يجب علينا الرجوع للقرن السابع الميلادى فى كل شأن من شئوننا ، ومسألة السياحة لا يعرفها الإسلام ويرفضها إذا لم تكن فى النطاق الإسلامى ، فلا سياحة فى الإسلام لأنه «لا يشد الرحال إلا إلى ثلاث: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا» ، يعنى قبرص واليونان كفر ، وكلما

تعمقت أكثر كان كفرك أعظم ، المتعة الشخصية ممنوعة ، إن أردت المتعة فقد حددها لك الدين لتضع هناك أموال رحلتك زيادة فى حصة البنوك السعودية ، هذه هى السياحة المسموح بها ، ومعلوم أن التأكيد عليها كان لضمان استخدام الأماكن المقدسة كمصدر للكسب والرزق ، أما آثارنا الأعظم فى العالم على الإطلاق فهى سياحة محرمة لاقترانها بالمرفوض عمله فى مكة والمدينة ، ونحن لسنا لا مكة ولا المدينة ، ولا نطمع فى مثل تلك القدسية ، بقدر ما نريد أن نستثمر منجز أجدادنا التاريخى كى نعيش كما يعيش البشر ، من المسئول ، هل هو سيدى المفتى الذى ينشغل بالحضارة الإسلامية التى **نامت ويريد أحدا ليهزها لتصحو لمصلحة البشرية** ، أكثر من انشغاله بمصرنا وهمومها ودوره المنوط به من أجلها «ندوة بمسجد النور عن الحضارة الإسلامية نظمتها وزارة الأوقاف المصرية».

من المجرم القاتل السياف أو المتفجر أو جاز الرقاب؟**!** أم كلنا مجتمعا ودولة وحكومة؟**!**

أطمئنكم جميعا ، يقول حجة الإسلام **أبو حامد الغزالى** إن كلنا أبرياء: الحكومة بريئة والقاتل برىء ، وقرضاوى برىء ، الكل أبرياء ، لأن الله هو الفاعل الحقيقى: «إن الله هو الذى خلق القدرة فى الإنسان على فعل الأعمال ، فالله بهذا النظر هو المخترع للعمل كله لأن الإنسان ما كان قادرا على فعل ما لم يخلق الله فيه القدرة على ذلك الفعل».

انشغل إمامنا بآخرتنا وإثمنا من عدمه ، أما من مات ومن تعرض للظلم ومن قتل ، وأنظمة العبودية والقهر والثقافة التى تحرض على الكراهية والموت والغم ، كل هذا لم يفعل بذاته ، إنما الله هو الفاعل.

اطمئنوا إذن**!** لقد تركنا الإرهاب ينمو ويترعرع عندما سمحنا للفكر الإخوانى بالتغلغل فى إعلامنا وتعليمنا حتى بثوا فى عقول أبنائنا ما لا علاقة له لا بدين ولا بإسلام ولا بوطن ، لقد نما الإرهاب عندما تركناهم يؤسسون فى عقل المسلم المصرى أن المواطنة والجنسية بدعة ، لأنهم لا يعترفون بالأوطان ، إنهم أمة لا إله إلا الله فى أى مكان ، لقد استفحل شأن الفكر الكاره عندما سمحنا لمؤسسة الفتوى بالقول فيما هو خارج اختصاصها ، وعندما سمحنا لأكثر المشايخ قسوة أن يفتى فى تلفازنا وإذاعاتنا وفضائياتنا حتى تناقضت الفتاوى مع بعضها ، وتناقضت كلها مع القانون الوضعى الذى نكفره علنا وندرس هذا التكفير لأبنائنا مفضلين عليه قوانين القرن السابع الميلادى ، ومن قال بغير ذلك تتم محاكمته ، وهى إحدى التهم التى واجهها صاحب هذا القلم ذات يوم مضى ، ولن يعود سادتى أبدا ، وكونوا على يقين من ذلك. لقد انتشر السرطان عندما سمحنا لهم بسلب أرواح عيالنا لأن أى واحد

منهم يطلب من رعاياه المؤمنين تسليمه عقله عندما يستفتيه ويسأله ويتتلمذ عليه لأنه المتحدث باسم الإسلام. لقد ترعرع الفيروس عندما سمحنا لشحنة الكراهية أن تتجه ضد الناس أنفسهم ومصالحهم ، عندما شحذنا الأرواح بكراهية دول الغرب المتقدم حتى تكره شعوبنا كل ما يتعلق بالغرب حتى لو كان الحرية والكرامة والديمقراطية ، بدلا من أن تتجه ضد من مرمغوا كرامتنا فى الطين أمام العالم من مشايخ وميليشيات المسلمين المسلحة!

لقد أعطيناهم الحق فى أن يعودوا لضرب الوطن وقتل الأبرياء عندما أطلقوا فى كل صحفهم قومية ومستقلة وحزبية وصفراء على ما يحدث فى العراق فى جانب المتسللين العرب وبقايا البعث الدموى ضد أهلنا فى العراق لقب «المقاومة» ، وهو لقب تشريفى قصدنا به أنها مقاومة وطنية مشروعة ، وقام مشايخنا يشبهونها بالمقاومة الفرنسية عندما احتلها النازيون ، هذا رغم أن مفكرينا الإسلاميين يعلمون أن الإسلام ليس فيه وطن أصلا كى نحارب دفاعا عنه لأن الجهاد هو فى سبيل الله لا يعترف بالأوطان لأننا أمة لا إله إلا الله. وقفنا مع السنة فى العراق عندما رفضوا المشاركة فى الانتخابات ، وإن لم يكن من البعض بالقول الصريح المباشر فقد جاء ضمنا ، لعلمهم أن خروج قوات التحالف سيترك الشعب تحت رحمة هؤلاء الإرهابيين يعيدون فرض ديكتاتورية حطمتها الإرادة الدولية ، بما لديهم من مخازن سلاح هائلة سلمها لهم أتباع صدام بعد سقوطه ، نحن نعلم أن السنة لا يريدون مشاركين لهم فى حكم العراق ، لا كرديا ولا شيعيا ولا مسيحيا ولا آشوريا ولا كلدانيا ولا مندائيا ، ثم إذا كانت مقاومة وخيار وطنى عراقى يقوم بها العراقيون؟!

فلماذا تضرب المقاومة أهلها ومواطنيها وهى الوطنية؟! إنهم يضربون أغلبية الشعب الذى توجه لصناديق الاقتراع ومعه كفنه ليقول لهم: لا انتهى زمنكم وزمن احتكاركم للسلطة. لكن السنة لا يتنازلون عن قناعة أن حكم العراق حق مكتسب لهم دون غيرهم ، ودخول الانتخابات يحمل اعترافا بحق الآخرين فى المنافسة على الحكم ، وهو المبدأ المرفوض ، وبينما المتطرفون يمسكون بسيدة مندائية ليقطعوها قطعا صغيرة وهى حية كان إعلاننا يبرز نجاحات المقاومة الباهرة وبشاعة الاحتلال الأمريكى ، إننا عندما نهلل لهذه المقاومة فى العراق ، فلا نبتئس عندما يخرج علينا المتفجرون فى وطننا بعد أن آمنوا بما نقول لهم.

قرضاوى يقول فى حلقة الظاهريون الجدد بالجزيرة: «إن الإنسان يضحى بنفسه من أجل دينه ، ويضحى بوطنه من أجل دينه ، فالدين مقدم على الإنسان». إن قراءة هذا النص هكذا يجعله غير مفهوم ، لكنه يصبح مفهوما عندما نرى لوحة الأزهر يوم قدم الصبى المتفجر دينه على وطنه. لماذا؟

لماذا أهاجم وطنى من أجل دينى؟

يجيب قرضاوى : «لإقامة الدولة المسلمة التى تحكم بشريعة الله. وعلى الدعاة أن يعملوا بكل ما يستطيعون ، ويهيئوا الرأى العام لتقبل فكرتهم وقيام دولتهم» ، وأن «على المسلم أن يكره الكفر والفسوق والعصيان ولا يرضى بالمنكر الذى تطفح به الحياة من حوله ، فإن أدنى درجات الإيمان أن يغير المسلم المنكر بقلبه ، أى يكرهه ويتألم به ويسخط عليه ، وأرفع من ذلك درجة أن يغيره بلسانه إن استطاع» ، وأرفع من هذا أن يغيره بيده إن استطاع ، كتابه: **ظاهرة الغلو فى التكفير** ص ٥٦٦ ، ولاحظ عنوان الكتاب ، وما يقول هو من سماحة مقابل ظاهرة الغلو فى التفكير ، أن يغير المسلم بيده بغض النظر عن القانون وعن حياة الناس وعن كرامة الوطن ، وبغض النظر كيف فهم هذا الذى سيغير بيده دين الإسلام. يقول أيضا: إن جهاد الكفار والإلحاد والعلمانية والتحلل وما يسندها من قوى داخلية أو خارجية فهو الآن فريضة العصر وواجب اليوم/ **قرضاوى**/ كتابه فى فقه الأوليات/ ص ١١٦».

إن التربية والتعليم الناجعين يخلقان فردا يحب الحياة لا أن يكون حاقدا كارها لها ، فيهلك نفسه ويهلك الآخرين ، هذا بينما تحولت جامعات البحث العلمى فى بلادنا إلى جماعات دينية تتحاور فى الحلال والحرام وتبحث فى التفاسير الدينية بدلا من البحث فى قوانين الفيزياء والرياضيات.

إن جامعاتنا تبحث قضية الحجاب والنقاب والعفة والفضيلة وأركان الدين وتستضيف **زغلول النجار** ليجلس أمامه علماء جامعاتنا مبهورين بكشوفه العالمية ، وهو الانبهار الذى يشير إلى مستوى معرفة أساتذتنا الجامعيين بما تخصصوا فيه من علم. لقد نسيت الجامعة دورها كباحث علمى أول فى الوطن مهمته كشف أمراض الوطن المستوطنة فى عالم الطب أو فى عالم الثقافة ، لمكافحته من أجل الصحة البدنية والعقلية للمواطن ، واستغرقت فى البحث فى العسل وبول الجمل ، فتركت اختصاصها واستولت على دور المسجد ، والمسجد لا يرى بأسا فكل الطرق تؤدى إلى الحكومة الإسلامية.

وإن الزائر لجامعة الزقازيق تحديدا - التى كان منتحر الأزهر من طلابها النوابغ - سيجد الشعارات المكتوبة فى كل مكان ، وكلها شعارات لا علاقة لها بعلم ، بل هى شعارات العار والكراهية والحجاب والجهاد.

لقد روينا بذرة الإرهاب الكريهة عندما سمحنا للقانون وللتعليم والإعلام أن يقسم أبناء الوطن إلى فريقين ، وأن الوطن من نصيب فريق دون فريق ، وأن الصواب

فريق واحد هو الحق المطلق ، وأنه مكلف بتصويب الآخرين ، أو إبادتهم إن لم يتمكن من تصويبهم.

لقد تسرطن العقل بالإرهاب عندما اختفى من ذاكرتنا **طه حسين** وماذا قال ولماذا ، وبقى **خالد بن الوليد** البطل الفاتح الذى ارتكب من الجرائم فى حياة النبى ما دفع النبى ليرفع يديه إلى السماء منادياً: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد» .

عندما ظلت رموز الطائفة الواحدة المتسيدة هى الحاضرة بسيفها القاطع وخيلها الناقع وبطولات قتالها المجيدة ، وعندما غيبنا عن الوعى **طلعت حرب** وماذا فعل بعيدا عن القتل والقتال.

نسن قواعد قانونية مرورية تنص على عدم تدوين أى شعارات تشير إلى الديانة فى السيارات جميعها ، واليوم سيارات الحكومة نفسها تنوء بأحمال من هذه الشعارات الممزقة لمعنى الوطن والمواطنة ، أما السيف العظيم على الزجاج الخلفى للسيارات مع الآيات ، فقد لوحظ أنه قد بدأ يرسم هذه الأيام بلون الدم. إنها التجربة التاريخية التى مر بها المسلمون فى فجر تاريخهم فى معركة الجمل عندما خرجت السيدة عائشة أم المؤمنين رافعة راية العصيان ضد خليفة المسلمين على بن أبى طالب ، وهى المعركة التى قامت بين مسلمين صحابة على قيادة أحدهما زوجة النبى ، وعلى قيادة الآخر ابن عم النبى وربيبه وزوج ابنته ، وفى كلا الفريقين خيار صحابة كبار وكثر.

عندها تجلت مشكلة بشأن الجهاد وشروطه ، فبعد أن هزم على عائشة ، طالب المسلمون عليا بنصيبهم من الغنائم ، ورفض على لأن هذه الحرب بين مسلمين ، ورد عليه المعترضون: «أبحت لنا دماءهم ولا تحل لنا أموالهم وأعراضهم» ، فقال لهم الإمام على: من نصيب من منكم ستكون أم المؤمنين! لقد سقط فقه القتال وشرعنته عندما كان من مسلم ضد مسلم وتوقفت نتائجه وشروطه وأحكامه. أما الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص ، فقد رفض الدخول فى أى من الفريقين ، وقال: «**لا أقاتل حتى تأتونى بسيف يعقل ويبصر وينطق فيقول أصاب هذا وأخطأ هذا**» ، وهو الموقف الصواب بأى معيار وزنته ، وبعده كان موقف الإمام على ، والمسلمون يتدافعون قتالا عن جمل أم المؤمنين وهى تركبه تحرضهم على القتال ، ولما طال الأمر حتى مات الآلاف حول جملها كان أمر الإمام على أن «اعقروا الجمل».

كان القرار خطيرا إزاء حساسية الموقف ، فالجمل فيه أم المؤمنين وظعينة رسول الله ، مما أكسب الموقف كله حساسية قدسية ، لقد كان جمل أم المؤمنين رمزا

أعطى هذه الموقعة اسمها التاريخى «موقعة الجمل» ، الجمل كان رمز ثقافة هى ثقافة الخروج على الخلافة والشرعية وعلى قانونها ، هى ثقافة اعتراض المسلم بالسلاح مع الاحتجاج بالدين ، لذلك نادى على الناس: «اعقروا الجمل لأن فى بقائه فناء العرب».

أبناء وطنى: اعقروا جملكم. اعقروا الجمل حتى لو كان مقدسا حتى لا يفنى المصريون ، فقد عقره قبلكم الإمام على كرم الله وجهه حتى لا يفنى العرب.

روزاليوسف ٢٤ أبريل ٢٠٠٥

ومن دخل بيت (التربيون) فهو آمن

عندما كنت أطالع كتاب تاريخ الخلفاء للإمام **جلال الدين السيوطي** قرأت شأناً سبق و أن قرأته في كل مصادر التراث ؛ لكنه هذه المرة أثار أكثر من سؤال ؛ يقول **السيوطي** مردداً ما هو متواتر عند الجميع علي اتفاق : " أخرج بن مردويه عن **مجاهد** قال: كان **عمر** يرى الرأي فينزل بها القرآن .. و أخرج **بن عساكر** عن علي قال : إن في القرآن لرأيا من رأى عمر .. وأخرج بن عمر مرفوعاً ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر ؛ إلا جاء القرآن بنحو ما قال عمر.

و أخرج الشيخان عن عمر قال : وافقت ربي في ثلاث ؛ قلت يا رسول الله لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلى ؛ فنزلت } و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى /١٢٥/البقرة

و قلت يا رسول الله يدخل علي نسائك البر و الفاجر فلو أمرتهن يتحجبن ؛ فنزلت آية الحجاب ؛

و اجتمع نساء النبي في الغيرة ؛ فقلت عسى ربي أن يطلقكن و أن يبدله أزواجاً خيراً منكن .. فنزلت كذلك ".

هنا يقف العقل لا يتزحزح عن طرح السؤال الذي ربما كان عند البعض محرماً : **لماذا قبل الله من عمر و لم يقبل من بقية الرعية؟**

و هل يترك ذلك انطباعاً عند المسلمين لشبه قدسية تنال عمراً أو لوجه الحق قدسية تمامية؟ ثم هلا يعني ذلك ترويض الناس علي أن رأيهم لا يؤخذ به لأن هناك مختارين ربانيين هم فقط من يؤخذ برأيهم؟ ؛ و أن هذا الشأن القدسي قد نال الراشدين والمبشرين بالجنة و أمهات المؤمنين ؛ ثم تم تعميمه من بعد في المذهب السني علي " كل من رأى الرسول ولو لساعة " و ساعة في بلاغة زمنها تعني " ولو لحظة " ؛ ثم سكبه المشايخ و كل من ادعى الإسلام الدعوى علي نفسه سكباً .

إن مثل هذه الأسئلة ما كان ممكناً طرحها في ذلك الزمان ؛ لأنه يفترض حقوقاً متساوية لم يكن البشر في جزيرة العرب قد اكتشفوها و عرفوها بعد.

إن هذه الأسئلة المجهولة عندما تطرح اليوم تكون فرز مفاهيم اليوم بعد رحلة تطور للبشرية منذ زمن عمر و حتى الآن .

بعقلية الآن ممكن أن نتمنى و نتحسر في آن معاً ؛ كنا نتمني لو رأى عمر رأياً في تداول السلطة و تنظيم الدولة وآليات مراقبة الحكام أو أن يرى ما يراه عامة الشعب

؛ أو أن يرى للمسلمين كلهم حقاً في الترشيح والانتخاب بإقامة مجلس شيوخ ؛ أو حتى جمعية عمومية مثل تلك التي أقامها الروم في القرن الخامس قبل الميلاد بعد كفاح طويل حصل بعدها الشعب على حقوقه السياسية ؛ و أن يكون له في الاقتراع صوت مؤثر ؛ و أن يشارك فيما تسنه الدولة من قوانين بالاستفتاء على القوانين ونتحسر لأن عمراً لم ير ذلك ؛ وما نطرحه هنا من أسئلة هو أسئلة اليوم ؛ و لن تجد لها إجابة مرضية في طيات الماضي العربي . لكن تجربة الرومان تفرض نفسها علينا لنرى الإنسان في سعيه نحو الحرية و ما حققه عبر ذلك السعي .

حددت دولة روما معنى المواطنة و حقوق المواطن وواجباته ؛ وكان المواطنون هم نسل القبائل الثلاث الأصلية في البلاد ؛ أو من حالفوهم أو تبنوهم . إضافة إلى منح حق المواطنة للغرباء الذين تمنحهم روما المواطنة لما قدموه لها من إخلاص. و مع هذا التاريخ البعيد لم يشهد العالم دولة حرصت على مواطنيها و حقوقهم قدر ما حرصت روما .

كان المواطن محصناً ؛ له حصانة من التعرض لأي قهر أو عسف أو ظلم أو إرهاب أو إرغام ؛ لأنه كان بإمكانه أن يرفع شكواه ضد أي موظف أو أي سلطة إلى الجمعية الوطنية العمومية .

كان المواطن عضواً في مجلس مئوي ؛ وكل مائه لها رئيس منتخب ؛ و مجموع الرؤساء يشكل أعضاء الجمعية الوطنية ؛ هم من يختارون الحكام ؛ و ينظرون في الإجراءات التي يعرضها الموظفون أو مجلس الشيوخ لتجيزها أو ترفضها ؛ لأنها كانت هي كل الشعب .

و مع الاهتمام بالمواطن تقرر أن تكون هي الناظر الوحيد في أي حكم بالإعدام يصدر ضد مواطن ؛ كانت هي من يعلن الحرب و يعقد الصلح ؛ وكان من يدعوها إلى الاجتماع القنصل الملقب بلقب (**التريبيون**).

طالب الشعب بمزيد من الديمقراطية والحريات ؛ طلبوا أن تكون القوانين مدونة وواضحة ومحددة بدقة شديدة ؛ وأن يتم إعلام الشعب كله بهذه القوانين . ووافق مجلس الشيوخ عام ٤٥٤ق م . فأرسل لجنة من ثلاثة قانونيين إلى أثينا لمقابلة فقهاء القانون فيها و علي رأسهم (**سولون**) المشهور؛ و كتابة تقرير عن قوانين اليونان للاستفادة بما عندهم ؛ و لم يعتبروا ذلك غزواً ثقافياً بل هم من سعى سعي المتحضرين إلي المتحضرين مثلهم ليتعلموا منهم و ينقلوا عنهم .

وعاد سفراء القانون بتقرير تم وضعه بيد عشرة قانونيين لروما . وتمت الكتابة لأول دستور قانوني في التاريخ بيد الشعب و بعلم الشعب و بمشاركة الشعب و

بقرار من الشعب ؛ و تم عرضه في اثني عشر لوحة علي الجمعية العمومية فعدلت بعض القوانين ؛ ثم أمرت بتثبيت الألواح في السوق العامة حتى لا يكون المواطن الروماني جاهلاً بالقانون الذي يحكمه ؛ لأنه مواطن محترم ؛ ولأنه هو روما نفسها .

لو حاولنا المقارنة هنا مع ما كان يحدث في جزيرة العرب فعلينا أولاً استبعاد الزمن النبوي لأنه فوق أي مقارنة من أي لون ؛ لكن من جاءوا بعده كانوا بشراً لا أنبياء ؛ ولأنه كان خاتم اتصال السماء بالأرض ؛ فكل فعل و كل أمر تم الأمر به و كل قاعدة تم وضعها ؛ كلها فعال بشر لا علاقة لهم بالسماء ؛ و أنه مادام قد تم وضعها بيد بشر فهي كلها وضعية حتى البخاري و مسلم و كتب السيرة والتاريخ الإسلامي ؛ كلها يؤخذ منه و يرد عليه ؛ كلها وضعي مثل قوانينا الوضعية تماماً اليوم ؛ التي يرفضها أهل الدين بخديعة رديئة لجماهير المؤمنين باحتساب ما بأيديهم (من عمل الفقهاء و سلوك الصحابة و قرارات المبشرين بالجنة بعد موت الرسول) ؛ هي مقدسات لا تمس ؛ وهي لم تكن يوماً سوي وضعية من وضع البشر.

لنبدأ بأبي بكر ؛ الذي احتكر الخلافة لقريش من بعده بحديث كان وحده من رواه "الخلافة في قريش" مستبعداً عن ذلك الأنصار و بالطبع كل مسلم في البلاد المفتوحة. قبيلة واحدة احتكرت سلطان الإمبراطورية بيدها وحدها من بعد بموجب هذا الحديث وحده .

قال أبو بكر للمسلمين حسبما روت كتب الأصحاب و السير و الأخبار و الحديث أنه سيحكمهم بالكتاب و السنة ؛ لكن ما يطرحه العقل هنا ولا يتزحزح سؤال شديد المنطقية ؛ كيف حكم أبو بكر المسلمين بالكتاب و السنة بينما لم يكن قد تم جمع الكتاب ولا تدوين السنة ؛ و من ثم كانت معظم آيات الكتاب و جل الأحاديث غير معلومة لعامة المسلمين الذين ستطبق عليهم أحكام القرآن و السنة ؛ فتم حكم الأمة بكتاب لم يجمع بعد من اللخاف والأكتاف و العظم و الأحجار و العسيب و الرق ؛ لأن ذلك لم يتم إلا في زمن عثمان الذي أرسل لكل مصر بعد ذلك مصحفاً واحداً .

كان القانون الذي ستحكم به الأمة التي هي محل تطبيق هذا القانون ؛ غير معروفاً من الأمة . وهو السبب الرئيسي الذي أعطى الفرصة للوضّاعين والمفتين و الرواة للدس في القانون الإسلامي من باب تحقيق مصالح آنية شخصية للشيخ أو للسلطان لا فرق ؛ و أصبحت اليوم قوانين مقدسة تتفنن في إذلال المسلمين .

في روما الوثنية كان الشعب مصراً على تحقيق أعلى المكاسب ؛ كان في روما طبقتين متميزتين هما الأشراف ورجال الأعمال ؛ وكان الشعب بالتساوي بالطبقتين

ونال مراده في عام ٣٥٦ ق.م. و تم تعيين أول شخصية من العامة حاكماً ؛ ثم أصبح العامة يشغلون وظائف الرقباء على الحكام و من هؤلاء العامة كانت تلك الشخصية الكبيرة ؛ القنصل العام الملقب ب (التربيون).

كانت أخر خطوات المساواة كأسنان المشط و نيل الحقوق المدنية عام ٢٨٧ق. م . عندما اكتسبت أحكام الجمعية الوطنية قوة القانون حتى لو عارضت في ذلك قرارات لمجلس الشيوخ .

أما التربيون ممثل الجماهير فقد كان وحده من يملك حقاً عرفه التاريخ بعد ذلك باسم حق الفيتو أي الاعتراض باسم الجماهير ضد أي قرار و كان يعني " **أنا أحرم veto** ".

هؤلاء الوثنيين لم يبحثوا عن أي رب يكون مسئولاً عن الدولة أو القانون و آليات لتنفذ القانون و رعايته ؛ كان التربيون و بيته و ما حوله مقدساً قدسية مدنية ؛ حصيناً باتفاق الشعب كله على حمايته ؛ لأنه هو من كان يحمي الشعب من أي جور حكومي ؛ باب بيته مفتوح أربعاً و عشرين ساعة ؛ يلجأ إليه كل مواطن ليضمن محاكمة عادلة أو يقدم شكوى عادلة ضد الحكومة .

إن توفير الآليات التي تشرف علي حماية القانون و إعلام الناس به و السهر علي تنفيذه بمساواة لم تتوفر في دولة الإسلام ؛ لذلك ضل الجانب النظري الجميل طريقه من قبيل: متى استعبدتم الناس و قد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؛ اضرب بن الأكرمين.

بما فهمنا ما يحدث في روما تعالوا نقرأ هذه الحكاية عن عمر قبل أن يكون خليفة

ذهب صحابيان إلى النبي يختصمان في شأن لا علاقة له بشأن ديني أو تعبدي ؛ إنما هي خلافات دنيا و مكاسب ؛ فحكم النبي لأحدهما علي الأخر ؛ فلم يرض المضار من الحكم و طلب أن يوفدهم إلى عمر ؛ فلم يزجره النبي و لم ينزعج ؛ بل أرسلهما إلى عمر ؛ فحكيا له الحكاية ؛ فقام إلى سيفه و أطاح برأس من لم يرضى بحكم النبي و قال : " هكذا أقضي لمن لم يرض بحكم الله و رسوله ".

لو كان هذا القتيل في روما ربما أمكنه أن يرفع أمره إلى الجمعية العمومية أو إلى التربيون قبل قتله . لم يكن هناك قانون سماوي لإدارة الأرض ؛ لو كان المطبق في الأرض في الجزيرة قانوناً سماوياً لكان عهد عثمان أكثر عهد الدولة أمناً و رضاء ؛ لأن في زمنه جاءت غنائم الفتوحات بشراً وسبايا و أموالاً و جواهر ؛ ولأنه هو نفسه ذو النورين الذي استحت منه الملائكة ؛ و هو ما كان يجب أن يكون مسبباً للأمن بالضرورة مع قانون سماوي بالفرض ؛ و لكن ذلك لم يحدث ؛ ولم يكن باب

عثمان محصناً لعدم وجود أي آليات أو قوانين واضحة في شأن الموقف الجديد المتأزم ؛ فتم قتل عثمان على أيدي الصحابة شر قتلة ؛ بينما لم يكن التربيون آمناً وحده فقط ؛ بل أن من دخل بيت (التربيون) كان آمناً .

ليس المقصود من هذه المقارنة إبراز تفوق شعب على شعب ؛ أو قانون على قانون ؛ لكنها بالقطع لإبراز تفوق الآليات الحقوقية الرومانية ؛ مع انعدامها تقريباً في جزيرة العرب .

فماذا يمكن أن نستنتج من ذلك؟ ماذا يمكن أن نستنتج من قول كتب السير و الحديث أن أبا بكر قرر الحكم بالكتاب و السنة بينما لم يكن هناك كتاب معلوم ولا سنة مدونة معلنة؟

النتيجة هنا مع علمنا بمكانة أبي بكر و موقعه في الدعوة أن الفهم الواجب هو أنه كان يحكم بضميره الشخصي كأكبر صحابة الرسول و صديقه المصدق ؛ لأنه لم يكن هناك قانون ؛ النتيجة الثانية هي:

أن الله لم يهب الدولة الإسلامية دستوراً و قانوناً لنظم حكمها و إداراتها عن عمد ؛ كما سكت عن كثير من الشئون ليتركها لنا مساحة حرة طليقة نفعل فيها ما نشاء وقتما نشاء بالطريقة التي نشاء ؛ لكن قناصي التاريخ و شذاذ الآفاق تمكنوا مبكراً من السطو علي معظم المساحات الحرة التي تركها لنا الله نفكر و ندبر وننتقي أي النظم في الحكم أنفع لمصالحنا.

إن كل فتوى كانت تصدر ومازالت تحمل في بعضها تحريماً جديداً ؛ و كل تحريم هو اقتطاع لجزء من حريات الناس لضمها تحت عباءة المقدس و أصحابه ؛ هذا رغم أن فتاواهم تلك بدورها وضعية فلا يأتي الوحي أياً منهم مهما كبر شأنه علينا ؛ لقد انتهت أيام وضع الحديث بموت القادرين علي الاختراع و الوضع من الصحابة والتابعين لأنهم كانوا صحابة وتابعين ؛ لذلك حلت الفتوى محل الحديث الموضوع ؛ تدخلت في كل شأن حتى اعتاد المسلم أن يستفتي في شئون تشير أحياناً إلى طلاسم من غباء متراكم ؛ و أحياناً إلى نفس هانت على نفسها فصارت عبدة ؛ و أصبح الاستفتاء خضوعاً لحديث نبوي ؛ فكلاهما يشغل الأخر و يشتغل به " لا خاب من استشار ولا ندم من استخار " .

عندما طلب الرب من بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة ؛ و سكت ؛ كان عليهم استثمار مساحة الحرية المتروكة لهم ويأتوا بأي بقرة ؛ لكنهم كانوا لزجين يتمسحون بالدين أكثر مما هو مطلوب منهم ؛ و يتقربون إليه بأكثر مما يطلب منهم ؛ و يلحفون في الفتوى بحثاً عن مزيد من القيود و ضياع المساحات الحرة ؛ فسألوا ربهم عن لونها

و شكلها و سنها ؛ اليهود فعلوا ذلك عندما كانوا في التيه ضائعين ؛ **و هو ما يفعله المسلمون اليوم . وهم في قاع العالم الثالث نائمين.**

هكذا تقدست عند المسلمين أساليب و أفكار و أشخاص و آراء شخصية بتقديس الصحابة دون احترام للأمانة التاريخية و العقلية ؛ الأمانة التي هي خاصية الإنسان بين كل مخلوقات الله ؛ لأنها اختياره ؛ لأنها حريته ؛ و لأن الله يعلم معني هذه الحرية و تلك المسئولية فقد خلق لها الإنسان و كلفه بها و لم يكلف لا الجن ولا الملائكة .هذه الأمانة سُرقت من منذ فجر التاريخ الإسلامي عقب انقطاع الوحي بسويعات ؛ عندما استلم البشر شأننا و عاملونا ليس بحسباننا رعية ؛ لكن بحسباننا عبيد الله ؛ الذين هم وكلاؤه ؛ لذلك كان لابد أن تفشل الدولة في حماية خلفائها ؛ وأن تفشل في درء الفتنة و التصدي لها ؛ وتفشل في خلق آليات تحمي الكعبة من الضرب بالمنجنيق و من الحرق ؛ لأنها صادرت ما كان مساحة حرية ربانية ممنوحة للناس بسكوت الوحي عنها .لذلك كان باب الدولة الإسلاميا نهباً للفتن ؛ و لذلك بيت التربيون لمن دخله كان آمناً .

إنهم يشيعون بين البسطاء أنه لا يجوز التخلي عن الدستور السماوي والاتجاه للقانون الوضعي ؛ و يجعلون ذلك إنكاراً لمعلوم من الدين بالضرورة . رغم أن كل فقهنا بل كل مدوننا وضعي عدا القرآن وحده .

الغريب أن الإخوان المسلمين ظلوا على هذا المبدأ طويلاً " الإسلام ديننا والقرآن دستورنا" ؛ ثم تخلوا عنه بكل يسر و سهولة و هم " المسلمون " اتجاهاً نحو الديمقراطية الوضعية وقوانينها الوضعية؟ ألا يعني ذلك أن هناك دسيسة تاريخية في المسألة ؛ ثم بموجبها استبدال " القرآن دستور ديننا " ب " القرآن دستورنا" .

نعم القرآن دستور ديننا ؛ لكنه لم يقل لنا يوماً طريقة الحكم التي بموجبها يكون هو دستورنا . و هل بهذا المعني الذي يسببه إرباك الإخوان وإخوانهم من مدعي الدعوة للناس البسطاء أن يكون القانون الديمقراطي الوضعي هو الإصلاح لقانون رباني .

ألا يعني ذلك أن الوضعي أصبح الأرقى و القيم علي الرباني ؟بينما عندما نعترف أن السماء قد تخلت عمداً عن وضع أي قوانين للسياسة أو الحكم أو الاقتصاد أو غيرها من شئون الحياة ؛ و تأكد ذلك عندما لم يسم النبي خليفة له من بعده ؛ لأنه لو حدده ما حدث اجتماع السقيفة فقط لاختيار الحاكم ؛ دون اختيار حتى نظام بعينه للحكم . بدليل اختلاف الراشدين الأربعة في طريقة تولي كل منهم للحكم عندما نعترف بذلك نحترم انفسنا و ديننا و دنيانا .

إن تجنيب القرآن مناطق المصالح والزلل السياسية و تفاصيل إدارة الدولة هو الإخلاص الحقيقي للقرآن للارتقاء به عن مناطق مزالق ملغومة تاريخياً و حالياً ؛ كان الله يعلم أن الدنيا تتطور و أنه ستكون هناك أمريكا و أوروبا ؛ و لم يضع لنا خططاً بشأن ذلك و لم يحدثنا عنهما ولا عن تلك الأحداث ؛ لأنه كان مستقبلنا ؛ مستقبل البشرية الذي تركه لها الله لتصنعه حتى تكون مسئولة عنه ؛ كما ترك لنا ذات الشئون بأيدينا ؛ و شئوننا تختلف يوماً عن يوم و تتعقد يوماً بعد يوم ؛ و تظل كلمة ربك الثابتة الواحدة كريمة مصانة بعيداً عن عبث العابثين و استثمار الإنتهازيين .

روز اليوسف ٢٠٠٥/٦/١٥

الإخوان يتمقرطون

يستعرض الإخوان أنفسهم في الشارع المصري هذه الأيام ، وهو الاستعراض الذي يوصفه الدكتور **عصام العريان** بقوله : " إن ما نقوم به الآن هو ضغوط شعبية عبر التظاهر في الشارع والجامعات والنقابات ، وكل صور الضغط المدني " الوفد ٢٠٠٥/٤/١٢

هذا كلام جديد على الإخوان تماماً ، والتمعن فيه يكشف عن غرور متوهم يربط بين جماعتهم وبين شعب مصر ، في خلط معيب ومشين في حق شعب مصر . لأن تظاهرات الإخوان لا يمكن تسميتها " ضغوطاً شعبية " لمجرد أنها تجري في الشارع مع الهرج والمرج ، ولو كان حجم تظاهرة الإخوان هو " ضغوط شعبية " فما أبأس شعب مصر حينذاك إن كانت هذه ضغوطه الشعبية .

أما الجديد بجد فهو وضع الدكتور العريان نفسه وجماعته ضمن المجتمع المدني ، بتصويره لمظاهرته اليتيمة بأنها من " صور الضغط المدني " ؟!! بل السؤال في صيغته الدقيقة يجب أن يكون :

- متى عدل الإخوان عن تكفير المجتمع المدني؟
- ومتى كف الإخوان عن ملاحقة أنصار المجتمع المدني بالتخوين الوطني وبالشائعات القاتلة الفاعلة؟
- بينما الإخوان لا يعترفون بوطن ولا براية قومية أم أن للإخوان فهماً خاصاً لمعنى المجتمع المدني كما هو دأبهم مع كل المفاهيم والمصطلحات؟
- يعني هل سيكون المجتمع المدني حسب النظرة الإخوانية معنى غير ما تعرفه كل البشرية عنه؟
- أم أن هناك فهماً ثالثاً ضائعاً كالفهم الضائع بين مصطلح المقاومة المشروعة ومطلح الإرهاب؟

إن كان الدكتور عريان جاداً فيما قال ، وأنه لن يعود ناكصاً على عقبيه مرتداً ، أو أنه لن يترك غيره من أعضاء الجماعة يشتتنا بقول آخر كالعادة المعلومة عنهم ، فأهلا بأهلنا الإخوان ومرحباً ويا لفرحة القلب بعودتهم إلى حضن الوطن الدافيء الذي سيسامحهم ويغفر لهم في سبيل توحد وطني في مرحلة مأزومة من تاريخ الوطن لكن تراهم متى اعترفوا بأن هناك وطناً للمسلم أصلاً أو متى اعترفوا براية أو شعار وطني؟

أليسوا هم أمة لا إله إلا الله التي لا تعترف براية أو شعار وطني كما كان يؤكد مرشدوهم دوماً؟

إن مشكلتنا مع الإخوان أنهم لا يتركون فرصة للثقة بهم ، فهم يلعبون الورقات الثلاث وعلينا دوماً أن نبحث عن السنيورة بين الورقات الثلاث ، ويتكلمون الألسن السبع في جملة واحدة ، وكل لسان يقول شيئاً غير أخيه .. حلفاء لكل الفرقاء ، من الشيوعيين إلى الوفديين إلى الأمريكان إلى الناصريين إلى شعب مصر الطيب البسيط إلى الطالب وإلى الفلاح ، لديهم في جرابهم كل الأقنعة اللازمة لعقد وفض التحالفات بعلمانية غير محترمة وقت اللزوم وعند الحاجة مع أي طرف من هذه الأطراف ، ومع ذلك هم حانقون على العلمانية المحترمة .

نحن نرفض الاطمئنان للإخوان لأن تاريخهم وليس تاريخ غيرهم هو من يقول أنهم دوماً كانوا ضد كل الطروحات السياسية والاقتصادية أو أنظمة الحكم على اختلافها ، منذ نشأتهم لم يرضوا أبداً إلا عن أنفسهم ولم يرضوا مرة عن أحد ولا عن طرف من الأطراف ، و مع ذلك حالفوا الجميع ، وخانوا الجميع ورفضوا الجميع ، فمالهم اليوم بعضهم يرفع المصحف وبعضهم يستبد لراية براية المجتمع المدني؟ و مالهم اليوم يتكلمون برطانة الغرب الكافر عندهم والحر عندنا ، بدلاً من لغة الآيات والحديث والتفاسير والحدود والشريعة والجلد والقطع والرجم والجز والسلخ؟

مالهم يتحدثون عن دستورنا وضرورة تعديل مواده بينما هم لم يعترفوا يوماً بدستور لأنه بدعة مدنية ، ولم يضعوا منذ نشأتهم دستور متصوراً أو متخيلاً ليحكمونا بة عبر تاريخهم منذ تأسيس جماعتهم وحتى اليوم ، فمالهم ودنيانا الفانية وهم أهل الجنة والطنافس والقوارير والحور العين والولدان الخالدين والأرائك على الأسرة متقابلين على الأنهار يفضون عليها الأبكار في ضيافة الجباركما تنص عقيدتهم السنية؟

أبداً لم يتحدث الإخوان .. أي إخوان .. فكلهم إخوان سواء ضرب بعضهم بالقنبلة أو تحدث بعضهم بلسان الثعابين ، لم يتحدثوا يوماً غير لغة الحدود والعنف الإسلامي السلفي الجامد القاسي ، وكانوا دوماً ضد الإسلام السمح الهاديء الجميل لأن هذا عندهم ليس إسلاماً فالإسلام واحد والحقيقة واحدة هما إسلام وحقيقة الإخوان وحدهم .

حالف الإخوان حركة عسكر الجيش ضد الملك بينما كانوا يحالفون الملك ، وانقلبوا مع العسكر ضد الملكية ، ثم انقلبوا على العسكر عندما حكموا على اتفاق بينهم ، ثم رفضوا الاشتراكية ، ثم رفضوا حرب اليمن ، ثم رفضوا الانفتاح ، ثم رفضوا

السلام ، وحاولوا اغتيال حليفهم **(عبد الناصر)** في ميدان المنشية الاسكندراني ، وأفرج عنهم **السادات** وأعطاهم مصر سداحاً مداحاً فقتلوه يوم احتفاله بنصره ، وحاولوا اغتيال **حسني مبارك** في أديس أبابا ، فماذا جد لهذا التحول الجديد بل والذي لا يتخيله ولن يوافق عليه لا **حسن البنا** ولا **سيد قطب** لو قيضت لهما الحياة ، بل سيعتبرانه ردة واضحة فصيحة عن مباديء الإخوان والإسلام معاً؟

ترى هل للظرف العالمي الجديد دور في هذا التحول؟

ترى هل وجود القوات المتحالفة بالقيادة الأمريكية في المنطقة وضغطها من أجل حكومات ديمقراطية في العالم الإسلامي هو السبب في هذا التحول؟ ألا ترون الإخوان يتخلون عن كل ما قالوه خلال القرن الفائت والحالي إلى الشكل السياسي الذي تطلبه أمريكا وهي الطاغوت الأعظم؟ أين ذهب الإسلام إذن كما كانوا يعرضونه ويتجمعون بسببه في جماعتهم . سادتي لم يكن الإسلام هو الموضوع إنما كان كرسي الحكم لذلك عدلوا وبدلوا لينالوه. لأنهم يعلمون دران الطاغوت الأعظم الذي لم يعد طاغوتاً بل حليفاً مرتجي فغازلوه فرّق ومال وتهدلت منه مسابل العيون ، فجالسوه وحاوروه وطلبوا منه عدم الجفا ، ورغبوه وأغروه بالوصال ..

فما هو المقابل؟

التاريخ يقول لنا إن تاريخ كل اللاعبين بالدين عبر العصور من جماعات ومشايخ وكهنة وسدنة كان تاريخ خيانة الوطن وبيع الوطن ، منذ أخبرنا التاريخ أن كهنة آمون قد باعوا مصر وأجلسوا على عرشها الإسكندر الغازي إبناً لآمون ، منذ باعونا من قبل لقمبيز الفارسي ومن بعد للبطالمة ، باعونا بأرضنا وناسنا وتاريخنا وبشرنا ومستقبلنا نظيراً لسيادتهم في ظل الحاكم أياً كان الحاكم . باعونا منذ باع بنيامين وطنه للعرب الغزاه مقابل أن يجلس على كرسي الكرازة المرقسية . منذ باع مشايخ عرب الحوف الشرقي ثورة البشموريين ضد الخلافة العباسية وقبضوا من المأمون المال والسؤدد ، منذ تنادي مشايخنا بردة **أحمد عرابي** وهو يحارب الغزو الانجليزي ، منذ كثير ومنذ مخيف ومنذ داعر ومنذ خائن ، منذ كانوا هم التاجر والسمسار الملتحف برداء الرب قمعاً لضمائر المؤمنين وهو يبيع ، ولم تشذ حالة واحدة عن هذه القاعدة.

نعود معاً للعريان نقرأ ونفهم ، فقد وضع لموضوعه الذي نناقشه هنا عنواناً هو " مخاوف مشروعة وهواجس لا مبرر لها " قاصداً فيما يبدو إقرارنا على مخاوفنا إزاءهم ، لكنه أيضاً قاصداً تبديد الهواجس التي لا مبرر لها من جانبنا تجاه الإخوان

. المدهش أنهم لا يعرفون كيف يقولون عندما يخرجون من ثوبهم العتيق ، لأن للعالم الآن لغة لا يفهمونها ولا يجيدونها ، لذلك فإن الدكتور عريان بدلاً من أن يبدد مخاوفنا فقد أكدها ، وبدلاً من أن يطمئنا إزاء هواجسنا زادنا هواجساً على هواجس ، ليجعلنا مطمئنين إلى قرار واحد مصيب دائماً مع الإخوان ، هو إياك أن تطمئن إلى الإخوان.

نستمع إذن إلى باقي ما قال العريان : " الإخوان على لسان مرشدهم أعلنوا الأولوية قبل تعديل الدستور ، إطلاق الحريات بحيث يكون لدينا مجلس شعب حقيقي يعبر عن الإرادة الشعبية ، يتم انتخابه في انتخابات حرة نزيهة " . العريان كبقية الإخوان عينه على الصندوق وحده دون ما يقوم عليه هذا الصندوق من مباديء وقيم لا يعترف بها الإخوان ، فهل يعترف العريان مثلاً بحق المسلم في التحول عن دينه إلى أي دين يريد؟

سؤال بسيط سهل مفهوم في أي بلد في العالم ، لكن عندنا ربما يكون مجرد السؤال جريمة .

إنهم يريدون ديمقراطية الصندوق فقط لا غير لأنهم يعلمون أنهم قد سلبوا مع كل رفاقهم مع كل جماعة إسلامية وعي الوطن ، ومدى معرفة المواطن لمصالحه وما يدور حوله ، جعلوه آلة عابدة فقط ، له جهاز إدارة واحد ، يديرونها بسلطان الذين على النفوس الذي استشرى في أجهزة الإعلام والتعليم عبر ما يزيد على خمسين عاماً مضت ، ناهيك عن البعد الإيماني في الزمن إلى ١٤٢٥ عاماً .

والإخوان يعرضون أنفسهم للناس على أنهم الإسلام . والناس ستختار أي شعار يحدثهم عن الإسلام . لكن الأخوان يقعون اليوم في مشكلة التوفيق بين تقديم أنفسهم للناس بحسبانهم الإسلام ، وبين المطروح في الساحة من مفاهيم غربية كحقوق الإنسان والمجلس التشريعي الذي يشرع للناس وليس الله ، وآليات الانتخابات والحريات وهي شئون مستحدثة لا علاقة لها بأي دين . وبعد سبتمبر ٢٠٠١ ووصول أساطيل العم سام الأساطين إلى منطقتنا قرر الإخوان الوصول إلى الحكم بشروط العم سام ، لكن معنى ذلك ألا يصبحوا إخواناً ، وهم يريدون الأمرين معاً وهنا مقتل الإخوان ، فكيف سيمكن لهم الجمع بين ديانة فريق من المواطنين وبين المجتمع المدني الذي يعني جميع المواطنين على المساواة التامة بلا تفرقة ولا تسمية طائفية ولا عنصرية ولا دينية . وإذا كنا سنكون مجتمعاً مدنياً كبقية دول العالم فهل من الضروري أن يضع الدستور مجلس الشعب أولاً؟

لماذا لا تضعه اليوم وخلال فترة انتقالية لجنة من الحكماء المشهود لهم بأنهم مدنيون حقاً وفعلاً ما دمنا قد اتفقنا على المدنية ، لتصوغ أيضاً آليات الانتخابات وشروطها وآليات عمل مجلس الشعب وبقية فروع الشأن السياسي حتى يكون النظام كله مدنياً بحق ، ثم يتم التصويت عليه من بعد؟ هل لأن الإخوان يريدون الصندوق أولاً ليقوموا بحسبانهم أكثرية المجلس بصياغة الدستور ثانياً؟ بينما هذه الجماعة لم تقم حتى اليوم بعمل برنامج سياسي واضح لجماعتها منذ تأسست حتى الآن ، كما لم تضع دستوراً مقترحاً تقدمه للأمة منذ تأسست حتى الآن ، وذلك لأن جماعتهم لا تعترف لا ببرنامج ولا بدستور .

ثم هل مر عليك يا دكتور عريان وأنت غزير المعرفة بالإسلام وتاريخه شيء في الإسلام وتاريخه مما جاء في كلامك؟

يعني هل يمكنك أن تشير إلينا أين نجد "الإرادة الشعبية " في هذا التاريخ ، وأين نجد " الانتخابات الحرة النزيهة"؟ وأن تشير إلينا أين نجد مفهوم الحرية عدا مفهوم تحرير العبيد فقط؟ وهل سبق وحدث أي انتخاب في تاريخ الدولة الإسلامية منذ ظهورها وحتى سقوطها عبر زمن امتد أربعة عشر قرناً من الظلم وانعدام العدل بل وانعدام الرحمة والإنسانية . إن الدكتور عريان يحدثنا اليوم بلغة العم سام ومفاهيمه ، إنه يتحدث لغة الكفار وأفكارهم الغربية التي طالما طاردونا بسببها وكفرونا.

بعد أن يطالب الدكتور العريان بعمل دستور جديد على يد مجلس شعب منتخب يعود في ذات المقال ليطالبنا بتعديل الدستور الحالي الآن أو كما يقول : " المواد المتعلقة بالرئيس ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٤ ، وأن الإخوان مع هذا التعديل الحقيقي " وما يمكن فهمه من هذا الكلام إذا رتبناه للدكتور فهو أنهم يطلبون الآن تعديل المواد الخاصة برئيس الجمهورية تحديداً ، المواد المتعلقة بالكرسي الكبير ، ثم بعد ذلك تتم الانتخابات الرئاسية والتشريعية ، ومع تعديل المواد المذكورة تكون الفرص أكثر اتساعاً ، إن لم يكن للفوز بالكرسي الأعظم فللفوز بالأغلبية في المجلس التشريعي الذي سيصوغ الدستور .. وبعدها .. يا خرابك يا مصر !!

أحياناً لا يفهم المسلم منا الإخوان المسلمين ، فهم يطالبون الرئيس مرة بترك الحكم ، ومرة يطلبون مقايضته بالبقاء بإعطائه أصواتهم بمقابل ملخصه السماح للإخوان والإفراج الرسمي عن الإرهاب؟ وهي مقايضة ليسوا أهلاً لها فهم يمنحون ما لا يملكون لمن لا يستحق ، ثم مرة ثالثة وفجأة يصبحوا مدنيين ديمقراطيين؟ فأي هذا نصدق؟ وأي موقف من كل هذا المعلن عن الإخوان يريد الإخوان؟ إنها مرة أخرى لعبة الثلاث ورقات والسنيورة المخفية دوماً .

أول سؤال يتبادر هنا منذ متى يعرف الإسلام وإخوانه مسألة تحديد مدة رئاسة رئيس الدولة؟

ومتى تم تنفيذها منذ قيام الدولة الإسلامية وحتى اليوم؟

إن الخليفة كان يحكم مدى الحياة ودون أي اعتراض منعاً للفتن مثل كل الراشدين وغير الراشدين؟ ثم هل سبق وتم تداول السلطة في دولة المسلمين؟ نعم حدث تداول لكنه كان إما بالسم أو بالخنجر أو بالسيف؟ ماذا حدث للإخوان؟ إنهم يزعمون أنهم المسلمون دون الجميع ، ويفرضون أنفسهم على المسلمين ، ويطالبون بأمر لم يعرفه الإسلام ولا المسلمون ، بل أن ما يطلبونه اليوم يعد في مذهبهم السني كبيرة من الكبائر وعظيمة من العظائم .

إن مسألة التمديد للرئيس من عدمه عبر انتخابات شعبية إزاء منافسين هو أمر يحدده الناس وليس الإخوان ، فقط ألفت النظر إلى أن الإخوان يتبنون اليوم مفاهيم الغرب الكافر في السياسة ليطالبوا بتفعيلها فوراً ، ويزعموا أنهم مازالوا إخواناً ؟!

إن على الإخوان الاختيار ما بين الانخراط في العملية الديمقراطية كعملية مدنية مائة بالمائة لا علاقة لها بالإسلام ولا بأي دين ، ولا علاقة لها بأي مقدسات فهي لا تعرف مقدسات إنما تعرف البشر بأخطائهم وصوابهم الإنساني وحده ، وإما أن يظلوا إخواناً ولا يحدثوننا برطانة رفضوها عبر تاريخهم الطويل . فهذا لون من الخطاب المخادع خداعاً غير ذكي بل هو خبث ريفي يثير الرثاء والسخرية أكثر مما يستجلب الاحترام . خطاب يلقي بمزيد من الشك على ما يضمرون لنا ولوطننا ، خاصة مع خيانتهم الجديدة للإسلام بشق عصا الطاعة على الإمام وهو إثم يعلمون كم هو عظيم وإثم كم هو كبير عبر تاريخهم مع ألوان الخلافة عبر التاريخ .

لقد قالوا طويلاً أن لديهم في الإسلام كل الحلول السحرية المفاجئة التامة لكل مشاكلنا ، فما لهم اليوم وديمقراطية امريكا واسرائيل؟ وإذا قالوا اليوم أنهم سيتنازلون عن المبدأ الإسلامي في الحكم الذي حكمونا به طوال الزمن الخليفي حتى سقوط آل عثمان وهو الحكم المؤبد للحاكم حتى موته مهما فعل ، فهو ما يعني أنهم قد تنازلوا ضمناً عن الدين ، **كده غلط** ، **وكده غلط** ، هل تدرون لماذا؟ لأن الدين ليس هو الموضوع عند الإخوان ، إنما هو الكرسي .

وهل عرف تاريخ الإسلام قانونا غير قانون الطواريء الدائم الأبدي منذ حكم أبو بكر؟ فلماذا يحتجون عليه؟

يجوز ذلك لغيركم لكن لا يجوز لكم. هل تحتجون عليه لأنه قبيح مكبل للحريات؟ نعم لاشك أنه يأخذ المواطن بالشك والشبهة ، لكنهم في دولة الإسلام كان الشك والظنة لا تدخل الإنسان معتقلاً بل تذهب به إلي بارئه فوراً مفصول الرأس أو مقطع الأطراف. إذا كنتم ضد هذه القوانين فلماذا لا تعلنون إدانتكم لها في تاريخ المسلمين حتى نصدق أنكم فعلاً ضد مثل هذه القوانين أم أنكم تنادون بما لا تؤمنون به؟ إنكم سادتي داخل جماعتكم حتى الآن لا تعرفون نظام الانتخاب ولا تطبقونه ، ومرشدكم يظل مرشداً مادام حياً حتى يصيبه الخرف ، ويحكم هذا المرشد فى إخوان لخمسين بلداً إسلامياً أو يزيد ، ويتم اختياره بالبيعة التي لا يشارك فيها سوى خمسة عشر عضواً في مكتب الإرشاد . إنكم سادتي الإخوان ذوي أقنعة كثيرة ومحيرة ، إنكم مرة دكتور جيكيل ومرة مستر هايد .

ثم يشير العريان إلى المبادرة التي طرحها الإخوان للمشاركة في الإصلاح بأنها "برنامج الإخوان لبناء نهضة مصرية ترتكز على مرجعية إسلامية ، وتسعى إلى تحقيق غايات الإسلام العليا في العدل والحرية والمساواة والشورى والكرامة الإنسانية".

ها قد عاد مستر هايد ، فبعد إعلان الإيمان بمدنية الدولة والحكم يعلن أن الإخوان يسعون لتحقيق غايات الإسلام العليا ، فماذا عن غايات المسيحية العليا؟ وماذا عن غايات الشيعة العليا؟ وماذا عن غايات العلمانية العليا؟ وماذا عن غايات الملحدين العليا ، إن لكل فريق قيم يراها هي العليا ، لذلك لابد أن تصبح كلها في الفعل المدني غايات نسبية وليست عليا والحق سيكون مع من يثبت مدنيته لادينيته وعقيدته ، أما الحديث عن كون العدل والحرية والمساواة والشورى والكرامة الإنسانية قد سبق وتحققت في تاريخ المسلمين تحت حكم ادعى الإسلام ، فهو أمر لم يحدث ولا مرة واحدة سوى في الشعارات النظرية ، لأن في واقع التطبيق لم يحقق تحت هذا الحكم سوى انعدام العدل وغياب الحرية واللامساواة بطبقية بشعة لا مثيل لها تميز بين المسلم وغير المسلم وبين العربي وغير العربي وبين الرجل والمرأة وبين الحاكم والمحكوم وبين السيد والعبد وفق قوانين فقهية مشرعة معلنة ،

فهل سيحقق عريان بالإسلام ما لم يستطع أن يحققه ولا حتى الخلفاء الراشدون ، ولا بقية الخلفاء منذ أربعة عشر قرناً؟

إن الدستور المدني والعمل السياسي المدني لا يجب أن ينحاز أبداً إلى أي فئة من فئات المجتمع المصري ، أو ملة ، أو دين ، أو عرق حتى يخلق لها ميزة أو فضل على باقي عناصر المجتمع ، أو إلى عدمه المساواة والعدل ، أو فقدان الإخاء المؤدي بالتبعية إلى الكراهية والتباغض ، ومن ثم عدم الولاء للوطن . لهذا أبداً لم

يشر الإخوان إلى المادة الثانية بالدستور عن دين الدولة ومصادر تشريعها ولا مرة ، فهي الباقي أبداً بينما يحدثوننا عن المواد الخاصة برئيس الجمهورية وسلطاته ومدة ولايته بحديث لا هو من الإسلام ولا هو من المدنية .

ثم يخلط العريان كل الأوراق دفعة واحدة فيقول : " ليس في منهاج الإخوان إقامة دولة دينية أو حكومة دينية ، بل منهجهم يقوم على إقامة حكومة ودولة مدنية يتساوون فيها الحقوق والواجبات التي يضمنها الدستور ، مرجعيتها الاسلام الذي هو عقيدة الأغلبية ! "

أترون إنهم لا يريدون حكومة دينية ولا دولة دينية ، ولا تعلم لماذا كل تاريخ أدبياتهم الطويل العريض حول الدولة الدينية ، إنما حكومة يتم تشكيلها بصندوق الإقتراع تؤدي إلى قيام دولة مرجعيتها الإسلام .. صحيح اللي اختشوا ماتوا .

ولازال لنا مع الإخوان حديث وقول قد يطول

روز اليوسف

الحكومة المدنية الإسلامية

أخيرا وبعد طول انتظار !!

أكد الدكتور **عصام العريان** في وفد ٢٠٠٥/٤/١٢ أنه "ليس في منهاج الإخوان إقامة دولة دينية أو حكومة دينية ، بل منهجهم يقوم على إقامة حكومة ودولة مدنية ، يتساوون فيها الحقوق والواجبات التي يضمنها الدستور ومرجعيتها الإسلام الذي هو عقيدة الأغلبية وثقافة وتراث وحضارة الجميع.. يقولون بسلطة الأمة في تولية من تشاء وعزلة متى أرادات في انتخابات دورية نزيهة".

يقول أيضا في حوار على شبكة شفاف "ما نتفق عليه نحن الإخوان هو أن الشعب من حقه أن يولي الحاكم وأن يحاسبه وان يعزله لفترات محددة ، وفصل السلطات الثلاثة في الدولة : التشريعية والقضائية والتنفيذية ،.. وأن حقوق الأفراد مكفولة بحكم الدستور.. وأن البناء الديمقراطي الإسلامي في الدولة الإسلامية يخضع لثقافة هذه المجتمعات الإسلامية.. لأن هناك سقفا لهذا المجتمع ، وثقافتة وشريعية الإسلامية هي التي يتحكم إليها ويحترمها كل أفراد المجتمع بما فيهم المسيحيين لأنها شريعة محترمة.

أي لابد من وجود سقف لما هو الحلال والحرام في الدين وما هو الصواب والخطأ في القانون ، وهذا السقف.. يحدده الدستور ، وأن رئيس الدولة له صلاحيات محددة حسبما يتفق عليه الناس.. ".

هذا الحديث لشخص واحد وليس لأكثر من شخص ، وهو قيادي معلوم الشأن في جماعة الإخوان التي تهتز فرائض بعضهم له عندما تصيبة العصبية معلومة الشأن أيضا. ورغم أن الشخص واحد فإنه يحمل فيما قال من متناقضات ما يؤكد لنا أن الإخوان أبدا لا يقولون حقا ولا يعرفون صدقا وأن النوايا غير الطوايا وأن الطوايا غير الخفايا وأن المعلن غير المعلن ،وأن المعلن يحمل تناقضات تحملها النوايا والطوايا الخفايا ، وإذا كان المعلن كما سنثبت الآن يحمل شرا مستطيرا للدين وللوطن ، فما بالك وما هالك ، لو اطلعت على البواطن الخفية؟

يقول العريان ليس في منهاج الإخوان إقامة دولة دينية لا حكومة دينية ، ثم هو نفسه وليس أحدا غيره يقول "إن البناء الديمقراطي الإسلامي في الدولة الإسلامية يخضع لثقافة هذه المجتمعات الإسلامية" فهل يا ترى أن الدولة الدينية والتي لا يريدون إقامتها لأنها (وحشه) تختلف عن الدولة الإسلامية التي يريدون إقامتها ؟ ماذا يكمن في أوكار الإخوان إذن؟

يتحدث العريان عن منهجهم في إقامة دولة مدنية تقوم على المساواة في الحقوق والواجبات مرجعيتها الإسلام الذي هو حضارة جميع المصريين؟ إن العريان بما يقول هنا قد خرج ليس فقط من جماعة الإخوان بل أعلن العصيان على الإسلام.
لأن المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم أمر لا تعرفه الشريعة الإسلامية ، إنما تعرف المراتب والمنازل حفظا لقيم المجتمع ، ففيها السيد العربي وفيها المسلم المولي ، ولا يجوز شرعا المساواة بينهما ، وفيها السيد المسلم وفيها الذمي ، ولا يجوز شرعا المساواة بينهما ، وفيها السيد الرجل وتابعته محل متعته المرأة ، ولا يجوز شرعا المساواة بينهما ، وفيها السيد والعبد والسيد والأمة ولا يجوز شرعا المساواة بينهما ، ولكل من أطراف هذه المعادلة حقوق غير الآخر وواجبات غير الآخر ، بل أن السيد دوما كان هو صاحب الحقوق وغيره لا حقوق له. إن دولة الشريعة لا تساوي أبدا بين المواطنين ومن يقول بغير ذلك فقد أنكر معلوما من الدين بالضرورة ،... ها قد جاء الزمان وتقلبت بالإخوان انتهازيتهم لنقول لهم ما كانوا يقولونه لنا.

بل أن المسلم العادي الحر في دولة الشريعة ليس له أيه حقوق إزاء السادة ، هي دولة من له كل الحقوق وليس عليه أي واجبات ، ومن عليه كل الواجبات وليس له أي حقوق ، لأنها دولة جباية ريعية ، وهذا هو طبعها التاريخي في كل دول العالم القديم.

إن الفرد المسلم ليس له أن يطلب من الحكام سوى العدل حسب المنازل الاجتماعية وأن يطلب من المشايخ الفتوى ، أما عدا ذلك فهو ملزم بالأمر الواضح غير الملتبس "إذا استعنت فاستعن بالله ، وإذا سألت فاسأل الله" فالفرد المسلم عليه واجبات للسادة ، وعليه محظورات وعليه حدود إن تخطاها عوقب بالشريعة. لكنه ليس له أي حقوق لأن حقوقه عند الله أما حقوق الحاكم من جزيه وفيىء وصدقات فعلية أداؤها فهي مطلوبة منه وليس من الله. فكل حقوق المسلم وحاجاته يطلبها من الله لا من الحاكم ولا من الفقية ، نص الحديث يستطرد : "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف" رواة الترمزي صحيح حسن.

إذن حقوق المسلم في دولة الشريعة الإخوانية وحاجاته لا يطلبها من الحكومة إنما من الله ، وإن ما يقع عليه من ظلم وجور واضطهاد وانعدام مساواة وانعدام عدالة وطغيان واستبداد كله من عند الله لأنهم ما استطاعوا ضرك إلا بإذنه ؟ فعلى المسلمين قبول الضرر والأذى لكن عليهم دفع الزكاة والخراج، وحقوقك إن شاء الله

عند الله. فكيف ستتساوى الحقوق في الدولة الإسلامية المدنية غير الدينية عند الإخوان؟

أن التساوي عند العريان هو خضوع الجميع على قدم المساواة في الخضوع ، فهو يخضعنا سلفا وبافتراض غير قابل للنقاش أن الإسلام هو المرجعية للدولة لأنه عقيدة الأغلبية كذلك هو حضارة الجميع مسلم وغير مسلم؟! ولا يلتفت العريان إلى استخدامه لمفردات باطلة لا معنى لها مطلقا ، مفترضا لها معنى يفرضه علينا ، كقوله إن الإسلام حضارة الجميع" ، لأن الإسلام ليس بحضارة فالحضارة منجز الإنسان ، أم الإسلام فهو منجز سماوي ، و في مسألة الأقلية والأغلبية ، فهذا هو الظلم عينه وانعدام المساواة الكامل ، بل إن دول الغرب الحر اليوم تتحسس مسألة الأقلية بشده وتبالغ في تكريمها وإعطائها حقوقا تفوق حقوق الأكثرية.

المساواة إذن بخضوعنا مسلمين ومسيحيين وشيعه وملحدين لذات الشريعة ، الشريعة التي تفرق ليس بين المسلم وغير المسلم فقط ، إنما بين المسلم والمسلم حسب المراتب الاجتماعية التي قننها ونفذها عمر بن الخطاب في توزيع الخراج والفيئ والسبايا حسب منازل العرب.

المساواة ستتم تحت ما يقول أنه "سقف هذا المجتمع.. شريعة الإسلامية التي يحتكم إليها كل أفراد المجتمع بما فيهم المسيحيين لأنها شريعة محترمة".!!

المساواة الأخوانية تطلب خضوع المسيحيين للشريعة الإسلامية لأنها شريعة محترمة (؟!). وماذا عن الشريعة المسيحية ، وماذا عن غيرها من الشرائع ، هل كلها غير محترمة؟

وماذا عن شريعة القانون الوضعي؟

إنه يهين نصف الوطن ويترفع عليه بشريعته المحترمة التي تبرر له السيادة على الجميع ، فيتساوى الجميع في الدولة الإسلامية المدنية !!

ولا يعبر على المسلم هينا قول عريان "إن الشعب من حقه أن يولي الحاكم وأن يحاسبه وأن يعزله" ثم يتذكر أنه ليس في الإسلام عزل للحاكم فيستطرد موضحا أن هذا العزل "لفترات محددة" يعني عزل تأديبي لمدة محددة يعود بعدها الحاكم ليحكم ؟

- أي نظام هذا؟
- ومتى حدث في تاريخ الإسلام؟
- ومتى حدث أن قام الشعب بتولية الحاكم؟

إن النموذج الراشدي نفسه يقول أن العرب لم يحضورا بيعة أبي بكر ولم يوافقوا عليها ، فشن عليهم أبو بكر حروب الردة ، ورفض الموافقة على هذه البيعة كبار الصحابة مثل علي والزبير العباسي وغيرهم الذين اجتمعوا في بيت فاطمة فأمر أبو بكر عمرا أن يأتي بهم ليبايعوا ويعلنوا موافقتهم وقال له "إن أبوا فقاتلهم وحتى يخرجهم أخذ نار ليشعل عليهم البيت. هكذا كان ترشيح أول خليفة وهكذا كانت بيعته؟ وهو من رشح عمر من بعده وليس الشعب ، ومن عارض تم قتله حتى لو كان صحابيا جليلا مثل سعد بن عبادة ، وعمر هو من رشح ستة من بعدة بشروط كانت لابد أن تفضي إلى خلافة عثمان ولم يكن الشعب حاضرا للمرة الثالثة.. ولم يحضر بعدها أبدا إلا لقتل الخليفة عثمان.

وفي دولة الشريعة تم قتل الخلفاء الراشدين الأربعة بما فيهم أبي بكر في معظم الروايات التي تؤكد موته بالسم شهيدا ، ولا تعلم كيف يقتل الراشدين العادلين؟ بعدلهم؟!

تعالوا نتذكر كيف حكم الراشدون وهم القدوة العليا للإخوان لنعلم كيف سيحكمنا الإخوان لا قدر الله.

قامت دولة الراشدين على سلطة ضميرهم كصحابة ، وكانت هذه السلطة هي العمود الرئيسي لخلافتهم وأيضا للدولة. فلم يكن عندهم أي خبرات إدارية ولا سياسية ولا تنظيمية ولا رقابية ولا تشريعية بعد انقطاع الوحي.

قامت الدولة على بركة الله وبركة المبشرين بالجنة لذلك لم تتمكن من حماية حكامها ، حتى تقاتل الصحابة صراعا على السلطان؟ دون أن يستطيع أحدنا لومهم وهم أهل الجنة بقرار سماوي.

فهل إخواننا الإخوان يصلحون لنا صلاحية الراشدين لزمانهم؟

هل يصونون لنا أرواحنا عندما يحكمون اعتمادا على سلطة الضمير؟

لأنهم حتى يحكموا إسلاميا سيحكموا بالشريعة كما أكد **عريان** من هنيهة ، وهو ما يحيل إلى سلطة الضمير التي انتهت بانتهاء الصحابة ، ولا يستطيع أحدنا اليوم أن يزعم امتلاكها.

فهل يرى عريان نفسه كفؤا لأبي بكر أو عمر أو حتى عثمان؟

وهلا يتذكر عريان أن دولة السلف الصالح التي يحلمون بها لم تستمر سوى ستة عقود فما أن ذهب الصحابة حتى ذهبت معهم دولتهم؟ لأنها كانت قائمة على ضمير

مبرر بصحبة الرسول وتأدبهم بأدبه ، وبذهابهم ذهبت معهم سلطة الصحابة وسلطة الضمير.

إنهم يسمونها دولة وما كانت بدولة.

الدولة لها آليات كانت تعرفها شعوب الحضارات حول الجزيرة من حدود جغرافية إلى هوية تاريخية ومجتمعية إلى قانون ونظام حكم وموارد ثابتة واقتصاد متين لا يعتمد على منتجات الحرب من جزية أو بيع بشر.

كانت دولة المدينة اتحادا فيدرالي للقبائل حرفتها جميعا الكر والفر ومهاجمة القوافل والدول الغنية المجاورة بالفتوحات. ولغياب آليات الدولة لإدارة هذه الرقعة الشاسعة تفككت الدولة وانتهت بمقتل جميع من حكمها.

فإذا قال الإخوان إنهم يريدون هذا الشكل من الحكم فإننا نرفضهم فورا لأننا لسنا في حاجة إلى إعادة مرارة التجربة الأولى التي هي درس لنا للعظة ، وأن قالوا بالمساواة بين المواطنين وبالقانون وبالدستور وبهياكل إدارة الدولة ، فكله قول لا علاقة له بالإسلام ، وعليهم إعادة تسمية جماعتهم بما يوافق ما يطلقونه هذه الأيام من مفاهيم واصطلاحات محدثه مبتدعة إنسانية الصنع ، لا علاقة لها بأي دين من الأديان.

أما ثالثة الأثافى في قول العريان فهي إيمان الإخوان بفصل السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية ، رغم أن المعلوم سنة عن رسول الله أنه قد جمع في يدية جميع السلطات فكان هو المشرع وهو القاضي وهو المنفذ وهو قائد الجيوش وهو من يوزع الأموال التي تأتي بها الغزوات ، بيده كل شأن تقريبا إلا في حالات شواذ نوادر قال فيها المسلم رأيا لخبرته فيه فتم الأخذ به.

وعلى سنة الرسول سار الهداة الراشدون المهديون النعل حذوا النعل ، فمن أين آتى العريان للدولة الإسلامية بهذا التقسيم الكفري لينسبه للإسلام زورا وبهتان.

وفي هذه الدولة المنتظر قيامها على يد الإخوان ضرورة تلازم وجود الفتوى إلى جوار القانون ، أو قل هي صائغة القانون وصانعته ، فهو يقول "لابد من وجود سقف لما هو الحلال وما هو الحرام في الدين ، وما هو الصواب وما هو الخطأ في القانون" ، ومادامت الدولة إسلامية فسيتم قياس القانون على النموذج الديني التشريعي ، وهو ما صرحت به مبادرتهم التي يعتبرونها برنامجهم ، **وهو ما يعني في النهاية أن تكون السلطة بيد من يفتي ، أي بيد رجل دين ، أي دولة ثيوقراطية كاملة المواصفات** بينما ينكر العريان أنهم يريدون ذلك حقا؟

- إذن فماذا يريدون بالضبط؟
- ما هو القول الواضح بين كل هذا؟
- وأين غير المسلم هنا؟ وما هو مصيره؟
- وهل تنازل الإخوان عن مشروعهم الطموح لإقامة دولة الخلافة العظمى باتحادهم العالمي واهدافه العلنية؟

ثم ترى ما هو مصير المعارضة ؟ أعتقد أنهم سيعملون بالحديث النبوي كمصدر تشريع ، النبي قال بفرقة واحدة ليس أكثر ، ليس هناك فرقتين ناجيتين ، يعني لا معارضة ؟! يعني عندما يكون الإخوان خارج الحكم يكون لهم حق المعارضة باسم الإسلام ، وعندما يحكمونا لا قدر الله لن يكون لنا حق المعارضة باسم الإسلام لأنهم وحدهم الفرقة الناجية في الحالتين. وحتى لا يبدوا الرجل كذوبا على طول الخط فقد نمق الكلام ليقدم اعترافا غامضا غير فصيح فهو لا يريد اعترافا صادقا محترما ، بما حدث في تاريخ المسلمين من أهوال ومظالم كارثية يقول "إن الفكر الإسلامي لم يعرف مفهوم الدولة الدينية رغم ما شاب التاريخ الإسلامي من مخالفات ، وهناك مخالفات لا يستطيع أحد أن ينكرها ، ولكن هذه المخالفات كان يتصدى لها علماء الدين الإسلامي".

إن موقف العريان هنا يعري كل الإخوان من المصداقية والضمير الحي الصاحي الذي من صفاته إن علم بالظلم والكوارث فإنه يعلن بوضوح علمه بها ولا يخفيها ولا يخفف منها ولا يزوقها ولا يبررها ، إن الضمير الحي للسياسي المحترم يجب أن يكون واضح مباشرا صادقا حتى الصدمة ، معترفا باخطأ كاملا محملا أياه أصحابه ونظرياتهم القديمة في الحكم ، أو محملا أياه للزمن القديم كله ولكل البشر في أزمان الاستبداد ، حتى نطمئن أنه قد غادر هذه المرحلة وهذا الفكر وذلك المكان إلى موقع جديد ، لكنه لا يطمئننا بل يزيد شكنا رسوخا وتأكيدا ، لأن التاريخ الإسلامي عندة لم تشبه مخالفات ، فما يشوب الشيء يحتمل معنى الاستثناء ، بينما كوارث واستبداد التاريخ الإسلامي لم تكن شائبة مؤقتة فيه ، إنما كانت هي القاعدة منذ فجره الأول.

وفي استثناءات تعد على أصابع اليد الواحدة تجرأ بعض عمال الخلافة يطلب التخفيف في الجباية عن الناس ، وما سلموا عندها على الأقل من السب والترويع. لكنهم يجعلون هذه الاستثناءات هي القاعدة مما يشير إلى ضمير مخروم ومعطوب وغير حي ، وهو عدم ذكاء راهنت عليه كثيرا في افتضاح شأن المتاجرين بالإسلام.. بأيديهم.

أنظره يقول : "ولم يحكم أحد من الحكام المسلمين بمقتضى ما يسمى الحق الإلهي مطلقا". هكذا "مطلقا".

إذن كيف نصدقهم؟

- ماذا عن قميص عثمان الذي ألبسه له الله؟
- وماذا عن المنصور وأنا الله والله أنا
- وماذا عن بيت المال الذي كان الخليفة عليه قفلا الهيا أن شاء فتحه وإن شاء قفلة
- وماذا عن كثير يؤكد غير ما يقول العريان ، فهلا يعلم العريان؟ إن كان لا يعلم فلا يصح له أن يكون من الأخوان المسلمين ، وإن كان يعلم فهو يكذب علنا ويزور علنا لصالح دولته الإسلامية زيفا غير نظيف.

أما النكتة الحقيقية فهي أن رجال الدين كانوا يتصدون للحكام من أجل عيون الرعية وهو ما لم يعرفه ليس فقط تاريخ الإسلام ، بل ولا تاريخ أي دين من الأديان ، لأن رجال الدين كانوا الحليف الأسوأ للاستبداد عبر التاريخ.

وفي دولته المدنية الإسلامية المرتقبة يبشر العريان الأقباط بقوله : "إن ضمان حقوق الأقباط سيكون في ظل الإسلام أكثر من عدم الالتزام بالإسلام". لكنه أيضا يعترف أن سيادة المسلمين وشريعتهم ستحدث خلافات ، والحل عنده في "سيادة ثقافة التسامح"، يعني يتسامح المسيحيون مع المسلمين السادة ، ولهم الصبر والسلوان.

أما الدليل عنده على تسامح المسلمين الحكام طوال العصر الماضي مع الأقباط ، فهو أن "الأقباط يبلغون اليوم نحو ١٣ مليون نسمة ، فلو كان الإسلام يضطهد المسيحيين لكانت الآن مصر جميعها من المسلمين لإسلام المسيحيين أو لهجرتهم".

أنظر إلى البرهان الساطع : المسيحيين عددهم النهاردة ١٣ مليون ، يعني لم تتم إبادتهم فالاضطهاد هو الإبادة وغير ذلك ليس اضطهادا.

هذا بينما عندما يكون الحديث عن الحقوق فإن هذا العدد يهبط هبوطا حادا اضطراريا فيقول فهمي هويدي : "وأكثر نسبة من المسيحيين في مصر. التي اصدرها الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء في أبريل ١٩٨٧ وتشير إلى أن عددهم

مليونان و ٨٣٠ ألف / جدول ٤ / ص ١٣" يعني لو مارسوا الجماع ليل نهار لوصلوا اليوم لأربعة ملايين على الأكثر؟ واحد سماوي (من السم) وواحد يرى عدم الاضطهاد هو عدم الإبادة الشاملة. ألا تصابون بالفجيعة إزاء هؤلاء؟

يقول العريان بالمساواة الثابتة لشريعته ودينه وتاريخيه ، ثم يقول بمسلم سيد على مسيحي بالضرورة ، رغم أن المساواة كمبدا لا تستقطها العنصرية الدينية والعرقية ولا اللون ولا الملة ولا أي صفة مميزة. بينما العريان لا يفترض ضمن مبدأ المساواة وقبوله بالتعددية إقامة حزب قبطي يمكنه أن ينجح وأن يحكم ، فهو يقول : "إن هذا افتراض خيالي في بلد مثل مصر ، لأنه في ظل الدستور والقانون سيكون ذلك ضربا من الخيال ، فإذا تولى حزب إسلامي السلطة في ظل دستور يحكم بمقتضى الشريعة الإسلامية ، فكيف يأتي بعده حزب قبطي سيلغي هذا الدستور ، فالدستور سيكون إسلاميا وبالتالي لن يستطيع الحزب القبطي تولي السلطة إلا إذا ترك الناس الإسلام". أومع تمديد المنطق لمنتهاه "إذا ترك المسيحيون دينهم إلى الإسلام؟"

العريان يفترض سلفا مسلمة مطلقة أن مواد الدستور الدينية لن تتغير وسيظل دستورا دينيا ، لأن ذلك هو المدخل للإخوان وأشباههم دوما إلى استخدام الدين في صراع السلطة ، لكن الإخوان مع تغيير مواد الدستور المتعلقة برئيس الجمهورية كي يستطيعوا المنافسة على الحكم ، وأما أين الدين الذي يزعمون أنهم رعاته وسندته من هذا كله ؟ إبحث واخبرني.

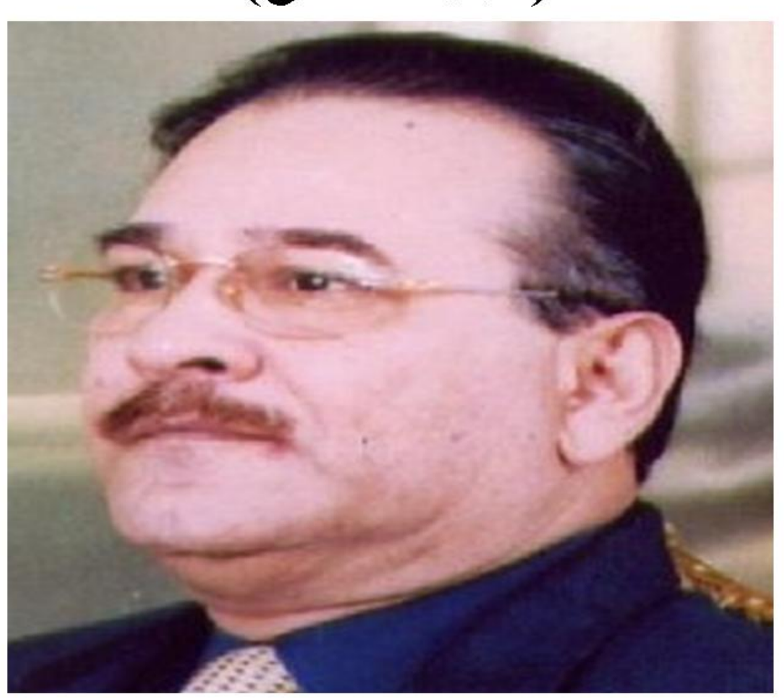
الدستور يجب أن يكون إسلاميا ويسمح لهم بإقامة حزب على أساس ديني ولا يسمح لفريق آخر من المواطنين بإقامة حزب ديني ، أرأيتم المساواة في دولة الإخوان المدنية الإسلامية ؟ هذا بينما أبسط مظاهر المساواة هي عدم تحيز الدستور إلى أي فئة من فئات المجتمع ولا لجماعة ولا لملة ولا لدين ولا لمذهب ولا لعرق حتى لا يخلق لأحدها ميزة تفضلها على باقي مكونات المجتمع.

هذا بعض ما قال العريان وهناك البعض مازال يستحق المناقشة لنعرف إلى أين يأخذنا الإخوان.

روز اليوسف

سلسلة فقهاء الظلام

الدولة الإسلامية و الخراب العاجل
(الجزء السابع)



بقلم
د/ سيد القمنى
مدونة
عن مصر أتحدث
3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظنة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

دولة الإسلام عند المتأسلمين

من المدهشات في بلادنا ، والغرائب عندنا كثير ، أن تجد مذيعاً في إذاعة مصرية ، يطرح فكراً هو بالمرة ضد الدولة القائمة ، وضد مجتمعها ، وضد كل النظام العام للمجتمع. والمذيع المقصود هو الدكتور **فوزي خليل** الذي يُعرف نفسه فيما يكتب وينشر بأنه "من كبار مذيعي إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة" ، وبجوار هذا التعريف تعريفاً آخر يقول إنه حاصل على درجة دكتوراه في العلوم السياسية.

تعالوا نقرأ معاً عملا كتبه كباحث يحمل درجة الدكتوراه فــي العلـــوم السياسيــة بعـنـــوان:

http://islamonline.net/arabic/mafaheem/index.shtml

يقدم لنا رأي الشريعة في عملية صنع القرار السياسي "فيكون المطلوب شرعياً هو : الاجتهاد في الحياة العامة لجلب المصلحة ودفع المفسدة ، وفق شروط وضعتها الشريعة ، وأوصافاً بعينها لابد أن تتوفر في القائم بصنع القرار الشرعي الجالب للمصلحة والدافع للمفسدة."

كيف يمكن قبول مثل هذا القول من رجل يحمل دكتوراه العلوم السياسية في القرن الواحد والعشرين الميلادي؟

إن الرجل لم يقم بتفعيل أياً مما تعلم سنين دراسته كلها بالمطلق وهو يعرفنا برأي الشريعة في عملية صنع القرار السياسي ، فلا شئ فيما قال يشير بالمرة إلى سياسة بما هو مفهوم عنها. الرجل يعيش القرن السابع الميلادي وربما حتى العاشر أو الحادي عشر على الأكثر ، فيعطينا الدرس لنتعلم كيف نصدر قرارنا السياسي وفق منظومة الشريعة الإسلامية مشروطاً بشروط تتوفر في متخذي القرار ، الرجل لا يرى ما حوله بالمرة مثل كل رفاقه من المشتغلين علينا بالدين ، فيتوهم أن للدولة ان تتخذ قراراتها السياسية محلياً وفق شريعتها ، غير عابئ بما حدث حوله من متغيرات عالمية جعلت اتخاذ أى قرار سيكون له تأثيره على بقية العالم ، فى زمن لم يعد القرار السياسي يتخذ محلياً وفق شريعة محلية بشروط تتوفر في صانع القرار ، لأن صانع القرار الإيراني يعجز عن إصدار قرار علنى واضح وصريح بتصنيعه السلاح النووي ، والدكتور فوزي خليل وكل جماعته يعجزون عن إعادة مبادئ الشريعة للعمل بها ، لأنه وكلهم معه يعجزون عجزاً فاضحاً أمام العالمين من تطبيق وفرض الجزية على غير المسلمين في بلادهم ، وعجز آل الشيخ الوهابية في السعودية عن التصدى للقرار الأممى المطلوب دولياً بمنع الرقيق حوالي عام

١٩٦٣ ميلادية. وعجزت حكومة السودان عن تطبيق حدود الشريعة على مجتمعها ، ولم تطبق من الإسلام سوى مظاهر شكلية كالحجاب والنقاب وإطالة اللحي وتمزيق الوطن. وحماس الفرع الفلسطيني للإخوان ظلوا يطلبون السلطة لتطبيق شرع الله ، وها هي حماس حتى اليوم تعجز عن تطبيق الشريعة ، التي زعموا أنهم إنما يريدون الحكم من أجل تطبيقها. ويعجزون جميعاً عن إعادة التسرى بالجواري بيعاً وشراء وإقامة قصور الحريم.

ودول العالم الإسلامي بحكم انتمائها لعالمها وأممه المتحدة وقوانينه ، تعجز جميعاً من شرقها إلى غربها عن إعلان إقرار فقه الجهاد الإسلامي كقانون حرب تعمل بموجبه قواتها المسلحة. حتى أصبح (فقه الجهاد والقتل على الظنة ، وحروب الإبادة الصفرية ضد الشعوب والقبائل الأخرى وعدد السبايا وطرق قسمتهن بين المؤمنين ، وكذلك فقه العبودية برمته من بابه الأول إلى أخر صفحة في بابه الأخير بين دفتي القرآن وكتب السير والأخبار والطبقات والصحاح وكل علوم الدين). **أصبح كل هذا من قبيل الروايات التاريخية لزمن ردىء ، ولم يعد بإمكان أي دولة إسلامية أن تصرح به أو تبوح به خارج مدارس التعليم الإسلامي** ، ربما نجدة في خطبة عصماء في هذه القناة الخاصة الغير محسوبة على أي حكومة ، أو في ذلك المسجد ، هذا علماً ان فقه الجهاد كان الفريضة العظمى وكان أعظم مجلب لأعظم مصلحة للحاكمين بالشريعة ، كما يريد خليل ، حيث كان يزود خزائن الدولة بالمال والقصور والنساء والعبيد. إن الدكتور فوزي وحكوماته ووزاراته وشعبه مرغمين جميعاً على القبول بالشرعية الدولية بالقوة الجبرية ، وخرج المسلمون على شريعتهم بالإكراة علناً وخضعوا للشرعية الدولية رسمياً ، والشرعية الدولية هي شرائع لا شأن لنا بها ، ولم نتقدم للمساهمة فيها ولومرة واحدة بمادة من مواد شريعتنا الإسلامية لعدم صلاحيتها لزماننا ، وأن من وضع الشرعية الدولية هم غير المسلمين من أمريكا لإنجلترا لفرنسا للصين لروسيا. وجاء قرار هؤلاء السياسي التشريعي ملزما للعالم أجمع ، ولا علاقة له بالمنظور الإسلامي الذي يحدثنا عنه أستاذ العلوم السياسية.

وحتى نصدق الدكتور و نستمر في قراءة ما يطرحه علينا ، كان عليه أن يشعرنا أن لاستهلاك الوقت في قراءة أمثالة فائدة ومصلحة ، بأن يشير لنا مثلا إلى عدد مرات رفضنا لقرارات الأمم المتحدة وتنفيذ هذا الرفض وما ترتب على هذا الرفض. ومنذ أغلقنا مضيق العقبة/ تيران بوجه السفن الإسرائيلية وهذا حالنا من سيئ إلى أسوأ حتى اليوم.

وقبلها عندما رفضنا قرار التقسيم الدولي لفلسطين فكانت النتيجة هزيمة مروعة لكل الدول العربية وضياع أراض عربية ضعف ما كان مقرراً في التقسيم الدولي.

حتى نستوعب ونعلم بقدرتنا على إتخاذ القرار السياسي وفق شريعتنا ، هل بالإمكان أن تقوم دول العالم الإسلامي برفض قرارات الأمم المتحدة بقيام إسرائيل في قلب العالم العربي الإسلامي؟ هل بالإمكان رفض الدولة العلمانية التركية وإصدار القرار بتكفيرها ، وهي تردد كل يوم أن لا علاقة لها كدولة بدين الإسلام لأنها دولة علمانية ، رغم أنها كانت أخر معقل للخلافة الإسلامية منذ بضع عشرات من السنين.

إن الدكتور خليل ورفاقه يكذبون على شعبنا ، ويغشون المسلمين بتقديم ما يوعز بأننا أهل قدرة ، وأصحاب منعة ، لدرجة أن بإمكاننا العودة بالبلاد إلى زمن العبودية والظلمات ، ولا يبقى من ترداد تلك الأقوال سوى ترك أثرها الجارح في النفس الإسلامية وإشعار الشعوب الإسلامية بالدونية بين الأمم ، ومع التأجيج المستمر فى إعلامنا لمشاعر العداء الإسلامي لغير المسلمين ، لا يبقى للنفس كي تطمئن سوى أن تقتل وتُقتل ، لا يبقى بيدنا سوى الإرهاب سلاح الضعيف والمشلول القدرات.

إنهم يغشون شعبنا وهم يتحدثون عن وهم اسمه دولة دينية إسلامية سننتصر بها ونسود العالمين ، ويستخرجون لها الأدوات والقرارات والشروط ، بينما تاريخ الإسلام كله لم يعرف شيئاً اسمه الدولة الدينية أو الإسلامية سوى زمن الرسول وحده ، وكانت في ذلك الوقت عبارة عن تجمع قبلي يدين بالولاء لسيد واحد من قبيلة بعينها أصبحت فيما بعد هي السيد المطلق ، ولم تكن بالمرة دولة بالمعنى العلمي السياسى المفهوم ، حتى أن اسم الدولة أو الحكومة بما نفهمه منه اليوم ، غاب بالمرة وبالمطلق عن كل التاريخ الإسلامي منذ جاء جبريل بإقرأ وحتى اليوم. لأن رب الإسلام لوكان يريد دولة لدينه ، لخلق لها الجماعة التي تضع ذلك وتدرسه وتطبقه وتضع له مواصفاته وشروطه ومؤسساته التي تشرف على تنفيذه وتحميه ، وهو كله الكلام الذي لم يكن معلوماً زمن الصحابة ولزمن بعيد بعده ، حتى ظهور ابن تيمية وسياسته الشرعية وإبن القيم وأعلام الموقعين وحسن البنا والإسلام هو الحل. لوأردها الله دولة إسلامية لخلق هؤلاء زمن الدعوة ليجلسوا حول الرسول ويشيرون عليه بما يقولونه لنا اليوم ، ويعظونه به كما يعظوننا ولقامت الدولة مواكبة لقيام الدين ، ولكانت قد جعلت العالم كله ديار إسلام منذ قرون مضت ، وكان الله قادراً ان يخلق الدكتور فوزي خلبل زمن الدعوة مع فريق من الإخوان والأزاهرة ليعلموا النبى و الصحابة معنى الدولة وشروطها ، بدلاً من أن يظل

الإسلام والنبى والصحابة غير عارفين بها ولا بطريقة اتخاذ القرار السياسي حسب الشريعة ، ويظل إسلامنا طوال تلك القرون ينتظر الدكتور فوزي خليل ليكتشف الدولة وشروطها في الشريعة الإسلامية ، لكن بعد أكثر من أربعة عشر قرناً. ولكان وجود فلاسفة الدولة الإسلامية مع نظريتهم في المساواة والعدل والحريات والحقوق زمن النبي ، كفيلاً بقيام هذه الدولة المتحصنة بالشريعة ولما ظهر في تاريخنا الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولا يزيد بن معاوية ، ولا هتك المسلمون أعراض بنات مدينة رسول الله ، ولما أبادوا آل بيت الرسول ، ولما حدثت الفتنة الكبرى لأنها كانت ستكون دولة حاكمة ذات مرجعية قانونية واحدة للجميع, تطبق على الجميع ، لا أن يدعى كل فريق أنه الإسلام الصحيح ليقتل بصجيحة الفريق الأخرفى حروب إبادة صفرية.

الدكتور خليل بموضوعه هذا يعلن أنه في موقف المعارضة ، والمعارضة الإسلامية والمتشددة تحديداً ، ولكن بما أنه موظف في جهاز حكومي وإداري كبير ، فإنه لا يذهب لإظهار دوافعه الحقيقية من أجل استيلاء جماعته ومن هم مثله على السلطة ، إنما هو يقدم دافع ظاهرى هو مصلحة الناس ، فيقدم للناس "جلب المصلحة ودفع المفسدة" ، يقدم لهم صالحهم كهدف أساسي يسعى إليه وكواجهة يختبئ وراءها بمشروعه الحقيقي ، وقد تمرس هذا التيار الإسلامي بفن التخفي والتنكربمئات الأقنعة ، وبإشراك الناس نظرياً في مشروعه ، فيقدمون للناس حلولاً يبدوالناس مشاركين فيها وطرف من أطرافها ، وعبر شعار هو الإسلام هو الحل ، يمكن تقسيم المصلحة والمفسدة ، فيستفيد أهل الدين كراسي الحكم ، ويستفيد الناس حل مشاكلهم ، مصحوباً ذلك الحل بالرضى الإلهي مما يعني أنه مضمون النجاح مئة بالمائة. وإن لم يتم حل المشاكل ولوواحد بالمائة ، فيكفيهم الله خير ضامن لأجرهم في الآخرة. والحكاية كلها وهم في وهم فلا الله أعلن عن ضمانه هذا المشروع للناس ، ولا هو أعطى توكيلا للإخوان نيابة عنه في الأرض ، ولا توجد مشاركة حقيقية للناس ، ومن ثم لن يبقى من كل ما قيل سوى زيادة المفسدة والمزيد من ضياع المصلحة.

والناس أو المسلمين عند هؤلاء هم فقط أعضاء جماعة الأخوان المسلمين وفروعها على مختلف التسميات ، وإن أراد المسلم مكاسب حقيقية ملموسة واقعية عينيه ، أن يلتحق بعصابتهم للمشاركة في الثورة على الظلم الحكومي القائم ، والتمرد عليه لاستعادة عدلنا الإسلامي المفقود. ويتم ذلك بالتشويه الإعلامي المستمر لسمعة الحكومة بحسبانها أس كل فساد ، بل وأنها النموذج لأسوأ فساد ممكن ، لأنه نوع خاص من الفساد ، إنه النوع الذى أدى إلى سوء علاقة الرب برعيتة ، وأبرز الأدلة على ذلك هو امتناع السماء عن الاستجابة لدعاء الرعية على الحكومة ، لأنه كان

يكفي في أصل الشريعة أن ندعوا عليها دعوة رجل واحد بدعاء المظلومين ، آناء الليل وأطراف النهار لتسقط شذراً مدراً ، لكننا ندعو ونتفنن فى مطالبينا الدعوية وهي لا تسقط ، إذن ثمة خلل في علاقتنا بربنا حتى أنه لم يعد يستجب لدعائنا وبكائنا وتضرعنا إليه ، ولا يبقى من حل سوى إزاحة الحكومات الكافرة ، هنا سيعلم الله و يفهم أننا قد أصلحنا ما بأنفسنا وقومنا الخلل ومحقنا الكفر ، ومن ثم يصالحنا و يستجيب لدعواتنا في تدمير إسرائيل و إزالة أمريكا ، عندما نصل بأهل الإسلام إلى السلطة ليطبقوا علينا شرع الله كعلامة خضوع كامل له كخطوة أولى على الطريق الصحيح.

لقد علم المشتغلون علينا بالدين أنه لابد من إشراك الناس في مشروعهم و لو وهماً ، بجعل الناس أصحاب المصلحة التي سيحلها لهم المتأسلمون عندما يحكموننا عن طريق الرب ، وليس عن مشاريع واضحة معلنة تحيطنا علما بها كبديل صالح لما تراه فاسداً ، وحتى هذه اللحظة لم نقرأ برنامجاً علمياً واضحاً لحل مشاكل الوطن تقدم به أي فريق من تلك الفرق المتأسلمة.

ولمزيد من التجييش يقدمون الأدلة للمسلمين على كفر الحكومة ، بالبنوك الربوية ، ووجود الخمارات في البلاد ، و الصلح مع إسرائيل ، و الفن الخليع الهابط ، و هو ما يجعل الحكومة الحالية عائقاً أمام تعاون الرب معنا واستجابته لدعواتنا.

هؤلاء عندما يفعلون ذلك هم صادقون مع تاريخهم ، فقد كان تداول السلطة عند أسلافهم يتم بدعاية تقوم بها المعارضة مع دعوة لإشراك الناس في ثورتهم ، ثم الإنقلاب من بعدها على الناس. معاوية فعلها مع علي ومع المسلمين من بعد ، أبوالعباس السفاح أعلن عدم شرعية الأمويين حسب المواصفات القياسية الإسلامية الشرعية ، وإنه إنما قام يطالب بحقوق الله وهي حكم الهاشميين وبني العباس تحديداً من آل البيت ، وبهم سيقيم دولة البر والتقوى والعدل والإحسان والدين ، فأقام دولة القتل والذبح والطغيان.

إدخال الدين في موضوع الدولة والحكومة ، يسوغ لكلٍ فريق أن يرى ما يراه من تفسير لمقصود الشرع ، ولإثبات خروج الحكومة على الشرع ، وهوما أدى إلى سوء العلاقة بالله ، والحل بالعودة للشرع.

كلهم بلا استثناء لا يريدون تغيير الحكومات القائمة لأنها أدت إلى تخلف شعوبها ، ولا لأنها أهملت الزراعة ، أو لأنها فرطت في حقوق عامة للمواطنين كالمسكن والعلاج والعمل ، أو أنها قصرت في حفظ الأمن والمرور وسيادة القانون ، أو أنها قصرت فى مواجهة الكوارث ، فكل هذا لا يخطر لهم ، لأنهم لا يرون الحكم أبعد

من كونه نزاعاً على ميراث ، **و لمن يؤول هذا الميراث؟** نفس النزاع كان هو المؤسس لحكم الراشدين وفتنهم العديدة ، كان نزاعاً حول من هو الصاحب الشرعي للميراث ، والرعية والأوطان هي التركة. في كل إنقلاب قامت به فرقة للاستيلاء على الحكم لتنزيل الشريعة وصالح الدين والديان ، لم تخفض الجباية عن الناس بل ضاعفتها ، ولم تقلل من الضرائب بل اعتصرت الناس اعتصاراً ، ولم تلغ العبودية بل زادت من عدد العبيد. كان التغيير المطلوب ومازال هو إجابة على السؤال: من يحق له امتلاك الأرضين بما فوقها من رعية؟ بإرضاء رب الدين بتفعيل شريعته ، وهي الشريعة التي استخدمها كل الفرقاء لإثبات فساد شريعة و شرعية بقية الفرقاء. فكان أن أصبح كل المسلمين كافرين في نظر كل المسلمين.

يقول أستاذ العلوم السياسية الدكتور فوزى خليل: إن المنفعة العامة جلب المصلحة ودفع المفسدة ستكون بالفتوى وبالاجتهاد ، ويسميه الاجتهاد السياسي الإسلامي. وهوأمر يركن إلى تعريف للمصلحة العامة قياساً إلي شريعة الله الذي هو أعلم بمصالحنا منا. لا يرى هؤلاء حولهم في الدنيا أن صالح الناس العام لم يعد بيد من يفتي فيه من أهل العلم الدينى والتقوى العارفين بالشريعة ، ولا بيد من يريد الاجتهاد ليستنسخ لنا من الشريعة القديمة شريعة قديمة برداء محدث. المصلحة العامة هي التي يحددها الرأي العام ، من يحددها هم الناس وليس المشايخ والمفتون والمجتهدون ، ذلك كان زمان المماليك وأبوالحجاج الثقفي وليالي هارون الرشيد ، ويوم نحس الخليفة الذي يعدم فيه أو ل من يصادفه من رعيتة ، ويوم سعده الذي ينعم فيه على أول من يصادفه منهم.

اليوم من يقرر الصالح العام هم الناس ، اليوم يصبح هذا الاجتهاد عملا ضد السلام العام للمجتمع المدني المحلي ، وضد أمن وسلام المجتمع الدولي. لأن استدعاء ذلك الزمان بما فيه من الجهاد والسبي والفيئ و احتلال العالم لإدخاله في نور الله ، كفيل بتهديد الأمن الوطنى والعالمي كله.

لكن لكي يكون الرأي العام معبراً عن الصالح العام لمجتمعه حقاً ، فلابد أن يتم ذلك في مناخ من الحرية في التفكير وفي القول وفي الاعتقاد ، وفي اعتياد وجود آراء مخالفة يمكن أن تنتصر هي في السجال وتعمم نفسها على الرأي العام لثبوت نجاحها. الشرط الأساسي لرأي عام سليم هو أن يكون المجتمع قد ألف واعتاد التعددية في الرؤى ، لأن رأياً واحداً سائداً يشكل عقلاً مجتمعياً كاملاً وفق قواعده وشروطه ، حتى يصبح الناس كلهم طبعة واحدة ، هو رأي عام مزيف ، ملعوب فيه ، وفي عقل المجتمع كله ، ليصبح ضد نفسه ، ويتحول إلى مجرد صدى للفتاوي. في هذه الحال يصبح الرأي العام غير معبر عن الصالح العام ، إنما عن صالح

فئوي تتحقق فيه الفوائد لرجال الدين وحلفهم ، ولو قمنا بعمل قياس للرأي العام في بلادنا ستندهش أن تجده هو رأي رجال الدين الإسلامي بالتمام في كل شئ وفي كل شأن. **وهو رأي صنعه لدى الناس رجل الدين وليس الدين** ، بعدما أصبح رجل الدين رقيباً على الرأي والفكرة ، رقيباً على الآراء الأخرى حتى لا توجد بالمرة ولا يبقى في السوق سوى رأي واحد للجميع ويسلك الجميع ذات السلوك فيصبحون مجرد حشرات.

رجل الدين الذي يبحث عن المصلحة ويدفع المفسدة يراقب المصنفات والمطبوعات ، يهرع وراء كل مخالف في أي شأن بتهمة التكفير فلا يبقى حراً في المجتمع سوى رجال الدين كالعرب السادة القدماء ، لهم وحدهم الحق في القول في كل شئ والتدخل في كل علم وفن بالفتوى والتفسير ، ولهم كل وسائل التعليم والإعلام وتوجيه الرأي العام ، حتى تم استئناس الرأي العام وتدجينه في حظيرة العباد الصالحين ، هو النجاح الذي لابد أن نعترف به لتيار الدكتور فوزي ، بتحالف تحتي تمكنوا فيه من الاستيلاء على أجهزة توجيه الرأي العام في الدولة هم وحدهم ودون أي رأي آخر غير رأيهم. إن الاجتهاد الذي يطلبه الدكتور فوزي لا يعبر عن الصالح العام ولا الرأي العام ، فهورأي لا يقدمه المجتمع ولا يصنعة ، بل هو رأى فئة وطائفة اختارت نفسها لمهمة الشياخة والفتوى ، ومن ثم هيئوا الواقع كله ليبصم على قراراتهم وفتاواهم وهومغمض العينين ، فأصبح رأيهم الخاص رأياً عاماً ، بينما هو رأي خاص لجماعة خاصة ، لتحقيق مصلحة خاصة ، لهذه الجماعة بخاصة ، وما أبعد ذلك عن الصالح العام للوطن والمواطنبن.

نتابع ما تطرحه الكوكبة الجديدة من المشتغلين بالإسلام السياسي ، لإدخال الإسلام في كل مدخل ممكن من العمل السياسي ، وضمن هؤلاء نتابع ما كتبه استاذ العلوم السياسية الدكتور فوزي خليل (حاصل على دكتوراة العلوم السياسية وكبير مذيعى

اذاعة الفرآن القاهرية) حول كيفية صناعة القرار السياسي في دولة إسلامية تلتزم الشريعة عند صنع هذه القرارات.

يقول الدكتور فوزي: "إن عملية صنع القرار في الرؤية الإسلامية ، بحكم مقاصدها ومرجعياتها ، هي عملية ترتبط في تفاعلاتها بمفهوم التدبير ، الذي يعني التفكير العميق والدراسة الواعية للأمور لتدبير الأمور ، في الأمة تدبيراً يصلحها في الدنيا والآخرة". ودعماً لما يقول يقدم استشهاداً من كلام الإمام جلال الدين السيوطي في كتاب الأشباه والنظائر إذ يقول: "إن التصرف على الرعية منوط بالمصلحة".

هنا نجد أنفسنا بإزاء أكثر من سؤال ، هل ما يطرحه السيد الباحث هنا هو رأي رجل دين أم رأي أستاذ علوم سياسية؟ لأن الأمر يستشكل علينا ما بين إعلانه عن علميته التي حازها بأرفع الدرجات على المستوى العلمي في دراسة السياسة ، وما بين ما يقول لنا هنا ، خاصة مع ما يستخدم من ألفاظ ذات نكهة سلفية ورنين إسلامي عتيق ، فماذا يقصد مثلاً بالتدبير كمفهوم يرتبط بعملية صنع القرار في الرؤية الإسلامية؟ يعرفه بأنه تفكير عميق ودرس واعي لتدبير الأمة بما يصلحها دنيا وآخرة. إذن التدبير تفكير عميق ودرس واعي من أجل ماذا؟ من أجل العثور على التدبير الذي يصلح شأننا دنيا وآخرة. وهكذا تاه منا التدبير هل هو مبتدأ أم منتهي أم وسط عملية اتخاذ القرار السياسي ، وهل هو وسيلة نصل بها مباشرة إلى صالح الأمة ، أم أن التدبير هو هدف العملية "لتدبير الأمة بما يصلحها دنيا وآخرة".

ألفاظ زئبقية بلا معنى محدد واضح يمكن أن تضيف إليها أو تحذف دون أن يتغير أي شئ، لأنه في مساحة المفاهيم غير المتفق عليها يمكن لأى شئ أن يكون أى شئ, إن لم يعرفنا ماذا يعني بالتفكير العميق الذي هو التدبير المؤدي إلى التدبير؟ ولا كيف يتأتى لنا هذا التفكير؟ كيف ينشئه العقل البشري ليأتي بالشكل السليم؟ إن عبارات الدكتور وما يقدمه من مصطلحات يشير إلى إنها لم تأت بالشكل السليم ، فليس من الضروري أن يؤدي التفكير العميق الذي هو التدبير إلى صلاح الدنيا والآخرة ، فالأساطير والخرافات كلها كانت نتيجة تفكير عميق وتدبير ، الدكتور لا يفرق بين عقول تفكر ، وأخرى تفكر لكنها لا تعرف كيف تفكر ، المسألة هي كيف نفكر؟ لا أن نفكر تفكيراً عميقاً والسلام.

ومثل هذا التفكير الذي يعرف كيف يفكر ليصل إلى نتائج يطبقها في الواقع فيؤدي للنجاح والصلاح والمصلحة والتفوق ، له أصولة الفلسفية والتي تم اكتشافها حديثاً في عصر النهضة على يد فلاسفة ومفكرين عظام ، أسسوا لاكتشاف الجديد وإبداع ما لم يكن موجوداً ، ووضعوا نظماً حقوقية لحماية الكرامة الإنسانية ، وأسسوا لعلوم السياسة وفق أدق المصطلحات ، فليس عندهم تدبير بما يصلح الدنيا والآخرة

، وإنما هناك تفكير علمي أنجز وحقق واخترع و أبدع و إكتشف فأقام الحضارة الحديثة كأعظم حضارة عرفها الكوكب الأرضي.

وحتى لو قررنا التدبير كما يريد الدكتور فإننا سنعجز عن الوصول به إلى صلاح الدنيا وصالح الآخرة ، لعدم أخذ الدكتور في الاعتبار بما وصلت إليه علوم السياسة وهي تخصصه الدقيق, وفق عمليات وآليات للتفكير والتعليم. ولأن صلاح الدنيا شأن مدني محض خالص لا دخل للدين فيه ، وحتى إعمار المسجد الحرام والمسجد النبوي لم يقم على تدبير و تفكير دينى عميق ، بل قام على علوم الهندسة الحديثة وفنون قام بها متخصصون طليان وأسبان وغيرهم من الكفرة. ولوكان التدبير هو منشئ الصلاح في الدنيا ، لكان مسجد النبي فى زمنة الأول هو أفخم بناء أنشئ على الأرض لأن مدبره نبى وصحابته. بينما كان في واقعه بناء شديد التواضع والبدائية إذا قيس ببيت ريفي في كفر من كفورنا حتى فى أيامها. فالتفكير المؤدي للصلاح لا علاقة له بالدين أو بالإسلام أو بمصطلحاتهم السلفية ، فالمصطلحات ليست أدوات سحرية تفعل بمجرد النطق بها. أما التفكير العلمي فقام خارج النبع الإسلامي ، وقام بجهود أبناء الحضارات السابقة على الإسلام ، فتنوعت هندساتها بتنوع أصولها الحضارية ، فالمساجد في مصرمصرية بفن مصرى وهى غير المساجد في الشام بفنون أهل الشام وليس أهل الجزيرة وغيرها في أسبانيا وغيرها في جزيرة العرب ، فشأن تدبير الدنيا شأن إنساني أرضي بحت. اما شأن الآخرة فهوما ليس بيدنا إنما هو بيد رب الدين ، لأن الآخرة ترتبط بالدين والعبادات وأصول التوحيد... إلخ ، ولا دخل بتدبيرنا فيها ، فلا نحن نستطيع زيادة ركعات العشاء ولا الصيام في يناير ولا الحج في أمشير. هذه شئون الآخرة ، وهكذا لا تجد بين يديك لا صالح الدنيا ولاصالح الآخرة.

ويدهشك ما يرطنون به هذه الأيام حول أخذهم بالحداثة وإيمانهم بالديموقراطية كسبيل للتداول السلمي للسلطة ، واكتشافهم اسلوباً جديداً يتناول المستحدثات بحسبانها كانت موجودة في صلب الإسلام ، فأصبحوا يفعلون في علوم السياسة ما يفعله (مصطفى محمود وأبو جلمبو وزغلول النجاروأم سحلول) في العلوم الفيزيائية.

ورغم كل هذه المشقة التي يبذلونها ، تبدر منهم فلتات لسانية تشير إلى المرجع والمصدر الأصيل الذي لا يحيدون عنه ، أنظره يدعم ما يقولة عن صنع قرار سياسي إسلامى بلغة تبدوحداثية ، بقول الإمام الشافعي: "إن التصرف على الرعية منوط بالمصلحة".

القوم مازالوا يعيشون زمن كان هناك من يتصرف على الرعية ، وأن عليه عندما يتصرف أن يرعى مصالح رعيته. وبدون وعي يلقي الرجل بشهادة يراها لصالح حداثته ، فإذ به ينتكس انتكاسة عنيفة إلى زمنه الذهبي السالف. زمن كان الخليفة هو المتصرف على الرعية. ولا تعلم هل فيما درس من علوم سياسية أن التصرف على الرعية هو شأن من شئون الرعية ، وأنها هي التي ترعى شئون نفسها ، وأنها ليست قاصرة ، وليست مستعبدة لسيد فاتح كما كان زمن الخلافة ، حتى نقيم لها سادة أو صياء مرة أخرى تكون مهمتهم تدبير شئون مصلحتها.

إن عبارة التصرف على الرعية تعني أن الرعية ليس لها حق التصرف ، هي الصورة التي تقبع في خلفيتها صورة الزمن الغابر عندما كنا عبيداً وعلوجاً وأنباطاً وأهل ذمة وأقنانا وجواري وإماء وغوغاء وعوام. لا يرون الدنيا حولهم وقد أصبح رجال الدين والعبيد والجواري والعوام كلهم سواء لأنهم كلهم شركاء في وطن واحد ، ومن أجله يصنعون قراراً يعود على المجتمع بالمصلحة. أصبح الموالي وأهل الذمة يشاركون بالتفكير العميق لصنع القرار السياسي رغم أنف الإمام جلال الدين السيوطي.

المدهش في أمر سدنه الفكر الإسلامي اليوم في قولهم بالحداثة ، هو تبنيهم لمبادئها من عداله وحقوق إنسان ومساواة وديموقراطية... إلخ ، وتبنيهم في الوقت ذاته لمتصرف على الرعية منوط تصرفه بالمصلحة ، وهو أمر يجد حل دهشته في ثقتهم أنهم قد تمكنوا من التحول بالمجتمع كله بعد تهيئته عبر وسائل الإعلام والتعليم والمساجد لقبول نظام المتصرفين على الرعية.

أما ما يدهش المتخصص في الدراسات الإسلامية ، هو من أين جاء الشافعي نفسه بهذه القاعدة الشرعية ومن أي حدث زمن الدعوة ، أو من أي آية أو حديث خرج بها وجعلها أصلاً إسلامياً للسياسة الشرعية كما يقول الحاج فوزى ؟

إن إناطة مصلحة المجتمع بالتصرف على الرعية لم يكن واضحاً عند المسلمين الأوائل ، بل كان هو الغائب الأمثل بلا نظير ، وكانت مصلحة المجموع هي آخر مايعنى المتصرف على الرعية ، وإذا كان المفروض أن تكون المصالح واحدة غير متغيرة ، فإن تاريخنا يقول أن كل خليفة من الخلفاء الراشدين قد تصرف على الرعية بطريقة غير التي تصرف بها الثلاثة الآخرون.

وإذا كانت مصلحة الناس هي المنوط بقرارات المتصرف عليهم حقاً ، فهل كان من المصلحة تغيير لغة مصرالقديمة إلى العربية ، فكان أن فقد المصريون والعالم كله وعاء حضاراتهم القديمة ، وهى خسارة حضارية فادحة ليس لمصر فقط ولكن

للعالم والأنسانية أجمع ، حتى تحولت آثار تلك الحضارات في نظر المصرى المسلم اليوم إلى مجرد مساخيط. ولمصلحة من كان قرار إلغاء ومحوالمصرية القديمة؟ مصلحة الحاكمين؟ أم مصلحة المحكومين؟

لا يبقى من مفهوم المصلحة فيما تم طرحه حتى الآن ، سوى عملية إشراك وهمي للناس لم تتحقق حتى في أفضل قرون التاريخ الإسلامي ، هي ذريعة لإشراك الناس في استصدار تشريعات تجور على الناس ، حتى إن تذمر الناس قالوا له بمنطق الدنيا إنها المصلحة العامة ، وبمنطق الدين إنها إرادة الشريعة.

وإذا كان صنع القرار السياسي في عصر الخلافة الراشدة كان يتم وفق هذة الصياغات الكبيرة المحدثة التى يقدمها لنا الإسلاميون المحدثون أمثال الدكتور فوزى ، فهلا عرفنا حضراتهم كيف كان تدبير السيدة عائشة زوجة النبي (ص) العميق لاتخاذ القرار بشن الحرب على ابن عم النبى وخليفته علي بن أبي طالب ، وشقها على الإمام عصى الطاعة؟ كيف صنعت السيدة عائشة قرارها السياسي؟ وهل كان قراراها منوطاً بمصالح المسلمين؟ وكيف رفض معاوية إعطاء البيعة للخليفة الشرعي علي بن أبي طالب؟ وكيف صدر قرار إبادة آل بيت النبوة إبادة شاملة في مجزرة هي الخزي ذاته في تاريخنا العار؟. وكيف تم اتخاذ القرار السياسي منوطاً بالمصلحة لضرب الكعبة بالمنجنيق وتدميرها وحرقها على المستغيثين بها؟. هل كان هذا المجتمع مسلماً أم غير مسلم؟ لقد كان هذا هو مجتمع الصحابة الذي يدعوننا إليه الدكتور فوزي وجماعته

لا يشك أحد في سلامة إيمان الصحابة ، **لكن الواقع أن الإسلام لم يقصد إلى إقامة دولة يتخذ فيها القرار السياسي من الشريعة ، فلم تكن الدولة ضمن أهدافه بالمرة** ، لأنها لوكانت هدفه ، فلا شك أن دولة الصحابة كانت هي الهدف النموجي للدولة الإسلامية محققاً على الأرض ، ولكن إذا نظرنا إلى ما كان محققاً على الأرض فسنجدة مما لا يليق أن ننسبه إلى الإسلام ولا إلى رب الإسلام ، فالرب لوأراد دولة لهيأ لها ما يجعلها أعظم الدول عبر كل التاريخ ، لذلك لا يمكن أن نصف دولة كلها دم وقتل وفتن وفاتحين من النهابين بأنها هي دولة الإسلام ، أللة لايقيم دولة نتاشين وقتلة متمرسين ، تلك هى الدولة التي يريدون عودتنا لها كي ننجوامما نحن فيه اليوم فنستجير من الرمضاء بجهنم وخراب الدياروالخروج من تاريخ الإنسانية مكللين بالعار ، الأكرم للإسلام ألا تنسبه إلى الصحابة مهما علا قدرهم لأنهم في النهاية بشر بضعف ومطامع البشر ، والأكرم للإسلام ألا ننسبه إلى تلك الدولة الراشدة أو غيرها ، لأنها لم تكن دولة الإسلام بل دولة العرب ودينها الإسلام. كانت إمبراطورية العرب ، وما جرى فيها من ظلم وسحق وحرق يعود إلى مطامع تخص

البشر العرب الحاكمين ولا علاقة للإسلام كدين بهكذا دولة. إن اللة لاينشيء دولة قتالين قتلى وشيوخ منسر.

الدين الإسلامى طلب منا الإسلام ، ولم يطلب منا الدولة ، طلب منا أن نعبد الله ونطيعه أملاً في رحمته وكريم غوثه ، ولم يطلب منا الانضمام إلى حزب الله أو حزب البعث أو حزبنا اللة ونعم الوكيل ، ولم يطلب منا الإسلام أن نستدعيه اليوم لنستمع إلى رأيه الشرعي في عملية صناعة القرار السياسي ، بينما لم تكن السياسة ولا الدولة ضمن شواغله أو اهتماماته أصلاً.

ويبقى أن نصف ما قال الدكتور بأنه عبارة نابية ومهينة للجميع ، فقولتة "التصرف على الرعية" ، عبارة تهين العقل وتشين المواطنين وتصمهم بالهطل والعتة والبلة وتفرض عليهم الوصاية والهيمنة. أما كلامه عن التدبير والتفكير العميق فهى من قبيل : هوكس فوكس وشمهورش جمهورش طراطيش ، هو من أدوات السحر والشعوذة ، هي حركات بهلوانية كاذبة تعمد إلى إعطاء الإيحاء أنه يعمل بالعقل ، بينما هو لم يعمل فيما قال حتى الآن سوى بالنقل وحدة ولم يقل شيئا لة علاقة بالعقل ولا بتخصصة كدكتور علوم سياسية .

الملاحظ أنهم الفريق الوحيد الذي ليس لديه ولا يملك أي حل مبرمج لمشاكل الوطن ، فهم يضعون شرطاً مسبقاً هو تمكينهم أو لاً من الحكم حتى يأتونا بعد ذلك بالحل؟ فإذا كان لديهم حلولا فهل من الحرام إعلانها على الناس؟ أم أن الحل جاهز وموجود هو نموذج الدولة الإسلامية الراشدة كما يعلنون في حالات أخرى؟

ولهذا السبب تحديداً فإن المجتمع لا يبدومقتنعاً بصدق ما تطرحه عليه فرق الإسلام السياسي ، لأنه لواقتنع حقاً وصدقاً لصار منهم ، ولشاهدنا في مصر ستيين مليون لحية غير مشذبة وستيين مليون لباس باكستاني. شعبنا خجول وحساس تجاه الدين فيقدم ما يثبت هذا الحياء فيقبل الحجاب ويطبق الشروط الدالة على الإسلام على الطرف الأضعف ، لكنه لا يطلق لحيته ولا يربط رأسه برباط أبي الحكم أو أبي لهب وأبى عنزة . لوكان الناس مقتنعون حقاً لشاركوا في تغطية الإخوان المسلمين في الإنتخابات بالحضور بنسبة ١٠٠ % وليس ١٥ %. الناس منسحبون من مباراتكم يا دكتور فوزي لأنهم يعلمون أنه صراع على الحكم وأنة ليس لهم ولا لدينهم ناقة فيها ولا حمار .

نتابع معاً استكشاف مجاهل الخطاب الإسلامي السياسي المحدث للعثور على ما يمكن التعامل معه ، رغم خداع هذا الخطاب ومخاتلته وعدم شفافيته ولا وضوحه ولا تدقيق ما يقول من ألفاظ أو عبارات. نتابع استاذ علوم سياسية يضع لسياستنا في

الدولة الإسلامية المقبلة طريقة صنعها للقرار السياسي بالإستناد إلى الشريعة ، حتى يتحقق الوئام ونكون قد أصلحنا بما في أنفسنا فينصرنا الله على القوم الكافرين.

يقول الدكتور فوزي خليل في: "إن لدينا قواعد صارمة وضعها علماء الشريعة يجب توافرها في القائمين على إعداد القرارات ذاتها ، ومرجعية هذه القرارات".

أنظر هنا إلى اللغة والصياغة وأسلوب التعبير ، علماء الشريعة وضعوا لنا قواعد صارمة ، ولا تفهم لماذا علماء الشريعة دون غيرهم هم من يضع لنا القواعد طوال الوقت ، وهى القواعد التي يصفها بأنها "صارمة". ولا تفهم كيف تلتقي الصرامة في التشريع مع ما يغنيه علينا بطول موضوعة ، هو وغيره من فريقه ، عن ديموقراطية التشريع الإسلامي.

إن الصرامة هي الجمود ، وعكس الصرامة هو السلاسة والليونة والمرونة ، أما الصرامة والحدود القواطع والأمور المنتهية الغير قابلة للنقاش ، فكلها مما لا يتفق لا مع الديموقراطية ولا مع الكرامة ولا مع الحرية. إنه يضع لنا هنا صنفين من البشر ، صنف يسوس بشريعة الله ويضع القواعد الصوارم والحدود والقواطع ، وصنف مسوس كقطعان الخراف .. هو الرعية وعليه الطاعة بدون نقاش. هكذا سيحكموننا يا مسلمين.. هكذا ! !

إن الصرامة هي إحدى وسائل التعامل مع العبيد ، ولا تصدر إلا عن قلوب صارمة حجرية تتفنن في صرامتها ، وتغالي في احتداد هذه الصرامة يوماً بعد يوم.
التشريعات الصارمة لا تعرف التسامح ولا الراي الآخر ولا المحبة ولا الإخاء ولا الليونة ولا التيسير على الناس ولا الرفق بالإنسان ولا بالحيوان. إن الصرامة مكانها الوحيد هو عندما نكون في حالة عداء وحرب مع دولة أخرى ، الصرامة لا تكون بين أعضاء المجتمع الواحد ، لأنهم إخوة لا أعداء ، إخوة وأهل وأصدقاء على قدم وساق ليس بينهم سيد يفرض صرامته ، ومسود يطيع وهومصروم.

إن الصرامة التي يعجب بها المتأسلمون بشدة كما نرى ، مأخوذة من تاريخ مضى وانقبرلا أعادة اللة ولا ردة ، كانت تناسب زمنها وتتفق مع وقائع قديمها ، حيث الحكم بالسيف والعقاب بالسوط وبالرجم ، الحاكم أوحد مطلق النفوذ في التصرف على رعيته. إن أدبيات الصرامة هي ما تغص به أرفف مكتبتنا التراثية ، تسبب لمن يقرأها اليوم الألم فى القلب والوجع فى الضمير لما كان يلحق بالعباد في دولة الصرامة من ظلم وطغيان يفطر الأكباد. وتشرح حال الرعية في عصور الظلام حيث في كل اتجاه قواعده صارمة لا تعرف الرحمة ، كما أنها لا تعرف أيضاً تيسير الإسلام كما كان في بكارته الأولى ، قبل أن يصيبوه بالجهامة والقتامة

والغلظة بما أضافوه له عبر العصور ، فأينما مددت يدك في تراثنا وجدت كنوزاً من قصص الآلام والجبروت ، أسوق لكم نموذجاً لطيفاً منه نقرأه معاً من صبح الأعشى للشيخ أبي العباس القلقشندي إذ كتب يقول: "وهذه نسخة مرسوم كتب به عن نائب المملكة الطربلسية إلى نائب حصن الأكرد ، بإبطال ما حدث بالحصن من الخمارة والفواحش ، وإلزام أهل الذمة بما أجرى عليهم أحكامه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي) ، في أو اخر جمادي الأولى سنة خمس وستين وسبعمائة وقد جاء فيه: وأما أهل الذمة ممن رفع عنهم السيف إلا بإعطاء الجزية والتزام الأحكام ، وأخذ عهود أكيدة عليهم من أهل النقض والإبرام. فليتقدم الجناب الكريم بإلزامهم بما ألزمهم به الفاروق رضوان الله عليه ، وليلجئهم في كل أحوالهم إلى ما ألجأهم إليه ، من إظهار الذلة والصغار ، وتغيير النعل ، وشد الزنار ، وتعريف المراة بصبغ الإزار ، وليمنعوا من إظهار المنكر والخمر والناقوس ، وليجعل الخاتم أو الحديد في رقابهم عند التجرد في الحمام. ويلزموا بغير ذلك من الأحكام التي ورد بها المرسوم الشريف من عدة أيام. ومن لم يلتزم منهم بذلك وأعلن بكفره وأعلى حكمه ، فما له إلا السيف وغنم أمواله وسبي ذراريه وما في ذلك على مثله حيف. فهاتان مفسدتان أمرنا بإلزامهما فراراً من سخط الله تعالى وحذراً منه ، إحداهما إبطال الحانة ، والثانية إخفاء كلمة اليهود والنصارى ، فليقدم الجناب المشار إليه باستمرار ما رسمنا به.. ، ونرجومن كرم الله تعالى استمرار هذه الحسنة مدى الزمان ، وليقمع أهل الشرك والضلال بما يلزم من الصغار عليهم والإذلال ".

هذه هي دولة الشريعة التي كانت تطبق الشريعة بدقة وهي الدولة التي يريد أن يستعيدها لنا الدكتور فوزي خليل وإخوانه. ويفلسف لها ويؤسس بلغة معاصرة تناسب زماننا فيقول: "يغدوالإجتهاد في مفهومه الأصولي ، هو الأساس الذي يقوم عليه الاجتهاد في العملية السياسية ، الهادفة إلى الوصول إلى القرارت ، التي تستهدف حفظ مقومات المصلحة العامة".

إذن هو يقول أن الإجتهاد في العملية السياسية يسير عبر هدفين الأول هو الوصول إلى القرارات ، والثاني هو هدف هذه القرارات وهوأن تكون مهمتها حفظ مقومات المصلحة العامة ، وتكون المصلحة العامة هي المحور الذي تدور حوله عملية الاجتهاد ، وهوكلام جميل لابد أن نتساءل قبله: ما هي المصلحة العامة وكيف نعرفها؟ ربما يكون طرح الأسئلة سبيلاً للوصول إلى تعريف المصلحة العامة ، فهل السعي لإقامة دولة دينية تمهيداً لإقامة خلافة إسلامية إمبراطورية من المصلحة العامة؟ إم سيترتب على ذلك حتماً المصادمة مع دول العالم والمجتمع الدولي. وإعلان التمرد على الشريعة الدولية المتمثلة في مجلس الأمن والأمم المتحدة والقانون الدولي ومعاهدات جنيف. وهل من المصلحة العامة إعلان الحرب على

الذين كفروا من أهل الكتاب فنبدأ مثلا بالأقربين فنستولى على أموال الأقباط ونهتك أعراض نساءهم ونستبيح ذراريهم ونستعبد رجالهم ؟ أم ترى أن تكون الأفضلية نتطهير بلاد الإسلام من الشيعة الروافض ؟ سؤال أخير: هل من صالحنا العام أن نظل محكومين بإفتاءات تنهال علينا من كل فجٍ عميق في كل طريق وفي كل مكان .

إن المصلحة العامة شأن شعبي يخص الجميع ، وليس مصلحة لجماعة محظورة أو لفريق من الشعب دون فريق آخر.

إننا كي نتعرف على صالح مجتمعنا العام ، نحن في حاجة أولاً إلى رأي عام رشيد يحدد لنا المصلحة العامة ويعرفها ليأخذ بها المشرع ، وقبل هذا وذاك نحن بحاجة لفك أسر الرأي العام وإطلاقه حراً ، بأن توضع أمامه خيارات وبدائل أخرى يمكنه المقارنة بينها والمفاضلة قبل الاختيار. وقبل كل ما سلف وكي نوجد حرية تصنع رأياً عاماً رشيداً ، علينا تحطيم الأنصاب والأوثان التي صنعها لنا رجال يشتغلون بالدين وليسوا هم الدين ، إنما هم من يلعبون بالدين وبنا ويتحصنون بالدين ضد كل المجتمع. لن توجد حرية ولا رأي عام رشيد يمكنه تحديد صالحه العام طالما كانت قلعة رجال الدين زاخرة بالرماة المتمترسين بمقدساتنا ، الذين لا يجدون غضاضة أبداً في خلع المواطن من الملة بشديد البساطة. ويقتلون مفكراً مثل فرج فوده بعد صدور فتوى بتكفيره من الأزهر ، وينفون غيرة من الأرض المسلمة بعد تطليقة من زوجتة لتأويه بلاد الكفرة وتحميه من عذاب رجال دين الإسلام وغضب سماحتهم وقاتم لطفهم وعسر تيسيرهم. لأن الرأي العام للمسلمين قد تم استئناسه واستعباده بمخترعات الإعلام الحديثة. أليس من قتل الرأي الحر مصادرة الكتب والروايات ومحاكمة الكتاب والمفكرين بتهمة التفكير؟

إن أحداث ميدان الأزهر ودهب وشرم الشيخ والعريش وإغتيال الزعيم المصري الوحيد المعاصرالذي آزره رب العزة ونصره وأيده ، يوم عيد نصره ونصر مصر كلها. إغتالوه رغم الماثل أمامهم من تأييد رباني ، ثم حاولوا إغتيال سلفه في أديس أبابا ، وقتلوا فرج فوده وطعنوا رجل نوبل العبقري رحمه الله ، وطلقوا كاتبا من زوجتة وكفروا سيد القمني وحاكموه مرتين لولا لطف من الله وتأييده فحاز البراءة ، فإن كان الحديث يقول: من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فهل يعنى هذا أن الأزهر الذي طالب محاكمة سيد القمني ، هو من باء بها. أليس كل هذا الذي يحدث اعتداء صارخ على حرية الفكر؟ أليس الإدعاء بأن الإسلام دين ودولة هو دعوة لعودة الاستبداد الخليفي والإرهاب الفكري ، لسلب الناس حرياتهم باسم

مطالبة رب العزة لنا أن نقيم له دولة في بلادنا ، يرأسها نوابه من الإخوان المسلمين أو طالبان أوالبشيرأو أبوسياف!!.

من صالحنا العام أن نعيش كبقية البشر في الدنيا أحراراً ، لنا الحق في التفكير والإعلان عن نتائج هذا التفكير للناس ، من صالحنا أن يكون لنا حقوق إنسان كاملة غير منقوصة ، من صالحنا العام أن نرفض عودة العمل بنصوص الدين في دولة دين تنص على الخراج والجزية وتقيم الناس طبقات حقوقية مع العبودية وأجنحة ألحريم. لقد نسخت القوانين العالمية والرأي العام الدولي العمل بآيات العبودية والجزية ، وهي حتى الآن فى فقهنا السارية المعمول بها أبد الدهور لأنها من نوع الناسخ من الآيات وليست من نوع المنسوخ ، الاتفاقات الدولية نسخت الرق من الدنيا رغم أنه غير منسوخ في القرآن ، ووافق المسلمون على القرارات الدولية عن يد وهم صاغرون وتم نسخ الرق من حياة المسلمين بعد أن قالوا لولى الأمر الأممى الدولي: سمعنا وأطعنا.

قرارات الأمم المتحدة نسخت فقهاً كاملاً بما يرتبط به من حديث وقرآن هو فقه الجهاد والسبي وتغيير أديان الناس بالسيف ، اليوم لم يعد هناك خمس ولا فئ ولا من قتل قتيلاً فله سلبة ولامن اسر أسيرا فهو لة (أى يستعبد لة) ، حركة التاريخ نسخت أحكام الرجم والجلد والقطع والجزية والعبودية.

ورغم درس السماء في التغيير والتبديل والنسخ والرفع والإنساء لآياتها بما يجاري حركة الواقع المتغيرالمتطور ، ورغم اتفاق العالم على إلغاء الرق والجزية فتوقفت الآيات عن العمل ، فإن فقهاؤنا يرفضون إعلان هذا الإلغاء بما هو في المصلحة العامة للبلاد والعباد ، لأنهم لم يجرؤا كما جرؤ سلفهم الصالح على إلغاء تفعيل أحكام لتجاوز الزمن لها ، مثل إلغاء عمر لمتعة الحج ومتعة النساء والفرض المعروف بسهم المؤلفة قلوبهم ، وأن الرب عندما نسخ آيات ، وإن الخليفة عمر عندما نسخ العمل بأحكام آيات ظلت منسوخة بأمره إلى اليوم كإلغائة سهم المؤلفة قلوبهم ، ودون تدخل جبريل أو السماء ، كان الهدف من النسخ في الحالتين هو مواءمة متغيرات الواقع الأرضي وتطورها من أجل الصالح العام ، وتعد ظاهرة النسخ في القرآن من أبرز ظواهر مواءمة المقدس الإسلامي للمتغيرات ، بحيث كان يجرى تعديلات على ذاته توافقاً مع هذا المتغير واعترافاً به ، من أجل مصالح المجتمع العامة التي لابد أن تساير التطور.

تتوافق أيضاً ظاهرة النسخ في الوحي مع قانون الكون كله وهوالتغير والتطور ، وضرب لنا منها القرآن الأمثال لنفهم ونتغير عندما يكون التغير مطلوباً ، وحدثنا عن قوانين سقطت بحكم حركة التاريخ كما في نسخ الأحكام للأحكام. لأن التاريخ

لوتجمد لما هاجر النبي (ص) ، ولما انتصر في بدر ، ولظلت الآيات المكية فاعلة ، ولكان القرآن كله مكياً داعيا للمسالمة والمعاملة بالحسنى والصبر الجميل ، لكن التاريخ تحرك فظهر الطارئ الجديد مع الهجرة وبدء الحرب على طريق التجارة المكى ، فتحرك الوحى و جاءت آية السيف لتنسخ آيات حرية الإعتقاد وأي تفكير خارج المقدس الإسلامي تحديداً. والتاريخ مازال يتحرك والدول من يومها تقوم وتسقط لتنتهي ويقوم غيرها أحدث منها وأقوى ، وأكثر نظاماً وانضباطاً لما حصلتة من خبرة سابقة تؤدي إلى تحسن نوعي مع تراكمها ، فتتحقق العدالة اليوم بأفضل مئات المرات مما كانت بالأمس ، حتى لوكانت محكومة بقوانين مقدسة ، فلم يعد لدينا عبيد ولا سبي ولا نكاح للإماء ، وأمكن محاكمة الطاغية وشنقه علناً ، وبقية الحبل على الجرار ، ومازالت حركة التاريخ تستهلك قوانينا وتخلق الأكثر منها إنسانية. لقد ذهبت حركة التاريخ بقوانين حمورابي وبالحركة النازية والشيوعية. وكذلك نسخت الآيات المدنية آيات مكية ، وكذلك فعل التاريخ عندما نسخت قوانين اليوم الحقوقية نظام الجزية والعبودية والجلد والرجم والقطع والمنجنيق والسيف والرمح والبيداء تعرفنى .

ومن ثم لا يبقى مع موقف مشايخنا سوى أن يصمتوا أو أن يجترئوا جرأة عمر ، لأننا نحن أصحاب الصالح العام ، ونفهم من ديننا أن الله بمنهج القرآن الخاص جداً دون كل الكتب السماوية أن النسخ مطلب دورى كلما طرأ طارىء ، وأن عمراً عندما نسخ أحكام آيات وأوقف العمل بها نهائياً رغم أنها كانت فروضاً بالمعنى الدقيق للكلمة كان يطبق تلك القاعدة الإسلامية الذهبية النادرة بين كل الأديان ، كان النسخ فى القرآن وعند عمر يهدف إلى الصالح العام للناس بما فعلا ، فعل الله أو لاً ، وفعل الرسول مع أحاديثه نفس الفعل ، وفعل عمر بفروض الله نفس الفعل ، وأننا عندما نعلن أنه لم يعد في صالحنا العام أن نتحدث عن جهاد أو هتك أعراض المهزوم أو سبي الأطفال والنساء ، رغم وجود آيات بذلك ، فهوما لا يعني اننا قد كفرنا بالله ، لأن الكافر بالله هو من ينكر وجوده وينكر قدرته الكلية ، وهوما لا ينكره أحد ، لأننا نعرف الله ونعرف مقدساته ونؤدي له فروضه ، كما نعرف أيضاً أنه ترك لنا مساحات حرة واسعة لم ترد في النصوص ، وأننا أحرار في اتخاذ القرار فيها بأنفسنا ، وأن تلك المساحات اتسعت كثيراً عن زمن النبوة لظهور متغيرات هائلة لم تكن موجودة زمن النبوة ولم تصدر بشأنها أى أحكام ، كما نعرف أنه ضرب لنا المثال بالنسخ عنواناً لمبدأ إسلامي في التغير ، وأكده عمرة وزاد عليه أنه بإمكان المسلمين أن يفعلوا ذات الفعل في الواقع بدون وحي ، فكفانا المثال ، لنتخذ ما يناسب الصالح العام لزمننا بعد مضى أربعة عشر قرنا عن عمر الذى غير

بعد عشر سنوات وأضطرتة حركة الواقع إلى إلغاء العمل بنصوص قرآنية بل وبإلغاء فروض قرآنية غير منسوخة .

كل هذا في جانب ، ومفلسفوا الدولة الإسلامية الآتية في جانب أخر ، لازالوا يتحدثون عن الوصول إلى الصالح العام عبر عملية الاجتهاد الإسلامي ، أو كما قال الدكتور فوزي خليل: "يغدوالاجتهاد في مفهومه الأصولي هو الأساس الذي يقوم عليه الإجتهاد في العملية السياسية الهادفة إلى الوصول إلى القرارات التي تستهدف حفظ مقومات المصلحة العامة".

المصلحة عامة ويعلم الدكتور فوزي وبطانته ذلك ويفهمه ، لكنه لا يرى الناس قادرة على فهم مصالحها ، يرون المسلمين دون العالمين أشد الناس بلها و تخلفاً وعتهاً وكساحاً عقليا حتى أنهم لا يستطيعون معرفة صالحهم العام ، فهناك من يعرف لهم هذا الصالح وليس مطلوباً منهم أي بذل جهد بهذا الخصوص ، فسيقوم الشيخ عاكف أو الشيخ قرضاوي أو الحاج فوزى بالاجتهاد نيابة عنا ، لأن الاجتهاد ليس عبثاً مشاعاً بين الجميع ، لأن المجتهد يجب أن تتوفر فيه شروط صوارم ، وعندما تطالع هذه الشروط ستجد أنها لا تتوفر إلا في المشتغلين بالدين على المسلمين ، من الأزاهرة ، ومن الإخوان المسلمين ، ومن مشايخ التلفزة والفضائيات. ومع هذه الشروط يتم استبعاد جميع المسلمين من الإعلان عن مصلحتهم العامة حتى لوعرفوها ، لأنها إن صادمت رأي الشرع أو تصادمت مع مصالح راعي الشرع على الأرض من مشايخ ، فإنها ستكون كفراً وعصياناً لله ، ومن ثم لا يبقى سوى اجتهاد الفقيه ورأي الفقيه ومصلحة الفقيه إضافة بالطبع إلى حلفائهم من جماعات المنتفعين والتنفيذيين في أجهزة الدولة ، إن نظرية الاجتهاد تضيف إلى هؤلاء أيضاً الشيوخ المسلحين ، الذين أمكنهم في ظرف تاريخي لن يتكرر أن يعيقوا حركة العراق نحوالنور ، بل وإعادته إلى زمن الحروب الجهادية ، ويريدون أن يعيدوا مصر إلى دولة الخلافة بعد أن كانت أول دولة تتحرر من الخلافة على يد محمد علي عام ١٨٠٥ م.

اللاعنف و الخراب العاجل

إن لكل لفظة في أى لغة مدلول محدد ، يتصوره الذهن ويعرف معناه ، لكن في عصر بذاته محدد زمنياً ومكانياً أيضاً بذاته له سماته المميزة. لأن اللفظ يكتسب مدلوله من الخبرة بالمكان والزمان والبيئة ودرجة التحضر ومكونات المجتمع وأنماطه الإقتصادية. فإذا تغير المكان والزمان واستمرت اللفظة قائمة لم تندثر فإنها لابد وأن تكتسب مدلولاً جديداً يليق بهذه المتغيرات ، فاللفظة حقيبة نضع فيها ما نشاء وما نحتاج إليه من أفكار ومعان ودلالات ومفاهيم ، ويمكننا الإضافة إليها وكذلك يمكننا الحذف منها وفق أليات المتغير الموضوعي ، وربما تستمر اللفظة هي هي لكن مضمونها لابد أن يتغير ، كذلك دلالاتها وما نفهمه منها ، كذلك يمكن أن تختفي هذه الحقيبة بالمرة وأن تظهر حقائب أخري جديدة. وعليه فإن أى نص تم تدوينه في زمن ومكان بعينه ، فقد تمت صياغته وصبه في قالب زمكانه ، فينطبع بطابع ثقافة مجتمعه ، وتقاليده ، وعاداته ، وسلوكيات أهل زمانه وقيمهم وقواعدهم الحقوقية.

ولا يمكن إدراك الفهم الحقيقي لدلالات أى نص بإستخدام ثقافة مختلفة عادة ما تؤدي إلى نتائج زائفة ومضللة ، لأن النص هو حفرية لغوية تحمل صورة حية لمجتمعها الذي صاغها ومحيطها البيئي وزمانها.

ومع التطور تظهر ألفاظ وتعابير جديدة ، مع ظهور الجديد دائماً في حياة البشر من كشوف ومخترعات وعلوم طبيعية وإنسانية وقيمية وقانونية وأخلاقية.. إلخ. وتحمل هذه الألفاظ الجديدة تاريخ ميلادها بدلالات زمن نحتها أو تخليقها ، لتضاف من بعد إلى المعجم اللغوي لأصحابها ومخزونهم المعرفي. وتظل مستمرة لتحمل دلالات جديدة او تتغير أو تختفي من اللغة.

مع التسارع الهائل في الكشوف والمتغير التطوري الصاعد للبشرية ، حدث ذات التسارع على مستوى اللغة ميلاداً وموتاً وتطوراً. ففي مصر كانت هناك ألفاظ أساسية يعرفها الجميع لارتباطها بطبيعة البلد الزراعية زماناً ومكاناً وبيئة ، ظلت معلومة حتى لأبناء جيلي ، لتختفي من بعد مع ظهور الميكنة الزراعية المتطورة ، وذلك مثل كلمات الشادوف والطنبور والنورج ، لن تجد من يعرفها من أبناء القرية المصرية اليوم ، فقد اختفى اللفظ باختفاء الشيئ ، فكان الشادوف والطنبور لرفع المياه اعتمادا على القوة العضلية وهو ما لم تعد له حاجة مع اختراع مكائن الرفع ، واختفت كلمة النورج باختفاء النورج الذى كان ألة بدائية تفصل القشور عن الحبوب

، لكن زمن النورج والشادوف والطنبور لم يكن أحد يعلم معنى كلمة تليفزيون او كمبيوتر أو ريموت كنترول أو تليفون محمول لأنها لم تكن قد وجدت بعد.

وغير أسماء الأشياء هناك التعبيرات ذات الدلالات المعنوية المفهومية ، وذلك مثل (علاقة شريفة) بين ذكر وأنثى ، فهى عندنا تعنى عقد نكاح علني بين الزوج (الذي عليه دفع أجر المرأة مهراً مفروض شرعاً) وبين ولي المرأة. بينما ذات التعبير في مكان آخر بالغرب في ذات الزمان يحمل دلالة مختلفة تماماً ، فهو تراض بين ذكر وأنثى ولا دور للمجتمع ولا للدين بالمنع أو بالسماح أو لتشريف العلاقة أو لتبخيسها ، لأن الدلالة الجديدة ليست حلالاً أو حراماً بقدر ما هى شأن شخصي لا دخل للدين أو المجتمع بها ، بل إن مهمة المجتمع حمايتها و رعايتها ، فدلالة العلاقة الشريفة في الغرب تقوم علي حرية الاختيار والتراضي التي هي عندهم قدس الأقداس.

و قياساً علي ما سلف لا يعود هناك أى معنى للقاعدة الفقهية التي تقول: (**العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**) ، والتي ربما جازت في التعميم علي زمانها ، لكنها لا تصح بالتعميم علي كل مكان حتى في زمنها.

وطالما أن الإسلام قد ظهر في جزيرة العرب وبلغتهم في القرن السابع الميلادي ، وحتى نفهم مقاصده الحقيقية ، فلابد أن نتعامل مع الألفاظ بدلالات زمنها ، كما كان يفهمها أهل مكانها البيئي وظرفهم الإجتماعي والاقتصادي وليس كما يشرحها لنا وعاظ أيامنا ليحملوها بدلالات لم يقصدها السلف و لا أرادته اللغة بل ولم تعرفه اللفظة أصلاً.

لمزيد من التدقيق نضرب أمثلة أخرى ، فكلمة الناس الواردة على تكرار في القرآن والحديث والرسائل المدونة و النصوص الأخرى المختلفة لأهل ذلك الزمان ، كانت تعنى بالناس العرب وحدهم. ومع ازدياد عدد المسلمين أصبحت تخص العرب المسلمين وحدهم ، وهو موقف نفسي ينعكس في اللفظ ، وشأن مكرر ومعلوم حتى عند أقدم الشعوب المتحضرة ، فالمصري القديم مثلاً كان يقصد بلفظ الناس المصريين وحدهم ، وما عداهم أنواع أدنى من الكائنات الشبه إنسانية ، وفي زمن الإمبراطورية المصرية تم السماح للأجانب بالتجارة في مصر والسكنى فيها مما دفع الحكيم ، **نفررحو** ، وهو يتنبأ بنهاية العالم ومجئ يوم الدينونة للقول: "انظروا إن نهاية الأيام تقترب ، ألا ترون الأجانب في مصر قد أصبحوا من الناس!".

وهو نفس الموقف الذي تبناه الرومان فكانوا هم الناس وما عداهم برابرة ، اعتزازاً بتطورهم الحقوقي والقانوني ، وهو ما كان يدفعهم لرؤية المجتمعات التي بلا قانون دستورى في حكم التجمعات الحيواني المتوحشة.

وكلمة مثل (الأرض) كانت تستخدم في بلاد العرب الوعرة للدلالة علي جزيرة العرب بالذات ، وأحياناً تتم إضافة دول العالم المعروف لبدو الجزيرة ، وفي هذا الحال كان يفضل العربي لفظ (العالم والعالمين). لكنه لم يكن يعلم ما يعلمه تلميذ الإبتدائي اليوم ، وما تستحضره لفظة الأرض من دلالات ومعان ، فهي اليوم تستدعي النظام الكوكبي مقارناً بالنظام النجمي الشمسي ، مقارناً بنظام المجرات النجمية ، وخصائص كل منها ، وأن الأرض ضمن تسع كواكب هي المجموعةالشمسية ، وأن للأرض خصائص أخرى فهي تتكون من خمسة قارات وست محيطات و.. إلخ... إلخ.

مثال أخر من لون المعاني المجردة ، لفظ (القدرة) ، كانت تعبر عند العربي عن القوة المادية البدنية بإطلاق ، ففي رسالة الغفران التي وصلتنى بعد إعلان توقفي عن كتابة كفرياتي في روزاليوسف تحت التهديد بالقتل ، جاء القول: "وحسبك أنك نجوت من قتل محقق ، أى والله ، بعد أن أعددنا البيان الذي كنا سننشره علي الأنترنت بعد قتلك. وقد اعترض بعض الأخوة علي إيقاف العملية ، علي اعتبار أن الزنديق لا تقبل توبته وإن تاب ، ولكن الأمير حفظه الله حسم هذا الخلاف بترجيح أن المرتد إن تاب قبل القدرة عليه و تقبل توبته ، لقوله سبحانه: إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم" انتهى ..... وهو ما يقوم علي عدم قبول الله إيمان فرعون عند الغرق وهو تحت القدرة ، والمعنى أني قد تبت قبل أن يصل السلاح إلي عنقي ، أو علي الأقل قبل خطفي.

كانت القدرة هى القوة المادية بإطلاق ، بينما اليوم أصبحت القدرة مخزناً لقوانين العلم وإصطلاحاته ، فهي الفولت في الكهرباء ، وهى الحصان أو الطن في المحركات ، وهى الأمبير ، وهى الأوم والوات في الصوتيات ، وهى الريختر في الزلزال ، وهى الأوزان الذرية... إلخ ، لكن أصحاب التهديد الإرهابى الذين ردوا علي توقفي عن النشربرسالة الغفران ، يحفظون اللفظ في لفائف دلالاته القديمة ليحمل ذات الدلالات القديمة ، وهو إسلوب مفهوم متسق ، لا يعمد للتزوير والخداع والمراوغة اللفظية ، وهو خطاب يقف في مكانه الطبيعي داخل منظومته دون تناقض ، لأنه يحدد إدراكه وفق ما تمت كتابته بفكر وعقل من كتبه يوم كتبه.

المشكلة فيمن يزورون علينا وعلي المسلمين كذباً ونفاقاً ، ويقدمون لنا ألفاظاً وتعابيرا من الماضي محملة بدلالات من فكر وعلم وتقاليد وعادات وقوانين اليوم. المثير للرعب أن هذا الخطاب المخاتل يجد صدى لدى من يملكون القوة في العالم اليوم من دول عظمى ، وتنطلي عليهم خديعته لأنهم خارج كل تعقيدات الفرق الفقهية المتراكمة عبر الزمن ، ومن ثم لا يملكون أدوات النفاذ للدلالات الحقيقة لما

يطرحه الإسلام السياسي علي عالمنا اليوم ، فيتصورون ذلك إعتدالاً بعكس التطرف الدموي ، ويفهمون عنهم أنهم قوم وسطيون يدعون للمحبة والتسامح والمساواة ، ويتلهفون علي الديموقراطية تلهفاً ، بينما شاعرهم الأمجد يشرح شأن العرب قائلاً:

نحن أناس لا توسط بيننا   لنا الصدر دون العالمين أو القبر.

لكن هذا الفريق المعتدل الوسطي الديموقراطي هو نفسه من يحدثنا عن المقاومة الشريفة في العراق الحزين ، المقاومة بتفجير الأجساد ، سواء كان الجسد جسد المفجر ، أو جسد الأم الممزق وجسد طفلها الرضيع في حضنها يرضع ثدياً ممزقا ، سواء كان يهودياً أو مسلماً أو من أى ملة أو أى لون. ويقول لنا المعتدلون أن هذه المقاومة دفاع شرعي عن الوطن ؟! فأى وطن يقصدون؟! يقولون إنهم يفعلون فى العراق فعل فرنسا (مقاومة وطنية) عندما إحتلها النازي؟ ولكن هل في الإسلام أى مفهوم عن الوطن كما هو حال فرنسا؟!

إن الإسلام لم يكن فيه معنى للوطن كما نفهمه اليوم ، ولا حتى كما فهمه العراقي القديم ، أو الشامي أو المصري القديم ، لأن الإسلام هو الوطن ولا يعترف بالأوطان لأنه إنما المسلمون أمة لا اله إلا الله أينما كانوا بدون حدود وطنية. وحتى هذه اللحظة الراهنة لا يعترف هؤلاء بالوطن والمواطنة جميعاً علي إتفاق ، من ابن قرضاوي إلي ابن عاكف إلي ابن هويدي إلي ابن باز ، فلماذا إذن المقاومة؟! أم الصواب أن يتم الإعتراف أولاً بالوطن وإعلاء شأن الوطنية علي بقية القيم أرضية كانت أم سماوية حتى يمكن الحديث بعد ذلك عن المقاومة الوطنية. ورغم ذلك يستخدمون اللفظ المستحدث (المقاومة) للدلالة علي جرائم حرب وإبادة جماعية بكل معنى الكلمة. فهى حرب بربرية يخوضها الإسلام السياسي والوهابي والشيعي ضد كل الدنيا بمنطق ما وراء ألف واربعمائة عام مضت, علي أرض العراق ضد العراقيين جميعاً. ويمارسة الشيشان فى قتل اطفال أوستيا ، ويستخدمة الإسلام البدوى ضد الإسلام الزراعى فى دارفور .

الملحظ الطريف أنهم وهم يتحدثون عن المقاومة في العراق لا يصفونها أبداً بالوطنية ، إنما هي المقاومة الشريفة ، هى المقاومة الباسلة ، هى المقاومة الإستشهادية ، هم أسود الله ، أما المتكرر المعتاد فهو المقاومة الإسلامية ، وهو ما يعني فورا أن الموتى من المسلمين علي أيدي هذه المقاومة الإسلامية هم من غير المسلمين.. هذا قول المعتدلين.

أما الأكثر طرافة هبتهم هبة رجلٍ واحد للحديث عن الحريات وحقوق المرأة وحقوق الإنسان والمساواة والديموقراطية والعدل ، وترديدهم ذلك من باب التأكيد أنهم قد آمنوا بهذه القيم الإنسانية الراقية ، وأنهم سيشاركون في عملية الإصلاح ، وهو ما يعني أن هناك فساداً يعرفه الجميع ، لأن الجميع يدعون إلي الأصلاح ، نحن ، وهم ، والدول الأجنبية ، وحتى حكوماتنا تدعو للإصلاح ؛ ولا نفهم لمن نوجه دعوتنا بالإصلاح ، العالم كله يدعونا للإصلاح ، وهذه الدعوة المخجلة المهينة موجهة للمسلمين دون شعوب العالم. والملاحظ أن المشايخ أو الكهنة والدولة التي هى الحكومة ، والحكومة التى هى الدولة (هذا حظ بلادنا) ، والإخوان المسلمين ، وجميع الأحزاب والهيئات يطلبون جميعاً الإصلاح ، **كما لو أن أحداً قد منعهم قبل ذلك من الإصلاح عبر زمننا الطويل الأسود من قرن الخروب ، كما لو أن هناك من أعترض محاولة تطبيق أياً من تلك الألفاظ المحترمة التى يلوكونها منذ فجر الخلافة ، وحتى يومنا الهباب الحالي ، ولو مرة يتيمة واحدة.**

مشكلتنا إذن هى مع فريق النصابين المشتغلين بالدين علينا ، الذين يقومون بإستحضار الألفاظ من أكفان ١٤٢٥ عاما مضت ثم يحملونها بدلالات ومفاهيم زماننا ، رغم أن دلالات لفظنا الحفري لا علاقة لها بدلالات اليوم ، بل يصل التباعد بينهما إلي درجة النقيض الكامل. إنهم يعيدون فرش بيت أجدادنا المهجور العتيق ، الذي تسكنه العناكب والخفافيش والجن والسعالي والغيلان والبراق وناقة صالح ونملة سليمان وصاحب الصيحة ومصاصى الدماء ، يعيدون فرشة من أرقى بيوت الخبرة الفرنسية .....من بيت ديكارت, وبيت روسو, وبيت فوليتر ، ومن كبريات دور الحقوق والأمريكية المؤسسية كديكور حداثي متفوق ، تقف جميعاً في خدمة حرية المواطن الفرد. ثم يقولون لنا أن هذا هو ميراث أجدادنا. يقول الغرب: ديموقراطية نقول: عندنا شورى, يقول الغرب: إنتخابات حرة نقول: عندنا بيعة ، يكتشفوا فاكسينات للقضاء علي معظم الأمراض القاتلة ، نعيد نحن اكتشاف بول الناقة كسبق علمي لأنه فاكسين لكل ما اكتشف وما لم يكتشف بعد ، فاكسين رباني...لم يصنعه بشر.

هذا رغم أن المسلم زمن الدعوة لم يفهم من الشورى ما نفهمه اليوم من الديوقراطية ، لأن الديوقراطية بمعناها المعاصر هي شأن معاصر لم تكن له دلالات معلومة من المخزون الثقافي البشري قبل اكتشاف العقد الإجتماعي والمبادئ الحقوقية ثم الديموقراطية المعاصرة ، نعم كان لها جذورها الأولي عند الرومان وقبلهم عند اليونان ، إلا أن الإسلام ونصوصه لم يأتيا بذكر لهذه الديموقراطيات الأولى بالمرة.

وضمن هذا الفريق المتفلسف مجموعة لا تملك معها إلا الشعور بإحتقار وإزدراء حقيقيين ، وهم من يطلعون علينا كل يوم بتفسير عصري جديد للقرآن والحديث ، مع كل إضافة علمية أو مع أى كشف جديد. يريدون تكريس وهم سار مسرى الحقائق بين المسلمين وهو صلاحية مأثورهم للعمل فى كل زمان ومكان. بينما ما يفعلونه هو إعادة ترجمة اللفظ القديم وتحميله بثقافة ومعارف زماننا ، التى لم تكن موجودة في مخزون المسلمين الثقافي قبل تلك الترجمة. الغريب والمثير للدهشة والحزن والقرف والغثيان فى آن معاً ، هو أنهم مثل الجميع يؤمنون بحقيقة التخلف الذي آلت إليه أمة محمد في قاع العالم ، وأنهم مثل الجميع يؤمنون بضرورة إجراء إصلاحات تحديثية لمجتمعتنا علي كل المستويات ، حتي يمكن لبعض أمة محمد أن يلحقوا بأخر قاطرة في قطار الحضارة.

وهو ما يعني أننا نعاني من تخلف علنيّ مهين مروع لم يعد بالإمكان تزيينه بمساحيق التجميل لشدة قبحه. وصلنا معه إلي مرحلة لم تعد حتى تثير شفقة الضمير العالمي التى تثيرها لديه الحيوانات حتي غير الأليفة منها حرصاً على بقاء نوعها ، لقد هبطنا عن ذلك الدرك مسافات. هبطنا لدرجة السطو علي المنجز الإنساني بكل علمائه ومعاهده وأبحاثه والأموال المصروفة والجهود البشرية المبذولة بكل بساطه ، بإعادة ترجمة اللفظ وتحميله بثقافات ومعارف زماننا غير الموجود من الأصل في مخزوننا الثقافي المتضمن في اللفظة القديمة. وهو تزوير مفضوح يبذلون فيه جهوداً جمة دون أى عائد أو ناتج يعود علي المواطن أو الوطن ، سوى مزيد من غيابه في غياهب جهله المركب وليلة البهيم الطويل .

انظروا معي لفريق رجال الدين الذين قرروا دخول مباراة الإصلاح فاكتشفوا أن الديموقراطية ليست شيئاً سوى الشورى الإسلامية. وهو ما يستدعي التساؤل الساذج: إذا كانت الديموقراطية هي الشورى ؛ وكانت مبادئ الديموقراطية وقيمها ومؤسساتها معلومة لدى الصحابة ، **فلماذا لم يفعلوها؟** لماذا لم يقيموا مجتمعاً يقوم علي العقد الإجتماعي ويقنن للإنسان حقوقاً ويقيم لتلك الحقوق دستوراً وقانوناً ومؤسسات تحميها ، ويقيم هيئة أمم متحدة ومحكمة عدل دولية كناتج ضروري للديموقراطية قبل أن يكتشفها أهل الطاغوت بخمسة عشر قرناً.

لماذا لم يفعلوها وينقلوا مجتمعهم وزمنهم كله نقلة عظيمة كانت كفيلة بجعل أمة المسلمين سيدة أمم العالم حتى اليوم؟ وكنا علمناها للغرب كما سبق وعلمناه الاسطرلاب والسيمياء والخوارزميات وبقية أشيائنا العجيبة ، ولتقدمت البشرية إلى مسافات لا تدركها المخيلة عما هى عليه اليوم. لماذا لم يفعلها الصحابة إذن؟

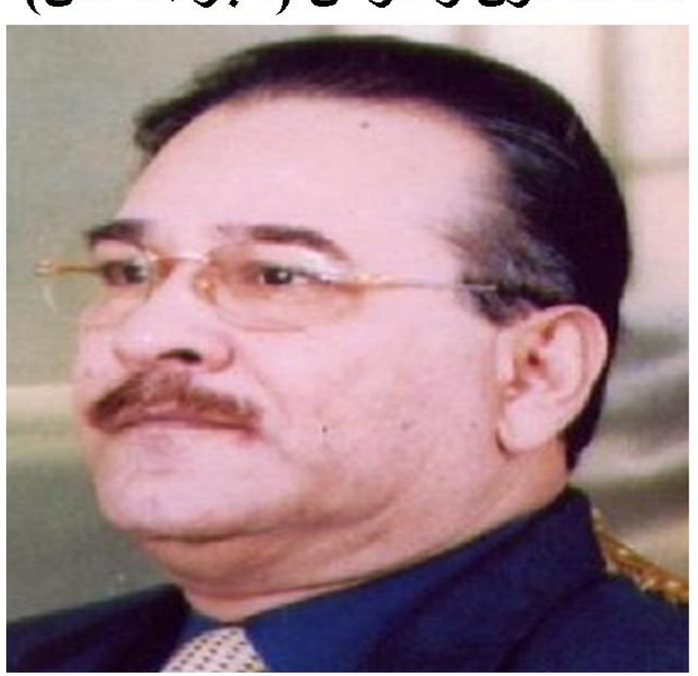
العجيب أن دعاة الإصلاح من مشايخنا يرون ان الإصلاح يكون بالعودة إلي ما كان سبباً في حاجتنا للإصلاح؛ بالعودة لخير القرون إلي زمن وإلى ناس قتلوا بعضهم بعضاً علي الدنيا ، ولم يعرفوا كيف يصلحون مجتمعهم ومعهم رب السماء والصحابة والمبشرين بالجنة وأمهات المؤمنين بعد ذلك ظهيراً بدلاً من قتل بعضهم بعضاً . لو كانت معلومة لديهم لفعلوها ولتفتحت أمام الإنسانية أفاق خقوق إنسانية وعلم عظيم مبكر ، و لما لجأوا بصلاة الغيث لإنزال المطر حتي اليوم ، بل لأنزلوه بالعلم قسراً وجبراً وبالكمية المطلوبة وفى المكان المطلوب كما فعل الكافرون. ولما لجأوا لحل مشاكلهم بالصلاة والأدعية والقنوت والتهجد وتحريض رب السماء ليخرب لنا بيوتهم وتيتيم أطفالهم ويغنم المسلمين أموالهم كما هو حالنا حتي تاريخه.

ولو قلنا أن الديموقراطية كانت معلومة لديهم وأنها كانت من صلب دينهم ولم يطبقوها ، فسيكون ذلك ظلماً عظيماً لهم ، وظلما عظيماً لديننا لمطالبته بما ليس فيه فنضعه أمام حائط المستحيل ، خاصة مع فشل التطبيق المعلوم بدون تزويق في كتبنا التراثية على مدى القرون الماضية ، ومع هذا الفشل يكمن السبب هو أنهم ما كانوا يعلمون معنى التعددية والحرية والحقوق ، فأختفت كل الفرق الإسلامية لأن سادة الدين وسدنته حلفاء السلطان رفضوا أى فرقة ناجية حبيبة للة سواهم؛ لأنهم ببساطة لم يعرفوا معنى الحرية والتعدد الديموقراطي بالمرة. وهذا أيضاً ظلم لعقولنا وإهانة لإنسانيتنا عندما يطلبون لنا تجربة أثبتت فشلها على مدار أربعة عشر قرناً ، فشلاً تاماً وكاملاً وذريعاً ومتواصلا بكل ألوان الفشل وتفاصيله ومعانيه ، إنه ليس ظلماً لعقولنا فقط بل هو إهانة علنية لها.

وحتى عشية حضور العم سام إلى المنطقة مباركاً؛ كان الإسلاميون يصرون على الخلافة والقوة المجردة لاحتلال العالم. لكن بعد حضورخليفة العالم الحقيقي بما يملك من مؤهلات الخلافة ، واحتلاله مقر الخلافة الإسلامية في بغداد ، قام الإسلاميون يعيدون تنسيق ما بقي بأيديهم من أوراق لتتنفق ومطاليب سيد العالم الجديد . فقاموا يعلنون أنهم هم أهل الإصلاح بل هم الإصلاح نفسه ، وأصبحوا يحدثونا عن الديموقراطية كحل إسلامي مؤكد ؛ كما لو أن أحداً قد حاول منعهم من إقامتها ، وهم رقود علي أنفاسنا عبر القرون المظلمة الماضية. الغريب أنهم يهتفون بطلب اليوم الحرية لإنشاء أحزابهم الدينية وممارسة دعوتهم لكراهية الغير وقتلة كلما أمكن ، ويصادرون الحرية علناً ، إنهم يطلبون الحرية لأنفسهم فقط دون بقية المواطنين ، لأنهم لو كانوا أهلاً للحرية لأصدروا أبسط قررارت الحرية ، بالأفراج عن الكتب والأفلام والمقالات والمجلات الممنوعة حتى الآن. إنهم أكثر ضعفاً من مواجهة الكلمة ، فتراهم كيف سيجعلون حياتنا فى ضوء فهمهم لمعنى الحرية إذا امتلكوا أقدارنا ؟ .

سلسلة فقهاء الظلام

المتأسلمون و الوطن (الجزء الثامن)



بقلم
د/ سيد القمنى
مدونة
عن مصر أتحدث
3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

الدولة القومية في فلسفة الإسلاميين (١)

الدكتور **سيف الدين عبد الفتاح** هو أحد رموز الرعيل المعاصر من الأصوليين المسلمين ، وهوالجيل الذي انفتح على علوم العصر المتخصصة في ميادين السياسة والاقتصاد والحقوق والاجتماع ، وهوالجيل الذي يقدم ما يراه فلسفة جديدة تستفيد من علوم العصر بقراءة المأثور الإسلامي العتيق بلسان الحداثة ومنطق المعاصرة وبلغة العلم ومفرداته.

والمتابع يعلم أن الدكتور سيف ليس وحيداً في هذه المساحة الجديدة التي يفرضها الفكر السلفي اليوم علي ساحة الثقافة العربية الإسلامية.

وضمن كتابات الدكتور سيف عملا هاماً بعنوان الدولة في الفكر الإسلامي .. عواقب الدولة القومية.

http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/2005/02/articl02.shtml

وهوعمل ذوخصوصية رغم أنه يعبر بشكل نموذجي عن الخطاب السلفي المحدث؟! ، وهوالخطاب الذي يفرض حضوره للمناقشة والتحليل لمعرفة طريقة هذا الخطاب ومنهجه وأسلوبه للترويج لمنتج عتيق بألفاظ مستمدة من العلوم الإنسانية المعاصرة خاصة علوم السياسة.

وتعود خصوصية هذا الموضوع إلي كون موضوعه (الدولة القومية) مسألة حاسمة وفاصلة في علاقة الأصوليين بالحداثة , وهل هم مع الحداثة أم ضدها ، ثم أنها تصنع مشكلة تستعصي علي الحل بين الإسلاميين وبين أشد أنصارهم العروبيين لموقف الأصوليين الإسلاميين العريق الرافض لمبدأ المواطنة ووطنية البلاد ، أى لفكرة الدولة القومية ، التي هي حاصل جمع المجتمع والدولة والتاريخ والجغرافيا أرضاً وحدوداً ، والإقتصاد وطبيعته المتوائمة مع جغرافيته وتاريخه ، المنطبعة في عادات وتقاليد ونظم وقوانين هي مجموع ثقافته.

وهنا يقدم لنا الدكتور سيف رؤيته كإسلامي أصولي يعبر عن وجهه نظر أيديولوجية واسعة لمعنى الدولة من وجهة نظر الفكر الإسلامي ، منتهياً إلى ما وضع بذرته في العنوان ببيان (العواقب) الوخيمة للانتصار لفكرة الدولة القومية كما نفهمها وكما يفهمها العالم كله.

سنقوم هنا بعرض ما كتب الدكتور سيف دون إغفال أى هام أو أى عنصر فسيفسائي أو مفصلي في تركيبته ، لكن مع ترتيب ما كتب حتى يمكنا تناوله لنرى أى عواقب للدولة القومية بمعنى الوطن؟ وهل البديل الذي يطرحه علينا من وجهة نظر إسلامية يستحق منا التخلي عن الوطن والمواطنة؟

يقول الدكتور سيف الدين عبد الفتاح أن واقع الدول العربية والإسلامية في ظل الخلافة الإسلامية قد عرف التعدد في الكيانات التي خضعت إسمياً ورمزياً للخلافة ، وشكلت إمارات شبه مستقلة تبعاً للأجناس والأعراق أحياناً ، وللمذاهب الدينية أحياناً أخرى. ويضع لهذا الشكل سؤالاً هو : هل كانت العلاقات بين هذه الإمارات علاقات داخلية داخل مجتمع واحد لكنه منقسم لدويلات بحكم أن بينها رابطاً جامعاً هو الإسلام؟ أم أن هذه العلاقات كانت خارجية لا تأخذ الدين في اعتبارها كعامل يربطها ببقية الدويلات؟ وهل أتى هذا الشكل من خلافة إسلامية واحدة ، تخضع لها إمارات شبه مستقلة ، بمعايير جديدة في العلاقات بينها بديلة لمعايير الشريعة الإسلامية التي تجمعهم كلهم على عقيدة واحدة.

ثم ينتقل د. سيف دون تقديم إجابات لهذه الأسئلة للدولة العثمانية التي حققت جامعية الأمة مع إتاحتها للتعدد داخلها حسيما يقول ، فجمعت بقوة السلاح الإمارات الإسلامية في منظومتها الواحدة ، بل وأضافت للدول الإسلامية تحت الخلافة بلاداً أخرى اقتطعتها من أوروبا. وبدورها سقطت الإمبراطورية العثمانية لأسباب خارجية تمثلت في تشكيل أوروبا جبهة موحدة ضد التحدي العثماني ، ولأسباب داخلية نتيجة ما سمي بالثورة العربية (حسب تعبيرة) ، وهوما أدى مع ظهور الحقبة الاستعمارية واحتلال أوروبا المباشر لبلاد الإمبراطورية العثمانية إلى ظهور علاقات جديدة , هي علاقات المستعمِر والمستعمر ، السيد والتابع ، ضمن ولادات قيصرية وقسرية لكيانات تم سلخها عن الإمبراطورية العثمانية ، تتحرك ضمن علاقات جديدة شكلها شعار الاستعمار الأوروبي (فرق تسد) ، وبنهاية الإستعمار القديم وظهور الإستعمار الجديد الذي عمل بنظرية (إرحل لتبقى) باستمرار العلاقات حميمة بين الدول المستقلة وبين مستعمرها السابق ، وفي الوقت نفسه تفجير العلاقات بين الدولة الإسلامية المستقلة وبعضها البعض ، إلى حد القتال كما في نزاعات الحدود ونزاعات المذاهب بينما غاب التعاون بين هذه الدول إلى حد بعيد ، وهكذا نشأت وخلقت الدولة القومية في بلادنا بولادة قسرية قيصرية فجاءت مولوداً شائها لمجموعة دويلات تتعارك مع بعضها.

ثم يقارن بين قيام ونشوء الدولة القومية في بلاد الغرب الحر بما حدث عندنا فيقول: " إن الدولة القومية في الغرب كانت جامعة ، بينما هي في العالم الإسلامي نتاج

تفكيك كيانات أكبر ، فخلقت ميراثاً من المشاكل ، إن هذه المرحلة تميزت بالولادة القسرية الشائهة لما أسمى بالدولة القومية في دول العالم الإسلامي .. وحملت في طياتها عناصر تفكيك وهذا ما أريد لها ، أكثر مما حملت عناصر جامعية .. إن ميراث الدولة القومية حافظ بشكل حاد ومتواتر على علاقات تسير صوب التفكك لا التكامل (السيادة ، الحدود) .. والإستمساك الضار بمعنى الدولة القومية .. إن مفهوم الدولة القومية تتعاطاها هذه الدول في مواجهة بعضها ، وتتهاون بصدده حيال علاقتها بالعالم الخارجي خاصة الغربي ، وهوما لا يصب إلا في ضعف ووهن هذه الدول فرادي ... وزيادة علاقتها التابعة. إن مفهوم الدولة القومية .. جامع في الخبرة الأوروبية .. مفكك في عالم المسلمين .. عبر علاقات غير متكافئة تصب في عافية الذات ".

ولمزيد من تأكيد عواقب الدولة القومية في بلاد المسلمين يشرح الدكتور سيف فيقول : "إن مفهوم الدولة القومية قد انعكس سلباً على مفهوم الأمة الإسلامية ، وكذلك على مفهومنا التقليدي المتعارف عليه باسم (دار الإسلام) . فقد أفرز مفهوم الدولة القومية تعدد لا هو انفصال بين دولة عباسية عاصمتها بغداد ودولة أموية في الأندلس ، ولا هو تعدد التغلب والاستيلاء الذي أفرز كيانات وإمارات ارتبطت اسمياً بالخلافة العباسية ، ولا هو التعدد الذي أفرزه النزاع على النفوذ في الحقبة الاستعمارية ، لكنه التعدد الذي حكمته موازين ما بعد حقبة الاستعمار الاستيطاني والدخول في مرحلة جديدة من علاقات الدولة القومية التابعة. وهوالتعدد الذي صاحبه تعدد في الرؤى ونماذج التنمية .. من الرأسمالية إلي الإشتراكية .. وسادت فيه علاقات وسياسات التجزئة والتبعية والتخلف أكثر مما أثرت فيه سياسات وعلاقات التكامل والوحدة والاستقلال والنهضة. إن هذه الخريطة للتعدد تختلف عن أى خريطة تعدد سابقة في ظل الخلافة لأنها أثرت على المفهوم التقليدي الفقهي الراسخ عن دار الإسلام ودار الحرب ، لأن المعايير قد تغيرت وبرز مفهوم المصلحة القومية ، هذا ناهيك عن صعوبة توصيف واقعنا اليوم من خلال المفاهيم الفقهية. ولهذا السبب صادف عالم المسلمين أزمات انتهت إلى تحالفات عجيبة كما حدث في حرب الخليج الأولى والحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج الثانية وغزوالكويت ، مع فوضى فكرية تسربلت بغطاء ديني فشكلت ما يستحق تسميته (الفتنة الفكرية والدينية) التي استخدم فيها الدين وسلاح الفتاوى من كل الفرقاء. ومن ثم فإن مفهوم الدولة القومية كما يمارسه المسلمون يشكل مساراً تهميشياً لمفهوم الوحدة وكانت معظم تأثيراته سلبية على مفهوم الأمة.

ولعل أهم هذه السلبيات أن دولنا القومية هي دول تابعة منشغلة بالحفاظ على واقع التجزئة ، ومقلدة لنماذج لا تنبع من داخلها أو من تاريخها إنما مستوردة من

خارجها. بل وحاول هذا المفهوم طرد تكويننا الأصيل (الخلافة الواحدة الموحدة) بخلق تكوينات مبتدعة من قبيل الجامعة الإسلامية والشرق أو سطية والشراكة العربية الأوروبية.

وبينما الخبرة الأوروربية تتجاوز مفهوم الدولة القومية نحوالتوحد (الاتحاد الأوروبي) نستمر نحن في دعم الدولة القومية في مواجهة التوحد بوضع هذه الدول في مواجهة بعضها ، بينما يتجه العالم كله نحوالتوحد في قرية عالمية فإن مفهوم القرية العالمية عندنا هو فقط تعظيم الإتصال بالغرب أكثر من الإتصال بالعالمين العربي والإسلامي. بل على العكس أبقت كل عوامل الإنفصال والتجزئة والتبعية والتخلف الذي تكسوه قشرة حضارة ". انتهى كلامة .

إلى هنا ينتهي السرد الموجز المكثف الذى عرضناة بكل امانة لعمل الدكتور سيف الدين عبد الفتاح ، وهوفيما هو واضح وجلي ، كلام عشرة على عشرة ، ومن الحكمة عدم الاعتراض على ما قدم من حقائق. لكن ما أرتكبه الدكتور سيف الدين ليس الإفتراء على الحقائق أو اللعب بها ، فهولم يفعل ذلك ، لكنه فعل ما هو أسوأ وأنكى وأردأ ، **لقد زور على قارئه كل شئ** ، عندما انتقى من اللوحة التاريخية ما يناسب غرضه النهائي ، ألا وهوإثبات أن دولة الخلافة هي الحل ، لأنها كانت هي الجامع للمسلمين وسر قوتهم التي احتلوا بها أجزاء من أوروبا ، وأنه بإنهيارها وتفككها انهارت أو ضاع الدول المسلمة المستقلة الوطنية الضعيفة ، والحل هو استعادة القوة باستعادة النظام المنشئ لها والمتفق مع ديننا وتاريخنا وفقهنا ومنطقنا ، في تقسيم العالم إلى ديار سلم وديار حرب ، فتتفق أمورنا وواقعنا مع ثقافتنا مما يؤدى إلى تماسك جماعي قوي معياره وحاكمه هو الدين ، حتى تعود ديار السلم إلى فتح ديار الحرب!

بالضبط مثل الدعوة الصهيونية التي سبقت قيام دولة إسرائيل!

ثم هل من العلمية أو من الواقعية أن يكون أو ل بنود اهتمامات بلادنا الأشد جهلاً ومرضاً وتخلفاً وضعفاً في العالمين ، هو إقامة دولة إمبراطورية للخلافة على غرار الأموية والعباسية؟ إن النبي لم يقم للعرب ما يشبه الدولة في جزيرتهم إلا بعد ما يفوق على الثمانيين معركة عسكرية دموية بكل معنى الكلمة ، وتفككت دولته وهوعلى سرير المرض ، فقام أبوبكر يعيد جمعها وتوحيدها بالحرب أيضاً ، فلم تقم إمبراطورية في التاريخ بالجدل والحوار ، لأنها إخضاع شعب لعبودية شعب آخر سيد حاكم ، وإكراه حاكم محلي للتخلي عن الكرسي لحاكم آخر قادم من خارج الحدود وهوما لا يحدث إلا قسراً.

لقد نازع سعد بن عبادة الأنصاري والإمام علي بن أبى طالب والهاشميون أبا بكر وعمر وعثمان على الحكم ، وتنازع معاوية وابنه يزيد مع الإمام علي وولده الحسين على حكم المسلمين ، فهل كان كل هؤلاء سفهاء لأنهم لم يتوحدوا بالطريقة التي يطرحها علينا هنا الدكتور سيف عبد الفتاح؟

وهل كان ظهور دولة أموية مسبقلة في أسبانيا خروجا على ملة الإسلام أم إضافة لة؟

الدكتور سيف يعلي من الدين كرابطة على سلم الروابط الاجتماعية كحل يجمع الشامي والمغربي والماليزي ليشكلوا القوة المطلوبة لقيام ديار الإسلام. ولا تشغله روابط أخرى تجمع المجتمعات وتميزها عن بعضها مثل رابط العنصر أحياناً (كما في الروابط القبلية) ، أو مثل رابط التجاور الجغرافي كما في تجاور الجزر اليونانية الذي أنشأ مجتمعاً واحداً ، أو كما في رابط النهر المشترك كالنيل وقال هيرودت مصر هبة النيل ، أى أن النيل ربط بين الناس فأقاموا الحضارة ، وهوما حدث في حوض الرافدين وحوض السند ، وهناك روابط المصالح المشتركة التي جمعت ولايات أمريكا لتصبح متحدة ، أو كما نرى في الاتحاد الأوروبي.

والدين أيضاً رابط اجتماعي قوي لا يمكن إنكاره ، لكن المجتمع عبر ما يمر به من مشاكل أو انفراجات أو علاقات أو حروب ، فإنه يقوم بتغيير أو لوياته بإختيار ما يكون مطلوباً من روابط على سلم الروابط فتأتى المصلحة على أو ل درجة وأحيانا الدين وأحيانا أخرى العنصر وأحيانا اللغة ، ويتم ترتيب الروابط حسب حاجة المجتمع في زمن ما وظرف طارئ بالذات ، تتفق في النهاية وما يراه المجتمع في صالح ما يطلبه الوقت والظرف ، ومن ثم تترتب الأولويات للروابط على سلم الروابط الإجتماعية بحساب المصالح كمعيار أساسي لهذا السلم ، سواء أدرك المجتمع ذلك بشكل علمي واضح أو لم يدرك ، لكن الدين بين هذه الروابط لا تشغله مصلحة الأوطان أو الأفراد بقدر ما ينشغل رجاله بمدى توسيع نفوذهم ومدى توسيع الرقعة الجغرافية الواقعة تحت سلطان الإسلام ، حتى ولوكان وضع الدين على الدرجة الأولى في سلم الروابط الاجتماعية شديد المضرة والأذى في بعض الحقب ، فإن المجتمع لا يبالي ويقبل بالأذى والمضرة. بسبب جوهري يكمن في الدين كرابط اجتماعي ، وهوأن الناس تعلم أن الدين ليس تحت سيطرتها كالجغرافيا وليس من اختراعها كاللغة والعادات والتقاليد ، إنما هو مستقل عنها ، ومن ثم فهي لا تستطيع التدخل فيه وتتلقاه كما هو بأوامره ونواهيه دون اعتراض ، ولا يبقى في المجتمع من يمكنه التعامل مع هذا المقدس سوى رجال الدين وعصابات المنتفعين بإسم الدين ، وكثيراً ما أدى هؤلاء باستخدامهم الدين إلى تخلف مشين كما كان حال أو روبا فى

العصور الوسطى ، وكما هو حال بلادنا اليوم حيث تقبع على التخوم الأخيرة لبرارى التاريخ .

المثال الصارخ في العراق حيث الصراع الدموي الانتقامي بين السنة والشيعة في العراق ، لأن أهل العراق جعلوا الأولوية على سلم روابطهم الاجتماعية للمذهب الديني وليس الوطن. وبالأمس القريب انفجرت البلقان كلها في صراع دموي عندما اعتلى الدين قمة سلم الروابط الاجتماعية ، وهوما تصرخ به السودان ، وما كان من تشقق القارة الهندية لباكستان والهند. عندما كان الدين على القمة لم تشغله مصالح الناس أو البلاد لحظة واحدة ، بينما عندما كان الوطن على قمة الروابط فإن ألمانيا رغم انفصالها بعد الحرب ظلت الألمانيتان تؤكدان على ألمانيا واحدة حتى اتحدتا مرة أخرى طوعيا ، لأن كل من الطرفين كان يضع على سلم روابطه الحدود الجغرافية للوطن ويعطيه هو يته فيسمية ألمانيا.

أما في مصرنا الغالية فلازلنا نذكر أو نقرأ عن زمن كان طابور المدرسة يهتف قبل أى شئ (تحيا مصر حرة مستقلة) . زمنها كانت مصر في حال أفضل بما لا يقارن بحالها بعدما رفع طلابها المصاحف وهتفوا الله أكبر ولله الحمد ، منذ الصحوة الإسلامية لابارك اللة فيها.

إذن فالجماعة ذات منشأ إجتماعي طوعي تلقائي ، أما الدولة فذات منشأ سياسي يقوم على القصد والترتيب ، لذلك نجد أن دولة الرسول بالمدينة (مع التجاوز في تسميتها دولة) كانت تجمع اليهود والمسلمين وقبائل متباينة الأعراف ، لأنها لم تضع الدين عند عقد صحيفة المدينة كرابط أول ، إنما وضعت المصلحة المشتركة بين كل الأطراف.

فالجماعة متجانسة تدخل في تشكيل أى دولة ، وفي الدولة تدخل عدة جماعات ، لكل جماعة روابط اجتماعية يتفق بعضها ويختلف بعضها مع باقي الجماعات ، وهذه الجماعات تقدم أو تؤخر على سلم الروابط أو لويات إهتمامها ، فتجعل الروابط المتفق عليها بين كل الجماعات هي الأعلى ، والرابط الذي لا تختلف عليه جماعة تريد الاستمرار في الوجود هو رابط المواطنة ، الذي يتم تعظيمه وإعلاءه على الدين والعرق واللغة والتقاليد ، فتصبح الجماعات وحدة تشكل دولة.

فإن تقدم العرق على رابطة المواطنة كانت الحروب العنصرية ، وإن تقدم الدين كانت الحروب الطائفية ، فتتفكك الدولة ، وهوما حدث في الهند سنة ١٩٤٨ فظهرت باكستان ، كذلك هو الشأن في كشمير وجنوب السودان ودرافور. لأنه عندما تتنحى المواطنة عن قمة الروابط تتفكك الدولة إلى دويلات طبقاً للرابط

الجديد الذي حل محل المواطنة ، فإن كان الدين هو المتقدم كان الانقسام دينياً وإن كان العرق تم التقسيم طبقاً للأعراق .. وهكذا .

والجماعات البشرية متنوعة في الحجم منها الصغيرة ومنها الكبيرة ، ومتنوعة في التركيب منها البسيط ومنها المعقد الذي يضم في داخله أكثر من جماعة بسيطة. وللجماعات البشرية مسميات عديدة طبقاً للحجم والتركيب ، أبسطها هو الأسرة المكون الأساسي لكل الجماعات ، والإنسان بطبعه حيوان اجتماعي يصعب عليه العيش بلا جماعة توفر له الأمان وسبل المعيشة.

وتتصف الجماعة بالترابط وعدم التنافر لأنها لوتنافرت تفتت لجماعات أصغر حجماً وتركيباً. ويقوم ترابط الجماعة على خصوصيات جامعة ، ولذلك يختلف عدد الروابط الاجتماعية باختلاف شكل الجماعة ، فكلما كانت بسيطة كانت روابطها أقل ، وكلما تعقدت تركيباً وعدداً زاد عدد الروابط. والروابط ليست على مستوى واحد من الأهمية أو الأولوية لكنها هي مركز تمحور الجماعة ، فإن تشاركت جماعتان أو أكثر في الرابط المركزي المحوري دارت حوله الجماعات مشكلة جماعة مركبة ، فإن ظهرت جماعة ثالثة لها نفس المركز المحوري دارت مع الأخريات في ذات الفلك متحولين من جماعات بسيطة إلى جماعة مركبة أو معقدة.

إذن الروابط تصنعها في الأصل الجماعات البسيطة وهي من يدرجها على سلم الأولويات ، وأحياناً تقوم بإعادة ترتيب تلك الأولويات فتنحي رابطاً مركزياً وتستبدله بآخر كان في المؤخرة ، فتقدمه وتجعله مركز محورياً. وقد تنحي روابط قديمة مركزية لتحل محلها روابط مستحدثة تراها الجماعة من صالحها وأن هذا الصالح لم تعد تحققه الروابط القديمة ، كما يحدث في اعتناق دين جديد أو لغة جديدة أو أيديولوجيا جديدة أو فكر فلسفي جديد ، ليحل محل القديم الذي أقرت الجماعة عدم جدواه أو عدم كفايته لتوفير الأمن والأمان ، وتحقيق أهداف الجماعة الإنسانية من كفاية وعدل وسعادة وتحاشي الألم .. إلخ .

قالمجتمع البشري يوازن بين الروابط وينحي من على أو لويات سلمها ما يراه قد أمسى غير ذي جدوى ويحل محله ما يراه أكثر تحقيقاً لآماله ، سواء كان هذا الجديد من بين الروابط الأدنى على السلم أو مستورد أو وافد من ثقافة أخرى. المهم قدرة الرابط على تحقيق أمل الجماعة.

وأقوى الروابط المستمر وراء اختيار أى روابط أخرى هو المصلحة والمنفعة التي هي في الوقت ذاته الحاكم والمعيار على الروابط الأخرى ، والجغرافيا هي أهم روابط المنفعة ، لذلك ظهرت أو ل الجماعات البشرية في أحواض الأنهار لأن

النهر رابط جغرافي ، وأن حسن استغلاله من الجميع نفع الجميع ، وهوما يفسر قيام الحضارات على أحواض الأنهار ، مقابل تأخر المجتمعات البدوية الصحراوية لفقدان الرابط الجغرافي بحسبانها قبائل متحركة لا تعرف الوطن المستقر. وهوما يفسر لنا لماذا أنزلت قبائل العرب الإسلام من على سلم روابطها عندما استشعرت مرض النبي وعادت تثور على المدينة فى حركات انفصالية ارتدادية . وحالما بدات الفتوحات كان رابط المنفعة هو الفئ والمغانم والسبي والجزية ، فاتخذت قبائل العرب من عائد الحروب رابطاً لها مكنها من الفرس والروم ، وعندما كان رابط المنفعة يتراجع كانت تظهر النزعات القبيلة ، فإن حصلت القبائل على المنافع التي ترضيها هدأت الأمور. وهكذا قامت نزاعات المنفعة بين الصحابة بلا مراعاة للدين بل باستثمار الدين كحليف ومؤيد لكل فريق ضد الأخر ، وقتل فيها الصحابة الصحابة وآل البيت ، فلم يكن الدين هو الرابط الحقيقى إنما المنفعة ، فرابطة الدين لم تكن الأول على سلم الروابط لذلك تم اغتيال عثمان بن عفان ، وهاجمت السيدة عائشة علي بن أبي طالب في الجمل ، ولم تردع رابطة الإسلام العراق عن غزو الكويت ، ولا تفجير المتأسلمين للسيارات المفخخة في بلاد المسلمين لقتل المسلمين ، ولم تمنع الوهابيين من هدم قبر فاطمة بنت النبي ولا نهب كنوز الكعبة ، ولا ردعت عن استباحة فروج المسلمات والصحابيات وبنات الصحابة في واقعة الحرة المخزية ، إن هذه الأحداث كلها ما كانت لتحدث إلا عندما تم وضع الدين فى أعلى سلم الروابط دون أن يكون كذلك فى الحقيقة ، لأن الحقيقة كانت معاملة الدين واستثمارة ومعاملته بإنتهازية فى صراعات المصالح السياسية والمكاسب الدنيوية كما لوكان هو الرابط الأعلى دون أن يكون ذلك صادقاً أو حقيقياً بالمرة ، فكل ما حدث أن كل طرف يستخدم الدين انتهازياً لتحقيق أطماعه ، وأعلن كل قاتل إنه يقتل أخيه المسلم بإسم الدين وفى سبيل الله.

وبسبيل إنزال الدين من على سلم الروابط يقوم البعض بإحلال مذهب جديد يتمركزون حوله ويدورون ، كرابطة جديدة لأصحاب تدور حول محوره الجماعة تاركة الآخرين يدورون حول ذات الدين لكنه القديم قبل المذهب المحدث. حتى يظل الدين واجهة ترضي العامة فيتحول من رابط فعلي إلى شكلي ، والفارق بين الرابط الجغرافي الثابت المحسوس الواضح غير الملتبس والذي تشارك فيه كل جماعات المجتمع ، وبين آى رابط أخر ، أن أى روابط أخرى مثل المذهب الدينى واللغة هي روابط صنعها البشر فهي مكتسبة لم تأت من السماء مع الخلق. الذي جاء من السماء هو الدين الأم وعنه انتج البشر مذاهبهم وعن قصد بشري وليس بإرادة السماء ، ورغم أن المذاهب المصنوعة تغطي على الأصيل النصي القرآني ، فإن

المذاهب ليس لها أنبياء ولا رسل ولا كتب سماوية خاصة بهم ، لكنهم يحوزون عند المسلمين مكان التقديس!

رغم أن المذاهب غير موحى بها وأنها صناعة بشرية محض وتم انتاجها بدوافع بشرية محض ، لاتخاذها مركزاً ومحوراً يدور حوله المجتمع فيكتسب المجتمع المتذهب استقلالية وتمايز عن أصحاب المذاهب الأخرى ، وعن مجتمعه الأم.

أيضاً اللغة كرابط تخرج منها لغات جديدة متفرعة عن اللغة الأم لتأكيد الذات والاستقلالية عن الغير ، ولم يذكر لنا تاريخ الأديان أن هناك نبي أو رسول قد جاء بلغة جديدة لتحل محل أخرى.

لكن الرابط الثابت بثبات التضاريس والنهر أو الصحراء التي أو جدته أو البحر أو البحيرات ، كلها ثابتة لا تتبدل ولا تتغير وعليه ينشأ رابطة المنفعة ، فنفط الخليج أنشأ رابط خليجي عازل لها عن بقية الدول العربية ، كما غير نمط مجتمعاتها وطبعها بطابع واحد أو شديد التماثل ، وجعل هذة الدول ترفض انضمام الأفراد الذين كانت تقبل بهم مواطنين قبل ظهور هذا الرابط (ظاهرة البدون مثلا) .. كما ان هذا الرابط جعل الدين يأتي في المرتبة التالية على سلم الروابط بعد أن كان في المقدمة زمن العوز والحاجة ، وكانت تتخذ منة مبرراً للهجرة إلى مواطن الوفرة فى أحواض الأنهار كمصر والعراق ، والممطرة مثل بلاد الشام وشمال أفريقيا أو الجامعة بين الميزتين كبلاد الأندلس.

إذن فالجماعة تنشأ طواعية طبقاً لرغبات وحاجات أفرادها وموروثهم البيولوجي أولاً ، ثم تستمر في التواجد مدعومة بموروثهم الثقافي القابل للتعديل والتبديل ، وهوما كان يؤدي إلى تجمع الجماعات في تركيبات أكبر وأكثر تعقيداً ، أو إلى تفكك ذلك المعقد المركب ليعود إلى مجموعات وجماعات أقل تعقيداً وأكثر قدرة على البقاء.

أما الدولة والإمبراطورية فهي رابط في شكل تجمع سياسي تقيمه القوة العسكرية يجمع بداخله تجمعات من أسر وعائلات وقبائل وأمم ، وقد تحتوي الدولة على أكثر من أمة ، أو على جزء من أمة ، كما هو حال الأمة الكردية الموزعة بين أكثر من دولة. فإذا انهارت الإمبراطورية عادت البلاد إلى ما كانت عليه قبل قيامها من الإمبراطورية الرومية مروراً بالعربية إلى الإمبراطوريات الحديثة كالإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس أو الإمبراطورية الشيوعية التي تمثلت في الإتحاد السوفيتي. فالإمبراطوريات لا تسقط لكي تقوم ، بل تسقط لتذهب وتفسح المجال للأمم لتتطور وترتقي. وسقوط الإمبراطوريات ليس سقوطاً إرادياً إنما هو

سقوط نظام حكم ثبت فشله عبر التاريخ وعجز عن تحقيق الحلم البشري فسقطت ليحل محله الأصلح.

وعليه فإن طريقة اختيار الحاكم ونظام الحكم وتحديد علاقة الفرد بالسلطة وأنواع السلطة وطبيعتها وعلاقتها ببعضها ، هذا يدخل في علم السياسة لنظام الدولة ، فإن قلنا أن الدولة تأتي لاحقة للمجتمع وليست سابقة عليه ، فمعنى هذا أن الإسلام لا يبدأ بالسياسة ولكنه يبدأ بتكوين المجتمع لتقوم الدولة على هذا المجتمع من بعد. و رغم أن ذلك لا ينطبق إلا على جزيرة العرب وحدها دون غيرها ، حيث لم يكن مجتمع الجزيرة قد تجاوز التفرق القبلي نحوالنضج و الاكتمال لإقامة دولة حاكمة له ، إلا على يد الإسلام الذي أكمل تكوين بل وتشكيل ذلك المجتمع قهراً لينضبط في دولة يوافقها رضا أو كرها. بينما كان محيط الجزيرة دولاً ذات حضارات قامت واكتملت قبل ظهور جميع الأديان ، فإذا كان الإسلام قد أقام للعرب مجتمعهم قسراً فإن باقي دول الجوار لم يكن للإسلام أى فضل في إقامة مجمعاتها أو دولها. وإذا كان ثمة علاقة بين الدين والسلطة (أوالدولة) فذلك إنما يخص جزيرة العرب وحدها وفي زمن الدعوة وحده.

وبينما لم تلبث دولة النبي الناشئة حتى تفككت وعادت القبائل إلى شكلها الأول ، حتى أعاد أبوبكر إنشاء دولة جديدة مرة أخرى على أنقاض الدولة الإسلامية الأولى ، ثم سقطت ثم قامت عدة مرات ، ولكن خارج الحجازحيث بلاد الحضارات المفتوحة ، ووفق جهاز إداري كان قائماً من ألوف السنين حافظ على تماسك هذه الدول من التفكك. و بينما بقيت مصر منذ مينا حتى اليوم عبر خمسة ألاف عام دون أن ينفك منها أى عضوجغرافي ، فإن دولة النبي تفككت وهوعلى سرير المرض ، لأنها كانت بدائية ، كان المقصود منها تجميع العرب تحت راية مبدا ديني واحد ، فلم تكن سوى تجمع قبلي لم ينضج بعد ويتطور ويضع لنفسة آلياته وقواعده وجهازه الإداري والرقابي والقانوني ، ومجمل الأجهزة الحافظة لنظام الدولة. وظل وضع الجزيرة هكذا إلى ان ظهر بن عبد الوهاب متحالفاً مع بن سعود وتمكنا من إنشاء دولة عربية حديثة مستقرة ، وما استقرت لأن أياً منهما لم يكن نبي الإسلام لذلك كانا يعلمان جيداً أن دولتهما ليست هي دولة الإسلام ، لهذا تمكنا من التمكين.... باستخدام الإسلام كركوبة موصلة ليس أكثر.

الدولة القومية في فلسفة الإسلاميين (٢)

رغم وضوح التاريخ إلى حد الصدمة أحياناً ، فإن الصدمات لا تفيق أهلنا الراغبين في استعادة الخلافة المقبورة ، وهم بسبيل ذلك يفعلون بالضبط فعل الإسلام (ق ٧ م) في جزيرة كانت مفككة إلى قبائل عربية متصارعة منذ سبعة عشر قرنا ، يفعلون ذات الفعل ولكن في دولة معاصرة وقائمة من ألوف السنين / مصر مثلا ، هم يريدون إقامة المجتمع المسلم القبلى الأول كما كان فى جزيرتة ، قبل إقامة الدولة الإسلامية ، كما هو في ترتيب أهداف الإخوان المسلمين في مختلف وثائقهم.

إنهم حتى يقيمون دولة عليهم ان ينفوا أو لاً وجود المجتمع المناسب لهذه الدولة اليوم ، لهذا يجب إعادة خلق هذا المجتمع الأول المطلوب مرة أخرى. إنهم يكفرون كل المجتمع بداية وبداهة مسلم بها ، مع بدهية أخرى هى أنهم وحدهم المسلمون ، ليأخذوا هم دور الهداة لدينهم الجديد الذى يطلقون عليه اسم الإسلام ، رغم أن هذا الإسلام موجود في الواقع في مجتمع مسلم. لكن العقل البدوي يبدأ بالمجتمع أولاً ، والحل هو سلخ جزء من هذا المجتمع وإدخاله في الإسلام أو بالأحرى في الدين الجديد المستتر بالإسلام القديم ، بدليل ما لحق الإسلام في الوهابية من متغيرات كبرى حتى بات ديناً غير الدين الذي عرفه المسلمون منذ أربعة عشر قرناً.

وبعد سلخ مجتمع الدين الجديد من مجتمع الدين القائم يعودالمجتمع الجديد لفتح المجتمع القديم/ كما سبق وفتح المجتمع المدنى اليثربى المجتمع العربى والمكى كلة/ من أجل حكمة والسيطرة علية ، عبر كل الوسائل الممكنة ولو بوسائل مكروهة وطاغوتية معاصرة كفرية المنشأ بما فيها الإنتخابات كأداة سياسية معاصرة فعالة ، وحينها يمكن إقامة الدولة الإسلامية. ومن بعدها تخوض الحروب وتلغ في الدماء لتقيم الخلافة.

ان البشرية تسير نحوالمستقبل فتنتج الكهرباء وماترتب عليها من اختراعات بالملايين ، وتجوب الفضاء و تلعب بأسس الحياة الجينية ، ونريد أن نعود نحن لعصراكتشاف النار ، البشرية أنتجت أجهزة الراحة والمتعة والمساعدة على الإنجاز والتشريعات الدولية والأمم المتحدة ومجلس الأمن وحقوق الإنسان ومحكمة جنيف ، والكمبيوتر وعالم النت الوهمى الواقعى بخلق بشرى إعجازى ، ونحن نطلب عودة عصر الإمبراطوريات ، في جنوح ذهاني واضح يشير إلى خلل عميق أصاب العقل المسلم.

فإذا كانوا يؤكدون طول الوقت ان الإسلام لم يتم فرضه عنوة ولا بالعنف ولا بالسيف ، فكيف يفرضون دولته بالعنف والحروب ، فوفق هذا تكون الدولة التي

قامت عنوة على يد أبي بكر الصديق ، (ووفق التسليم بمقدمة قيام الإسلام بقوته الإقناعية وليس بالسيف) ، لا يصح ان تكون دولة الإسلام لأنها قامت على السيف ، كذلك لا يمكن القول بأن إمبراطورية العرب التي قامت بالحرب والغز و إمبراطورية الإسلام الذي لا يعرف العنف ولا ينتشر بالسيف ولا يفرض نفسه على الناس بالإرغام والإجبار.

إن الدولة التي يصح وصفها بالإسلامية أو الدينية هي التي قامت في عهد صاحب الدعوة ، حيث اتحدت السلطات زمنية و دينية في شخص الحاكم ، على نحو الدولة المسيحية في العصور الوسطى ، وعلى نحودولة النبي (ص) الذي جمع بيده كل السلطات صغيرة كانت أو كبيرة مدنية كانت أم دينية ، هذا مع التجاوز في وصفها بالدولة ، لأنها بالأحرى كانت تجمعاً قبلياً رئاسياً. ترأس فيه قبيلة بعينها بقية القبائل وتؤلف بينها تحت راية العقيدة الإسلامية.

زمن محمد علي استقلت مصر الحديثة عن الخلافة وابقت على العلاقة معها رمزياً وإسمياً ، وشكلت دولة بالمفهوم المعاصر الغربي الحديث ، فلم يضعف شأنها بل تمكنت من تكوين قوة دفعتها لاحتلال محيطها رغم أنها ترتبط مع هذا المحيط برابطة الدين ، فقامت باحتلال السودان وقمع المهدية ، وقمعت الوهابية في جزيرة العرب ، ثم تحولت إلى احتلال ممتلكات الإمبراطورية العثمانية حتى دخلت بلاد العثمانيين (تركيا) ، ولولا تحالف دول الغرب ضد مصر في موقعة نفارين بالجزر اليونانية حفاظاً من الغرب على تركيا ، وإعادة محمد علي إلى حدوده داخل مصر ، لالتهم محمد علي تركيا وربما ما هو أبعد من تركيا. وتم هذا كله خلال عشر سنوات فقط عندما استقلت مصر عن الخلافة ، وهوما يؤدي إلى نتيجة واضحة لا ينتطح بشأنها عنزتان وهي أن الخلافة كانت هي سر تخلف مصر ، وبعدما عادت مصر حرة مستقلة في شكل دولة وطنية حديثة جاءت نكسة استيلاء غفر يوليوعلى السلطة الذين كانوا جميعا أعضاء بجماعة الإخوان المسلمين ، لم يفعل الحكام الوطنيون بحكم مرجعيتهم الدينية فعل محمد علي بالإتجاه نحو أوروبا وكما نصح طة حسين العميد العبقرى ، إنما اتجهوا نحونوع من الخلافة الجديدة ، كل منهم يعين نفسه خليفة أو تعينه الظروف ويعطيه شعبة البيعة ، عندها إنهار الشأن المصري والعربى كلة إلى ما وصل إليه اليوم من وضع مهين.

<u>الملحوظة المهمة بهذا السياق هو أن غياب الخلافة لم يؤد إلي غياب الإسلام ولا إلي تراجعه</u> ، ففي قرننا الحادي والعشرين حيث لا إمبراطوريات ولا خليفة في أى مكان ولا أهل حل وعقد ولا والي ولا محتسب ولا جزية ، ومع ذلك فالإسلام قائم على قوائم صلبة وعلى خير وجه ، والمسلمون الركع السجود تجاوزوا المليار ،

وهو ما كان يخطر لصاحب الدعوة نفسه ولا للفاتحين الأوائل ، ناهيك عن كون هؤلاء المسلمين أمسوا يعرفوا كل شئون دينهم بدقائق تفاصيله عبر أجهزة الإعلام وسيطرة الفكر الديني على كل شئون حياتنا ، بينما لم يكن يعلم خالد بن الوليد أو عمروبن العاص وهم يفتحون بلادنا من دينهم سوى بضع آيات يستخدمونها في أداء طقوس الصلاة ، مع مجموعة شديدة البساطة من الأوامر والنواهي.

وبعد سقوط الخلافة تزايد عدد المسلمين بالداخلين فيه قادمين من أديان أخرى دون فتح ولا غزو و لا غنم و لا سبي و لا ذبح و لا سلخ. إن غياب الخلافة لم يؤثر على ديننا بل كان غيابها هو الفعل الموجب العظيم لصالح الإسلام الحنيف.

و ربما كان أهم ما بقى من إنجازات محمد علي هو ما بقى منه وهواستقلال مصر كدولة معاصرة عن الخلافة ونظمها ، وظلت مصر دولة لها نظمها وجهازها الهرمي التراتبي الإداري ، ماكينة تدور على محور و روابط الوطن والمواطنة ، حتى بدات المباراة بين الجماعات المتأسلمة وبين الحكام الوطنيين على من يتمكن منهم إثبات وضعة للدين في ذروة الروابط الاجتماعية المصرية ، نعم لازالت الماكينة تدور ، و لكن بناقص ١٢ مليون مواطن مسيحي ، ومليون مواطن ملل ونحل أخرى ، تدور لكن إلى الخلف ، ومثل هذا العبث لا يلحق الضرر بالدولة وحدها إنما هو يلحق الهوان بمجتمع بكامله.

ولو ظل الدين والمذهب فوق سلم الروابط فستتحول العراق إلى مجموعة دول ، وتنقسم الجزائر إلى دولتين أمازيغية وعربية ، ومصر إلى ثلاث دول نوبية وقبطية وعربية .. وهكذا.

بينما عندما يكون أعلى الروابط هو جغرافيا الوطن وحدوده ووحدة هذا التراب وعشقه و الإيمان به فوق كل معبود ومقدس ، عندما يكون الوطن محراب قدسنا الذى نمارس فيه حب الوطن والجماعة ، لن يكون هناك مجرد هاجس أو شاغل بتفكك الأمة المصرية أو غيرها لجماعاتها الأولية كما هو الحال عندما نضع الدين على سلم الأولويات الرابطة للمجتمع ، ولأن الدين لم يكن هو الذي وحد تلك الدول القديمة العريقة في الحضارة تحت حكم الخلافة الإسلامية ، إنما هو الطموح السياسي والمادي في الاحتلال والسلب والنهب وممارسة كل أنواع الظلم. وهوالأمر الذي لا يستمر أبداً ، لأن الإمبراطوريات هي توحيد قسري لأوطان تاريخية لها نظامها المجتمعي والاقتصادي وشكلها الجغرافي وحدودها ، لذلك ما تفككت إمبراطورية في التاريخ إلا لتعود الأوطان لشكلها الأول ، وما قامت إمبراطورية إلا وتفككت لأنها قامت على القهر والشوكة والغلبة ، ولم يشغلها ربط المجتمع ببعضه بقدر ما شغلها استعباد الروح والضمير في طاعة مطلقة بتحجبها وراء الدين ،

فعندما ينفرط رابط الإمبراطورية التي قامت على القهر تعود الحدود إلى أصلها بمجتمعها وخصائصه وشخصيته ، فهي عودة الشئ إلى أصله ، بل أن الإمبراطورية الإسلامية ذاتها كانت تضع ولاتها في الأقاليم حسب تقسيم هذه الأقاليم التاريخي الجغرافي الأول قبل فتحها. وهوالأمر الذي لم يشر إليه الدكتور من قريب أو بعيد ، كما لوكنا قد وجدنا وخلقنا دولاً وبشراً من بدء الخليقة ونحن جزء مدمج غير محدد بل على المشاع في دولة الخلافة ، وهوما أباح له أن يلقي بتصريحه الثقيل ، وهوأن دولنا المستقلة الحالية هي ولادات قيصرية قسرية مشوهة. فكاننا قبل الخلافة لم نكن أبداً !! ولم نوجد أبداً.

ان الدين الإسلامي حمل في داخله مبررات تفكك إمبراطورية ، فقد انطبع الإسلام بجغرافية منشأة في جزيرة العرب ، حيث الصحراء لا تعطي الحد الأدنى للحياة. ويعيش العرب حياة بدائية أقرب إلى الإنسان الأول منة إلى الإنسان صانع الحضارات ، فى شكل قبائل متحركة دوماً وراء الكلأ والعشب وعيون أو برك ومستنقعات الماء بالأحرى ، حيث أى شئ يتحرك قابل للأكل في بيئة شحيحة ضنينة ، بيئة لا تعرف ما هو الوطن ولا يكلفها أحد فوق طاقتها مما لا تعلم أصلاً ، فالقبيلة المتحركة ليس لها وطن وإنما وطنها مستبطن داخلها وهوما يسمى بالحمى ، وهوشئ معنوي يربط أفراد القبيلة بعضهم بعضا بشكل متين ، وعادة ما كان الحمى رمزاً لسلف القبيلة البعيد الذي تم تأهليه كرب خاص بالقبيلة يتحرك معها أينما تحركت ، ومع حركة القبائل عالة على الطبيعة تبحث عن طعام أو ماء جاهز ، فإنها تدخل في صراع صفري مع القبائل الأخرى يكون حتماً نهاية أحد الطرفين إما بالإبادة التامة والاستيلاء على ما يملك ، أو استسلام طرف لآخر ليدخلوا عبيداً في مجتمع القبيلة المنتصرة. لذلك كان النسب هو الحمى الظاهر الملموس المسموع ، لذلك حرص العرب ولازالوا على عدم اختلاط الأنساب حتى بين العرب فهم قبائل تعتز كل منها بنسبها فهوعزها وفخرها وشرفها ، يتحرك معها يحميها من غوائل الطبيعة أو القبائل الأخرى لأنه الحمى. لذلك عندما جاء الإسلام لم ينشغل بالمرة بشئ اسمه الدولة الوطن لأنه لم يكن في مجتمع يعرف بعد معنى كلمة دولة ، بينما ركز اهتمامه على أحوال المسلم الشتي من كبيرها كوضع الرجل والمرأة إلى صغيرها كالنظافة الشخصية فى أدق تفاصيلها كنظافة المؤخرة بعد التبرز وكيف تكون ، وليس هناك شئ عن الدولة ولا الدستور ولا مؤسسات الدولة ، لذلك وحتى في ظل دولة الخلافة من بعد ، كان العربي يقدم نسبه وقبيلتة واسرتة وعشيرتة على أى أرض كانت.

ورغم حضور الثقافة البدوية العربية مع الفتوح تركب الإسلام إلى دول الحضارات المجاورة ، و أحياناً فرض هذه الثقافة بفرض اللغة التي تحملها مع إبادة اللغات

المحلية المحلية لتضيع معها ثقافات تلك المواطن ولا يبقي لها سوى الثقافة العربية وحدها ، رغم ذلك فإن رابط الجغرافيا كثيراً ما كان يجد لنفسه وسيلة يثبت بها وجوده ، حفاظاً على المجتمع من التفكك والتشظي ، لأنه الرابط الذي يجمع الأديان واللغات والعادات والأجناس والمسيحي والشيعي والسني.

والوطن لا يقوم ولا يحدث بقرار ، فقد تنازل المصريون مكرهين عن معظم روابط المواطنة الباقية من زمن كانوا دولة حرة قوية ، وتصارعوا في شأن الدين لكنهم لم يتصارعوا أبداً على المصرية ، فالقبطي والمسلم والنوبي والبهائى والشيعى والسنى والإرثوذكسى والإنجيلى ومن بقى بها من يهود ، كل منهم يتمسك بهذه المصرية ، فإذا قدمنا الدين على سلم الروابط خاصة مع دين كالإسلام الذى ظهر في بيئة بدوية مفككة ، نكون قد قمنا ببدونة المجتمع وأعدناه إلى المنطق القبلي ، نكون قد زرعنا فيه بذور التفكيك لا التجمع أو الجماعية التي يركز عليها الدكتور سيف الدين عبد الفتاح كل التركيز كحل خلاصي. فيترك الشاب المتفوق علمه وحاجة وطنه إليه ليذهب متخفياً لينتحر في العراق عند باب كنيسة أو حسينية من أجل ما قالوا له أنه قبيلته الصحيحة ونسبة المتين وأهلة الحقيقيين الذين سيعيش معهم فى الأبدية الفردوسية ، أو لينتحر في البوسنة أو الشيشان أو كشمير أو أفغانسان عند بقية أفخاذ القبيلة المتشظية ، وهي كلها ليست وطناً بأى معنى من المعاني ، إنه يموت من أجل القبيلة ، وحمى القبيلة ورمز القبيلة ونسب القبيلة ذلك النسب الذي كان ربها وحاميها. إنه ينتحر من أجل المعنوي الذي بدأ نسباً وحمى ورباً قبلياً ، وفي الإسلام أصبح رباً للمسلمين والعالمين ، معنى لا علاقة له بأرض ولا بتاريخ ولا بلغة ، له معنى يرتبط بقبيلة المسلمين الكبرى في أى صقع كان وفي أى بلاد تعيش.

مرة أخرى أعود فأؤكد أن عامل المصلحة والمنفعة هو الذي يقف وراء ترشيح رابطة بعينة ليكون أعلى الروابط الاجتماعية ، ولنضرب لذلك مثلاً واضحاً قائماً فاعلاً هو الوهابية في العربية السعودية ، حيث نجد ظاهرة غريبة وجديدة في تاريخ المذاهب الإسلامية إذ لا يضع المذهب الوهابي نفسه على طاولة مستديرة تضم كل المذاهب الإسلامية كما هو واقع الحال مع كل المذاهب على قدم المساواة ولايقبل حتى بطاولة مستطيلة يجلس هو على رأسها ، إنما هو يصنع لنفسه طاولة خاصة يعطيها رتبة تعلو فوق اتحاد روابط المجتمع كلها بما فيها الإسلام نفسه ، لا يجلس عليها أحد غيره.

ابتدع ابن عبد الوهاب مذهباً ينكر غيره من مذاهب ولا يعتبرها في رتبته أبداً ، ثم جعل لنفسه مجموعة خاصة دون بقية المسلمين هي فقط الفرقة الناجية والمسلمون الصحاح الباقون على الدين الإسلامى الصحيح , وغيرهم كافر. ثم انفصل بجماعته

عن بقية المجتمع ، وهو نفس ما تقوم به جماعة الإخوان المسلمين عندما تسلخ عن المجتمع الأم مجتمعاً خاصاً بها يعلو فوق المجتمع الأم. لم يعجبهم الإسلام على حاله فخرجوا على الجماعة المسلمة ، وما كانت حملة ابراهيم باشا ابن محمد علي التي جردها على الوهابيين بجزيرة العرب حتى أسقط عاصمتها الدرعية ، إلا مطبقة لشرع الله ضد الخارجين على جماعة المسلمين ، ثم عادت الوهابية بعد عودة الجيوش المصرية لبلادها ، بالتحالف مع ابن سعود لتصعد مرة أخرى ، لأن الإسلام على حاله لم يحقق لهم المنافع كما ينبغي ، **فاخترعوا لهم مذهباً يحقق لهم ما يريدون وأعلنوا أن هذه هو الإسلام الصحيح وما عداه باطل الأباطيل** وقبض الريح.

ما فعله المذهب الوهابي مع المسلمين أنه تركهم بإسلامهم غير الصحيح وقام يصوغ لنفسه ديناً جديداً ، فالدين وحده هو ما يمكنة أن يقصى بقية الأديان ويعتبر أتباعها كفاراً لأنهم لا يؤمنون به ، أما المذهب فيجلس على الطاولة المستديرة للدين الواحد مثله مثل بقية االمذاهب ، قد يتشاحنون ، قد يقتتلون أحياناً ، لكنهم جميعاً لا يبارحون طاولة الإسلام المستديرة ، بينما اعتبر الوهابيون أن مذهبهم هو وحدة كل الإسلام وهو وحدة الإسلام الصحيح مما يعني أن غيرها غير ذلك ، وهكذا عندما لم يتمكن ابن عبد الوهاب بالإسلام الموجود لدى الجميع من تحقيق أغراضه ، انقلب عليه من الداخل وسلخ منه ، واقتطع جزءاً من المجتمع جعلهم سادة جدد للمجتمع لأنهم الأتباع للدين الجديد الذي مهمته هي السيادة وإصلاح شأن المسلمين بإدخالهم جميعاً حظيرته ، فيظهر المذهب كالثقب الأسود ليلتهم من بعد كل ما حوله بما فيه الدين الأم.

إذن فالرابطة الإسلامية التي يصر عليها الدكتور سيف الدين عبد الفتاح بطول موضوعة كرابطة أساس تليق بثقافتنا وهي الكفيلة بتقدمنا ، كانت على عكس ما يراه الدكتور ويريد منا الإيمان به والمنافحة عنه بما قدم مما رآه براهين على وجهة نظره ، كانت سبباً في تخلف وجهل وفقر ومرض عم الإمبراطورية كلها .

واللطيف في المسألة أن دكتورنا لا يلتفت إلي أن الرابطة الإسلامية لم تكن هي التي أقامت إمبراطورية الخلافة ، لأن الناس في البلاد المفتوحة ظلوا على أديانهم وفضلوا دفع الجزية إلى ما يزيد عن قرنين من الزمان ، وظل باق منهم نسب كبيرة من السكان حتى اليوم ، مما يعني أن سكان الإمبراطورية كان تسعون بالمائة منهم من غير المسلمين حتى زمن العباسيين ، وظل هذا الرقم يتناقص ببطء ، ومن ثم لم يكن الدين هنا عاملاً في قيام الإمبراطورية إلا بأوامره بالغزو و الفتح لنشر دين الله ، ولعودة منافع الغزوعلى العرب فيئا ومغانم وسبايا وعبيد. ظل السكان قروناً

طويلة يقاومون الأسلمة ، لأن جماعتهم تشكلت قبل ظهور الإسلام بقرون متطاولة في عمق التاريخ الإنساني القديم ، لأن الجماعة البشرية في المفهوم الإنساني وليس الإسلامي هي الأسبق في الوجود من الأديان السماوية الثلاث ، وكان كل رسول تبعث به السماء إلى جماعته أو أمته خاصة إلا محمداً الذي بعث للبشرية كافة. إذن حيث لا توجد جماعة لا يوجد أنبياء ولا مرسلين لأن مقصد الرسل هو الإنسان وليس الجبال ولا الأرض ولا حتى السماء نفسها.

إنهم يقيمون نظرتهم إلى المواطن الإسلاميه حيثما يقيم المسلمون ، حتى لوأقام مسلم واحد في بلد أصبح هذا بلداً إسلامياً ، وهوشأن لا يعلنونه لأنه سيكون مرفوضاً من كل العالم على إجماع.

والدكتور سيف وهو(أستاذ علم السياسة بجامعة القاهرة ومسؤول عن عقول ابنائنا) إذ يرشح نظام الخلافة الإسلامية كنظام أو حد يناسبنا وكفيل بحل كل مشاكلنا ، لا يلتفت إلي أن الإمبراطوريات لا تنشأ بالدعوة وبالكتابة في إسلام أو ن لاين ولا برغبة الدكتور ، وإنما تقوم على الغلبة **و وسيلتها الأولى والأخيرة تقوم علي القوة المسلحة**. فالشعوب لا تخضعها القناعات والحوارات ، فمن أراد إحياء الخلافة فعليه أن يفعل كما فعل بنوأمية بالقهر والغلبة وحد السيف ، فلا يعرف التاريخ أن شعباً خضع لشعب بغير السيف. وحديثه عن الدول شبه المستقلة التى كانت في كنف دولة الخلافة باسم (الكيانات) تحقيراً وتصغيراً ، رغم أنهم هم من أبدع أى شئ ينسبه العرب اليوم لمكتشفاتهم ومعارفهم. لم يكن للعرب في هذا الإبداع شئ يمكن وضعه في نسبة وتناسب مع ما أنتجه غير العرب. كانوا كلهم على الجملة مع استثناءات تعد على أقل من أصابع اليد الواحدة ، فارسيون أو مصريون أو عراقيون أو شوام أو مغاربة ، واخترع الفارسيون لأنفسهم مذهباً يستقلون به عن العرب وإسلامهم ، فتشيعوا من باب الإحتفاظ بالهوية والتي دعموها بالحفاظ على لغتهم. وعندما كان الدين هو أو ل الروابط ، كان كل من يريد الإنفصال يعمل لنفسه ديناً جديداً باسم مذهبى جديد ، لأن الرابط الوطني قد تم تذويبه تحت سلطان الخلافة ، فانقسمت شتاتاً ، ومع كل اختلاف يعملوا فرقة جديدة بمذهب جديد وهكذا دواليك. والسبب الرئيسي لهذه الإنشقاقات هو وضع الخلافة للدين الإسلامى كأول رابط في سلم الروابط الإجتماعية ، فعما بن عبدالوهاب وهابية وانفصل ، وغيرة عمل شيعة وانفصل ، وغيرة عمل إخوان مسلمين واستولى على السلطة وانفصل ، عمل قاعدة وأنفصل عن العالم كلة بما فية المسلمين بأفغانستان. المهم أن التاريخ يؤكد لنا أن الصدام كان حتمياً بين هذه الفرق ، لأن هذه الفرق لم تكن اكرم من صحابة النبي الذين سبق وتصارعوا على الدنيا باستخدام الدين.

وهنا لابد أن يقفز السؤال : **أى مذهب سيكون مذهب الخلافة؟** وماذا سيكون مصير سائر المذاهب؟ وهل عندما تستقل دولة مسلمة بأرضها بمذهب مخالف لمذهب الخلافة كالصوفية مثلا ، هل سيكونون كفاراً مارقين ، وماذا عن الرافضة؟ أم ستحتويهم تعددية الدكتور سيف داخل خلافة المذهب السني وحده ، والذي تبلور جميعه اليوم في المذهب الوهابي وحده ، في مختلف أصقاع بلاد المسلمين وحواضرهم.

وإعمالا لهذا كلة نصل إلى نتيجة هى أن إنزال الدين من على قمة سلم الروابط الاجتماعية هو تكريم له وتنزيه له ورفع يد العببث عنه ، وجعله بمنأى عن الإستخدام الانتهازي في صراع يضر بالمسلمين وبدينهم ، لقد أنزلت السيدة عائشة زوج النبي الدين من درجته الأولى كرابط اجتماعي عندما حرضت على عثمان وعندما شقت عصى الطاعة على الخليفة الشرعى ، فلماذا لا نتأسى بها؟ لقد انزل الصحابة بقيادة محمد ابن أبي بكر الدين من على سلم أوليات سلم الروابط وقاموا بثورتهم ضد خليفة ديكتاتور ، لقد أنزل علي بن أبي طالب الدين من على قمته عندما حارب السيدة عائشة بل وأمر رجاله بعقر جملها وهي فوقه في هو دجها ، من أجل سلامة بقية المؤمنين ، فهلا تأسينا بهؤلاء الصحابة الكرام؟

الملحوظة الهامة في كلام الدكتور سيف أنه يخلط بين معنيين لا يختلطان ؛ فهويكرر الخلط بين مفهومي الدولة والأمة التي هي جماعة المجتمع ، كما في قوله مثلاً أن الدولة العثمانية حققت جامعية الأمة ، أو كما يقول إن مفهوم الدولة القومية قد انعكس سلباً على مفهوم الأمة الإسلامية. وهو ما يتطلب التساؤل حول قيمة الدرجات العلمية في بلادنا مع الاستفار الساذج : توجد في فرنسا الآن جالية مسلمة ، فهل هي جماعة مستقلة أم طائفة ضمن دولة؟ إن الدولة تشمل عدة جماعات منها الأسرة والعائلة الكبيرة والمسلم والمسيحي واليهودي أو صاحب أى دين آخر أو بدون وكذلك الأسود والأبيض ، وتشكل هذه الجماعات الأمة ، والمجتمع بهذا المعنى هو من يشكل نفسه بمجموع هذه الوحدات ليصبح وحدة سياسية كبرى هي الدولة ، ثم وحدة سياسية أكبر هي الإمبراطورية التي تشكلها القوة العسكرية قبل أى عامل آخر. أما الدولة فإنها تقام عن قصد وغرض وتخطيط إن سلماً أو حرباً ، لتوحيد الجماعات المتقاربة بروابط متفق عليها في منظومة سياسية مركزية ، يكون سبب ما بين جماعتها من تماسك حتى ولوبالحرب ، هو الجغرافيا الجامعة لهم.

والدين الإسلامي عندما وصل كانت الجماعات موجودة من الأصل في جزيرة العرب ، ولم تكن لهم دولة توحدهم بينما كان في الجوار منهم دول أعلام يزورونها ويتاجرون معها ويعرفون بأمرها ، كان العرب موجودين كمجتمع قائم ، فأقام لهم

الإسلام دولة عن قصد وتخطيط ، أو بالأحرى شبه دولة. الأمة تستمر في الزمن لأنها تتكون من جماعات تشكل مجتمعاً لا يموت ولا يستحدث من عدم ولا يتم صنعه ، فالإسلام لم يخلق المجتمع لأن المجتمع كان موجوداً ، كل ما حدث أن الإسلام جاء فبدل في وضع الروابط الاجتماعية على سلمها ، وجعل من نفسه الرابطة الأولى المفترض ان تكون على سلم اهتمامات المسلم.

وحتى اليوم تجد الأمة المصرية هي هي من زمن مينا ، تغيرت لغتها ودينها وظلت مصرية ، فالمجتمع يحتفظ بتلقائيته بحد أدنى من الروابط حتى يمكنه الاستمرار في الوجود عبر متغيرات الزمان ، العيد الوحيد الذي يشارك فيه كل المجتمع بكافة طوائفه وفرقه ودياناته ومذاهبه هو شم النسيم الذي يعود للعصور الفرعونية.وهو اختفال عريق ببداية الحياة على الأرض ، كذلك استبقى المصري ألفاظاً مصرية تصل في بعض الأماكن كالفيوم والصعيد وسيوة وغيرها إلى نسبة ٢٠ % في المعجم العامي المصري ، كذلك احتفظ المصري بقواعد النحوالقديمة وطبقها على اللغة العربية فأصبح للعامية المصرية نحوها الخاص بها ، وعادة ما يكتفي المصري بزوجة واحدة كما كان يفعل أسلافه ، ولا تتزوج الأرملة المصرية عادة ، بينما تزوج النبي محمد (ص) ماينوف على عشر ثيبات معظمهن أرامل ، حتى التقاليد المعتادة ظلت منذ العصور الفرعونية حتى اليوم.

بينما **مهدي عاكف** زعيم الإخوان يقول : " **طز في مصر و أبو مصر و اللي في مصر**" ، و لا يعيبه ، بل هو يفخر بأن يحكمه ماليزي عن أن يحكمه مصري غير مسلم. لقد ضاع الوطن والمواطنة وأصبحوا على استعداد لتسليمه لأى أجنبي شرط أن يكون مسلماً على أن يحكم الوطن مصري غير مسلم!

لقد حكموا على **طلعت السادات** لأنه أهان القوات المسلحة المصرية بسنة سجن ، ومن أهان مصر كلها لم تتم محاكمته حتى الآن .. لعل المانع خير يا حكومة؟ . ألا يوجد في مصر كلها محام واحد محترم يرفع قضية على هذا الرجل كما يرفعون القضايا على المفكرين والكتاب.

مصر زمن محمد علي كانت قد تأكدت وتيقنت ان رابطة الدين أدت إلى تخلفها ، فأعلت رابطة الوطن والمواطنة وأعطت الدين درجة ثالثة في سلم الرابطة الاجتماعية ، لأنها رأت ذلك في مصلحتها. ومثلها اليوم دول الخليج أنشأوا ناديا للأغنياء لا علاقة له ببقية المسلمين ، وتضع في ناديها هذا (مجلس التعاون) مصالحها الوطنية في المقدمة ولا تضع الدين رغم وجود السعودية حيث جغرافيا الإسلام وتاريخه ، كأكبر الأعضاء في هذا النادي.

ثم ماذا لورفضت دول الخليج الخلافة التي يدعونا إليها الدكتور سيف ، والمؤكد أنها سوف ترفضها ، بدليل أن ناديهم الخاص بهم للأغنياء فقط له عائد وثمار تعود عليهم فقط. فهل ستقبل السعودية مثلاً ان تخلط ميزانيتها بميزانية مصر المالية ، ونحن مستعدون كمصريين أن نبايع جميعاً خليفة سعودي من عندهم. هل تقبل السعودية؟ ام هو كلام لا يثمر ولا ينتج يلقيه علينا الإسلاميون إلقاء دون أى قراءة لواقع اليوم على أرضه ، من باب تجييش المجتمع تمهيداً لتفكيكه وانهياره بالكلية.

لوكان رابط الدين بهذه الأهمية التى تعطيه إياه الإخوان والدكتور سيف وكل الإسلاميين ، ما حدثت حروب بين الصحابة الأكارم ، لوكان الدين هو الأعلى في سلم الروابط ما حدث مجازر لحقت بآل البيت ، ولا تطهير عرقي حملت بعدة ألف عذراء من بنات الصحابة في مدينة رسول الله ، وما أحرق الصحابة الكعبة ، لأنهم كانوا سيتفقون بالتمام والكمال على دينهم الذي لا خلاف حوله ، فقد كانوا هم أجلة صحابة النبي ومنهم اهل بدر الذين غفر لهم الله ما تقدم من ذنبهم وما تأخر ، ومنهم العشرة المبشرين بالجنة ، ومنهم امهات المؤمنين ، أى القمم الشوامخ لرجال ونساء الإسلام الأوائل الذين لن يجود بمثلهم الزمان مرة أخرى لارتباطهم بزمن النبوة ولا نبي بعدها ، ولم تكن هناك مذاهباً مفرقة قد ظهرت بعد ، وكان الدين واحداً وكان مفترضاً بحضورهم الزمن النبوي أن يكون تفسيره وفهمه عندهم جميعاً واحد ، **ومع ذلك قاتل كل منهم الآخر متخذاً من الإسلام الدين الكامل درعاً له ولمصالحة الدنيوية الزائلة.**

إن المنفعة كانت هى الأعلى في سلم كل الاهتمامات ، والمنفعة الدنيوية المادية المحض ، والأكرم لهم القول أنهم حاربوا على الدنيا من أن نقول أنهم يؤمنون بدين واحد ويتحاربون به انتهازياً ونفعاً. كان الدين رابط فقط من باب الإعلان والترويج كشعار جذاب لجلب الزبائن لهذا الفريق أو ذاك.

أما البؤس الذي يعانيه الدكتور سيف وأقرانه من كل فرق التأسلم وتعازيهم المستمرة لسقوط الخلافة العثمانية ، فهوليس فقط غير مفهوم ، بل أنه يشي أنهم على استعداد للتضحية بأى شئ حتى لوكان مستقبل الأوطان وخراب العمار ومزيد من التخلف وعودة الظلم والطغيان مقابل عودة الخلافة.

كل هذا ليس بحسبان الذين يألمون اليوم لسقوط هذه الخلافة البشعة بكل المقاييس ، لا يشغله البشر المسلمين في كثير أو قليل. لقد جعل العثمانيون كل الإمبراطورية تدفع الجزية غير مسلمين ومسلمين.

يقول الدكتور **حسين فوزي النجار** في كتابه الإسلام والسياسة (دار المعارف ط ٢) أن نظاماً بائساً نشأ مع بدايات الخلافة الإسلامية ، حيث كان العرب الفاتحون بمنجاة عن الجباية ومظالمها ، وهوما دفع الشعب المصري إلى اللجوء للعرب فينزلون لهم عن أراضيهم طواعية ، ليكفوا عن أنفسهم التعذيب ، ولا يكون لهم طبقاً لهذا النظام إلا حصة الزراع في الغلة ، وبتوالي السنين تصبح الأرض ملكاً للعربي الملجوء إليه. ويقول بن خلدون وابن الفقيه عن نظام الإلجاء: "وقد بدأ الإلجاء في عهد الأمويين وإمتد إلى أيام العباسيين ، وأصبح ما يملكه رجال الدولة والأمراء أضعاف أضعاف ما يملكه عامة الشعب ، بينما بلغ ضآلة ما يضرب منه للجباية أقل مما يجبى من الفلاحين المواطنين على قلة أراضيهم وفداحة ما يضرب عليها فتحول الناس إلى أقنان".

ثم يقول لنا الدكتورسيف وبطانته ان الإستعمار الغربي أسقط خلافتنا العظمية وأنشأ في بلادنا احتلالاً استيطانياً ، وهوما يخص فلسطين وحدها فقط كما نعلم ، لكن أليس الإلجاء في النهاية هو نظام احتلال استيطاني دفع الناس للتخلص من أرضهم لصالح الغازي الجابي الذي لا يرحم ، والذي ظل لا يرحم ولا يعدل ففرض على ما بيد المواطنين من أرض ضئيلة تمسكوا بها ، أضعاف أضعاف ما كان يؤخذ جباية من السادة العرب رغم أنهم حازوا معظم الأرض بنظام الإلجاء ، في عملية طرد لأصحاب الأرض للإستيلاء عليها بمساندة القانون والشريعة. **أم هو حلال للخليفة حرام على الاستعمار الغربي لأنة ليس مسلماً.**

أليس ذلك سوء استغلال من السلطة الحاكمة القامعة الظالمة للدين الذي أتت به واستندت إليه لاستنزاف بلادنا. وهل شرع الإسلام للخلافة المقدسة بحق قدسيتها استغلال الشعوب واستيطان أراضيهم بعد طردهم منها. يقول بن الفقية على لسان الفضل بن يحي : " أصبح الناس أربع طبقات ، ملوك قدّمهم الاستحقاق ، ووزراء فضلتهم الفطنة والرأي ، وعُلية أنهضهم اليسار ، وأوساط ألحقهم بهم التأدب ، والناس بعدهم زبد جفاء وسيل غثاء لكع ولكاع وربيطة إقناع همّ أحدهم طعامه ونومه ".

فهل هذا هو المجتمع الذي يدعونا إليه الدكتور سيف ويتمنى عودته في ظل خليفة مقدس؟ وفي أى طبقة ترى سيكون موضع الدكتور سيف ، وهوبلا حسب عربي معروف ولا نسب قرشي ولا حتى يمني ، وليس ابن الأكرمين من الصحابة ، إنما هو مصري وضعه الطبيعي والشرعي القانوني بين الموالي ، وستكون نساءه جميعاً تحت حق السبي في اى وقت تضعف فيه الخلافة ، لتغزونا خلافة أخرى تطبق السبي والاستعباد والقتل ، ألا يرى الدكتور وأقرانه إلى أين يذهبون بنا وبأنفسهم؟

ألا يرى الدكتور سيف غرائب التاريخ في بلادنا؟ الايرى أن أهل الجزيرة أنفسهم هم من ساعد بذراع طويلة في إسقاط الخلافة بالتحالف مع الإنجليز ، مع وعد بتمليك العرب على كل ما يتم تحريره من الخلافة ، فأصبح فيصل ملكاً في العراق والأمير حسين على مكة والحجاز ثم أعطوه بعدها الأردن. أليس من مدهشات التاريخ أن البلاد التي خرجت جيوشها لتقيم أو ل خلافة في القرن السادس الميلادي ، هى ذات البلاد التي خرجت منها الجيوش في القرن العشرين لتدك عرش آخر خلافة وتقيم دولاً مستقلة. ولمزيد من الإدهاش يفاجئنا التاريخ أن من هدم تلك الخلافة هم من صلب جماعة المسلمين الأولى ، فهم من نسل القرشيين الأشراف ، هم كما في حال أشراف مكة الذين حكموا ملوكاً على دول مستقلة بعد إسقاطهم الخلافة ، في العراق والأردن ومكة والحجاز. إن أصحاب الخلافة وأبناء الخلافة وصانعي الخلافة هم من دكوا الخلافة بحسابات المصالح للإستقلال عن الخلافة .

والملحوظ الواضح أن استقلال الدول الإسلامية عن التبعية لدول الخلافة لم يتسبب بأى ضرر للدين الإسلامي ، لأن هذه الدول المستقلة هي التي حافظت على بقاء الإسلام ديناً قوياً متواجداً ، يشهد على ذلك أزهر مصر وزيتونة تونس وقيروان المغرب ونجف العراق وقم إيران. ثم يشهد بأعلى الصوت رجال الأزهر ودكاترته الذين تم بعثهم إلى جزيرة العرب ليعلموا أهلها الإسلام ويعيدوا تثقيفهم به.

كانت الكسوة الشريفة تخرج من دار الكسوة المصرية بابرع فن يدوي إسلامي من نوع خاص ونادر بين فنون العالم ، وأوقاف الحرمين ، والتكية ، إنها مصر المستقلة التي تحب الإسلام لكنها أيضاً تحب الحرية ، ومن الحرية أنها سترفض دفع الجزية مرة أخرى لدولة أخرى ، ولن تأخذ الجزية من مواطنيها ، إن مصر دولة قومية استقلت بعد سنوات طوال من موقعة مرج دابق التي هُزم فيها المصريون أمام العثمانيون ، ولم تكن مرج دابق حرباً في سبيل الدين ولا غزواً في سبيل الله ، لقد كانت استعماراً تركيا جاء يطلب عرقنا ويمتص دماءنا في شكل خراج وجزية.

الدولة القومية في فلسفة الإسلاميين (٣)

يقول أستاذ العلوم السياسية الدكتور سيف الدين عبد الفتاح في دراسته عن سبب الرفض الإسلامى للدولة الوطنية القومية المعاصرة التي نتابع مناقشتها هنا : " إنه من البداية نؤكد على أن معنى الجماعية أو الجماعة في مفهوم الأمة الإسلامية غير نافية للتعدد وغير مانعة من انضواء عقائد أخرى ، أو ما استقر على تسميته بغير المسلمين في الدولة الإسلامية. ومن المهم أن التصور الإسلامي للمعمورة قام على قاعدة دار الإسلام ، تحكمهم قواعد نظام عام واحد وتجمعهم قبلة واحدة ، ومن ثم كان التعدد في ذلك الوقت يعني خروجاً عن الأصل الذي أقره الفقهاء ".

كلام واضح ومحدد ، لكن بعين متأنية يمكنك أن تكتشف داخل هذه الكلمات القليلة الكثير من الفخاخ اللفظية بإستخدام ألفاظ ذات دلالات محددة بعينها لتدل على معان ومقاصد بعكس الدلالات الأصلية في اللفظة ، لأن اللفظ هو ابن التاريخ و ابن الواقع الذي يعطيه المعنى و الدلالة.

ومثل تلك الفخاخ والمتاهات اللفظية أصبحت سمة في الخطاب الأصولي والديني عموماً. تعالوا نفهم ما كتب مرة أخرى في تأكيده على مفهوم الجماعية (الجماعة) في مفهوم (الأمة الإسلامية) ، لنجد أستاذ علم السياسة بيقول أى كلام في أى حديث ، وأنه يستخدم الألفاظ بغير مدلولاتها عن قصد ورغبة اعتادوها في خطابهم على الناس ، حتى باتت تلك الألفاظ تحمل دلالاتها المشيخية وأغراضها الدينية بشكل معتاد ، حتى أمست تبدوحقيقة بينما يتم استخدامها للدلالة على أشد الأمور بطلاناً ، بل للدلالة على مدلولات غير موجودة أصلاً.

والفخ الواضح لكل ذي عينين إعلانهم القبول بالتعدد داخل الجماعة المسلمة السياسية حتى لوكان تعدداً عقدياً ، ولا تفهم كيف ستنضوي عقائد كالمسيحية أو اليهودية تحت عنوان (الجماعة المسلمة) ، خاصة مع اعترافه الواضح أنه خلال الأزمنة السوالف التي يطلق عليها عبارة (في ذلك الوقت) ، كان التصور الإسلامي للمعمورة يقوم على قاعدة دار الإسلام ودار الكفر أو ديار السلام وديار الحرب ، وأن ديار الإسلام لم تقبل فقهياً بالتعددية في ذلك الوقت (الذي لم يحدد لنا أين بدايته وأين نهايته) لأنها كانت تعد كما قال خروجاً على الأصل الذي هو : قواعد إسلامية واحدة وقبلة واحدة.

وهكذا يبدأ الدكتور سيف زمن المعاصرة ليحدثنا بلغة الحداثة دون أن يحدد لنا بوضوح زمن انتهاء القديم الذي لم يكن يسمح بالتعدد ، وزمن بداية الجديد الذي سيسمح بالتعدد ، ولماذا يسمح اليوم بالتعدد؟ هل تغير الفقه؟ أم تم إلغاؤه؟ أم تغيرت

القبلة الواحدة؟ أم تغير المسلمون؟ وإذا كانوا قد تغيروا **فهل معني ذلك أن القديم المقدس كان هو الخطأ؟**

إن مفهوم دار الإسلام وهي دار السلام ، ودار الكفر وهي دار الحرب ، مفاهيم إسلامية ظرفية ظهرت زمن قوة العرب ، وهي القوة التي حضرت في التاريخ نتيجة ضعف القوى الأخرى في محيط الجزيرة الجغرافي ، فتمكنوا من الغزو و الإحتلال وانتزاع الأرض من أصحابها بحجة إيمانية لا منطقية ، وهي أن أصحاب الأرض كفار لا يحق لهم الامتلاك ولا الحكم ولا حتى الحياة إلا بشروط الغازي العربي.

واليوم لا يملك العرب ولا المسلمون جميعاً تلك المقومات التي أدت لظهور مفهوم دار الحرب والسلام ، لأنهما كانا نتيجة مقدمات لم تعد متوفرة اليوم لتؤدي إلى تلك النتائج. إن العصر الحديث جاء بمفاهيم بديلة هي دار الحداثة ودار التخلف ، أو دار العلم و دار الجهل ، أو دار العافية ودار المرض ، أو دار المنهج العلمي في التفكير و دار الأساطير ، أو دار الحرية و دار الاستبداد ، أو دار الجمال النفسي و السلوكي و دار القبح على كل المستويات. إن الدولة بالمعنى الحديث ، وبالمعنى القديم الما قبل إسلامي ، قبل أن يحتلها العرب ، هي الدولة القطرية ذات الحدود الواضحة دولياً وإقليمياً يعيش فيها مجتمع متعدد الثقافات والأعراف والألوان ، لأنه من المستحيل علمياً القول بمجتمع من عرق واحد ذا ثقافة واحدة. و المجتمع بأرضه وحدوده و عروقة المتعددة و أديانة المتباينة هو ما يسمى دولة قومية أو وطنية قطرية ، لكن الإسلاميين يرفضون مثل هذا التعريف للدولة ، بل هم يرفضون معنى الدولة ذاته. وإزاء ما ينشأ من تناقض حاد بين المفهومين الإسلامي والمحدث الذي فرض نفسه على العالم حتى توارى المفهوم الإسلامي لأمة خلافة كبرى ، وأصبح من الماضي. يحاول هنا الفلاسفة الجدد للتيار المتأسلم استعادة المفهوم الإسلامي القديم بصبغة حديثة يزعمون أنها ستراعى التعدد بداخلها ثقافات أو أعراق أو ديانات.

إن المغالطة هنا تظل نوعاً من التلبيس الذي ينسبونه هم إلى أبليس حتى أنه تجسد بيننا وعشش في عقولنا وأصبح للمسلمين سيداً في شكل جماعات إسلامية. وسنجد هنا تلبيساً بارعاً ومخاتلة مدروسة ومصاغة في قوالب معاصرة يسهل لها التسلل إلى العقل المعاصر والتعامل معه بالأساليب المحدثة ، لتمرير القديم إليه وفق شكل يبدوحداثيا مقنعاً ومنطقياً وهوأبعد ما يكون عن ذلك. لوكان هدفهم الإسلام ما سلكوا مسالك الشيطان وسبلة التى بين أيدينا هنا بأقلامهم .

أول تلبيس هو في تقديمة مفهوم الجماعة الإسلامية كما لوكان أمراً متفقاً عليه ومنتهياً كمقدمة ينتقل بعدها إلى النتائج التي يريدها ، بينما تعريف الجماعة الذي يدل على هويتها لا يتم إلا بالجماعة نفسها ، فالجماعة هي التي تقرر شكل وصفة أعضائها وهويتها ، فتقرر من ينتمي إليها ومن ليس عضواً فيها.

والجماعة الإنسانية ابتداء من أبسط صورها هي (الأسرة) التي تقوم بتعريف نفسها ابتداء ، ثم مجموع الأسر الذي كان في تاريخه القديم يشكل القبيلة البدوية ، وكانت بدورها هي من يقرر إن كان هذا الشخص عضواً فيها من عدمه. وكان قصد القبيلة المتبدية من صنعها لنفسها تعريفها المعنوي والمادي ، هو حماية كيان الجماعة وهويتها. لذلك لم تكن تسمح لغريب عنها أن يخترق حدودها التي توافقت عليها سواء كانت تلك الحدود معنوية أو مادية. لأنها ببساطة لا تملك أرضاً ولا تستقر في مكان واحد.

و بسبيل تقوية ذاتها تقوم بدعم كلي للجانب المعنوي فتعلم أفرادها الإعنزاز بالنسب والأصل والسلف الذي هو إعتزاز بالنفس والذات التي يعبر عنها هذا النسب المتصل. وكان هذا الاعتزاز يصل إلى حد عبادة الأسلاف من باب تقوية التماسك بين أعضاء الجماعة. لذلك كان البدو يحفظون أنسابهم حفظاً لبقاء الجماعة وعدم ذوبانها في غيرها , أو ضعف الولاء والإنتماء بشكل يهدد وحدتها وتماسكها فتنحل وتضعف وتفقد قوتها إزاء جماعات أخرى , وهوما يعني فقدانها لسيادتها وكرامتها ، وهوما كان يؤدي في الأزمنة السوالف إلى استعباد أفرادها من قبل آخرين ، وأجلى صورة لهذا الشكل للجماعة كان في جزيرة العرب في الزمن الما قبل إسلامي وإلى أجل طويل بعده يستمر حتى اليوم في القرن الحادى والعشرين ، ولأن الجماعة البدائية البدوية لم تكن تعرف الوطن وحدوده ، لإنها لم تكن تعرف الاستقرار ، وتعتمد بالكلية على عطاء الطبيعة العشوائي المتنقل والمتقطع لصحراويته ، فقد استمر هذا الشكل من الجماعات الإنسانية لمدة أطول عن نظيره في المجتمعات النهرية , التي انتقلت من مرحلة الصيد المرتحل والسعي وراء خيرات الطبيعة , إلى اكتشاف الزراعة ومن ثم الإستقرار فالتمدن ، فعرفت معنى الوطن وحدوده وهويته مبكراً بالقياس على حياة البداوة التي استمر فيها الإنسان عالة على الطبيعة ، مرتحلاً دوماً وراء عيون الماء والكلأ فلم تعرف الجماعة البدوية معنى الوطن ، لذلك كان تركيزها وتأكيدها الشديد على الجانب المعنوي : النسب والثقافة وأطلقوا على ذلك إصطلاح (الحمى) الذي يتحرك معهم أينما كانوا في حمى الأسلاف الأرباب الذين ينتسبون إليهم , كمقابل لإصطلاح المواطنة في البلاد الخصيبة النهرية. وهكذا كان أخطر ما يمكن أن تتعرض له الجماعة البدوية هو الغزوالثقافي والعدوان المعنوي ، لذلك كانت تصد ذلك بشدة وقسوة إذا ما

وجدت أحد أفرادها لا يسلك بموجب ما اعتادت تقاليدها المتوارثة عليه منذ وجدوا آباءهم وأجدادهم ، وهوما يشكل هو ية الجماعة القبلية. فالحمى من ثقافة وعادات وتقاليد ونسب في بيئة ندرة شحيحة هو السبيل الوحيد لحماية القبيلة وشخصيتها المستقلة ، وهوذات الموقف الذي يتخذه المتأسلمون من ثقافات عالم اليوم كحفرية حية لزمن أصبح من الماضي البدائي العتيق.

وعندما كانت القبيلة تتعرض لعدوان ثقافي شديد ، كانت تضطر أحياناً للتنازل عن بعض محددات الحمى مع الإبقاء على حدود دنيا من محددات هويتها القديمة حتى لا تذوب في غيرها.

والأمة هى الجماعة البشرية الأكبر عدداً ، والتي تضم قبائل وعشائر وأفخاذ وبطون توافقت على الحدود الدنيا بينها وقبلت بها محددات لهويتها.

وللتوضيح (مع بعض التجاوز) يمكن القول ان النوبيين مثلاً هم أمة قبلت نتيجة للغزوالعربي بالإسلام ديناً وباللغة العربية ، لكنها احتفظت بلغتها الخاصة إلي جوار العربية ، وبكثير من عادات الأجداد وتقاليدهم حرصاً على هويتها لذلك بقيت مستمرة حتى اليوم.

والأكراد أمة والأمازيغ والترك والفرس أمم غزاها العرب المسلمون ، لكن كل منها احتفظ بمحددات تميزه ، فمثلاً اختار الفرس المذهب الشيعي محدداً مميزاً واحتفظوا بلغتهم لإظهار شخصيتها وهويتها المستقلة.

وفي مصر تمسك المصريون بقواعد لغتهم المصرية القديمة نحواً وصرفاً وتكلموا العربية وفق قواعدهم الخاصة منشئين العامية المصرية ، واحتفظوا بألاف المفردات من زمن الأجداد في مصر القديمة ، وبكثير من العادات والتقاليد والاحتفاليات الخاصة بهم وحدهم كشم النسيم وسبوع المولود وأربعين الموتى وأكل الفسيخ في الأعياد والتقويم القبطي للزرع والحصد ، حفاظاً على هو يتها من الضياع. وكان ذلك يتم من قبل أبناء الأمة بشكل ميكانيكي تلقائي رغم محاولات الطمس المقصود من الغزاة العرب لهويات الأمم المفتوحة جغرافياً وثقافياً. وما أن خف الضغط بسقوط الخلافة حتى استعادت معظم هذه الأمم هو يتها وحدودها الجغرافية منذ مينا الفرعون الأول في مصر أو منذ سرجون الثاني في العراق.

وإعمالاً لما سلف نصل إلى نتيجة صنعها التاريخ ، وهوأن الجماعة الإنسانية لا تنشأ بقرار كما يرى الدكتور سيف عبد الفتاح وأهل بيتة الأيديولوجى من الإسلاميين ، ولا كما يريدون ، الجماعة لا تنشأ بإرادة فرد ولا بقرارجماعة

كالإخوان المسلمين ولا حتى بظهور دين بعينه ، وإلا اختفت باختفاء الفرد المنشئ لها أو الدين الذي قامت عليه.

وليبان ذلك كمثال قبيلة قريش صاحبة الدين الإسلامي ذاتها ، كانت جماعة بشرية قائمة قبل الإسلام عندما كانت مكة معقلاً للوثنية ، وظلت قائمة عندما أسلم بعضها وظل أغلبها مشركاً ، وظلت قائمة بعد أن أسلمت جميعاً. وحافظ الإسلام على استقلالية قريش وهويتها عندما قال: "جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" ، وبالحديث النبوي: "الإمامة في قريش". وعليه فإن الإسلام كدين (بغض النظر عن سيرة الصحابة والفاتحين فهم بشر لهم ما للبشر وعليهم ما على البشر) ، الإسلام لم يأت ليهدم المجتمعات البشرية بقرار سيادي كما يريد أنصار عودة الإمبراطورية الإسلامية ، بل هو يحترم هويات الأمم والشعوب بل وحتى القبائل.

نعود إلى تلبيس إبليس ، فنجد تلبيساً في التعريفات والمفاهيم ، فالأمة والجماعة والمجتمع شأن سابق على ظهور الأديان ، فمصر كمجتمع وأمة كانت موجودة قبل موسى ويوسف ويسوع ومحمد وغيرهم ، ولم ينشئها أحد منهم ، ولم يتم نسبتها إلى أى منهم ، وإلا كنا نسبناها بالأحرى إلى موحد القطرين مينا فقلنا مصر الميناوية مثلاً ، قياساً على الشكل القبلي للدول الأموية والعباسية والطولونية والإخشيدية والحمدانية ..إلخ.

وقد أدرك العربان مبكراً أن الإسلام لا يشكل أمة ولا ينشيء دولة ، لذلك نسبوا الدول إلى أنفسهم وحتى اليوم كما في السعودية مركز الإسلام ومنبعه ومالك جغرافيته وتاريخه ، فلم يتم نسبة البلاد للإسلام بل لإبن سعود. كالمسلك القبلي القديم بالإنتساب إلى الأجداد والنسب والحمى.

وعليه فإن تعبير (الأمة الإسلامية) تعبير بلا مفهوم وبلا تاريخ في أشتات بقاع الأرض ، بالمعنى القبلي القديم المنتسب إلى ثقافة واحدة ، رغم تشرذم المسلمين في كل الأرض من أمريكا حتى الصين ، كل منهم ينتمي إلى أمة اجتماعية معروفة ومعرفة من قبل ظهور الأديان ، لأن الأديان ظهرت في الأمم والأمم هي الأصل والأساس ، هي حاضن الأديان وليس العكس كما يحب الدكتور سيف وجماعته الذين يضعون العربة أمام الحصان ، ويريدون أيضاً نسخ القرآن "و جعلناكم قبائل وشعوباً لتعارفوا" .

إن الدكتور سيف ورفاق دربه يستخدمون المصطلحات لغير مدلولاتها بقصد خدمة هدف واحد هو كرسي الحكم ، ويخلطون المجتمعات المختلفة بمعنى الأمة الواحدة

ذات المجتمع الواحد مصبوغة بالإسلام كموحد للمجتمعات المختلفة والأمم المختلفة والدول المختلفة ، بما لا يفي في النهاية باستنتاج علمي واحد سليم.

إن مصطلح (الأمة الإسلامية) إذن هو تعريف ديني وليس تعريفاً اجتماعياً أو سياسياً ومن ثم فهوغير منشئ للدولة التي هي اجتماع وسياسة. إن الأمة المنشئة للدولة يلزم أن تكون في حيز جغرافي واحد ، وأن تكون ذات منشأ طبيعي لا صناعي مكتسب ، وأن هذا المنشأ الطبيعي قد استغرق في تكوينه قروناً متطاولة بعملية تدريبية تطورية دون أية ضغوط أو غزو أو فتح ، وروابط الأمة هي اقتصادية أمنية اجتماعية تصب جميعاً في نفع الجماعة ، مما ينشأ عنه توافق في العادات والتقاليد تتيح للفرد حرية الإنتقال داخل امته والتزاوج بين أفرادها بسهولة دون إجبار أو ضغوط.

الأمة الفارسية كانت أمة قبل الإسلام ومعه وكانت قبل الإسلام تشكل إمبراطورية خضع لها الشام ومصر وأمم أخرى ، وظلت أمة إمبراطورية في شكل سياسي. ومثلها الأمة المصرية وغيرها. هم أمم اجتماعية المنشأ بشكل طبيعي بروابط أنشأتها الجماعة لتطور طبيعي لنموالمجتمع ، وليس بفعل جيوش ضاغطة أو إمبراطوريات حاكمة.

إن مصطلح الأمة الإسلامية هو شئ بلا معنى ، هو من لغوالكلام وخلل التفكير وغياب أبسط آليات التفكير المنطقي البسيطة.

هذا ناهيك عن خطأ التعريف (الدولة الإسلامية) من الأساس. فالدولة عبر تاريخها القديم الابتدائي الأول كانت دولة دينية فعلاً ، لأن ذلك كان يناسب ظرفها الابتدائي الأول ، لأنها كانت وثنية ، والوثنية كانت تعني توافق المجتمع على آلهة بعينها تتفق مع بيئاتهم وظروفهم ، فتجد مصر مثلاً تقدس سوبك التمساح لوجوده في نيلهم بوفرة ، بينما بدوالجزيرة يقدسون الخروف ، ومصر تقدس من ظواهر الطبيعة أعظمها الشمس لدورها الهام في نضوج المحصول ودورتها الفصلية في البذار والحصاد ، بينما بدوالجزيرة كانوا يقدسون القمر لدوره في إضاءة ليل الصحراء المقفر الموحش ، كانت الأمم تصنع أربابها بنفسها لنفسها بما يوافق جغرافيتها ومصالحها وطريقة تفكيرها ومتطلبات عيشها ، كذلك لم يحدث أن وقع صراع اجتماعي في المجتمعات الوثنية بسبب الدين ، لأن الدين كان من إبداعهم على التوافق بينهم ، أما الأديان الكبرى كاليهودية والمسيحية والإسلام المنسوبة إلى رب كوني فإنها ذات طابع صراعى لأنها لا تجيز اعتراف بعضها ببعض ، فلا يمكن وصف الدولة ذات الأديان الكبرى المتعددة بأحد هذة الأديان وإلا وقع الصراع بين اطراف هذا المجتمع ، صراعاً لا زال يطل برأسه كل يوم حتى اليوم في بلادنا.

لأن تلك الأديان لم يتم التوافق الإجتماعي والتواضع الشعبي عليها ، وليست بنت بيئته الوطن التى يتشارك فيها جميع المواطنبن ، إنما هي جاءت جميعاً من خارج الحدود وتم فرضها فرضاً على مختلف الأمم المفتوحة.

ومع دين الإسلام نجد أن هناك رباً واحداً ، ونبياً واحداً ، وكتاباً مقدساً واحداً ، ومع ذلك لا نستطيع أسلمة المجتمع أو الدولة ووصفها بالإسلامية إذ ستتفاقم المشاكل المجتمعية ، كنتيجة لعدم إجماع المسلمين أنفسهم ، واختلافهم في شئون ليست من البسائط الهينات ، بل هي من العظائم الكارثيات ، اختلفوا حول الله وصفاته وشب بينهم الخلاف والتكفير وما يتبعه من الإقصاء والموت والتدمير ، حتى تكاد تجد في الإسلام أكثر من رب ، عندما تطالع الفرق والمذاهب وكيف ترى رأيها في هذا الرب الذي كان في البدء واحداً فعدده المسلمون وتفرقوا حول آلهة شتى لا تلتقي أبداً ، مع إصرار كل فريق على صحة وجهة نظره مابين منزهة ومشبهة ومعطلة ومرجئة وجبرية فأصبحوا مللا ونحلا.

لن تجد تعريفاً واحداً فقط للإلة متفق عليه بين هذه الفرق رغم أنه الواحد الأحد الفرد الصمد ، فقد صار له أكثر من وصف وتعريف لدى كل فرقة ، واختلفوا حول القرآن الواحد فصارت له تفاسير تتضارب بالكلية ولا تلتقي بحال ، وقال بعضهم بالنسخ في الوحي كما قرر القرآن ، وأنكره آخرون ، وبعضهم احتسب المتشابه محكماً وآخرون احتسبوا المحكم متشابهاً ، ولم يجمعوا على آيتين ، ويحدثوننا عن إجماعهم وإجماع المسلمين على ضرورة قيام الدولة الإسلامية الواحدة الجامعة كحل لهوان المسلمين وضعفهم ، بينما الأصل لهذه الدولة المنتظرة الذي هو (الإسلامية) لم يتفق المسلمون حول مفرداته وتفاصيله بل اختلفوا حتى بادت فرق بكاملها بحد السيف ، وما بقى منهم في زماننا يبيدون بعضهم بالمتفجرات الحديثة وبالصواريخ عندما تحين الفرصة وتتهيأ الظروف. لم يختلف الوثنيون لأنهم من صنعوا آلهتهم بأيديهم وأقاموا إمبراطوريات عظمى هي درر تاج التاريخ الإنساني ، بينما أبناء الدين الواحد والكتاب الواحد والرب الواحد يقتلون بعضهم بعضا على أدق التفاصيل ، ويريدون إنشاء الأمة الإسلامية الجامعة !!! من أول وجديد !!!.

لقد ركب العرب الإسلام عندما جاءوا لفتح بلادنا بقيم العرب لا بقيم الإسلام ، وبعادات العرب وليس بآيات القرآن ، فظلوا قبائل. وسرت عدوى القبلية إلى الشعوب امفتوحة المتماسكة كدول وأمم من فجر التاريخ فكانت النتيجة ان تفكك تعارفهم وانحلت مجتمعاتهم.

إن الإسلام لم يأت لينشئ دولة ، ولا ليقيم إمبراطوريات ، ولا علاقة له بالوحدة والتعدد الاجتماعي ، ولم يعرف أصلاً معنى كلمة دولة ، وكانت الدولة عنده هى

تداول الأزمان والأشياء اى تحركها وتبدلها " وتلك الأيام نداولها بين الناس " ليس أكثر. ومع ذلك يتقدم فلاسفة التيار الإسلامي المعاصر بلا وجل ، ليستخدموا مصطلحات الآخرين بحسبانها مصطلحات إسلامية .

ويحدثوننا عن شئ ليس في مرجعهم المقدس أى بيان بشأنه ، ويحدوثوننا عن الدولة رغم وصف أنفسهم بالإسلاميين ، أى المتميزين بخلق الإسلام عن غيرهم من فاقديه ، لكنك لا تجد هذا الخلق واضحاً لديهم ، لأن استخدام ألفاظ غريبة على الإسلام بحسبانها ألفاظاً إسلامية ذات دلالة إسلامية كالدولة ، هو تزوير وتدليس وغش للمسلمين والإسلام. ولا يحق لأحد أن يعبث بمنتج شعب آخر فهذا جرم قبيح فالدولة ليست منجزاً إسلامياً. واستخدام مصطلح دولة يجب أن يعود لأصحابه ، سواء مصطلح الدولة في التاريخ القديم ، أو مصطلح الدولة في المفاهيم الحديثة والمعاصرة ، لكن الدكتور سيف يلبس علينا مصطلح الدولة كما لبس علينا مصطلح الجماعة. أليس أستاذا فى فن السياسة ؟

إن الدولة القديمة ذات الدين الوثني والتي كان شعبها هو من يضع دينه لنفسه ويشكل تفاصيله حسب مصالحه ، ويصور آلهته حسب ثقافته وتصوراته وأخيلته التي حددتها له بيئته ، والتي كان شعبها هو من يضع لنفسه عاداته وتقاليده بنفس الطريقة ، وألوان مأكله ومشربه وملبسه وعلاقاته بمجتمعه وبغيره ، والتي كان شعبها هو من يبتكر لنفسه أساليب التواصل بآلهتة و كيفية العبادة ، وهومن يحدد مطالبه من هذه الألهة ، تشكل هذا المجتمع منذ فجر التاريخ اجتماعياً وطبيعياً في شكل دولة واحدة تضم أمة واحدة ، فإن توسعت فلتشكل إمبراطورية. وضمن هذه الإمبراطورية تظل الشعوب محتفظة بهويتها الاجتماعية والدينية دون قسر أو فرض ، فكان الخضوع قبل الإسلام قاصراً على الخضوع الإداري والسياسي فقط.

وفي العصر الحديث تكرر ظهور الإمبراطوريات على النسق القديم ذاته ، كما حدث مع الإمبراطورية الإنجليزية التي لا تغيب عنها الشمس ، والفرنسية والأسبانية في العصر الصناعي. و دولة الفتوحات العربية ضمت بدورها أمماً عدة كان العرب والمسلمون فيها أقليات ، ضمت الخلافة الأمة المصرية والفارسية والعراقية والشامية والكردية وجزءاً من المغولية ، وظلت تلك الأمم محتفظة بهويتها فترة حتى بدء القسر بالتغول في الجباية وفرض اللغة العربية في الأمصار ، ومع الفقر والإفقار والمذلة وعهد الذمة العمري ، بدأ أبناء هذه البلاد يدخلون إلى الإسلام هرباً من جباية لا يستطيعونها فانتشر الإسلام محدثاً التضارب بين هذه الأمم وليس الذوبان ، فهوما لا يستطيعه دين من الأديان ، لأنه ضد الطبيعة وضد سير التاريخ وضد النظام الإجتماعي نفسه.

والدولة الواحدة قد يتكون شعبها من امة واحدة أو من عدة أمم أو جزء من أمة ، فالاتحاد السوفياتي كان أمماً عديدة جمعتها ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية عسكرية أو سياسية أو اقتصادية ، وعندما تغيرت الظروف تفكك الاتحاد السوفياتي وعادت الأمم للظهور وهوما حدث من قبل للإمبراطورية الإسلامية عندما تفككت فعادت الأمم الأصيلة للظهور مرة أخرى. بل أن الإسلام لم يتمكن من إذابة الصورة الاجتماعية الأصغر (القبيلة) التي هي أبسط من الأمة ، فظلت القبائل العربية بطول التاريخ الإسلامي قائمة متواجدة دون ذوبان أو إندماج.

النتيجة أن هناك قبائل اعتنقت الإسلام ، وشعوباً اعتنقت الإسلام ، وأمماً اعتنقت الإسلام ، وظل كل منها محتفظ بهويته حتى اليوم.

ومن ثم فلا توجد علاقة بين الأمة والدولة ، فقد تكون الأمة ضمن أمم أخرى عديدة داخله في تشكيل عدة دول كالأمة الكردية والأمة التركية والأمة المغولية. وقد تتكون الدولة من جزء من أمة أو امة بكاملها أو عدة امم كاملة ، لكنهم عندما يكونون ضمن دولة واحدة فإن الدولة في هذه الحال تحكم شعباً واحداً متعدد الأمم والأعراف والأديان ، فالدولة تشكيل سياسي متنوع الأعراق والأديان كما كانت إمبراطورية العرب التي تخيروا لها اسم دولة الخلافة ، بينما هي كانت إمبراطورية حلت محل إمبراطورية الفرس وإمبراطورية الروم نتيجة سقوطهما حسب حركة التاريخ التي لم تؤد إلى سقوط الأديان أو انتهاء الأمم والمجتمعات.

هذا بينما يقدم لنا الفلاسفة المتأسلمون تعريفاً لشئ اسمه "الأمة الإسلامية" ، وهوتعريف ديني بحت لا هو اجتماعي ولا هو سياسي ومن ثم هو لا ينشئ دولاً. لأن الأمة المنشئة للدولة يلزم ان يكون لها حيز جغرافي واضح واحد ، وذات منشأ طبيعي تدريجي تم خلال آلاف السنين دون ضغوط عسكرية غزواً أو فتحاً ، وذات روابط اقتصادية وأمنية وعلاقات اجتماعية تتمثل في توافقها على مجموعة عادات وتقاليد ونظم ، تتيح لأفرادها حرية الإنتقال داخله آمنه والتزاوج بين أفرادها بسهولة ، بينما حتى اليوم لا تتيح تقاليد الجزيرة مثلاً زواج البنت لمسلم غير سعودي من أمة أخرى ، بل أحياناً لا يجوز ذلك ما بين قبيلة وأخرى ، فلا زالت حتى الآن قبائل ، حتى الآن لم يشكلوا دولة بالمعنى الحديث بعد.

لذلك إذا دخلت الأمم المتكونة طبيعياً بشكل قسري داخل إمبراطوريات أو دعاة أديان ، فإنها سرعان ما تعود إلى أصولها الطبيعية عند زوال عوامل الضغط والإرغام.

وإعمالاً لكل هذا فإن مصطلح (الأمة الإسلامية) هو مصطلح بلا معنى ولا وجود له ، فهوبلا معنى سياسي ولا معنى اجتماعي ، كل ما يعنيه هو الإشارة إلى مجموع المؤمنين بالإسلام المتفرقين أشتاتاً في بقاع الأرض جميعاً.

أما إذا كان المقصود باصطلاح الأمة الإسلامية هو دعوة تقوم على حق تاريخي بإقامة دولة الخلافة المقبورة وإحيائها من مرقدها ، فهوما يعنى إعطاء الحق بالمثل للمطالبة بإحياء الإمبراطورية الفارسية و الإمبراطوريات الإستعمارية الحديثة من بريطانية و فرنسية و أسبانية ، و عودة الصراع العسكري سيفاً وفتحاً و مغانم بين تلك الإمبراطوريات و بعضها ، كما يعني وجوب السكوت التام عن قيام دولة إسرائيل بالمرة ودون أن ننبس ببنت شفة!.

ثم أننا إن أردنا إعادة دولة الخلافة فعلينا أن نفهم أن الشعوب لن تخضع بالحوار والقناعات ، فجزيرة العرب لم تخضع لابن سعود بالحوار والقناعات ، **ومن اراد إعادة الإمبراطورية الخلافية فعليه أن يفعل فعل بني أمية وبني العباس وبني عثمان بالقهر والغلبة وأنهار الدماء**. فالتاريخ لا يعرف شعوباً خضعت لغيرها بدون العنف والقوة ، وهواليوم ما سيصطدم بمعادلة القوة والضعف ، والتي نحن فيها الطرف الأضعف بين العالمين. لذلك فإن ما يكتبه الدكتور سيف ورفاقه لا يزيد في الواقع عن كونه لوناً من العهن المنفوش والمخيال الإسلامى المدقع فقرا.

خاصة وأن الدولة لم تكن إطلاقاً من صلب الدين الإسلامي ، لأنها لوكانت من الدين ما تصارع الصحابة فيما بينهم ذبحاً وقتلاً على الحكم ، ولاكتسب حاكم الدولة هيبة الدين المؤسس لها ، ولما جروء الصحابة على قتل الخليفة عثمان ، لأن ذلك كان سيعد خروجاً على الدين ومروقاً من الإيمان ولكان معاوية خارجاً على الدين منكراً لمعلوم من الدين بالضرورة ، ولكانت خلافته ودولته مناهضة للدين وضد مبادئه ولا يصح وصفها بالإسلامية ، والإسلاميون هم من يصفون تلك الخلافة بالإسلامية وليس أحد غيرهم.

ولأن الدولة والحكومة نظام سياسي إداري وليس دينياً تصارعت دولة علي بن أبي طالب وحكومته مع دولة معاوية وحكومته ، صراعاً سياسياً إدارياً لا دينياً ، وإلا كان احدهما كافراً خارجاً عن الدين ، وكلاهما صحابي يعلم حقيقة الإسلام والدين ، وأنه ليس فيه حكومة ولا دولة ، لذلك تصارعاً دون خشية رب العالمين أو غضبه.

كما أن واقع المسلمين اتجه من بعد إلى تعدد الكيانات السياسية التي حكمت المسلمين على التزامن والتجاور ، فإن كان الإسلام دين ودولة لكان هناك تعددية دينية مواكبة لهذا التعدد السياسي. وكانت البداية بخلافة عباسية في بغداد وخلافة

أموية في الأندلس ، ولكل منها شعب تحكمه ، وأمم تخضع لها ، فإذا كان الإسلام ينشئ أمه فهل كان هناك أمتان إسلاميتان متباينتان إسلاماً؟ ثم بعدما تفتت الإمبراطورية إلى كيانات تغلب استندت إلى شوكتها وغلبتها وقدرتها على الإستيلاء على السلطة ، وظلت تحت مأسموة خضوع إسمى للخلافة ، مثل الطولونية والحمدانية والإخشيدية والأيوبية هل كانت تلك الكيانات مسلمة أم كافرة؟ وهل أصبح الدين الإسلامي ديانات بعدد تلك الدول شبة المستقلة عن الخلافة ؟ أم ان الإسلام واحد ولا علاقة له بالدولة أو بالدول العديدة ، لأن الدين شئ والدولة شئ آخر. إن شعار الإسلام دين ودولة شعار كاذب ، وهواول ما يكذب فإنه يكذب على ديننا وإسلامنا ، وتكذبه أو ل ما تكذبه أحداث الفتنة الكبرى بين كبار صحابة رسول الله ، فعلي بن أبي طالب كان الصحابي الذي كرم الله وجهة ، وابن عباس هو حبر الأمة وراويها الأكبر عن رسول الإسلام ، ومعاوية كان كاتب الوحي ، وهم من عرفوا الإسلام من رسوله مباشرة ، وكلهم تصارع على السلطة والدولة والأموال دون ان يأثم واحد منهم دينيا .

إن الدولة القومية القطرية التي يرفضها المتأسلمون كانت دولة علي بن أبي طالب في العراق وارتضاها العراقيون لأنفسهم ، وكانت دولة معاوية بن أبي سفيان في بلاد الشام وارتضاها الشوام لأنفسهم ، وحافظ كلا الشعبين قدر استطاعته على دولته التي ارتضاها لنفسه وساندوها حتى حققت نصرها ، فكانت لها السيطرة على الأخرى ثم التمكن من إخضاع أمم اخرى بالسيف وحده.

وعندما تمكنت الأمم والقوميات من الاستقلال عن دولة الخلافة في كيانات خاصة ، فعلت ذلك وإن ظلت ترتبط بالخلافة إسمياً ورمزياً ، وإيغالاً في الخصوصية اتبعت هذه الأمم مذاهب دينية خاصة بها لتؤكد استقلالية هو يتها وتميزها عن غيرها من أمم تتبع الخلافة. فرجع الشئ لأصله ووضعه الطبيعي السابق على الإحتلال العربي.

لقد ارتضت الشعوب لنفسها دين الإسلام لكنها في الوقت ذاته رفضت الخضوع لغير بني جلدتها من حكام بالشكل الذي يطمس هويتها ، ويقضي على شخصيتها بين الأمم ، واستمرت هذه الأمم تناضل حتى استعادت هو يتها كما هو حالها اليوم.

حتى مهبط الوحي ومركز الإسلام الجغرافي والتاريخ جزيرة العرب ، إدراكاً من أهلها انهم أمة تتميز بخصوصيتها عن الأمم المجاورة اختارت لنفسها اسماً يدل على هو يتها فأصبحت المملكة العربية السعودية ، ولم تتخذ اسم دولة الخلافة الإسلامية ، ولم تقرن باسمها لفظ الإسلام أو الإسلامية ، لقناعة الوهابيين الداخلية وهم اكثر المسلمين تشدداً بأن الدولة لا علاقة لها بالدين.

إن ما يسمونه شعوبية وتفتت لأمة الخلافة إن هو إلا عودة إلى الدولة القومية الأولى الطبيعية ، إلى ما قبل الاحتلال العربي وقيام إمبراطورية العرب ، كما حدث لكل الامبراطوريات. وأن انتصار العرب زمن الفتوحات لا يعيطهم حقاً أبدياً في استعمار وحكم البلاد التي فتحوها بالقوة والغلبة.

لقد قامت الخلافة بالقوة وانهارت بنفس الطريقة كغيرها من إمبراطوريات. أيضاً بالقوة. فالأمم تريد هويتها وحرياتها وشخصياتها المميزة ، وترفض المذلة والاستعباد لغيرها ، إلا قلة من أبنائها يجدون في الدعوة للعودة إلى العبودية لأنفسهم مكاناً بين السادة في حلمهم بالخلافة العائدة ، غير مدركين أنهم موالي ، وأنهم فيئ ومغنم للسادة كبقية أبناء الأمم المفتوحة.

ومن غرائب دعاة الأسلمة تباكيهم على سقوط الإمبراطورية العثمانية وتفكك دولة الخلافة وظهور الدول القومية ، وهوما يصنعه الدكتور سيف الدين عبد الفتاح بقوله : "ان هذه المرحلة تميزت بالولادة القسرية والشائهة لما أسمى بالدولة القومية في العالم الإسلامي". وما أحدثته هذه النشأة المشوهة والقسرية للدولة القومية من ميراث من المشاكل الممتد في داخلها .. وأن هذا السقوط والتفكك والولادة القسرية الشائهة للدولة القومية كان بفعل الإستعمار الغربي الذي عمد إلى إضعاف الخلافة وإسقاطها لتفتيت المسلمين إلى دول وكيانات ضعيفة.

إن الرد على الزعم بأن تفتت دولة الخلافة يعود إلى المستعمر الغربي واتفاقات سايكس بيكون وغيره مما يزعمون ، لابد أن يعيدنا إلى تذكر أن الإمبراطورية العثمانية عندما قامت كان قيامها بقوة السيف والجيوش ، ولم تصبح مصر ولاية عثمانية إلا بعد هزيمة جيش المماليك في موقعة مرج دابق ، وكانت بين جيشين : جيش يريد ان يحمي تراب الوطن واستقلاله ، وجيش يريد احتلاله والسيطرة عليه. ونتيجة للهزيمة العسكرية وليس لقناعات دينية بإقامة إمبراطورية خلافة إسلامية ، تم ضم مصر قسراً لتلك الإمبراطورية ، وتم استنزاف ثرواتها وكرامتها إلى حد قياسي ، مع إهمال تام لشئون البلاد والعباد ، حتى تحولت مصر إلى دولة من العبيد المعزولين عن العالم والحضارة. حتى نجح محمد علي في تحقيق الاستقلال بينما انهارت الخلافة نتيجة ضعفها وتخلفها وتفككها من داخلها ، وهومنهج التاريخ الذي سبق وسقطت بموجبه إمبراطورية فارس وإمبراطورية الروم لتحل محلها إمبراطورية العرب ، التي ضعفت ووهنت في الزمن العثماني وهوما ادى إلى إحتلالها من الدول الأوروبية ولم يكن الإستعمار الغربي هو السبب بل كان هو النتيجة لذلك.

والملحظ الواضح فيما يصر الدكتور سيف والفقهاء على استعادته ، أقصد مفهوم (دار السلم ودار الحرب) ، انه إصرار ضد أصل قرآني مقدس هو (عالمية الإسلام) التي تنفي مصطلح (غير المسلمين أو ديار الحرب) لأنه بموجب تلك العالمية لابد أن نفترض أن دار الإسلام هي العالم أجمع ، ويترتب على هذا القول : إن أمام المسلمين مرحلتين ، الأولى هي توحيد الأمة في دولة خلافة يحكمها قانون ونظام عام واحد وقبلة واحدة ، تليها مرحلة ثانية هي توحيد باقي العالم حول القبلة الواحدة وتحت راية واحدة ليحكمه خليفة واحد ، وفي مثل هذه الدولة العالمية يجب أن يطبق مجلس الأمن الشريعة الإسلامية ، وأن يحل أهل الحل والعقد محل هيئة الأمم المتحدة ، وأن يحل الأزهر الشريف محل يونسكو ، وان يحل فقه الجهاد محل اتفاقات جينيف ، وأن يحل بنك فيصل الإسلامي محل البنك الدولي ، وأن يسمى العالم بالقرية الإسلامية بدلاً من القرية الكونية .

إن كلاماً مثل ذلك لابد ان يترتب عليه كلاماً مثل هذا ، وهوأقرب إلى العبث الكاريكاتورى منه إلى الحق والمنطق. وبينما يرى دكتور العلوم السياسية وأضرابه أننا نتعرض لغزو ثقافي غربي و يطالبونا بالوعي لرده وردعه ، يرى مواطنون آخرون صادقوا الإيمان بدينهم وبوطنهم وبالتقدم والحداثة ، أن الإتصال بالغرب المتقدم هو ضروري وحتمي إذا أردنا البقاء ، ويجب أن نسعى لهذا الإتصال والتواصل وأن نعمقه ، لأن هذا الغرب المكروه هو مصدر العلم والتكنولوجيا والكشوف والأختراع والإبداع ، هو قلب العالم وعقله وعضلاته ، هو التقدم والحداثة باختصار ، هو السبيل إلى بقائنا في الوجود إن أردنا البقاء ، فليعملوا بمبدأ : ومن نكد الدنيا على الحر عدوما من صداقته بد ، وحتى لوفكرنا بعقلية سلفية ، فإنه ما لم نعزز اتصالنا بالغرب فمن أين سيأتي إنتحاريونا بالمتفجرات لصنع المفخخات لنقتل بعضنا بعضا لخلاف ديني ومذهبي وعرقي؟ ونستورد من هذا الغرب كل علوم الطب وأجهزته الألكترونية ، دون أن نتمكن نحن من اكتشاف سر الشفاء في بول الناقة ولا المادة الفعالة فيه.

إن القول بأن دولنا المستقلة اليوم تحكمها حكومات تابعة للغرب ، لا يرى أن من اكتشف لنا بترولنا في صحراواتنا القواحل هو الغرب ، وان ما بأيدينا من أدوات الحضارة جاءنا من عندهم ، بل ان تجديد وحفظ مقدسنا وإعادة طبعه ونشره كان بفضل هذا الغرب. ومع إدراك بعض مشايخنا لهذا المعنى قاموا يربطون مقدسنا بتلك الحضارة فيما يعرف بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وهو كله ما يعنى أنه بدون التواصل والإتصال مع الغرب ما كنا سنحافظ على مقدسنا بشكل لائق ، ولا كنا سنعرف المعاني العلمية الحقيقية لقرآننا وسنتنا ، ولاستحال علينا أداء فريضة الحج إلى مكة القديمة العتيقة الضيقة ذات المنشأ القبلي الخيموي الذي لا

يعرف معماراً ، فالغرب هو من علمنا كيف نعمرها وأمدنا بالكريستال السويسري والرخام الإيطالي وما صحبة من هندسات كفرية ، لتوسعة ديارنا المقدسة ، وكذلك عرفنا مواقيت الصلاة والصيام بدقة أينما كنا ، وأصبح بإمكان المسلم أن يحمل مؤذناً خاصة بجيبه في برنامج تليفونه ، وأن يجد البوصلة الخاصة بتحديد القبلة مدمجة بسجادة الصلاة التي صنعتها له اليابان الشنتوية والصين الشيوعية والبوذية والكنفوشيوسية وبقية البلاد الطاغوتية ، فيسرلنا تقدم العلم عندهم طرق تعبدنا وتواصلنا مع إسلامنا ومقدساتنا.

الدولة القومية في فلسفة الإسلاميين (٤)

إن الحق الواضح فيما قال أستاذ العلوم السياسية الدكتور سيف الدين غبدالفتاح هو تركيزه على أن الدولة القومية في بلاد الغرب كانت جامعة موحدة ، بينما هي في العالم الإسلامي نتيجة تفكك الوحدة الجامعة (الخلافة) إلى كيانات أصغرمما خلق ميراثاً من المشاكل.

لكن الدكتور وهو يسوق هذا الحق يلبسه علينا أكثر من تلبيس ، لأنه لم يقل لقارئه المسلم الطيب المستسلم له أن الدولة القومية في أوروبا نتجت حديثا بتجمع لدويلات وإمارات صغيرة متجاورة ، بينما الدولة القومية الوطنية المستقلة في بلادنا كانت أسبق في الوجود من كل الدول ومن كل الإمبراطوريات ، وأنه مع الفتح الإسلامى تم جمع هذه الدول القومية المستقلة قسرا تحت دولة الخلافة ، ونتيجة هذا القسر بدأت تفككها ونبيها الذي جمعها على سرير المرض الأخير ، بظهور المتنبئين والمرتدين.

لم يقل د / سيف أن دولنا القومية الوطنية عادت إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال العربي ، لأنها كانت أسبق في الوجود من هذا الاحتلال بألوف السنين وكانت أعلى تحضراً و أعمق قيمة ، وأن جمعها تحت ظل الخلافة كان مأساة تاريخية لشعوب متحضرة عظيمة ، كان كارثة إنسانية انتكست بالحضارة فى البلاد المفتوحة إلى البداوة ، كارثة صحبها تطهير عرقي و دينى و جرائم في حق الإنسانية ، ستظل لطحة عار فى الجبين الإنسانى حتى يعترف عرب الجزيرة و يعتذروا اعتذارا تاريخيا يسمعة العالم كلة ، بعد أن آلت معهم مصرنا وكل أمصار حضارات حوض المتوسط الشرقى إلى ما هي عليه الآن ، وبين تلك الحضارات القديمة وبين وضعها الآن ... شتان !!

هذا بينما الدكتور سيف لا يرى سوى دولة الخلافة حلاً سحرياً لواقعنا المتردي ، ولوسألناه عن السبب فإنه يجيب قائلاً : " جاءت الدولة العثمانية لتشكل نموذجاً في تحقيق جامعية الأمة حتى لوأتاحت التعدد داخلها ، ولكن ذلك لم يكن على نمط إقرار التعدد المتغلب وإمارات الإستيلاء والإرتباط الإسمي الرمزي بالكيان المركزي للخلافة العباسية ولكنه يعني نظم هذه الكيانات من خلال حروب جمعت تلك الكيانات في منظومة الخلافة العثمانية ، فاتجهت بالأساس لتكوين جامعة إسلامية ، ثم انطلقت بعد ذلك فاتحة أجزاء من أوروبا".

لأن الدكنور سيف باعاً وذراعاً مع الخلافة ، ولأن الدولة القومية (مصر) ليست في قاموسه بالمرة ، **فإنه لا يلتفت إلى أن الدولة العثمانية لم تكن تفتح دولاً نصرانية**

ولا يهودية ولا وثنية ، بل دولاً إسلامية حتى النخاع؟ فلماذا إذن الفتح مرة أخرى؟ ولماذا يسمونه فتحاً؟ كنا أمماً مسلمة مؤمنة مسبحة بالغداوة والعشي ، كنا بالضبط مثل أهل الكويت يوم دخل عليهم صدام حسين بلادهم. فالدولة العثمانية لم تأت بشعار الفاتحين الأوائل: "الإسلام أو الجزية أو الحرب" ، لكنها جاءت بشعار جديد هو أنه ليس فقط من سيدفع الجزية هم النصارى واليهود ، إنما المسلمين أيضاً ، لقد جاءت الخلافة العثمانية جابية ولم تأت ناشرة للإسلام ، لأننا كنا أسبق منهم إسلاماً. لقد كانت إمبراطورية قاسية استغلت الشعوب أسوأ استغلال وحجبتها عن التطور والتقدم وعمدت عمداً إلى تخلفها قروناً ، وهوما أدى إلى إصابتها جميعاً بفيروس التخلف ، فعجزت عن مواكبة عصر النهضة والدخول في منافسة علمية مع أوروبا ، فقط اكتفت بجمع الجزية والعبيد والنساء والإنكشارية والمماليك تحت شعار الخلافة المقدس دون مبرر واضح في القرآن أو السنة. فإن كانت الخلافة العثمانية قد شكلت جامعية الأمة كما يقول الدكتور ، فهي قد كونت كياناً مريضاً متخلفاً لازالت آثار تخلفه تزلزل العالم حتى اليوم في فتوحات كارثية وغزوات مباركة كغزوتي نيويورك وواشنطن المباركتين.

عاشت الخلافة الخرافات والأساطير وطردت العلم والتحضر حتى قضى عليها تخلفها مقسمة بين أيدي الاستعمار الغربي.

ومن ثم يتابع الدكتور سيف متحسراً على سقوط الخلافة قائلاً: " .. فإن الحقبة العثمانية قد انتهت ، وبرزت الحقبة الاستعمارية التي استولت على ميراث الدولة العثمانية ، وألغيت الخلافة ".

كعادة الرجل يقول عبارت صادقة لأنها تصف حركة التاريخ بالضبط ، لكن على ذات القياس يجب أن نصف حركة التاريخ كله بذات العبارت الصادقة ، فنقول : " .. فإن الحقبة الرومانية قد انتهت وبرزت الحقبة العربية التي استولت على ميراث الدولة الرومانية .. وألغيت القيصرية ". و بذات المعيار الصادق يمكن القول : " .فإن الحقبة الفارسية قد انتهت وبرزت الحقبة العربية التي استولت على ميراث الدولة الفارسية .. وألغيت الكسروية ".

وهكذا إلى نهاية الحقب الاستعمارية بقيام الأمم المتحدة لتحرير العالم من أى شئ اسمه استعمار وإدارة العالم بطريقة ديموقراطية لازالت تحتاج إلى المزيد من النضوج. لقد كانت عصور الظلام والاستعمار تعتمد على إقامة الإمبراطوريات لإدراة العالم بالقوة ، وبذهاب تلك العصور إلى غير عودة ، أفسحت المجال للديموقراطية ، فاليوم يتولى الشأن العالمي فكر متحضر وهيئة أمم متحدة وقانون دولي يراعي إنسانية الإنسان ولا يعامله باعتباره مولى أو عبد أو ذمي فقد حريته

وشرفه وذاته نتيجة هزيمته في معركة عسكرية. بات للمهزوم اليوم حقوقاً نظمتها مواثيق واتفاقات جنيف الدولية ، فله حقوق كاملة ويعامل كإنسان لا يباع ولا يشترى ولا تسبى بناته وتنكح نساءة ولا تصادر أمواله لصالح المنتصر كما كان يحدث في العصور البربرية.

إن العالم اليوم يسير أول خطواته نحوالإنسانية الكاملة لتحقيق الحرية والمساواة والعدل التي كانت أحلاماً عند فلاسفة العصور السوالف ولم يجدوا في زمنهم آليات تحقيق أحلامهم.

لقد اهتدى الإنسان المعاصر إلى هذه الآلية وهديها وهداها ، فأصبح ضمير العالم يهب لنجدة أخيه الإنسان أياً كان مكانه أو دينه أو لونه أو عرقه بالمعونات والتطبيب والإغاثة في الكوارث.

وتتدخل الأمم المتحدة لحل مشكلات العالم حلاً عادلاً وإنسانياً تتوافق عليه الدنيا لكن الإسلاميين لهم في تلك المنظمة رأياً أخر ، فميثاق حماس مثلاً يعلن أن هيئة الأمم أنشأها وأقامها اليهود والنصارى بقصد تدمير العالم والاستيلاء عليه بعد تدمير القيم والمبادئ الأخلاقية ، ومنظمة القاعدة تدعوها المنظمة الكفرية العالمية ، حتى الدكتور سيف الدين عبد الفتاح يرى أن النظام الدولي هو نتيجة وإفرازللحقبة الإستعمارية من أنماط سلوك وسياسات وتفاعل علاقات وأنظمة سميت فيما بعد بالنظام الدولي.

إنهم يهاجمون النظام الدولي لأنه البديل المعاصر الذي أثبت وجوده بعد زوال الإمبراطوريات واحتلال البلاد بالقوة إلى غير رجعة ، وهوما يعني تخليهم عن مشروعهم لاحتلال العالم بالخلافة ، أو حتى إحتلال بعضهم بعضاً لذات الهدف ، فهوما لن يسمح به النظام الدولي. ويعيب الدكتور سيف على مرحلة النظام الدولي استمرار علاقات الدول المستقلة عن الاستعمار بالدول الغربية التي استعمرتها ، وتفجر العلاقات البينية بين الدول المستقلة وبعضها البعض.

وغني عن البيان إن الإنسانية لازالت بحاجة إلى تطوير أداء الأمم المتحدة ، وإصلاح سلبياتها ، لكن مثل ذلك النقد لا يصح أن يأتي من أنصار الخلافة والإمبراطوريات المنتصرة لإكتساح العالم ، إنما هو النقد الذي يوجهه أنصار الحقوق الإنسانية والحريات في العالم. الدكتور سيف يكرس العيوب في النظام العالمي الدولي الذي تمكن من أن يعيد للكويت ترابها حراً ، ولوتم هذا الغزوالصدامي إبان الخلافة العثمانية لتمكن صدام من الإستيلاء على كل الحجاز والجزيرة ، كما سبقه إلى ذلك محمد علي برضى من الخلافة وبطلب منها ، لأن

الخلافة لم تكن ترى أى بأس في العدوان بين شعوبها طالما الجزية ترد إليها كاملة غير منقوصة. وهوالأمر الذي يرفضه الضمير الدولي والنظام العالمي اليوم.

ثم يقول أنه في ظل هذا النظام العالمي استمرت العلاقة بين المستعمرات السابقة ومستعمريها ، في حين أن هذه العلاقة هي التي مكنت مصر من حفر قناة السويس ثم تأميمها ثم حماية هذا التأميم بمجلس الأمن الذي رد العدوان الثلاثي وضمنه الاستعمار الإنجليزي الذي كان يحتل مصر قبل استقلالها ، وبترول الخليج تم استخراجه واستثماره بناء على علاقة الدول المستقلة بمستعمرها السابق ، فبدون عون هؤلاء السادة القدامي ما أمكن للخليج العربي الوصول إلى مستواه الحالي من الرفاهية ، ولوركز الخليج على العلاقات البينية العربية ماعرف أن تحت أرضة سوى الأرضين السبع بما فيها من الجن والعفاريت ووادى الأفاعى.

أما حديثه عن تفجر العلاقات البينية بين الدول الإسلامية التي استقلت فهي متفجرات من صنع محلي وذات أصول عريقة في بلادنا ، فما يحدث في السودان هو ناتج أصيل عريق في ثقافتنا يريد إنشاء دولة إسلامية تطبق الشريعة في بلاد تحوي مختلف الملل والأعراف ، وذات الشأن ما يحدث في الجزائر بسبب السعي لتطبيق الشريعة بالحديد والنار ، وهوما يحدث اليوم في العراق كثمرة لثقافة محلية مريضة ومتخلفة ، وتفجيرات عمان ومصر والرياض وغيرها لم ينتجها الغرب ولا النظام العالمي. إذن هم يحفظون لنا حدودنا كما حدث بالكويت ، ويساعدونا في إنشاء منظماتنا الخاصة كالجامعة العربية بينما أنصار الخلافة يبكون على الخلافة و يريدون إرجاعنا عبيداً للإنكشارية والمماليك وباقى سقط متاع الأرض لمجرد أنهم مسلمون. فتصبح المشكلة هى : **لمن يجب أن نكون عبيداً؟.**

ومن ثم يتابع الدكتور سيف معقباً على الحقبة الإستعمارية التي تلت سقوط الخلافة بقوله : "و خلقت تلك الحقبة الإستعمارية وضمن علاقات المُستعمِر والمستعمَر والسيد التابع ، وتقسيم علاقات النفوذ ، إلى أن تكون المنطقة التي يشار إليها بالعالم الإسلامي (حتى في أمتداداته الآسيوية والإفريقية) موضوعاً لا طرفاً ، مفعولاً لا فاعلاً. في انماط علاقات تابعة للدول المستعمرة".

لازال الدكتور سيف يبكي خلافته النافقة من خلال تأكيد العلاقات السلبية التي حلت بالمنطقة بين الأشقاء وبعضهم نتيجة سقوطها فريسة للاستعمار ، ويريد أن يوهمنا أننا في ظل الاحتلال التركي كنا سادة أنفسنا نتمتع بالحرية والعدل والمساواة والسعادة والقوة والعلم والمعرفة والتقدم. وأننا في ظل الخلافة لم نخضع لعلاقة السيد والتابع ، ولم نكن موضوعاً بل طرفاً ، ولم يكن مفعولاً بنا بل فاعلون. ورغم ما كان عليه المسلمين من استعباد وجور وظلم وجهل ومرض مفعولا بهم على

الخوازيق فى الأسواق ، لقد كان المسلمون في ظل الخلافة العثمانية في أسوأ أو ضاع مرت بهم عبر تاريخهم. لقد تم الاستيلاء على البلاد والأرض مع فرض الجزية على الجميع ، مع ترك البلاد فريسة لعصابات الإنكشارية بمباركة عثمانية. لهذا قامت الثورات الاستقلالية في تلك البلاد ، فلوكان حكم الخلافة خيراً من حكم الاستعمار الأوروبي ، ما قام تحالف وهابي إسلامى انجليزي ليناهضه ، ولما طاردت الجيوش العربية الأتراك في جزيرة العرب. إنه يعيب على عرب الجزيرة تحالفهم مع الإنجليز ضد الخلافة لنيل الحرية.

لا يرى ولا يطل على الثورات ضد الخلافة ، لكنه يراها واضحة عندما حدثت ضد الإستعمار الغربي ، يقول: " أن هذه الشعوب لم تكن في حالة الإقرار لهذا الوضع أو تلك الحالة الإستعمارية من غير مقاومة ، وبرز العامل الإسلامي العقدي ضمن عوامل أخرى في عناصر المقاومة للإستعمار الإستيطاني والمطالبة بالإستقلال والتحرر".

فى فلتات لسانية لا يقصدونها ولو لوجه الحق ، يعترف في خطأ لساني بأننا كنا شعوباً لا شعباً واحداً ، وأن منطقياً كانت مجموعة من الشعوب التي كانت تأبى الإستعمار أياً كانت ، فكانت تثور ضده ولا تقره طلباً لاستقلالها وحريتها. وهذا شئ طبيعي لممارسة حق طبيعي لكل الشعوب على مدار التاريخ قديمه وحديثه.

فالعالم لم يعرف شعباً قبل الخضوع لشعب آخر إلا عنوة وقسراً ، فالحجاز والدرعية لم تخضع لمحمد علي إلا عنوة وقسراً ، رغم أن جيوش محمد علي كانت موفدة من خليفة المسلمين الحاكم الشرعي لهم ، ورغم هذه الصبغة الإسلامية التي تشرع مهاجمة محمد علي للحجاز ، فإن اهل الحجاز رفضوا تقديم فروض الطاعة والولاء للخليفة العثماني الذي هو الزعيم الروحي لكل المسلمين ، ولكن قسراً ، ولأن شعب الحجاز شعب يحب الحرية كأي شعب آخر ولا يقبل أن يحكمه أحد من خارج بلاده ، فقد قاوم جيوش الخليفة التي أرسلها له من مصر.

ترى لوسألنا شعب السعودية هل يقبل بعودة الخلافة العثمانية التركية لتحكم بما أنزل الله فيهم؟ فهل سيقبل الوهابيون وأئمتهم؟ وهل سيقبل خادم الحرمين أن يكون خادماً لثالث؟ تركي ، أو لآوردوغان الذى لا يعرف حتى لغة القرآن؟

نعم إن الحقبة الإستعمارية قد استغلت بلادنا بلا شك لصالح اقتصادها ، لكن كان هناك مقابل لهذا الاستغلال ، ففيهم وعنهم عرفنا الحضارة والعلم والتكنولوجيا ، لقد كانت الفائدة متبادلة ، أخذوا خيرات مقابل علم وحضارة وفن وكشوف لثرواتنا التى ماكنا نعلم عنها شيئا طوال عصور الخلافة ، بينما الخلافة التركية التي عاشت

أربعة قرون كانت تأخذ فقط ولم تعط أبداً إلا الذل والخضوع والاستعباد وعدم الأمان والجهل والتخلف تخلفاً مقيتاً.

وبعد كل هذا الأخذ والرد لم يطرح بعد السؤال : هل الخلافة أصل من أصول الدين الإسلامي يجب أن يكفر تاركه؟ إنهم بإصرارهم على استدعاء الخلافة طوال الوقت ، زرعوا في الوعي المسلم شيئاً لم يكن أصلاً من أصول الدين حتى تصور مسلمواليوم ذلك ، بتسليم ناتج عن كثرة الترديد وليس ناتج البحث والفحص المنصف المحايد.

لوكانت الخلافة أصلاً من أصول الإسلام ، أو كانت من الإسلام في شئ ، لما تغاضى عن بيانها القرآن أو الرسول (ص) ، فرسول الله ما جاء إلا ليبين للناس ما هو الإسلام ، ما هو منه ، وما هو ليس منه ، ولوكانت الدولة والحكومة وطريقة الحكم ضمن اهتمام القرآن ، ما وقع خلاف المهاجرين والأنصار ثم خلاف المهاجرين الهاشميين وغيرهم من قريش ، أقرأ معي رواية الدكتور **حسين فوزي النجار** في كتابه الإسلام والسياسة ، ويحكي : "بدت لبعض الفرق الإسلامية أن الخلافة حق لآل البيت وحدهم لا تتخطاهم إلي غيرهم ، وظهر هذا الإتجاه غداة وفاة النبي (ص) ، فقيل أن علي ابن أبي طالب رأى هذا الأمر له دون غيره. ولما ذهب إليه عمرويطلب إليه وإلى بني هاشم أن يبايعوا أبا بكر كما بايع الناس ، أبى وأبى من معه أن يجيبوا دعوة عمر ، وقال علي : لا أبايعكم وأنا أحق بهذا الأمر منكم وأنتم أو لى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليه بالقرابة من النبي (ص) ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أو لى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم؟ فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة. فإذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار ، نحن أو لى برسول اله (ص) حياً وميتاً فانصفونا إن كنتم تؤمنون ، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون ومن الثابت أن فرقاً إسلامية نشأت بعد ذلك وتشيعت لعلي وأن اختلفت على من يكون من عقبة أو لى بالإمامة بين المسلمين. أ. هـ".

إن الخلافة وطريقة الحكم لوكانت أصلاً من أصول الدين لما وقع الخلاف بين الأنصار والمهاجرين ، ثم بين قريش وبني هاشم ، أنظر لعلي يقول : " ونحن أو لى برسول الله حياً وميتاً " ، الحديث هنا عن ميراث للأسرة ، فيكون علي أحق بهذا الإرث من أبي بكر بصفته ابن العم فهوالأقرب و بحسبانة ميراث فاطمة زوجتة وابنة صاحب التركة الوحيدة .

لوكانت الحكومة والدولة من الدين في شئ لكانت حقاً لكل مسلم لا ميراثاً لأبناء العمومة أو لقريش وغيرها ، ولا يكون من حق أحد أن يستحوذها لنفسه وهي حق

مشروع للأمة , إن كانت من الدين وهي ليست كذلك. لوكانت من الدين لبين القرآن شروطها وأحكامها وسلطاتها ، فكتاب الله لم يترك صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالدين إلا بينها وفصلها تفصيلاً واضحاً غير ملتبس. ولأن الدولة والخلافة لم تكن من الدين ولا من شريعته بإعتبارهما شأن دنيا لا شأن دين وشأن سياسة لا شأن فقه ، فقد قامت الصراعات الدموية عندما تم استخدام الدين انتهازياً في الصراع على الدنيا ورئاستها وهوما انتهى بصحابة النبي إلى الفتنة الكبرى ، لكن معاوية بحنكته وضع حداً لهذا الاستخدام للدين في السياسة ، وأقام حكماً ملكياً واضحاً وراثياً عندما طلب البيعة وله ولابنه يزيد دفعة واحدة ، وفصل بين السياسة والدين بقيامه بأمر الحكم وتركه إمامة الصلاة لأهل الدين. وأسماها معاوية خلافة عندما أعلن شاعره للناس في مدينة النبي قائلاً : "الخلافة لهذا وأشار لمعاوية ، فإن هلك فلهذا وأشار ليزيد ، فمن أبى فلهذا وأشار إلى سيفه".

تيمناً بالدين أسماها خلافة وشرعها له الفقهاء دون الارتكان إلى نص ديني واضح بهذا الشأن. وما حصوله على البيعة بهذا الشكل إلا استهانة بشأن الدين فهولم يكن بحاجة إليها ، ولم يبايعه علي وأشياعه ، ومع ذلك حاز البيعة بالسيف والغلبة ، فأين الدين هنا؟ أم أن كل هؤلاء الصحابة قد مرقوا من دينهم وكفروا؟ لقد أقام معاوية الخلافة دون مباركة دينية ودون الإرتكان إلى نص ديني واضح في القرآن ولا في السنة. وأنشأ خلافة عجيبة الشأن هي ملكية وراثية واضحة تسميها كتبنا التراثية الملك العضود ، ورغم ذلك فإن العابثين بديننا اليوم متدثرين بالإسلام ، يسمونها خلافة بالفم المليان ويصورونها للعوام كأصل من أصول الدين ويبكون عليها بكاء ثراً يثير الشفقة والسخرية معا.

ومن جانب آخر فإن الإسلام ليس ضعيفاً كما يصورونه حتى نبحث له عن خليفة يحميه وشعب يدافع عنه ، لأن أضعف الشعوب والذي يحتاج للحماية هي الشعوب الإسلامية ، فهو كمن يوكل للجهلاء والمرضى والضعفاء حماية الإسلام دين رب العالمين وخير المرسلين. إننا أمة جاهلة عاجزة عن حماية نفسها ، فكيف لها أن تحمي أشرف الأديان؟ والبادي في حركة الواقع أن رب الإسلام هو من يحمي إسلامه حتى تمكن من البقاء بل والتنامي حتى الآن ، وهوفي وسط بحر متلاطم من التخلف والجهل والأساطير. بينما يريد المتأسلمون للمسلمين وإسلامهم حرباً عالمية ضد كل العالم لا تبقي ولا تذر من أجل إقامة الأمبراطورية الإسلامية مرة أخرى.

كل ما قلناه حتى الآن شأن ، وإنكار نجاح الإخوان وفرقهم ودعوتهم لدولة خلافة إسلامية في بلاد المسلمين شأناً أخر ، فوجود الجماعات الإسلامية ثابت في الشارع الإسلامي وموجود وهوالوحيد المتواجد ، والغريب أن يكون ذلك بفضل ما تملكه

الدولة وهوسلاح هائل وعظيم يتمثل في وزارتي التعليم والإعلام الموجه ، حتى لم يعد معروضاً في سوق الفكرة على المواطن سوى الإسلام ، وهنا المصيبة الكارثية ، التي قد تجعل أصحاب الإسلام السياسى يغامرون أحياناً فتبدوأنيابهم الكواسر ، وهوالشأن الذي لا يصح التعامل معه بتهاون أو بخفة.

أقول لكم أين تكمن الكارثة ، فما نراه في الشارع هو رأس جبل الثلج الطافى ، أما الجبل فهو قناعة المسلمين أن إمبراطورية الخلافة وإن سقطت ، فإن مقومات وجودها لم تسقط بل هي تنمو و تترعرع.

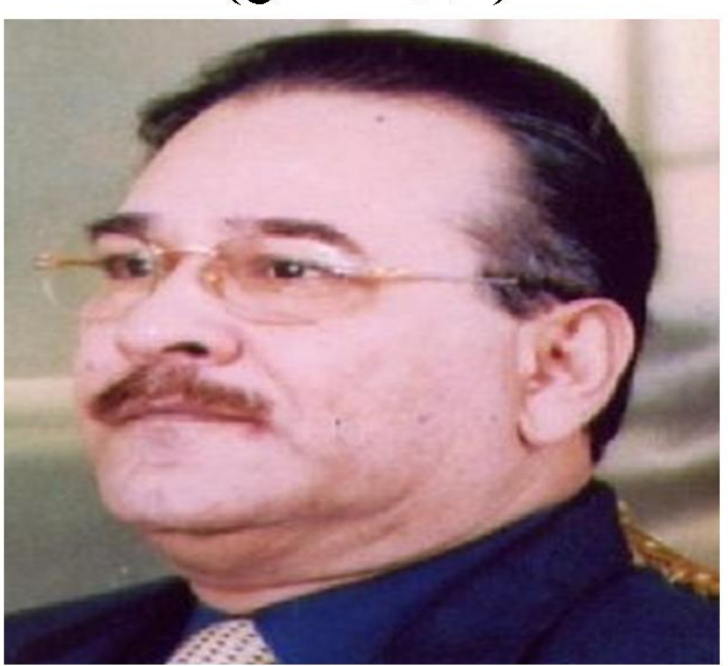
الإخوان يطلبون دولة الخلافة ، والدولة لها مكونات هي الأرض والمجتمع (الشعب) والجيش والحدود ، ومعظم مكونات دولة الخلافة موجودة فعلاً على الأرض ، الأرض موجودة هي هي لم تتغير فالجغرافيا لا تتغير ، لها وزارة خارجية تحت التدريب فهناك أبوحمزة المصري وأبوقتادة وسفية لندن هاني السباعي سفراء لدولة الخلافة ، ولها وزارة حرب في طور شديد التطور ، وزارة تضم أسود الإسلام الذين هدموا أبراج نيويورك وأنهكوا أكبر جيش في العالم في العراق ، ووزارة الإعلام لهم دون أن يجرؤ رمش على أن يطرف بشأن هذا الوجود الكثيف لدولة الخلافة الخفية في إعلام دولة مدنية. وشعبها ومجتمعها الآتى يتم سلخه كل يوم من جسد المجتمع المصري ، في الكتاتيب والمساجد والجامعات ومن أمام التلفزيونات ، وقد أثبتت وزارة دفاع الخلافة حضورها في بلادنا بأداء طلبة الأزهرلعرضهم العسكري الإرهابي الذي أرهب مصر جميعاً ، كل ما تم سحبه من دولة الخلافة هو الاعتراف بها والحدود التي لواستعادتها فستصبح دولة قائمة ، بل أن أيديولوجيا الخلافة ومنجزاتها قد عادت بقوة ، وأهمها العبودية للخلافة التي أصبحت موجودة دون إعلان رسمي ، فنحن لا نستطيع أن نتكلم أو نسلك كالإنسان الحرفي بلاد الغرب. وزير ثقافة مصر قال رأياً فى الحجاب فوقف ضده أعضاء مجتمع الخلافة القادم وقفة مضرية.

الكارثة ستحدث بناء على استشعارهم كل هذا بأيديهم فيغامروا كما غامروا في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ولكن المغامرة هذة المرة ستكون ببلادنا ، بنا ، لأننا نحلم بالمقلوب ، نحن نحلم بالخلف لا بالأمام ، وأحلامنا مستحيلة التحقيق ، وكلنا نعرف ذلك ، ومع ذلك ينخرط بعضنا في مجتمع الخلافة مع يقينه بالضعف والخوار والتخلف ، وأنه لم يحقق أهدافه يوماً ، والواقع والأحداث اليومية تنبئه بذلك في شكل لطمات فاضحة فادحة في حق كرامته.

سلسلة فقهاء الظلام

الدولة المسلمة، للخلف دُر

(الجزء التاسع)



بقلم

د/ سيد القمنى

مدونة

عن مصر أتحدث

3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

الدولة المسلمة و الدولة الدستورية

في القرن الخامس قبل الميلاد عقدت روما أول جمعية مُشكلة من مواطنيها ، وقررت هذه الجمعية إقراراً للعدل التخلص من السلطة المطلقة في نظامها الملكي ، واختارت بدلاً من الملك قنصلين متعادلين في السلطة ، يحكمان لمدة عام واحد فقط ، ليكون من مهام كل قنصل مراقبة زميله ، وعينت اثنين من البريتورPraetor ليراقب كل منهما القنصلين حرصاً على مصالح الشعب.

و وضعت لبنات أساسية لدستور كانت مهمته الأولى هي التصدي للحكم الفردي المطلق ، ونصت على قتل من يحاول أن يصبح ملكاً ، وإن تم الحكم على مواطن بالإعدام في زمن الحرب من أحد الحكام فله أن يلجأ للجمعية العمومية ، كما نصت على أن عقوبة الإعدام هي من حق الشعب وحده في زمن السلم.

حدث هذا قبل ظهور الإسلام بما ينوف على الألف بقرنين من الزمان ، وكان فارق الزمان هذا كفيلاً أن يعرف العالم معنى العدالة ومعنى الديمقراطية منذ تأسست في روما ، وأن لهذه الديمقراطية الأولية آليات وأجهزة تقوم على حمايتها وتنفيذ مآربها ، بهدف تحقيق القانون بالعدل بين الناس ، فلا يكون لأحد سلطان على رقبة آخر يعطيه حقاً فردياً في الإعتداء على حياة أحد المواطنين. حدث هذا في روما الوثنية قبل ظهور المسيح بخمس قرون ، و قبل الإسلام بألف ومئتي عام.

ويقول لنا أصحاب حلم الدولة الإسلامية أن الإسلام قد أسس للمساواة كأسنان المشط ، ولا فضل لأعجمي على عربي ، وجعل الحاكم محاسباً أمام الرعية ، ألم يقل البدوي لأبي بكر لو أخطأت لقومناك بسيوفنا؟ أليس جميلاً ومؤثراً موقف الخليفة العادل عمر بن الخطاب وهو يطلب من ابن الأسفلين أو ابن المستعبدين أن يأخذ ثأره من ابن الأكرمين. ألا تشير العبارة بوضوح لهذا الترفع في المعنى؟

الكلام جميل وحلو ومؤثر وعاطفي ، فهو كلام ، أقوالنا المأثورة عن المساواة والعدالة ومسئولية الحاكم إزاء الرعية نكررها هي هي لأنها تعد على أصابع اليد الواحدة ، في نفس الحادث السالف ذكرها قال عمر قولته الخالدة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

الكلام سهل خاصة عندما يدلك العواطف ، فما أحلى كلام الإنجيل عن المحبة والصفح الرائعين بلا شبيه ولا نظير ، لكن محاكم التفتيش والحروب الصليبية قالت في الواقع قولاً آخر مكتوباً بدم الأبرياء وصراخ الثكالى.

في التاريخ الديني يوجد نصان ، أحدهما نظري خطابي إرشادي وعظي قصصي حكمي روائي عاطفي يخاطب القلوب والأرواح ، والآخر هو ما تم تدوينه في الواقع فعلاً وحدثاً ، وهو كما حدث في المسيحية حدث في الإسلام ، ودونه المسلمون بأيديهم ، كلون من الفخار والعزة و السؤدد ليفاخروا به التاريخ كله ، وكلا النصين مقدس. وكلاهما عندما فعل في الواقع بالفعل البشري ونوازعه ورغباته أدى إلى احتلال البلاد والإسراف في القتل والإستبداد بالعباد ، مع قهر وظلم بلا شبيه ولا نظير ، لأنه تم تدوينه بدم الناس وأوجاعهم وبالإبادات الجماعية الشاملة التي نسميها اليوم جرائم حرب ضد الإنسانية.

اليوم يوجه لنا المشتغلون بالدين علينا الخطاب الأول ويغطون حتى على مصادر الخطاب الثاني ، ويطلبون عودة بلادنا إلى نظامها الخليفي الأول ، **و يطلب الاتحاد العالمي للإخوان إحياء الخلافة هدفاً رئيسياً في برنامجه**.

لذلك يصبح واجباً على المسلم أن يعلم ما هو مقبل عليه في حال إستلام الإخوان أو أحد إخوانهم لحكم مصر المحروسة لا قدر الله ولا كان.

نعود للخلفاء الراشدين قدوة المسلمين والذين تحولت فعالهم في المذهب السني إلى سُنة كسنة الرسول مكملة له بالضرورة ، بحسبانها النموذج الذي يدعو له المتأسلمون على كافة ضروبهم لنجد الواقع ينطق بغير أقوالنا المأثورة ، فالخليفة الذي قبل من الإعرابي قوله : أن يقومه بسيفه ، هو من قوّم الجزيرة كلها بسيفه ، فقتل أهلها شر قتلة ، قتل من اعترضوا على خلافته وشكوا في شرعية حكمه وصحة بيعته ، وقتل من قرر ترك الإسلام إلى دين قومه ، فأمر برمي الجميع من شواهق الجبال وتنكيسهم في الآبار وحرقهم بالنار ، وأخذ الأطفال والنساء والثروات غنيمة للمسليمن المحالفين لحكم أبي بكر ، وهو ما دونته كتب السير والأخبار الإسلامية على اتفاق والخليفة الثاني العادل ، هو من استعبد شعوباً بكاملها ومات مقتولاً بيد واحد ممن تعرضوا للقهر والإستعباد في خلافته ، أما الخليفة الثالث فكان واضحاً من البداية في التمييز وعدم العدل خاصة في العطاء فكان أن قتله أقاربه وصحابته الذين هم صحابة النبي قتلاً أقرب إلى المثلة ، فكسروا أضلاعه بعد موته عندما نزوا عليه بأقدامهم ، ورفض المسلمون دفنه في مقابرهم فدفن في حش كوكب مدفن اليهود.

ستواجهنا هنا مشكلة أخرى فبأي الخلفاء الراشدين سنقتدي في دولتنا الإسلامية المقبلة؟ وبأي طريقة سيتم اختيار الخليفة ، لأن الخلفاء الأربعة كان لكل منهم طريقة في الوصول إلى الحكم.

الخليفة أبو بكر انتصر بحديث "الإمامة في قريش" أو "الخلفاء من قريش" وفي تأويل آخر رمزي اعتبر تكليف النبي له بالصلاة بالمسلمين في مرضه الأخير ، تفويضاً له بالخلافة ، ولم يكن تعييناً واضحاً دقيقاً بالمرة. واختار أبو بكر عمراً من بعده ، واختار عمر من بعده ستة يختاروا من بينهم واحداً ، وفي ولاية على أقوال كثيرة.

كل هذا يشير إلى أن رب الإسلام لم يضع للمسلمين نظاماً واضحاً في الحكم ليتبعوه ، بدليل اختلاف الهداة الراشدين وإلا كان تصرف وفعال وطريقة كل خليفة في الحكم مخالفة لمعلوم من الدين بالضرورة. إنهم يقولون لنا غير ذلك ، يقولون أن دولة الخلافة والشريعة معلوم من الدين بالضرورة ، ومن يعارض قيامها (مثلي مثلا فأنا أشد أعدائها) هو مرتكب لما هو مخالف للمعلوم من الدين بالضرورة؟

إنهم يزيدون علينا في أمر ديننا ، وهذا هو التعريف الدقيق للبدعة ، المسألة ببساطة أن رب الإسلام ترك شأن الحكم للمسلمين ، إن شاءوا فعلوا ما فعل الإثينيون بديمقراطيتهم المباشرة ، وإن شاءوا فعلوا فعل بلقيس عندما كان لها لجنة استشارية متخصصة ترجع إليها في شئون الحكم ، وهو ما أخبرنا به القرآن ، ولم يعب القرآن حكم بلقيس ، إنما عاب دينها ، ففصل الدين عن السياسة ، وترك لنا نموذجاً آخر بين البدائل الممكن اختيارها. فإن شاءوا أخذوا بالطريقة المصرية أو الساسانية وكل ما يجمع بين هذه الأمثلة هو وجود المؤسسات والهيئات التي تقوم على حفظ نظام الدولة وكيانها وإقامة العدل بين المواطنين ، وحفظ حقوقهم.

نعود لزمن الرسول والصحابة نبحث أي النماذج اختاروا للحكم من بين المعروض في الدنيا ، وهو مساحة صمت فيها الوحي ، فكانت مساحة حُرة يمكن فيها اختيار أفضل الأنظمة لأفضل الأديان ليعبر عنه وعن عدله ومساواته ، ومحققاً لمأثوراتنا خاصة أسنان المشط دلالة على المساواة.

يقول "أبو حاتم وابن مردوية عن أبي الأسود قال : اختصم رجلان إلى النبي ص فقضى بينهما ، فقال الذي قضي عليه : ردنا إلى عمر بن الخطاب ، فأتينا إليه ، فقال الرجل : قضى لي رسول الله على هذا ، فقال ردنا إلى عمر ، فقال عمر : آكذاك ؟ قال : نعم ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما ، فخرج إليهما مشتملاً سيفه فضرب الذي قال : ردنا إلى عمر فقتله ، وأدبر الآخر ، فقال : يا رسول الله قتل عمر صاحبي ، فقال عليه السلام : ما كنت أظن أن يجتريء عمر على قتل مؤمن ، فأنزل الله : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً. النساء ٦٥

ويتأسس على هذا الحدث وتلك الآيات في أيامنا هذه تشريع فتوى بقتل المخالفين وتفجيرهم لأنهم لا يرضوا بحكم الله والرسول بمخالفتهم للمذهب السني! لأن عمراً قتل الذي لجأ إليه طلباً للعدل وهو يقول : "هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله".

وقضاء الله ورسوله اليوم هو التجديد الوهابي للمذهب السني بالتحديد والتدقيق. فإن خالفته في شيء فعلوا بك فعل عمر فيمن ذهب إليه طالباً العدل.

تعالوا نعرض هذا الموقف على الرؤية الرومانية الوثنية قبل الإسلام بإثنى عشر قرناً ، كان من حق هذا المقتول أن يعرض أمره على الجمعية العمومية قبل تنفيذ الحكم ، لا أن يصدر الحكم وينفذ في نفس اللحظة ، كما أن عقوبة الإعدام وقت السلم لا يحق صدورها من أفراد بل هي من حق الشعب من خلال مؤسسات المجتمع ونظام الدولة.

ولم يكن خلاف هذين المتخاصمين في أمر من أمور الدين فليس بينهم خلاف على نبي ولا شعيرة ولا آية ، كان خلافاً في شأن دنيوي بعيداً عن دائرة الدين ، وكلاهما كان من الصحابة مثل عمر ، وكانا يعرفان النبي كما يعرفان عمر ، وكان قول النبي : " ما كنت أظن أن يجتريء عمر على قتل مؤمن " يشير إلى معرفة النبي أن الرجل ليس مسلم فقط بل هو مؤمن وهو أعلى درجة من المسلم. لكن الله حسم الموقف بعدم إيمان المقتول ، هنا لابد للعقل أن يتساءل : وهل كان عمر عندما قتل القتيل يعرف أنه غير مؤمن ، فالنبي نفسة لم يكن يعرف ذلك؟ وإن كان القتل قد تم بناء على عدم إيمانه وأن عمراً استنتج ذلك لعدم قبوله بتحكيم الرسول ، فما هو الحال مع الأعراب الذين قال الله بشأنهم " قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا " الحجرات ١٤. وحتى لو كان عدم إيمان الرجل مؤكدا ، فإن ذلك العقاب بمنطق اليوم وحقوق اليوم غير مقبول بجميع المقاييس.

المقصود هنا بيان أن دولة النبوة كانت شأناً خاصاً وطارئاً وكذلك دولة الراشدين ، وإنه كان للزمن ولظروف البيئة وإحكامها وتحكمها للشكل القبلي في الحكم ، لكنها لا تلزمنا اليوم باتباعها لأن مسألة الحكم تركها الله لنا مساحة حُرة نقيم حكمنا بأيدينا كيفما شئنا. أما دولة النبي أو دولة الراشدين فكانت ائتلافاً قبلنا يصعب علمياً أن نطلق معه كلمة دولة على هذا الائتلاف لأنه لا يملك أياً من مقومات الدولة.

ودليل من فعالهم يشير إلى قناعتهم الداخلية أن الحكم الديمقراطي شيء ودولة الرسول والراشدين شيئاً آخر ، وإن مطالبة الإخوان بحزب يخوض العملية الديمقراطية بغرض إقامة نظام إسلامي "الفرد المسلم والحكومة المسلمة " ليس

سوى احتيال على الديمقراطية ، الدليل دعوة الإخوان لمقاطعة الاستفتاء على المادة ٧٦ ، فلو كانت الديمقراطية من دولة الإسلام أو من الإسلام لكانوا أول المشاركين عملاً بالشرع وأول الداعين له ، لكنهم يزعمون الديمقراطية سبيلاً ويؤكدون أنها عمدة الإسلام بقوانينهم المحترمة لنقبل بهم في الحقل الديمقراطية خلفاء علينا يطبقوا ما يعن لهم ، لأنه لا يوجد تفصيل وتقنين واضح لطريقة الحكم في الإسلام ، لكنهم يدعون الناس إلى مقاطعة الديمقراطية والاستفتاء لأنهم يعلمون أنهم لن يكونوا فيها وهم على حالهم هذا.

لماذا لم يقولوا للناس إذهبوا ومارسوا الحق الدستوري وتعلموا الديمقراطية وقولوا ما تريدون ، وكان بالإمكان أن يحرض الإخوان الناس ليذهبوا وليقولوا (لا) فيكونوا قد فعلوا ما يحمد لهم باحترام الديمقراطية وتكريمها عند الناس. إن الاستفتاء خطوة في الطريق الصحيح ، خذ إذن وطالب ولا تكن كما كنت دوماً كل شيء أو لا شيء فتأخذ (لا شيء). لتكن مرحلة انتقالية يصارع فيها الجميع سلمياً لتحقيق الديمقراطية ، لقد ساووا بيننا وبين العبيد الرومان ٥٠٠ قبل الميلاد فهم فقط من لم يكن من حقهم التصويت.

كان على الإخوان أن يثبتوا احترامهم للديمقراطية بدعوة الناس دعوة عامة للمشاركة في الاستفتاء ويقولوا (لأ) ، كما اهتموا بالدعوة العامة للحجاب والخمار والنقاب..

سادتي الإخوان : إن الديمقراطية أهم من الحجاب واللحية والسروال الباكستاني.

المشكلة عند الإخوان أنهم يدعون تلبيساً وتقية مباديء الديمقراطية لأنهم لو صدقوا ما طلبوها دولة إسلامية ديمقراطية ، لأنكم لو أصررتم على أنها إسلامية فإن مجرد ترشيح أحدكم ضد الحاكم سيكون خروجاً على الشريعة ولحق عليكم جز الرقبة في ميدان عام حسب الشريعة ،

" عن أبي بكر عن رسول الله قال : من خرج يدعو إلى نفسه أو إلى غيره وعلى الناس إمام ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فاقتلوه " (تاريخ الديلمي ، أنظر أيضاً تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٦)

هذا لأن الدولة الإسلامية بحكم منشئها وتكوينها الاجتماعي القبلي لم تكن دولة مؤسسات ، وكان من الضروري تفعيل هذا الحديث النبوي لإحداث الاستقرار والتماسك للدولة الناشئة ، ولم تعرف تلك الدولة تداول السلطة ن بل أنها في أحيان كثيرة لم تعرف العدل بقدر ما عرفت الظلم.

كانت روما منذ قرون متطاولة قد قسمت شعبها مئات سميت بمجالس مئوية هي كل الشعب ، وهي التي تختار كبار المتنفذين ، وتنظر في الإجراءات التي يعرضها عليها الموظفون أو مجلس الشيوخ لتجيزها أو ترفضها ، كما تنظر فيما يرفع إليها من استئناف الأحكام ، وتنظر في جميع قضايا الإعدام ، وتعلن الحرب ، وتعقد الصلح.

وفي عام ٤٥٤ م بناء على رغبة الشعب أرسل مجلس الشيوخ إلى بلاد اليونان لجنة من ثلاثين حكيماً لدراسة شرائع صولونSOLON وغيره وكتابة تقرير عنها ، ومن ثم تم تشكيل لجنة من عشرة حكماء للخروج بما جاء به الثلاثين ، لوضع قانون لروما " دستور " وتم تخويلهم لمدة سنتين للإنتهاء من وضع القانون ، الذي تم تدوينه على اثنى عشر لوحاً (ذائعة الصيت) وافقت عليها الجمعية بعد تعديلات ، و تم عرضها في السوق للناس ليعرفوا حقوقهم وواجباتهم. وكان هذا أول دستور في تاريخ الإنسانية.

أما في دولة الراشدين فكان الحكم يقوم كما قال أبو بكر على الكتاب والسُنة ، رغم أن الكتاب كان مفرقاً بين الصحابة في الأكتاف والعظم والعسيب ولم يتم جمعه بعد في مصحف واحد ، ورغم أن الحديث لم يكن بدوره حتى مسموحاً بتدوينه ، وكانت نصوصه غير معلومة لجميع أفراد الأمة وكذلك القرآن ، فكيف كان يتم حكم تلك الدولة بالكتاب والسنة وهما غير مدونين وغير معلومين من الأمة محل تطبيق هذه القوانين؟ ناهيك عن واضعي الأحاديث المحترفين وأصحاب الفتاوى وكلها كانت تصب لصالح حلف الفقيه والسلطان. والملحوظ أن المواطن لم يطالب بحقوقه من حرية ومساواة وعدل وأمن بقانون وآليات لتنفيذه وحمايته ، ولم تسع الدولة من جانبها لتوضيح تلك الحقوق له كما فعل الرومان.

وإذا كانوا سيستدعون لنا تلك الدولة النموذج ليحكمونا بها فليقولوا لنا كيف يقام العدل وتتم المساواة والحرية التي يؤكدون أنها أسس دولتهم الإسلامية؟

كيف قامت عدالة دون قانون منشور معلن يعرفه الناس ليحكموا به؟

لو كان هناك قانون مدوناً ما عاد أبو بكر إلى حديث "نحن معاشر الأنبياء لا نورث" رداً على فاطمة بنت النبي عندما طلبت ميراثها وفوجئت لأنها لا تعلم من أبيها أخص خصائها ، ما كان وحده من سيتذكر هذا الحديث أو يعتمد على الذاكرة ، **بهذا المعنى تكون الدولة دولة طواريء طوال الوقت** ، كلما أردت اتخاذ خطوة أخرجوا لك حديثاً لم يكن معلوماً من قبل ، دولة القانون حتى لو كانت دولة الكتاب والسنة

فلابد أن تعرف الرعية حقوقها وواجباتها حتى لا تخالف القانون ، وتقف أنت عند محاكمتك بين صحابي يدينك بحديث وبين آخر يجرمك بآخر وبين فتوى تهدر دمك.

إن الظلم هو خالق العدالة لأنها لو وجدت لاختفى ، والظلم كالجرم هو خروج على القانون. ولابد أن يطلع المواطن على القانون لأنه كان نسبياً بين بلد وآخر ، يعني عندما أتزوج أربع نساء في السعودية ليست جريمة ولو عملتها في فرنسا جريمة ، فالقانون هو ما يوضح الجرم للناس ويشرحه لهم. عندما تضع يافطة ممنوع الانتظار فمعنى ذلك أن تظهر المخالفات ، لو رفعنا اليافطة لن تكون هناك مخالفات ، فالقانون هو ما يحدد الجرم بل هو ما يخلقه جرماً ، لأنه يحرم أفعالاً لن أستطيع تمييزها إن لم أعرف القانون. وهنا يحدثوننا عن عدل عمر والقانون غير معروض ، وهو ما سوغ لعمر قتل رجل فاستوى الظلم مع العدل.

ومن بعد عندما تم السماح بتدوين الحديث وجمعه حدثت كارثة الحديث الحاصل على درجات ، فهذا جيد جداً سنده قوي ، **وهذا حصل على درجة مقبول لأن سنده ضعيف ،كيف يكون القانون هنا ؟ وما هو بالضبط؟**

أما المثير للانتباه أن جامعي الحديث لم تكلفهم الدولة بذلك عبر تاريخها المتطاول إنما قام به من قام متطوعاً لوجه الله. مجرد تذكير ، إن الآية التي جاءت في قتل عمر للمتقاضي إليه لابد أن نفهم أنها كانت تبريراً له لمكانته خاصة في الإسلام ومن نبي الإسلام ، وليست تشريعاً ، وإلا وجب قتل الأعراب الذين قالوا آمنا وهم مسلمون فقط لم يرتقوا إلى رتبة المؤمنين بعد.

كيف كان لقاض أن يحكم بالكتاب والسنة زمن الراشدين ولم تكن معه نسخة من الكتاب ومن السنة ؟ في هذه الحال أن يجتهد رأيه وهو ما قاله النبي لمعاذ بن جبل سفيرا إلى اليمن ، يعني كل واحد واجتهاده وكل واحد ورأيه فهل هكذا سيحكمونا عندما يركبوا مصر ؟ كل واحد حسب ظروفه ؟!

الملحوظة التي تؤكد ذلك أنه تم قتل أكثر من سبعين من أسرة النبي الأقربين ، ودخل الصحابة قتالاً قتلوا فيهم بعضهم بعضاً بالألوف من كربلاء وحتى وقعة الحرة المخزية وحتى ضرب الكعبة بالمنجنيق وحرقها ، يؤكد هذا الخوارج الذين رفضوا التحكيم ، يؤكد هذا أطراف معركة الجمل ، كل طرف دوماً كان يتحدث لصالح قضيته بالقرآن والسنة ، وكل طرف ومعه الوضاعين يخترعون له الحديث ، ولم يتحدثا سياسة صريحة ولو كان هناك قانون من القرآن والسُنة مدوناً لرجعوا إليه في وقعة الجمل أو في مقتل عثمان ، ولكان كل شيء قد سار بسلام إلى نتائجه وفق ترتيب قانوني واضح غير ملتبس.

إن دولة الراشدين لم تعش حتى السبعين من عمرها وسقطت ، واكتظت بأخبار الفظائع الدموية لأنها لم تكن دولة مؤسسات إنما ائتلاف قبلي لم يتمتع بعد بمؤهلات الدولة المؤسسية وهيئاتها التمثيلية ونظمها المحاسبية وهيئات المتابعة الرقابية والقضائية وهيئاتها التنفيذية التي تضمن سيادة القانون وتحميه لتحقيق العدالة والمساواة.

هذا ما يريدون أن يأخذوننا إليه حيث واحة الديمقراطية والعدل ، غير مدركين أننا نحب ديننا ونحترمه ، لكننا نعلم أن منه كثير مما كان يخص زمنه وظرفه الاجتماعي وبيئته الجغرافية وواقعه التاريخي وقيمه وأساليبه ، وأن علمنا هذا لا يقلل من حبنا واحترامنا لديننا ، لكنه فهم يتركنا بسلام مع حاضرنا نتفاعل معه بلغته من أجل ديمقراطية حقوقية كاملة ، يوضع حجر الأساس لة بالإصلاح هذه الأيام ويجب ن يحضر احتفاليته جميع المصريين ، ليبنوا المستقبل معاً.

روز اليوسف

سلسلة فقهاء الظلام

أخرجوا من مساجدنا (الجزء العاشر)



بقلم

د/ سيد القمنى

مدونة

عن مصر أتحدث

3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظنة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

الدفوع الشرعية عن المفتي و عطية

هذا الموضوع مهدى إلى الأستاذ عادل مجاهد و المجموعة الليبرالية

كان الشعور بالعار و الخجل هو سيد الموقف في أزمة الفتاوي الأخيرة ، و التي أثارتها فتاوي صادرة عن كبار المتخصصين في الشأن الإسلامي ، فإحداهما صدرت عن رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر و أفتى بها بناء على معرفته بالحديث و لأنها قامت على حديث صحيح ، و الأخرى صدرت عن مفتي الجمهورية ، و ليس بعد ذلك منصباً دينياً سوى السماء.

كشفت الأزمة عن مدى معرفة المسلمين بدينهم الذي له يتعصبون و من أجله يبذلون الغالي و النفيس ، فإذ بهم أشد الناس جهلاً به ، لأنهم تحولوا عن المعرفة المباشرة به و درسه أو الإطلاع عليه ، إلى معرفته معرفة شفاهية إذاعية تليفزيونية ، فإذا بهم يكتشفون في أيام معدودات مدى فقرهم المعرفي المدقع بدينهم ، فيثورون ثورة جهول غشوم على فتاوي تقوم على أصول إسلامية لا شك فيها .

المفزع أيضاً كان من حملة الأقلام من مثقفينا و مذيعينا الأشاوس ، فإذ بهم مشدوهون مدهشون دهشون يطالبون بالويل و الثبور و عظائم الأمور ضد الذين يفتون فيسيئون للإسلام و للرسول ، فيكشفون المستور ، فيجب أن يظل المستور مستوراً ، و يكون التجريم من نصيب المتخصص العارف المتبحر في علمه الذي أصدر الفتوى ، لأن عامة المثقفين رأت في فتواه تجريحاً للإسلام و للرسول ، لأن العامة المثقفة فقط لم تكن تعلم. و عندما علمت رفضت و احتجت و أنكرت الحديثين و الحدثين التي قامت عليهما الفتوى ، و هما من صلب سيرة النبي و لهما رجع وصدى في قرآننا و تقوم عليهما أحكام في علوم الفقه ، و أجمعت عليهما كتب السير و الأخبار و التاريخ و التفاسير و الفقه ، و لا يخلو منهما فرع من تلك الفروع الإسلامية العريقة العتيدة.

أثبت الحدثان أن مثقفينا المسلمين لا يقرأون ، بل أنهم لا يقرأون أخص ما يخصهم ، تراثهم العزيز عليهم الذي ينافحون عنه ، آناء الليل و أطراف النهار ، فإذ بهم يعاركون من أجل شئ لا يعلمون عنه شيئا.

و كعادة مثقفينا مع المشاكل المتفجرة ، هو العمل على دفنها بسرعة لإهالة النسيان عليها ، و مع السرعة و على عادة إكرام الميت بسرعة دفنه لا يفكرون حتى في نزع فتيل المشكلة المتفجرة ، بل يتم دفنها كلغم موقوت ممكن أن يتفجر في أي لحظة. فتتم الضغوط الهائلة على الدكتور عزت عطية ليعلن خطأه و أسفه و

اعتذراه و تراجعه عن فتواه ، مما انتهى به إلى مجلس تأديب مع إيقافه عن العمل ، بينما سحب المفتي الدكتور علي جمعه كتابه من الأسواق ، لكن دون أن يطاله هذا العزل لفارق المنصبين.

و بعد الدفن و التأبين و إنزال العقوبة بالأبرياء من علماء الإسلام ، عاد المسلمون سعداء كراماً بعد أن تخلصوا من العار ، بينما يعلمون يقيناً أنها مدونات مقدسة تدرس حتى الآن في معاهد الأزهر ، و ستظل موجودة لأنها ضمن تراث يرتبط ببعضه البعض و تنبني عليها أحكام و له أسباب موضوعية زمن الدعوة ، و كل ما تمكنوا من فعله هو إيقاف اللغط ، إسكات القول و السؤال ، و ترك كل شئ كما كان عليه قبل زوبعة الفتاوي.

تعالوا معي نعمل شيئاً آخر ، نعمل شيئاً لا يدفن التراث و لا ينفيه ، و أيضاً لا يخجل أو يستشعر العار منه ، تعالوا نقرأ الحقائق مجردة لنعمل فيها العقل فربما عثرنا على حل أكثر عائدية علينا بالطمأنينة و ليس بالعار، و باحترام التراث و ليس بدفنه ، و إعادة الحقوق إلى أصحابها ، و الطمأنينة للمسلمين.

ان الدكتور عزت عطية عندما أفتى برضاع الموظفة لزميل العمل ، مستنداً إلى السيدة عائشة التي أمرنا نبينا أن نأخذ نصف ديننا عنها ، كان مشغولاً بحل مشكلة لأهله و أحبابه من المسلمين و مهموماً بهم ، فهو رجل قد سلم بعدم إمكان عودة المرأة إلى البيت مرة أخرى ، و أن خروجها إلى العمل الوظيفي أصبح جزءاً من تركيب نظامنا الاجتماعي الحديث و هو موقف يحمد له مبدئياً.

كان مشغولاً بمسألة الحجاب الذي استحدث المتأسلمون فرضه على المسلمات رغم الثبوت الديني أنه كان شأناً خاصاً بنساء النبي و لا يطلب من المسلمة العادية سوى تغطية الجيب أي الثديين ، و رغم الثبوت الطبي القطعي العلمي بضرر الحجاب على الدماغ و تأثيره على عمل هذا الدماغ ، و أذاه لفروة الرأس و ضرره الشديد و البالغ لشعر المرأة التي زينها الله به ، و أن هذا الشعر و الدماغ بحاجة إلى ضوء الله و هواءه و أشعته ، فقام يقدم للمسلمات حلاً من شريعتهم لتتمكن الموظفة من خلع الحجاب أمام زميل العمل دون حرج ، و أن يتبادلا الحديث لمصلحة العمل دون تحرج ، و ليتمكنا من الخلوة لضرورات قد يفرضها العمل دون حرج ديني أو ضرر بالسمعة.

الرجل صادق اليقين بإيمانه و دينه فيما فعل ، فقال ما قال ، و ما أراد إلا خيراً ، فلجأ إلى حديث رضاع الكبير ، الذي لم يكن حديثاً فقط ، بل حديث مصحوب بالتطبيق الفوري الناجح ، فقد لجأت سهلة بنت سهيل زوجة الصحابي الجليل أبي

حذيفة إلى رسول الله (ص) ، تشكو له ما تجده في وجه زوجها أبي حذيفة من عدم الرضا وهو يرى ربيبه سالم قد كبر و أصبح رجلاً بالغاً ناضجاً يدخل على زوجته و يخرج ، فقال لها الرسول : **"إذهبي فارضعيه ، قالت : كيف أرضعه و هو رجل كبير ، قال (ص): ألا أعلم أنه رجل كبير؟ إذهبي فارضعيه"**. المهم أن سهلة صدعت بالأمر النبوي فأرضعت ربيبها سالم بعد بلوغه مبلغ الرجال خمس رضعات ، فما عادت ترى في وجه زوجها شيئاً يكدره من بعدها.

الأهم من ذلك أن السيدة عائشة أم المؤمنين تمسكت بهذا الحديث بعد وفاة النبي بل و طبقته و عملت به ، فقد كانت بحكم موقعها من الدعوة مرجعاً لسؤال المسلمين الدائم ، و حتى يكون السائل محرماً عليها فإنها كانت تأمر بنات أخيها و بنات أخوتها بإرضاع السائل أولاً ، ثم يلقاها و يطرح استفساراته و حواره معها من بعد أن يكون قد أصبح محرماً عليها بهذه الرضاعة.

الدكتور عطية يؤمن عن يقين بهذا الحديث و يصدق ذلك الحدث ، و أن هذا الإرضاع قد حول مشاعر الجميع (أبو حذيفة و سهيلة و سالم) إلى مشاعر راقية بعد الصدوع بالأمر النبوي ، انتفت منها جميع النوازع الغريزية ، بدليل ذلك الحديث ، و بدليل نتائج تطبيق الحديث. و من ثم قرر الرجل مساهمة منه في حل مشاكل مجتمعه المعاصر التي يسببها رجال الدين كفرض الحجاب و تحريم الخلوة ، بفتوى دينية يمكن بها التخفيف عن الناس ، و تحرير الرأس من الحجاب فترات مناسبة أمام زملاء العمل ، و ذلك بأن على كل موظف تفرض الظروف عليه الخلوة بموظفة أن يرضع منها خمس رضعات ، فتتحول الغرائز إلى لطائف سماوية و قطوف ربانية فلا يعود يفكر فيها كإمرأة إنما كشقيقة أو أم ، باختصار كأخت في الإسلام .

يقول الدكتور عطية مبرراً فتواه بعدة وجوه كلها سليمة شرعاً: **"إن رسول الله هو الذي رخص في ذلك ،. . و في الأعمال الدينية يستشعر المؤمن عبوديته و خشوعه لله فتنمحي النواحي الشيطانية ، و إنه أحداً من دارس الحديث و أئمته لا يمكنه أن يشكك في أن حديث إرضاع الكبير حديث ثابت و صحيح. . <u>و لو كان رضاع الكبير فيه أدنى شك لعاتب الله نبيه في تشريعه ، و لثار الصحابة جميعاً على عائشة</u>"**. و في توضيحه لطريقة رضاع الكبير و الغرض منه ، قال فضيلته : **<u>"أن المرأة في العمل يمكنها أن تخلع الحجاب أو تكشف شعرها أمام من أرضعته ، و هذه هي الحكمة من إرضاع الكبير ، و أن الإرضاع يكون بالتقام الثدي مباشرة"</u>**.

و يرد من رأى في فتواه مجافاه لزماننا و تقاليده و أعرافهبقوله : **"إن أحكام الإسلام ترتبط بذات الإنسان عبر الأزمان و الأماكن ، و ذات الإنسان لم تتغير. . و من أرذل الرذائل استقباح أو النفور من أمر الرسول. . فالله أدرى بمصالح عباده"**.

كانت تلك أقوال د. عزت عطية للعربية نت و الوطني اليوم ، و قد استمر مصراً على فتواه مدافعاً عنها فقال في النيل الثقافية : " **لو رضع كل الناس من بعضهم فهذا فائدة للإسلام ، لأن كل رجل سيحترم المرأة و لن يؤذيها. و بشأن من يقول أن هذا الحديث ينطبق على حادثة أبي حذيفة فقط ، فلماذا إذن استخدمته السيدة عائشة و لم يكن ذلك اجتهاداً منها ، لأن من يطبق النص لا يكون مجتهداً ، أما من يعارضه فليأت بالدليل**". و يشير إلى أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر أخذت بذات الحديث **"عندما بعثت ابن أخيها سالم بن عبد الله بن عمر ليرضع من أخت السيدة عائشة حتى يدخل عليها ، فرضع ثلاث مرات و تعبت و لم يتم خمس رضعات فلم تدخله السيدة عائشة"**.

و في حوار أخير له مع الوطني اليوم قبل ارتداده على عقبيه ، قال ملخصا الموقف : **"إن ما قلته و أقوله هنا فتوى أسأل عنها أمام الله ، و كنت أعني كل كلمة نطقت بها ، فأنا استاذ و رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين ، أى أنني عالم من علماء الدين و كلامي هو فتوى شرعية ، و من حقي كعالم دين أن أعلن رأيي في أي قضية بدون موافقة مجمع البحوث الإسلامية ، فأنا أرفض أي قيد على حرية الرأي ، و عدم الإقتناع عقلاً بحديث الرضاع لا يمنع ثبوته فهو حديث صحيح ، و الاعتراض عليه هو اعتراض على الرسول (ص) و تشكيك في السنة النبوية ، فرأت عائشة رضي الله عنها أن الخلوة ضرورة لتحصيل العلم و الفتوى ، و رأت أمهات المؤمنين أن الفتوى ليست ضرورية ، و أنا أرى رأي عائشة. . و الحكمة من طرح هذه القضايا في وسائل الإعلام هو فتح شهية الناس للبحث و الدراسة بحيث يرجع الناس إلى العلماء لفهم التفاصيل "**.

كما تابعت الدكتور عزت عطية ، فقد تابعت أيضاً الردود الفقهية التي سيقت ضد فتواه ، و التي استندت بدورها إلى شواهد من الحديث الشريف ، فقد حشدوا في مواجهتة مجموعة أحاديث منها على سبيل المثال

- **عن أم سلمة قالت : قال رسول الله (ص) : "لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء من الثدي و كان قبل الفطام"** / رواه الترمذي حديث صحيح حسن ؛ أي لابد من وجود اللبن في الثدي المرضع كي تكون رضاعة محرمة و بشرط تمامها في الحولين.
- **عن ابن مسعود : "لا رضاع إلا ما شد العظم و أنبت اللحم"**

- **و قول النبي : " إنما الرضاعة من المجاعة "** ، أي أن الرضاعة التي تحرم هي ما كانت في فترة الطفولة حتى يكون اللبن سبباً في بناء لحم الطفل ، فتكون المرضعة قد أنبتت من لبنها لحم الطفل كالأم عندما نبت من رحمها ، فتكون المرضعة أماً بهذا المعنى.
- **عن ابن عباس مرفوعاً : لا رضاع إلا في الحولين** أى في السنتين الأولين/ رواه الدار قطني ٤ / ١٧٧٤ ، و نصب الراية ٣ / ٢١٨ و كنز العمال ١٥٦٧٨.

و رأت مجموع الردود أن هذا هو ما نص عليه القرآن و أوضحته السنة و عمل بها كل الصحابة ماعدا عائشة وحدها و ما ورد عنها .و تأكيداً لعدم ترتب التحريم على رضاع الكبير ، أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن عمر يسأله عن رضاع الكبير فقال عبد الله بن عمر : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني كانت لي وليدة (أمة / جارية) و كنت أطؤها ، فعمدت إمرأتي إليها فأرضعتها ، فدخلت عليها فقالت : دونك ، فقد و الله أرضعتها ، فقال عمر : أوجعها و أت جاريتك فإنما الرضاعة رضاعة الصغير.

و يردون فتوى عطية بالقول إنه لو جاز شرعاً رضاع الكبير لضاعت مصالح الناس ، و لفسدت العلاقات ، فهذه امرأة ترضع ضرتها لتحرمها على زوجها و تلك ترضع خطيبة ابنتها لكي لا يتزوجها ، و لم يقل بثبوت حرمة النكاح لرضاع الكبير إلا الظاهرية فقط. و كان الدكتور عطية قد استبق هذا الرد بتأكيده للوطني اليوم **"أن إرضاع الكبير لا يحرم النكاح أو الزواج ، أما إرضاع الصغير فهو الذي يحرم النكاح"** أي أن الرضاع المحرم حسبما أخبر النبي هو ما فتق الأمعاء و أشبع الجوع ، و ليس مجرد مص الثدي ، لأن إرضاع الكبير يعني مص الثدي سواء كانت المرأة ذات ولد ترضعه أو لم تكن ذات ولد و لا لبن.

و في حادثة سالم مولى أبي حذيفة قال القاضي عياض : **"و لعل سهلة حلبت لبنها فشربه من غير أن يمس ثديها و لا التقت بشرتاهما"** ، و من بين الرواه الذين لم يستسيغوا التقام الثدي ، ابن سعد الذي لم يبدأ روايته بافتراض (لعل) مثل القاضي عياض بل قال مباشرة : " كانت سهلة تحلب له في مسعط / إناء / قدررضعه فيشربه سالم كل يوم حتى مضت خمسة أيام ، فكان بعد ذلك يدخل عليها و هي حاسر، رخصة من رسول الله / انظر شرح الزرقاني على الموطأ ج ٣ ص ٣٠٦ ، و هو ما استند إليه الذين ردوا فتوى الدكتور عطية بضرورة التقام الثدي بالشفتين ، و قد احتاط الدكتور عطية لمثل هذا الرد سلفاً ، فقال بالوطني اليوم : **"إن الوسائل الموصلة كالحلب في إناء ، فهو لأن بعض الناس تتحرج من أمر الرسول ، و**

الشرع ليس بذوق الناس ، و الدين ليس خاضعاً لرغبات الناس ، و إجازة العلماء الحلب في إناء نوع من الترفع و الادعاء احتياط في تفسير الحديث ، و لم يرد في الروايات".

و من ردوا عليه تعميمه للحالة على كل المسلمات بحسبانهم أن حالة سهلة بنت سهيل كانت حالة خاصة و رخصة خاصة بسالم وحده و سيدته سهلة بنت سهيل ؛ فقد رد عليها الدكتور عطية بفعل السيدة عائشة و قريباتها التي عممت الرخصة بما فعلت .

اللافت للنظر في هذه المعركة الفقهية بطولها ، ان الدكتور عزت عطية و أياً ممن ردوا عليه ، لم يشيروا إلى الأصل القرآني للموضوع كله ، و التي قام عليها عدد الرضعات للكبير ، و هو ما يرويه الإمام السيوطي في (الإتقان في علوم القرآن) ، **قالت عائشة : "كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات ، فنسخن بخمس معلومات ، فتوفى رسول الله (ص) و هي ما يقرأ في القرآن"** ، و يؤكد القول ذاته ابن الجوزي في كتابه (نواسخ القرآن) مضيفاً **قول عائشة : "فلما اشتكى رسول الله تشاغلنا بأمره ، فأكلتها ربيبة لنا ، أى الشاة".** و قد أورده صحيح مسلم ٢ / ١٠٧٥ / ١٤٥٢ و الترمذي في سننه ٣ / ٤٥٦ و الصنعاني في مصنفه ٧ / ٤٦٧ و ٤٧٠ ، و يعقب النووي على قولها : **"فتوفى رسول الله (ص) و هي فيما يقرأ بالقرآن ، معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى أنه توفى (ص) و بعض الناس يقرأ خمس رضعات و يجعلها قرآناً متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده ، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك و أجمعوا على أن هذا لا يتلى ، و على هذا فلا يشكل أن يكون الداجن (أى الشاة) - لو ثبت – قد أكل تلك الصحيفة ، لأنها من القرآن المنسوخ تلاوته".**

و يرويها مسند أحمد ٦ / ٢٩٦ و ابن حزم في المحلى ١١ / ٢٣٥ و ابن ماجه في سننه ١ / ٦٢٥ و الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١١٣ كالآتي : **" عن عائشة : نزلت آية الرجم و رضاع الكبير عشر ، و كانت في صحيفة تحت سريري ، فلما مات رسول الله (ص) تشاغلنا بموته ، فدخل داجن (شاه أو عنز) و أكلها ".**

بيان وتوضيح

من الأستاذ الدكتور عزت عطية
رئيس قسم الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة
جامعة الأزهر

ما أثير من كلام حول موضوع رضاع الكبير وما صرحت به إنما كان نقلا عن الأئمة ابن حزم وابن تيمية وابن القيم والشوكاني وابن خطاب وما استخلصته من كلام ابن حجر رحمه الله.

ومع هذا فالرأي عندي أن الرضاعة في الصغر هي التي تثبت بها التحريم كما قال الأئمة الأربعة وأن رضاع الكبير كان واقعة خاصة لضرورة وما أفتيت به كان مجرد اجتهاد

وبناء على ما تدارسته مع إخواني من العلماء فأنا أعتذر عما بدر مني قبل ذلك وأرجع عن هذا الرأي الذي يخالف الجمهور

الاسم: عزت علي عطية

و قد حمل بعض الفقهاء ذلك النسخ على انه مما نسخت تلاوته و حكمه معاً فابطلوه ، لكن بعض الشافعية و الحنابلة حملوه على ما نسخت تلاوته دون حكمه مثل مثل الرجم ، فآية الرجم التي أكلتها الشاة مع آية رضاع الكبير غير موجودة بالقرآن فتم احتسابها مما نسخت تلاوته مع بقاء العمل بحكمها ، و لترافقها في الفقد من المصحف بأكل الشاة لها مع آية رضاع الكبير ، فإن العمل بحكم الرجم رغم عدم وجود الآية ، يلزم عنه العمل بحكم آية رضاع الكبير التي فقدت معها بدورها.

و الظاهر من حديث عائشة أن النسخ كان بعد وفاة النبي و لكنه أمر غير مقبول بإجماع ، لنص القرآن على أن الله لا ينسخ آية من آياته إلا و يأتي بأحسن منها أو مثلها : **"و ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها"**. لذلك ترك العمل بهذا الحديث مالك بن أنس و أحمد بن حنبل و أبو ثور و غيرهم (للمزيد انظر مشعل الآثار ٣ / ٦ : ٨ و أصول السرخسي ٢ / ٧٨ و فتح المنان ٢٢٣ : ٢٣٠ و الفقه على المذاهب الأربعة ٤ / ٢٥٨ : ٢٦٠).

ربما لو كان مسموحاً للدكتور عطية بالكلام الآن و هو خاضع لمجلس تأديب ، لربما رد عن نفسه الكثير ، لرد على قولهم بكون حديث رضاع الكبير حالة خاصة و رخصه لسالم و سهلة تحديداً دون غيرهم ، بكيف تكون حالة خاصة و فيها نص قرآني ، و ليس نصاً واحداً بل نص أول تم نسخه بنص تالي يجعل رضاع الكبير خمس مشبعات بدلاً من عشر ، و هو يشير إلى مدى اهتمام القرآن بالأمر ، و أن مجرد وروده عاماً مجرداً **"و رضاع الكبير عشراً"** يعني عموميته لا خصوصيته ، و إلا لخصص كما خصص لزيدبن حارثة **"فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها"**. وحتى مع تخصيص الآيات فإن الحكم كان عاما وتم إلغاء التبنى من الإسلام .

ربما لو كان مسموحاً له بالقول لقال إنه فيما أفتى ليس مجتهداً بل متبعاً ، و اتباعه هو لخير متبوع ، فهو إنما قال بما قالت و فعلت علناً السيدة عائشة التي هي مصدر نصف دين المسلمين. ربما قال أيضاً : إن الإسلام و نبيه و قرآنه و حديثه لم يأتو ليحلوا لصحابي مشكلة خاصة على انفراد ، أو لسألهم الدكتور عطية: فماذا عن قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؟ لماذا تصبح هذه الحالة خاصة بسالم و سهلة بنت سهيل دون بقية المسلمين مادامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؟ فإذا خرجتم على القاعدة فلتعلنوا ذلك واضحاً لأنها قاعدة دونها الكفر عند الفقهاء ، و حتى يتمكن غيركم من الخروج عليها في شئون أخرى تحكمون بها رقابنا ، دون أن تعرضونا للتكفير؟ أم أنكم تنكرون معلوماً من الدين بالضرورة؟ وهل من بين المعلوم بالضرورة من هو أقوى سنداً و شرعية من أمنا عائشة و هى من قال ، و هى من فهم ، و هى من وعى ، و هي من عاش الحادثة ، و هى من نأخذ عنها نصف إسلامنا ، و هي من طبق الحديث و الآيات المفقودة ، وهى من عمل بها في تفاصيل عديدة رصدتها لنا كتب السير و الأخبار الإسلامية.

ربما لو كان مسموحاً لعطية بالقول لسألهم: لماذا أخذت السيدة حفصة بنت عمر بذات الحديث ، و أرسلت ابن أخيها سالم بن عبد الله بن عمر ليرضع من أخت السيدة عائشة حتى يدخل عليها ، فرضع ثلاث مرات ، لكنها تعبت و لم تتمكن من المواصلة فرفضت السيدة عائشة دخوله عليها؟

ربما رد عطية على من يقولون (بربما) حلبت سهيلة لبنها لسالم في مسعط ، أن يثبتوا أن سهلة آنذاك كانت منجبة حديثاً لطفل في حال رضاعة حتى يتوفر لبن يصب في مسعط ، و هو ما لم يرد بالرواية و لا بالإشارة.

كما لم ترد أي إشارة لأي حادثة رضاع كبير توضح ماذاكانت المرضع ترضع طفلاً من الأصل و أن لديها وفرة من اللبن ، فالهدف إذن كان هو تماس الشفتين و الحلمة للمص فقط ، لكن المسألة هنا ستكون ما هى المدة اللازمة للإشباع و من سيشبع بالضبط؟ و طبيعة هذا الشبع ، ربما تفيدنا حادثة سالم الآخر بن أخي السيدة حفصة الذي ذهب يرضع من أخت السيدة عائشة ، فرضع منها ثلاث مرات و تعبت فلم يتمكن من استكمال الشرط الشرعي بخمس رضعات ، فيكون التعب هنا هو علامة الشبع المقصود ، فقد تعبت من إشباع مرات ثلاث و لم تستكمل الإشباع خمساً ، لذلك رفضت السيدة عائشة أن تلقاه.

لذلك فرق الحديث بين الرضاعة التي تحرم و هي من المجاعة أي بشرب اللبن الذي يفتق الأمعاء و قبل الفطام في الحولين الأولين ، و بين رضاعة الكبير التي ليس فيها شرب حليب حقيقي لذلك لا تؤدي إلى التحريم و لا تمنع الزواج لأنه لا يشرب حليباً يبني جسده فيصبح ولداً للمرضعه. و لو أراد النبي بالرضاع حلب اللبن في مسعط لقاله لسهلة بنت سهيلة بوضوح ، و لما استغربت هي و سألته : كيف أرضعه و هو رجل كبير؟ ، و هو استدراك كان كفيلاً باستدراك نبوي مماثل يشير إلى الصب في مسعط لأن سالم رجل كبير ، لكنه قال لها بتكرار آمر إذهبي فارضعيه ، و في رواية (فرَضّعيه) بفتح الراء و بتشديد الضاد. لتأكيد مقصده.

إذن و بوضوح كان الغرض هو تماس الرجل و المرأة تماساً شديداً يصل إلى حد مص الثدي ، لإزالة غربة البعاد و التخفي ، و قد لوحظ أنه في المصايف في بلادنا لا تلفت المرأة بالمايوه نظر الرجال لأنها أصبحت شيئاً اعتيادياً ، ناهيك عن وضعها في دول العالم الأخرى ، و من ثم تصبح المرأة بعد رضاع الكبير هي و الرجل كالشقيقين خاصة أنه أمر يتم عن معرفة من المحيط به و في العلن. أعتقد أن هذا ما راود خاطر الدكتور عطية و هو يلقي بفتواه كحجر ثقيل في مياهنا العفنة الآسنة ، عن إيمان و يقين أن الله سيلقي بألطافه السماوية عند طاعة النبي برضاع الكبير ، مما يحول الموظفين في بلادنا إلى أشقاء و شقيقات يعيشون حياة طبيعية في مجتمع متآلف متراحم يأمنون بعضهم بعضا دون خجل من الأخوة في العرفان بالله. رغم أنهن جميعاً كن سافرات قبل صحوتنا الإسلامية المباركة ، و كن يحظين باحترام و تقدير المجتمع كله دونما انتشار للرذيلة المستترة في نخاع المجتمع الحالي.

و لم يحتجن أيامها فتوى لخلع الحجاب ، بل كان خلع الحجاب إحدى علامات العزة الوطنية بالحرية و قرار اجتماعي عام بإعادة الاعتبار إلى نصف الأمة المشلول ، فكان علماً من معالم و مكاسب ثورة ١٩١٩ بل كان أهم هذه المكاسب.

إن ما أكتبه هنا لن يعجب الدكتور عزت عطية نفسه ، لكنى أطالبه فقط بأن يسمح لغيره بحرية الرأي و القول و هي الحرية التي أصر هو عليها و أعلنها ، و رفض بموجبها الرجوع بفتواه إلى مجمع البحوث الأزهري. و عندما أقدم دفوعي هنا أقدمها لوجه الحق و ليس لوجه شخص ، أقدمها لأني سأبني عليها الآن قولاً آخر هو الهدف و الغرض و المرتجى النهائي لما أكتب هنا.

الدكتور عزت عطية لا شك عميق الإيمان ، و أيضاً هو رجل مخلص لبني ملته يريد لهم الخير و التخفيف عنهم بعض أثقال وضعها على الناس زملاء له عمموا الحجاب و رفضوا تعميم رضاع الكبير ، فهم كل يوم في شأن!! يرخصون و يمنعون و يحللون بالمزاج ، لذلك لجأ الرجل إلى رضاع الكبير و اعتبره حالة عامة لا خاصة ، كما اعتبروا الحجاب حالة عامة رغم كونه كان مخصوصاً بأمهات المؤمنين وحدهم.

الرجل أعلن ما يعلم في مقدسه بغض النظر عمن سيرضى أو عمن سيغضب ، و بغض النظر عن ذائقتنا الأخلاقية اليوم لشئون الجنس ، لأنه على يقين من سلامة النتائج مادامت تنبني على مقدمات من حديث و قرآن و تجارب سابقة. و رغم ذلك تعرض الرجل لهبة من زملائه تندد به ، خاصة أن آية رضاع الكبير و آية رجم الزاني التي أكلتهما الشاه غير موجودتين بالقرآن العثماني ، و أن مصدر الروايتين السيدة عائشة ، و هى من أصر على عدم نسخ آية رضاع الكبير خمساً ، و عملت بها و بالحديث التي هي أيضاً من رواه. و يعلم جميع المهتمين بهذه المسألة أن غلاة الشيعة قد استثمروا ذلك للطعن في السيدة عائشة ، بكونها اخترعت الأمر اختراعاً ، بعد أن مات النبي و عمرها ثمان عشر عاماً مع منعها من الزواج بغيره بعد موته ، و قد وجدت في ذلك حلاً لمشكلتها الجنسية فهي إنسان كبقية البشر ، و هو قول مرذول مردود لأنه لم يثبت أنها أرضعت بنفسها أحداً في أي خبر في مكتبتنا التراثية الكبيرة. وسبق أن برأها القرآن الكريم من اتهامها بالفاحشة مع صفوان بن المعطل فى غزوة خيبر، فيما عرف بحديث الإفك ،واتهامها بذلك هو تزيد وإفك جديد .

على الجانب السني لخص صاحب المنار الموقف من أحاديث السيدة عائشة بهذا الشأن في قوله : **"لو صح أن ذلك قرآناً لما بقى علمه خاصاً بعائشة ، بل كانت الروايات تكثر فيه ، و يعمل به جماهير الناس ، و يحكم به الخلفاء الراشدون ، و**

كل ذلك لم يكن ،. . و إن رد هذه الرواية عن عائشة لأهون من قبولها ، مع عدم عمل جمهور السلف و الخلف بها / تفسير المنار ٤ / ٤٧٢".

خطأ الدكتورعزت هو التباس الشأن لديه في التحريم من عدمه لرضاع الكبير ، فلم يعد للإرضاع حكمه إذا كان لا يحرم الزواج ، و بينما هو يستند إلى السيدة عائشة ، فإن السيدة عائشة كانت تلجأ لإباحة الخلوة برضاع الكبير ، باعتبار أن هذا الأرضاع يحرم و يجعل من يلقاها ذي محرم .

أما الخطأ الأكبرفهوذلك النوع من الإيمان الذي يمنع أى ضوء آخر من الوصول للإنسان ، فيرى المعجزات قابلة للتحقيق ، و ان ما كان يحدث في مجتمع و زمان و مكان منذ ألف و أربعمائة سنة يمكن أن يحدث اليوم. فهو رجل نصي شديد النصية ، لذلك وصفه المشايخ المخالفون له بالظاهرية ، فهو يرى أن حفل مص عالمي للمسلمين كفيل بحل المشكلة الجنسية المستفحلة في بلادنا ، الرجل نصي إلى حد أنه في الحوار مع الوطني اليوم اعتبر تسجيل حالة الزنا بالفيديو لا تثبت الزنى ، فلابد من أربعة شهود من البنى آدمين يرون رؤى العين عضو الرجل كالميل و هو يدخل ويخرج في مكحلة المرأة. نصية الرجل و تصوره أن النص الديني يملك قدرات سحرية و يمكنه أن يكون فاعلاً في حياتنا اليوم هو تصور سحري يكفي بموجبه تغيير الواقع كما نريد ببعض الطقوس و التلاوات والأفعال. و هو في ذلك ليس فريداً فالمسلمون و مشايخهم يعتقدون حتى اليوم بأن صلاة الغيث تنزل المطر ، حتى اليوم لا يعترفون بكل التقدم الفلكي الهائل و يصومون على تفرق بين بلدانهم لإصرارهم على رؤية الهلال بالعين المجردة ، حتى اليوم يصرون على أن الطلاق يقع لفظاً .

ان الدكتور يتحدث عن رضاع الكبير في مجتمع كانت نساءه لا تتسرول و لا تعرف الأزرار لتداري صدرها فتسير به مفتوحاً على وجوه الرجال ، مجتمع كان ينكح الصغيرة دون حرج فقد تزوج النبي عائشة و عمرها تسع سنوات و عمره اثنين و خمسين ، بل كانوا يخطبون البنت في بطن أمها. مجتمع كان يتحدث عن النكاح (و هي كلمة تعني الفعل الجنسي الصريح بإطلاقه) دون جزع ، مجتمع يفاخذ الرضيعة ، مجتمع يتحدث فيه النساء و الرجال عن النكاح بألوانه و أشكاله دون ملامة ، مجتمع يحوز الرجل فيه على أربع زوجات و ما لا عدد له من الإماء و يضع الرجم عقوبة للزنى ، و لا يضع عقوبة للجنس المثلي أو إتيان دبر المرأة أو معاشرة الحيوان ، مجتمع قوانينه ثأرية و ليست إصلاحية فيقطع و يرجم و يجز الرقاب بشكل اعتيادي ، مجتمع سادة و عبيد ، حتى سادته درجات و بيوته أصناف

باختصار كان مجتمعاً مختلفاً بالكلية حياة و عادات و تقاليد و نظم اجتماعية عن مجتمعنا اليوم .

إن خطأ الدكتور الحقيقي إذن هو اعتقاده في فكره صلاحية أي شئ إسلامي لكل زمان و مكان. و أن ما كان يؤتى بحلول زمن الصحابة يمكن بتكراره أن يؤدي لذات النتيجة اعتماداً على مبدأ السحر التشاكلي حيث ينتج الفعل الشبيه شبيهه المراد و المطلوب ، غير ملتفت بالمرة إلى ما حدث في الدنيا منذ كانت عائشة تأخذ برضاع الكبير. الرجل يتصور أيضاً أن كل الحلول لابد أن تكون من الإسلام و لا يتصور حلولاً مدنية أبداً ، لذلك يتطوع مشكوراً للبحث عن هذه الحلول في خفايا ديننا ليقدمها لنا في شكل فتاوي.

لو كان صالحاً لكل زمان و مكان فأين هم عبيدنا؟ و أين هن جوارينا و إمائنا؟ و أين هن السبايا؟ أين هي حقوق العرب الفاتحين من جزية و فيئ و خراج و أنتم تعلمون أننا و بلادنا معنا ، وقف على العرب الفاتحين بالقرار العمري الأشهر، أم أن ذلك ليس من شرعنا؟ لقد ظل الرق مشروعاً منذ زمن النبي و الصحابة الذين ماتوا جميعاً و عندهم عبيدهم و ملك يمينهم حتى ١٩٦٤ عندما اضطرت السعودية لإعلان إلغائه تحت الضغط الأممي.

إذا كان صالحاً لكل زمان و مكان فإن فتوى الدكتور عطية تكون أوفق لو طلبت حل مشاكلنا الجنسية بإعادة أسواق العبيد و الجواري الحسان مرة أخرى. و ما أقوله هنا هو إسلام في إسلام و إيمان ١٠٠ % ، لا يستطيع أن يعترض عليه لا عطية و لا المفتي و لا شيخ الأزهر ، وليردونا بالبرهان إن استطاعوا.

على المسلمين أن يعلموا و هم يتمسكون بقاعدة الصلاحية التامة لكل زمان و مكان أنها تخلق إشكالاً عصي الحل بالمرة في تعاملهم مع زماننا و عصرنا ، في كل المجالات ، سياسة ، اقتصاد ، علوم ، قيم ، أسلوب حياة ، قانون ، علاقات اجتماعية و دولية. . إلخ. و أن الكثير مما نعتقده صالحاً لكل مكان و زمان يجب تركه لمكانه و زمانه.

إن في كل دين ما هو صالح لزمنه فقط ، و فيه ربما ما يصلح لأزمنة أخرى ، و فيه ما يصلح لمكانه فقط و مجتمعه وحده ، و فيه ربما ما يصلح لمجتمعات و أمكنة أخرى ، ولدى كل دين ما يخجل منه صاحبه اليوم و يستشعر العار ، فقط عندما يطلب له الصلاحية لكل زمان و مكان ، لكنه أبداً لن يستشعر هذا إذا ما ترك من دينه ما كان مرتبطاً بزمانه و مكانه لزمانه و مكانه ، ففي التوراة تجد خطابات جنسية صارخة و أحداث أكثر صراخاً تموج بصهيل الجنس (بتعبير التوراة / العهد

القديم) و تكفي إطلالة على نشيد الإنشاد الذي لسليمان ، حتى تشعر بنشوة الإستمتاع إلى شعر أبي نواس الفاضح ، و النبي إبراهيم تزوج أخته سارة ، و النبي موسى تزوج عمته يوكابد ، و النبي لوط جامع إبنتيه فأنجب بني عمون و بني موآب ، و النبي داود جامع امرأة رئيس جنده أوريا الحيثي و أرسله للقتال مع مؤامرة بحيث يتم تركه للقتل في المعركة ليفوز بالنعجة المئة بعد أن أمتلك تسع و تسعين نعجة. و النبي سليمان كانت له سبعمائة جارية و ثلاثمائة زوجة ناهيك عن مغامراته مع ملكة سبأ ، و يهوذا نكح زوجة ابنه و حملت منه نسلاً سيأتي منه المسيح من بعد ، و هو المسيح الذي كان يعاشر العشارين و الخطاة والزناة ومن معجزاته تحويل جرار الماء إلى خمر لذة للشاربين.

إن الشعور بالعار سيتولد عندما نصر على أن بول الجمل أو الناقة فيه شفاء للناس ، في زمن أصبح يعلم فيه الطفل في مرحلة الإبتدائية أن هذا البول هو سموم يطرحها الجسم خارجه ، الشعور بالعار سيتولد عندما يفتي مفتي الجمهورية بأن بول الرسول علاج للأسقام ، و أن نخامته و بصاقه و عرقه يتداوى به ، و قد تتولد الحيرة لدى المسلم و هو يفاضل في العلاج بين بول الجمل و بول الرسول.

إن ما صدر من المفتي كان خبراً و ليس فتوى حتى يتراجع بدوره عنها و يسحب كتابه من الأسواق ، فليس بالإمكان الحصول على هذا البول لتنفيذ الفتوى لو كانت فتوى ، كان خبراً لا يخلو منه كتاب من كتب السير و الأخبار و الحديث الإسلامية ، فكان صحابة النبي يتقاتلون على بصاقه و نخامته صلى الله عليه و سلم ليدلكوا بها وجوههم ، و جلدهم ، ذلك كان زمانهم و هذا كان اعتقادهم ، و لو كان بول النبي غير بول بقية الناس لما تطهر النبي منه ، و لو كان النبي يعلم ذلك عن بوله يقيناً لما بخل عن توزيع بوله على المسلمين الذين فدوه بالروح و بالدم ، و لجاءت الأخبار تفيد بذلك ، لكن حادثة البول كانت حادثة واحدة حدثت كطرفة تاريخية ، فقد قام الرسول ليلاً لحاجته فبال في إناء بجواره ، فقامت أم أيمن (حاضنته) عطشى فشربت البول و قد حسبته ماء ، فلما أصبح الرسول و علم قال لها : **"صحة يا أم أيمن ، لا يجفر بطنك بعدها أبداً"**. ربما نصدق الحدث و ربما نصدق أن الرسول قال لها على سبيل المزاح و إذاهباً لروعها **"صحة يا أم أيمن"** ، لكنا أبداً لا نستطيع أن نقبل استطراد الحديث **"لا يجفر بطنك أبداً"** لأنه لو كان ذلك حقاً ، لظل بول الرسول محفوظاً حتى اليوم نزيده كلما نقص لنتداوى به الأمة أبد الآبدين (مثلما يحدث فى ماء بئر زمزم!) ، و لكان إخفاء هذا الدواء الشافي عن الصحابة رغم علم النبي به نوع من البخل الذي لا يليق بالنبي الكريم ، لذلك و لا شك أن تلك كانت إضافة تقديسية من كاتب الحديث أو راويه مبالغة في تكريم الرسول إلى حد إهانته ،

إنها مديح البداوة ، ألم يقل البدوي في شعره ماداحاً : أنت كالتيس في قراع الخطوب ، و كالكلب في الوفاء.

أن مثل هذا الحديث اليوم ، لهو حديث الأمم عندما تشيخ و يصيبها الخرف ، هو براز ونخام وبصاق وبول التخلف العقلي و الكساح الفكري و العته في الفهم و الضلال في الرأي و الخراب في الديار و الفساد في الضمائر .

إن ما صدر عن الدكتور عزت عطية و عن الدكتور على جمعة قد انبنى جميعه على أحداث حدثت زمن الدعوة وثقها تراثنا أيما توثيق ، فقط كان الخطأ في النظارة التي يلبسها أهل الدين في بلادنا. لكن المفزع حقاً لكل مسلم هو ما ترتب على ذلك من أحداث انتهت بتراجع كليهما عما قال و إخضاع الدكتور عزت عطية لمحاكمة تأديبية بعد إيقافه عن أداء عمله.

هنا الجريمة الحقيقية ، جريمة ارتكبها المجتمع علناً و هو راض قرير العين ، جريمة كذب و جريمة محاكمة باطلة خوف العار دون أن يخافوا ربهم و هم يظلمون ، و جريمة إنكار معلوم من الدين بالضرورة علناً بموافقة كل المسلمين.

أقرأوا معي بيان المجلس الأعلى للأزهر و هو أعلى جهة إدارية تابعة لمشيخة الأزهر في مصر ، بخصوص فتوى الدكتور عطية ، إذ يقول البيان : **"إن ما جاء على لسان الدكتور عزت عطية يتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، و يخالف مبادئ التربية و الأخلاق ، و يسئ إلى الأزهر كمؤسسة إسلامية مرموقة"**.

أيها الناس : إن الأزهر ينكر معلوماً من الدين بالضرورة علناً و دون أن يستحي أو يخجل!!

كان على البيان أن يميز بين مرجعية الفتوى من أحداث زمن الدعوة و بين الفتوى نفسها ليصفها بما يشاء من سخائم لكن البيان شمل كل قول عطية ، و هو إنكار علني لمعلوم من ديننا بالضرورة ، ضرورة اتفقت عليها صحاح المصادر جميعاً.

لذلك تجد فرقاً واضحاً بين هذا البيان ،و بين البيان الذي كتبه عطية يعلن تراجعه عن فتواه ، دون أن يتراجع لحظة عن إعلان مصادره ، فيقول : **" إن ما أثير من كلام حول موضوع إرضاع الكبير ، و ما صرحت به إنما كان نقلاً عن بعض الأئمة مثل ابن حزم و ابن تيمية و ابن القيم و الشوكانى و أمين خطاب و ما استخلصته من كلام بن حجر ، و مع هذا فالرأي عندي أن الرضاعة في الصغر التي يثبت بها التحريم كما قال الأئمة الأربعة ، و أن موضوع إرضاع الكبير كان واقعة خاصة**

لضرورة ، و ما أفتيت به كان مجرد اجتهاد. و بناء على ما تدارسته مع إخواني العلماء ، فأنا أعتذر عما بدر مني قبل ذلك ، و أرجع عن هذا الرأي الذي يخالف الجمهور".

و كيف لا يتراجع الرجل و هو يرى خمسين عضواً إخوانياً معظمهم أزاهرة بمجلس الشعب المصري و هم يعربون عن قلقهم من انتشار فتوى الدكتور عطية إعلامياً ، كيف لا يتراجع و هو يرى زميله الأزهري رئيس مجمع البحوث الأسبق و العضو الإخواني (السيد عسكر) يعلن باسمهم إخوان وأزاهرة أن فتوى الدكتور عطية خروج على إجماع علماء الأمة بل أنها تسهم في نشر الرذيلة بالمجتمع ، لسبب مبهر **"لأنه ليس من المعقول أن نتحدث عن رضاع الكبير في مجتمعنا الحديث".** ، كيف لا يتراجع و زميله عضو مجلس الشعب الشيخ ماهر عقل يعلن ان كشف المرأة ثديها لغير زوجها يعتبر كشفاً لعورة. كيف لا يتراجع و هو يرى كل الخطائين يرمونه بأحجار آثامهم ، كيف لا يتراجع و هو يرى سكاكين الفتاوي الأخرى تطارد فتواه ، و هم الزملاء الذين حبذوا تراجعه و حمدوه له ، فهذا الدكتور عبد المعطي البيومي يرى رجوعه كافياً **(لا تعلم هل كان مطلوباً قص رقبته مثلاً ! ؟) و ان الرجوع للحق فضيلة ، و واجبنا أن نتعامل بالرحمة و الرفق معه** ، و الدكتوره سعاد صالح قالت **: "إن الخطأ في الفتوى شئ وارد ، و قد أخطأت في بعض الفتاوي و تراجعت عنها و ليس في هذا عيب ، لأن الخطأ الحقيقي هو الإصرار على الخطأ ، أما الرجوع و الإعتذار كما فعل الدكتور عزت فهذا أمر محمود".**

لا تفهم هنا هل ينكرون هؤلاء السادة الحديث الذي استند إليه عطية ؟ إذن ليعلنوا هذا بوضوح ، فإن كانوا لا ينكرون الحديث فلماذا يعاقبون عطية ؟ و لماذا يمتدحون رجوعه للحق ، و ما هو هذا الحق بالضبط ؟ نريد أن نفهم الحق المقصود هنا ، إن العقوبة تتضح دوافعها من تعقيب وزير الأوقاف الدكتور حمدي زقزوق على مفتي الجمهورية و بول الرسول إذ يقول : **"إن مثل هذه الفتوى و إن صحت لا يجوز ذكرها أو ترديدها"**؟ إنه مجرد الذكر و الترديد إذن ؟ إنها **الطرمخة** على المسلمين عن قصد مبيت من حماة الدين الرسميين وغير الرسميين حتى لا يعلموا من دينهم إلا المسموح به فقط.

و يتابع زقزوق قائلاً : **"ليس كل ما هو موجود في الكتب التراثية القديمة صحيح و مسلم به ، و إنما لابد أن نعمل عقولنا فيما نقرأ. فقد نجد في هذه الكتب أشياء تخالف العقل الإنساني ، فلا يجب أن نقولها أو يذكرها أى داعية ، لأنها تسئ للرسول (ص)".** و هو ما يعني أن كثير من أحاديث الرسول أخفاها الفقهاء عن

غالبية المسلمين و عامتهم عن قصد مبيت ، بل و ينصح زقزوق مشايخنا بذلك الخداع للمسلمين علناً ، و يستطرد يقول في بيان له بهذا الخصوص : **"إن فوضى الفتاوي و عدم انسجامها مع العقل و الفطرة الإنسانية أكثر خطراً على الإسلام من خصومه"** ، ووصف تلك الفتاوى بالإنحدار عن الفكر الديني ، و طلب بفكر يسمو بالمسلمين و لا يجرهم إلى التخلف و الجهل و منافاة قواعد الذوق العام ، و كان زقزوق قد خص المفتي بهجومه معتبراً فتواه إساءة واضحة للنبي صاحب الدعوة الذي كان نقياً في كل شئ و لا يقبل مطلقاً بهذه التخاريف. و تسائل : هل انتهت كل المشاكل في العالم الإسلامي و لم يعد غير فتاوي التبرك بشرب بول الرسول و إرضاع الكبير ؟

إن قسوة الدكتور زقزوق قد جاءت في حينها و هي مطلوبة بلا شك ، و حملته على المفتى على جمعة بالذات لها مبررها الواضح الفصيح ، فربما من كان يستحق العقوبة هو فضيلة المفتي بشكل خاص ، أولاً لإصراره على أن قوله فتوى ، و أنه لم يتراجع عن هذه الفتوى بل تمسك بها و دافع عنها وظهر على التليفزيون باكياً منتحباً في مشهد درامي زاد موقفه سوءاً ، و هو يؤكد ما جاء في كتابه **: "أن نساء النبي و صحابته الكرام كانوا يتبركون ببوله و فضلاته ، يروون من خلالها عطشهم و يداوون أوجاعهم و أسقامهم"** ، فهذا قول لم تقل به كتبنا التراثية ، فحادثة البول كانت حادثة واحدة مع حاضنة النبي أم أيمن ، و لم نجد غير ذلك مما يقول عن تبرك الصحابة ببوله و فضلاته يروون من خلالها عطشهم ، كما لو كان النبي يقف سبيلاً و الصحابة أمامه طابور يروون عطشهم ، إنها صورة غير جميلة بالمرة رسمها لنا خيال فضيلة المفتي وحده. و ما يجعل هذا الخيال الجامح وزراً كبيراً أنه ليس رجل دين عادي بل هو مفتي الديار المصرية بجلال قدرها عند المسلمين.

أما ابتدار الصحابة لبصاقه و نخامته فقد جاء في رواية سهيل بن عمرو مندوب قريش بعد ما رأى مكانة النبي وسط أصحابه في صلح الحديبية. و هو ما لا يتطلب فتوى لأننا لن نستطيع الحصول مثلهم على النخامة و البصاق ، و لا تشغلنا طريقتهم في التعبير عن حبهم لنبيهم و قائدهم ، فلكل زمن ذوقه ، و لكل شعب طريقته في التعبير عن عواطفه ، و تتعدد الطرق بين مختلف شعوب العالم حتى تأخذ أشكالاً غرائبية أحياناً و مضحكة أحياناً أخرى ، في عين غير أهلها. هذه كانت طريقتهم في بلادهم في زمانهم. لا هي فاسدة الذوق و لا هي جميلة المعنى و لا هى مقدسة المشهد ، هي طريقة تعبير تليق ببداوة العربي الذي كان بالأمس أدنى في درجة العيش و التحضر من إنسان الشجر الأول.

هنا نكون قد وصلنا إلى مناقشة مناط الموضوع الذي هو أجدى و أكثر احتراماً لدين المسلمين و لحياة المسلمين و معاشهم اليوم ، و ندخل إليه عبر الصوت الديني المعارض لفتاوي المفتي و عطية .

يلفت النظر بشدة في الاعتراضات التي سيقت ضد تلك الفتاوي تأكيدها على اختلاف مجتمعنا المعاصر عن مجتمع زمن النبوة بالجزيرة ، و عن اللجوء إلى العقل إذا ما تعارض معه النص.

السيد عسكر نيابة عن الإخوان بالمجلس قال : **"ليس من المعقول أن نتحدث عن رضاع الكبير في مجتمعنا الحديث"** ، بل و اللجوء إلى ذائقة الناس و قبولهم أو رفضهم استناداً إلى هذه الذائقة التي تختلف عن زمن النبوة ، فوزير الأوقاف زقزوق يركز على **"منافاة تلك الفتاوي للذوق العام"** و أنه **"لابد أن نعمل عقولنا فيما نقرأ ، فقد نجد في هذه الكتب ما يخالف العقل الإنساني فلا يجب أن يقولها أو يذكرها أى داعية"** بل أن **"مثل هذه الفتوى إن صحت لا يجوز ذكرها أو ترديدها"** احتراماً للذوق العام المعاصر و عقل الإنسان و طرائقة المعاصرة في التفكير .

و هو اعتراف واضح بأن في ديننا ما لم يعد متفقاً مع طرائقنا في التفكير و العيش و الذوق و الأخلاق و معنى الفضيلة و الرذيلة. لكن أن نسمع مثل هذه الردود كردود فقط على موقف بعينه ، بدون تفعيل الموقف من بقية شئون الدين ، حتى نترك ما كان مناسباً لزمانه ، و نعلن إيقاف العمل بأحكامه ، و بدون إعلان التخلي الواضح عن أحكام إسلامية كثيرة لم تعد توافق زماننا و دون إعلان أن في الدين ما هو غير صالح لزماننا ، فسيكون الجرم هنا جرماً في حق المجتمع و الحياة و المسلمين و الدين و المستقبل جميعاً ، لأن ما حدث يظهر للمسلمين كم يخدعهم رجال دينهم و كم يخفون عنهم من شئون دينهم فيظهرون لهم شيئاً و يبطنون شيئاً أخر ، مما يمثل خديعة لا تليق برجال دين ، و يؤدي بالمسلمين إلى الشك في دينهم.

ثم عليهم أن يحددوا معنى الفساد الأخلاقي عندهم ، و أن يجيبوا عن أسئلة إزاء فكرة صلاحية النص لكل زمان و مكان ، و ذلك من قبيل :

- هل إلغاء تجارة الرقيق و ركوب الجواري فساد أخلاقي؟
- هل إلغاء العقوبات البدنية كالجلد و القطع و الرجم فساد أخلاقي؟
- هل احترام قوانين جنيف و أبسطها و أولها إلغاء سبي النساء في الحروب فساد أخلاقي؟
- هل إلغاء الجزية عن أهل الكتب فساد أخلاقي؟
- هل كفالة حرية الاعتاد للناس فساد أخلاقي؟

- إن الإخوان المسلمين و الأزاهرة يحدثوننا برطانة غير مفهومة و شعارات لا يؤمنون بها ،
- فهم يتحدثون عن الشرف و لا يرون في هتك عرض غير المسلمين أي رذيلة ،
- و يتحدثون عن الحريات و لا يتنازلون عن فقه العبودية و السبي و الجواري ،
- و يتحدثون عن حقوق الإنسان و لا يعترفون لغيرهم بأي حقوق فغيرهم بلاد كفر و ديار حرب ،
- و يتحدثون عن المساواة و لا يقتلون مسلماً بذمياً و لا سيداً بعبد و لا رجل بإمرأة فالحر بالحر و العبد بالعبد و الأنثى بالأنثى ،
- و يتحدثون عن التسامح و يرون غيرهم كافرين يستحقون الذبح أو دفع الجزية عن يد و هم صاغرون.
- بينما فضائل الدنيا كلها عندهم رذائل من السينما للمسرح للموسيقى لبقية الفنون و السياحة أم الرذائل رغم ما تملك من حلول تامة المعاني لمشاكلنا الاقتصادية.

مطلوب من سادتنا الذين انتقدوا فتاوي المفتي و عطية أن يحددوا لنا أولاً بدقة ما يفهمونه من معاني الأخلاق و العقل و القيم كالعدل و المساواة و حقوق الإنسان و الحريات.

إن الفقه الذي يدرسه أبناؤنا في المدارس و علوم الحديث تؤكد إن الآبق من العبودية كافر ، و بذائقة اليوم نراه رجلاً عظيماً و ثائراً له كل الحقوق في حريته ، و يجب أن تقام له التماثيل في الميادين ، بينما فقهنا يعلم أولادنا و بناتنا أن " الإباق يحرم شرعاً بالاتفاق ، وهو عيب في العبد ، و قد عده بن حجر الهيتمي و الذهبي من الكبائر ، وردت في النهي عنه أحاديث عدة منها ما رواه بن جرير البجلي عن النبي قال : أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم ، و اتفق الفقهاء على أن الآبق لا يزال مملوكاً لسيده ، فإذا قتل على وجه يستوجب الدية أو أتلف من بدنه ما يستوجب الأرش ، فديته و أرش الجناية عليه لسيده ". فقهنا يجعل منا طبقات أسوأ من نظام الطبقات الهندوكية ، فلدينا الأحرار و العبيد و الرجال و النساء و العرب و الموالى و الذميين و العرب و غير العرب و الهاشميين من العرب و غير الهاشميين و القرشيين و غير القرشيين ، و المصيبة أن لكل طبقة من هذه الطبقات حقوقاً و واجبات مقننة تختلف عن بقية الطبقات ، فما هي الحرية و المساواة بالضبط التي يحدثوننا عنها ، و هل ثمة تعريف واضح لها؟

اللافت للنظر بشدة هو الثناء الذي تلقاه عطية على تراجعه عن فتواه ،و تأكيد الدكتورة سعاد صالح أن الخطأ في الفتوى شئ وارد و أنها هي شخصياً كم أفتت فتاوي خاطئة ثم تراجعت عنها. و مثل الدكتورة سعاد كان المفتى قد شك في موت جذع المخ لإباحة نقل الأعضاء ثم عاد عن فتواه و قال أنها قضية طبية و ليست قضية دينية ، و أفتى بأن الرشوة حلال في الضرورات ثم تراجع عنها و حرمها ، و حرم تحنيط الميت ثم أحله لغير المسلمين كما لو كان غير المسلمين ينتظرون فتواه كبقية رعيته المطيعين الطيبين. و يسمون هذا بالرسوخ في العلم و أنهم هم أهل العلم الراسخون فيه.

بهذا الرسوخ في العلم سبق لجبهة علماء الأزهر أن أفتت بارتداد فرج فودة فقتلته الجماعات الإسلامية ، و هي الجماعات التي اكتشفت بالرسوخ في العلم أنها كانت على خطأ فعادت عن فتاواها القاتلة ، عبر سلسلة مراجعات تصحيحية دينية فقهية منشورة تؤكد بالرسوخ في العلم خطأ الرسوخ الأول ، لكن دون أن يعيدوا لنا فرج فودة برسوخهم الجديد و فتاواهم الجديدة ، و دون أن يعيدوا لمصر شهدائها الأبرار الذين قتلوا على يد هذه الجماعات الإرهابية. و لا أن يعيدوا لمصر اقتصادها الذي دمره الرسوخ في العلم ضد السياحة ، و لا أن يعيدوا الوطن للناس ، و لا أن يعيدوا له و للناس كرامتهم المهدورة بفتاوي الدم.

و إذا كانت الفتوى تشريع ، و إذا كانت دار الفتوى تحمل عنوان دار الفتوى و التشريع ،و إذا كان هذا التشريع يأخذ الصفة الدينية أى الأكثر ثباتاً و قدسية من تشريع المجلس النيابي ، فإن مبدأ الخطأ في الفتوى و العودة عنه لا يعود مميزاً للفتوى الدينية عن قرارات مجلس الشعب البشري ، و مادام الخطأ البشري موجوداً في كليهما ، أفلا يكون احترام الدين بإبعاده عن هذا الخطأ و إيقاف العمل بنظام الفتوى هو الأكثر جدوىو سلامة ، و ترك التشريع للبشر يخطئون به أو يصيبون بمجلسهم التشريعي الموقربعيداً عن الدين و احتراماً له ؟

في هذه الحال سيتوقف الأزدواج التشريعي الذي تعاني منه كثير من المحاكمات القانونية ، خاصة ما تعلق منها بالأحوال الشخصية. هذا ناهيك عن كون الفتوى تبدو كما لو كانت نقصاً في الإسلام جاء المفتون ليكملوه لربنا، و نحن نعتقد أن ديننا اكتمل بختام الوحي و أن نبينا لم يقصر في تبليغ كامل دعوته ، و أن ما تركه الوحي دون أن يقول فيه كلمته هو إرادة ربانية ، و ما كان ربك نسياً حتى يأتي الفقهاء ليحلوا في المساحة المتروكة لنا حرة و يصادرونها ، لصالح توجهات إنسانية بشرية قابلة للخطأ كما هي قابلة للغواية و الطمع و الشر البشري.

كان ربنا يعلم بكل ما حدث و يحدث منذ الدعوة و حتى اليوم و حتى قيام الساعة ، لكنه لم يحدثنا لإتخاذ موقف ديني من كل جديد و لا أشار إليه ، و لا عين أحداً من قبله ينوب عنه ليتخذ القرارت مع كل جديد ، لقد سكت الوحي عن هذه الشئون ليترك لنا حرية اختيار حياتنا و شرائعنا و سياسات حكمنا و طرائفنا في الحياة بما يناسب زمننا و أخلاق زمننا و قيم زماننا و ذوق زماننا ، عن رغبة من هذا الوحي و قصد ، و إن وجود نظام الفتوى برمته هو افتئات على هذه الرغبة الربانية و تعدي على ذلك القصد السماوي ، خاصة إذا تذكرنا أن الإسلام ليس فيه هيئة أكليروس و لا رجل دين و لا واسطة بين العبد و الرب ، و كانت تلك فرادة الإسلام بين الأديان في بكارته الأولى المميزة له ، لذلك أسمى نفسه دين الفطرة ، و دين الفطرة ليس بحاجة لمفتين و ديار فتوى ، بقدر ما هو بحاجة لمؤمن عزيز كريم يحب ربه بكرامة و دون وصاية من الأزهر أو دار الإفتاء.

تبقى كلمة أخيرة ، و هى من المعلوم من السياسة بالضرورة ، أنه لا توجد دولة أو حكومة بحاجة لهيئة فتوى دينية ، سوى تلك التي تريد تمرير قرارات ضد مصالح شعبها ، مما يجعلها بحاجة لفرمانات سماوية حتى يطيع الجميع دون مناقشة ، طاعة للدين ! !

أيها المسلمون : أعلنوا إيقاف العمل بنظام الفتوى

لتجدوا لكم مكانا بين الأمم